

المجلد الثاني عشر

الجزء ١ و ٢



العدد ١٣٣٩ : هو الموافق لسنة ١٩٢١ م

تشرى مرة في الشهر

كانون الثاني - شباط

١٩٣٢

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
الدفع مقدماً
في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها
في الخارج	٦٠٠	الاولى الى الرابعة
	٣٠٠	الخامسة الى العاشرة
	٣٥٠	الخامسة الى العاشرة

اعضاء المجمع العلمي

« في سنة ١٩٣١ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
السادة	محل الاقامة	السادة	محل الاقامة
١٩ السيد امين الريحاني	بيروت	١ الدكتور اسعد الحكيم	دمشق
٢٠ السيد بولس الخولي	»	٢ الشيخ محمد بهجة البيطار	»
٢١ الشيخ عبد الرحمن سلام	»	٣ السيد جميل العظم	»
٢٢ السيد عمر فاخوري	»	٤ السيد خليل مردم بك	»
٢٣ الدكتور فيليب حني	»	٥ السيد رشيد بقدونس	»
٢٤ الفيكونت فيليب ذي طرازي	»	٦ السيد سليم الجندي	»
٢٥ الشيخ مصطفى الغلاييني	»	٧ السيد سليم عنجوري	»
٢٦ الدكتور نقولا فياض	»	٨ السيد شفيق جبري	»
٢٧ السيد عيسى اسكندر المعلوف	رحلة	٩ السيد عازف النكدي	»
٢٨ الشيخ احمد رضا	النبطية	١٠ الشيخ عبد القادر المبارك	»
٢٩ الشيخ سليمان ظاهر	»	١١ الشيخ عبد القادر المغربي	»
٣٠ السيد جرجي بني	طرابلس الشام	١٢ السيد عبد الله رعد	»
٣١ الشيخ سليمان احمد	اللاذقية	١٣ السيد عز الدين الشوخي	»
٣٢ السيد ادوارد مرقص	»	١٤ السيد فارس الخوري	»
٣٣ الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية	١٥ الدكتور مرشد خاطر	»
٣٤ الشيخ بدر الدين النعماني	حلب	١٦ السيد معروف الارناؤوط	»
٣٥ السيد جبرائيل رباط	»	١٧ الامير مصطفى الشهابي	»
٣٦ الشيخ راغب الطباخ	بيروت	١٨ الشيخ ابراهيم منذر	»

« الاعضاء »

السادة	محل الإقامة	الاعضاء	القاهرة
٣٧ الشيخ عبد الحميد الجابري	حلب	٦٠ السيد اسعد خليل داغر	القاهرة
٣٨ السيد عبد الحميد الكيالي	«	٦١ حافظ ابراهيم بك	«
٣٩ السيد فسطاكي الجمعي	«	٦٢ السيد خير الدين الزركلي	«
٤٠ الشيخ كامل الغزي	«	٦٣ خليل بك مطراش	«
٤١ السيد ميخائيل الصقال	«	٦٤ داود بك بركات	«
٤٢ السيد اسماعيل النشاشيبي	القدس	٦٥ السيد عباس محمود العقاد	«
٤٣ الشيخ خليل الخالدي	«	٦٦ السيد عبد العزيز البشري	«
٤٤ السيد عبد الله مخلص	حيفا	٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين	«
٤٥ الشيخ سعيد الكرعي	طولكرم	٦٨ الشيخ محمد رشيد رضا	«
٤٦ الشيخ رضا الشبيبي	النجف الاشرف	٦٩ محمد لطفي بك جمعة	«
٤٧ الدكتور امين المعلوف	بغداد	٧٠ الشيخ مصطفى عبد الرازق	«
٤٨ الاب انتاس الكرمل	«	٧١ السيد مصطفى صادق الرافعي	طنطا
٤٩ السيد جميل صدقي الزهاوي	«	٧٢ السيد زكي مغامر	الاسكندرية
٥٠ السيد كاظم الدجيلي	«	٧٣ السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٥١ الشيخ محمد بهجة الاثري	«	٧٤ السيد عبد الحلي الكتاني	فاس
٥٢ السيد معروف الرصافي	«	٧٥ السيد محمد الحجوي	رباط الفتح
٥٣ الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة	٧٦ الامير شكيب أرسلان	جنيف
٥٤ السيد احمد امين	«	٧٧ السيد عبد العزيز الميني الراجكوتي	عليكرة (الهند)
٥٥ السيد احمد حسن الزيات	«	٧٨ السيد عبد الحق حيدر آباد الدكن	«
٥٦ احمد زكي باشا	«	٧٩ السيد عبد الرحمن دلهي	«
٥٧ احمد شوقي بك	«	٨٠ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	فارس
٥٨ الدكتور احمد عيسى	«	٨١ السيد عباس اقبال	«
٥٩ احمد لطفي بك السيد	«	٨٢ الدكتور سعيد ابو جرة	برازيل

« الاعضاء »

محل الإقامة	السنادة
تونس	٨٣ السيد مارسيه Marçais
الجزائر	٨٤ = ماسه Massé
قاس	٨٥ = كي Guy
باريز	٨٦ = فرانت Ferrand
=	٨٧ = دوسو Dussaud
=	٨٨ = ماسينيون Massignon
=	٨٩ = بوفان Bouvat
=	٩٠ = كولان Colin
إيطاليا	٩١ = جويدي Guidi
=	٩٢ = نلينو Nallino
إسبانيا	٩٣ = الاب آسين Asin
البرتغال	٩٤ = السيد لويس Lopès
سويسرا	٩٥ = مونته Montet
=	٩٦ = هيس Hess
هولاندة	٩٧ = سنوك هورغرونجه Snouck-Hurgronje
=	٩٨ = هوتسما Houtsma
=	٩٩ = اراندونك Arendonk
انكلترا	١٠٠ = مرجليوث Margoliouth
=	١٠١ = بيفن Bevan
=	١٠٢ = كرينكو Krinkow
ألمانيا	١٠٣ = هومل Hommel
=	١٠٤ = بروكلن Brockelmann
=	١٠٥ = هرزفيلد Herzfeld

«الاعضاء»

السادة		محل الإقامة
١٠٦ السيد هارتمان	Hartmann	ألمانيا
١٠٧ = مينفوخ	Mittwoch	=
١٠٨ = ستريستن	Zettersteen	السويد
١٠٩ = أوستروب	OEustrup	الدانمارك
١١٠ = بول	Buhl	=
١١١ = بدرس	Pedersen	=
١١٢ = موجيك	Mzik	النمسا
١١٣ = ماهر	Mahler	المجر
١١٤ = كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١١٥ = كراتشكوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١١٦ = موزل	Musil	تشيكوسلوفاكيا
١١٧ = ماكدونالد	Macdonald	أميركا
١١٨ = كرسيكو	Karsikko	فنلندا

اعضاء المجمع الراحلون

١٧ السيد براون (كبرديج)	١ الشيخ طاهر الجزائري (دمشق)
١٨ « كلباء هوار (باريز)	٢ السيد نخلة زريق (القدس)
١٩ الاب جرجس شلحت (حلب)	٣ « اغناطيوس غولد صهير (بودابست)
٢٠ الحكيم محمد اجل خان (الهند)	٤ « مرتين هارتمان (برلين)
٢١ الشيخ سليم البخاري (دمشق)	٥ « رينه باسه (الجزائر)
٢٢ « محمد بن ابي شبيب (الجزائر)	٦ احمد كمال باشا (القاهرة)
٢٣ « عبدالله البستاني (بيروت)	٧ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي «
٢٤ السيد جبر ضومط «	٨ الدكتور يعقوب صروف «
٢٥ الشيخ مسعود الكواكبي (دمشق)	٩ السيد ادجنيو غرابيني «
٢٦ احمد نيمور باشا (القاهرة)	١٠ « رفيق العظم «
٢٧ السيد مبشو بلير (طنجة)	١١ « محمود شكري الالوسي (بغداد)
٢٨ « عبد الباسط فتح الله (بيروت)	١٢ « حسن بهيم (بيروت)
٢٩ المنسيور جرجس منش (حلب)	١٣ الاب لويس شينجو «
٣٠ السيد ساخاو (برلين)	١٤ الدكتور صالح قنباز (حماء)
٣١ « هوروفيتز (فرنكفورت)	١٥ السيد مانجيو (دمشق)
٣٢ « انيس سلوم (دمشق)	١٦ « الياس القدسي «

الكوكائين^(١)

—«X»—

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية ومضارها الجسمية والنفسية والاجتماعية . وقد بظن بان الاسكار خاص بالمشروبات الغولية فقط ، فاذا قبل فلان سكران بفهم من ذلك انه ثمل من تعاطي الخمر او الفول ، بينما السكر حالة نفسية مرضية ارادية تنشأ عن مؤثرات وعوامل كثيرة من جملتها المشروبات الغولية . ولعل السبب في تخصيص السكر عرفا بالخمر والفول ناشئ عن كون الخمر أقدم العناصر المسكرة التي عرفها الانسان وسكر بها ، ولان العناصر الاخرى حديثة العهد بالاستعمال بالنسبة اليها ، فمن الخطأ والحالة هذه تخصيص السكر بالخمر والفول لاسيما وان الخمر في اللغة ما خامر العقل ، وفي الحديث كل مسكر خمر . وان العملة التي بها عدت الخمر مسكراً وهي الاسكار قائمة بعينها في غيرها من المواد الكيميائية والنباتية ، فسييل هذه المواد والحالة هذه سييل الخمر في الحكم في الدلائل الواضح والقياس الصحيح .

وقد امتدى الانسان بسائق المصادفة قديماً وبفضل العلم حديثاً الى مواد كثيرة مسكرة لا تختلف من حيث تأثيرها على العقل عن الفول . وولع بها وتغنى بمدحها . اهمها الأفيون وعناصره والقنب او الحشيش والكوكائين الذي هو غرض هذه المحاضرة ونبدأ بدرسه لصلته بالفول من حيث المصدر والعدوى فأقول :

« الكوكا »

في اميركا الجنوبية (في البيرو) مملكة الذهب والفضة الغنية ، في تلك الجبال

(١) محاضرة للاستاذ الدكتور احمد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤

حزيران سنة ١٩٣١ .

الشاهقة المطلة على البحر الهادي ، ينبت شجر صغير يدعى الكوكا ذو أوراق خضراء قائمة اللوث رقيقة متينة بهضبة الشكل ذات تعرق خالص ورائحة عطرية خفيفة وطعم مر ، وكان الطبيعة التي حرمت سكان تلك الاصقاع الاصليين سعادة الحضارة والمدنية فبانوا في ظلمات من الجهل قبائل متوحشة بغزو بعضهم بعضاً عرضة للقر والحرق والعطش والجوع ومشاق الغزو والحروب المستمرة ، كان الطبيعة التي قضت عليهم بهذا الحرمان المؤلم لم تشأ الا ان تخفف من آلامهم فأودعت ورق تلك الشجرة المباركة شجرة الكوكا ، والكوكا في لغتهم معناها الشجرة خاصة من شأنها اذا مضغ الورق ان تبطل حس العطش والجوع والنعوب مدة طويلة مما حمل الانكاسيين وهم سكان بيرو الاصليين على الاعتقاد بان هذه الخاصة منحة أنزلت عليهم من السماء ، وان شجرة الكوكا مقدسة مباركة طيبة تجب حرمتها ورعايتها فجهلوا زهرتها رمزاً لتحلى به تروس أمرتهم المالكة وورقها لازماً من لوازم حياتهم يصطبغونه في اقامتهم ورحلاتهم كما تلازم علبة الدخان جيب المدخنين في العصر الحاضر . فيضعونه في جراب من الجلد يسمونه الشوسبا يعلقونه على جوانبهم ، اما المضغة فهي معجون من رماد الكوكا ومسحوق بعض الأصداف يقيمونه في قعدة مجوفة جافة تسمى بالبوهورو وهي مباركة في عرفهم يعلقونها على جوانبهم مع الشوسبا ، وبالنظر لما للخجل من الاعزاز الشديد عند الانكاسيين لاحتياجهم اليها في الاسفار والحروب فهم لا يفضون عليها بورق الكوكا فيشد في عضدها ويساعدها على تحمل المشاق كما يساعد الرجال على تحمل اعباء المعارك الطويلة وشدائدها .

هكذا كان حال الانسان الهيمبي مع الكوكا في ذلك العهد الغابر ، اما بعد الفتح والاستيلاء فقد اخذ ذلك العنصر الاصلي بالانقراض يسمى العنصر المدني الفاتح الذي حل محله فجعل من تلك الجبال الخاوية مناجم ثنبت الذهب والفضة ومد يده الى الكوكا فاستحوذته خمرتها وأعجبته نشوتها فعني بزراعتها وصناعتها فكانت له منها ثروة عظيمة وتجارة لا تبور . بيد ان هذه الشجرة المباركة التي كانت عوناً للانسان الانكاسي على تحمل المشاق والشدائد وآلام الجوع والعطش لم تلبث ان انقلبت في عهد الانسان المدني الفاتح خمرة تلعب بالعقول وتعبث بالاجسام تسيو في النفوس وتعيث بالابدان نشير الشهوة وتحمده النخوة تشعشع كالبرق في الظلمات فتبصرها العيون الضالة فتسير اليها ، وتلع كالسراب في

الغلات فتلحظها القلوب الظلمة فتشاهت عليها فتخطف تلك بنورها وتحرق هذه بنارها ، فكأنها وقد أغضبها عبث الفاتح يخرمتها لم تشأ الا ان تثار لمقدسها . فياله من ثار تبدد فيه العقول وتفلج الأعضاء وتسلب فيه الأموال وتثلج الأعراض . ثار مؤلم تضاهي فيه ضحايا الكوكابين قتلى الفاتح من الانكاسيين بل هو أشد وانكى . وهانحن نقص عليكم كلمة العلم الحاضر في الكوكا والكوكابين وفي هذه الكلمة ذكرى وعبرة .

« تأثير الكوكا الفسيولوجي »

ظن الاطباء بادى بدء ان في ورق الكوكا مادة غذائية وذلك لا بطالها حس العطش والجوع والتعب فأخذوا يستعملونها في الحالات المرضية التي تترافق بالضعف والوهن وسوء التغذية ، وصنفوها مع الادوية المقوية بصفونها بصورة خلاصة او صيغ او ممزوجة مع الخمر او الفول ، غير ان هذه العقيدة لم تلبث حتى ظهر فسادها فقد تبين ان منع الكوكا الجوع والعطش ليس ناشئاً عن كونها مغذية بل لانها مخدرة مبطلة للحس ، وذلك لان التجارب أثبتت ان الحيوانات التي تمنع من المواد المغذية وتعطى الكوكا فقط تموت في الزمن نفسه الذي تهلك فيه الحيوانات التي لا تعطى الكوكا ، وتبين ايضاً ان النشاط العضلي الذي يشمر به المرء عند مضغ ورق الكوكا ليس ينبعثاً عن حرارة غذائية بل عن خاصة في الكوكا هي ان القلب منها يحدث اثارة في الجهاز العصبي المركزي وفي العضلات فيستر هذا النشاط الصناعي التعب مدة ، ويفسخ للمرء مجالاً الى اتمام العمل الشاق دون ان يشعر بالتعب ولكن هذا التعب لا بد له من الوقوع غيب انتهاء تأثير الكوكا في الجسم .

« الكوكابين »

تاريخ اكتشافه — وقد ظل ورق الكوكا مستعملاً في الطب كملاص منبه بالكميافيات الآتية الذكر حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث توصل الكيميائي الالماني (Niemann) نيمان سنة ١٨٥٩ الى اكتشاف العامل المؤثر الموجود في ورق الكوكا وسماه الكوكابين . وقد كانت لهذا الاكتشاف الخطير أهمية كبرى في عالم الطب لا سيما في الجراحة وأمراض العيون والخلق والحجارة ، لما سهل لها من الأعمال التي كانت ممنوعة عليها قبل هذا الاكتشاف الذي بقيت فيه ضالة منشودة منذ العصور القديمة وهي التخدير الموضعي .

فتهاقت عليه الاطباء والجراحون يطرو - منافعهم ويستنكرون مضاره بصرفه لمرضاهم
بامراف يسكنون به آلامهم ويطلون بفعله حواسهم ولم يكن ليخطر لاحد على بال بان
هذا البلسم النافع الكريم سيكوث بعد حين لصا خائفا يتسرب الى عقل لامسه فيسرقه
والى جسمه فيضنه والى اخلاقه فيفسدها .

صفاته الطبيعية — ماهو الكوكابين ؟ الكوكابين مسحوق قاعم أبيض قليل الذوبان في
الماء ولذلك لا يستعمل في حالته الطبيعية ، بل يستعمل بصورة كلور مائية الكوكابين ، وهو
مسحوق ابيض مؤلف من بلورات لطيفة شديدة الذوبان في الماء ، والكوكابين عملاقان
مختلفان في الجسم احدهما موضعي والاخر عمومي .

تأثيره الموضعي — اما العمل الموضعي فان طلي البشرة ولا سيما الأغشية المخاطية
بالكوكابين يحدث تخديراً في نهايات الاعصاب السطحية فيبطل فيها الحس . وبقل ورود الدم
اليها ، ويكون هذا الفعل شديداً بنسبة رقة الغشاء ووفرة عصبه .

العمل العمومي — ويتعدى الكوكابين هذا الحد من التأثير فيتسرب الى الهصب الودي
فيثيره فتتوسع الحدقة ، والى البصلة الدماغية حيث نقطة الحياة فيهدد صاحبه بالسكتة
الصدرية والقلبية ، والى القشرة الدماغية حيث مراكز العقل وادراك الحس والحركات
الارادية فيسببها فتتري مدمنة الأوهام والتخيلات والعتة والجنون ، وينساب الى موارد
الأعصاب وأبواب العضلات فيحدث فيها عندما تكون الكمية الممنعة قليلة نشاطاً وخفة
فيتوقد الذهن وتنبه الحواس وتسكن الآلام وتنشط العضلات ، ويشعر المرء بحاجة
للمحركة وبقدرة على العمل ، وتشتد الانعكاسات الوثرية وتزداد ضربات القلب وتنقبض
الأوعية ويرتفع الضغط الدموي وتساعد الحرارة . اما اذا كانت الكمية كبيرة فان هذا
النشاط يشتد لدرجة الاختلاج ثم لا يلبث ان يعقبه الخدر والفالج وضياح الحس العمومي
فتضطرب ضربات القلب وتنقطع وتنفقد نظامها ، ويعسر التنفس ويضعف وتزرق
الاطراف ثم ينقطع النفس ويقف القلب فيقع الموت .

ومن هذه الكلمة الفسيولوجية يتبين لنا ان الكوكابين خاصتين مختلفتين : احدهما
موضعية وهي تخدير نهايات الاعصاب السطحية وابطال الحس . والثانية دماغية عضلية

عمومية وهي إثارة الدماغ في باديء الامر ثم التخدير العمومي .

استعماله في الطب — وبالنظر لما لهاتين الخاصتين من ، لأهمية الكبرى في الجراحة فقد لقي الكوكابين منذ اكتشافه رواجاً عظيماً في الطب الخارجي فاستعمل باديء بدء مخدراً عاماً غير انه لم يلبث طويلاً حتى أعرض عنه الجراحون لاسرين : احدهما حصول الاحتداد الشديد قبل دور الخدر . وثانيهما كون المقدار اللازم لابطال الحس العضلي العام يقرب من المقدار القاتل . واكتفوا باستعماله مخدراً موضعياً في العمليات الجراحية التي لا تتطلب ابطال الحس العام .

التسمم بالكوكابين — إن الكوكابين سم قاتل يبدأ فعله بالسكر وبالتخييلات البصرية والسمعية وبهذيان شديد العريضة وبالدرار ثم الرعدة والاختلاج الذي يعقبه هبوط القوى والخدر العمومي ثم الموت . وقد يؤثر الكوكابين فوراً على بصلة الدماغ حيث مراكز الحياة فيحدث السكنة القلبية فيصفر الوجه ويكبد ويفشاه العرق البارد ثم يقف القلب و يقع الموت .

ويختلف المقدار الباعث للموت حسب كيفية اخذ الكوكابين وكميته وبنية الانسان فقد ذكر ان ولدأ عمره ٤ سنوات أعطي فتيلة فيها ٠.٢٥ من الكوكابين فمات وان مثل هذا الحادث وقع عند انسان تناول ٠.٣٠ من الكوكابين وعند آخر عقب تخدير من يجعن ٠.١٥ من الكوكابين في اللثة مما صرف الاطباء عن استعماله الى غيره من المخدرات الموضعية التي لها مالم الكوكابين من الفعل بينما أجمرواها في الجسم أخف بكثير .

كيفية استعماله — أما كيفية استعمال الكوكابين في الطب الخارجي فمنختلفة فهو يستعمل طلياً ونقطيراً وحقناً تحت الجلد .

أما طريقة الطلي فتستعمل في بعض أمراض الجلد وفي أمراض الاذن والانف والحنجرة والنف . وأما طريقة النقشير فيلجأ اليها في أمراض العين وعملياتها الجراحية .
طريقة حقنه تحت الجلد — هذا وبما ان البشرة الصحية السالمة تمنع الكوكابين اذا طليت به من التسرب لما تحتها من النسيج فيظل حساساً — اضطر الجراحون لابطال الحس في الطبقات الجلدية العميقة الى إدخال الكوكابين اليها بطريقة الحقن تحت الجلد .

استعماله في الطب الداخلي — ١٠ استعمال الكوكايين في الطب الداخلي فيرجع تاريخه الى زمن اكتشافه ، فقد اخذ الاطباء في أواخر القرن الماضي يصفون الكوكايين لمرضاهم في جل الآفات المؤلمة وحالات الخمول العصبي جاهلين مايجبته هذا الافى من السم النافع تحت طبقات ملامسه الناعمة وما هي الا سنون قليلة حتى ظهر للاطباء والجراحين خطر استعمال الكوكايين ومضاره العقلية فأعرضوا عنه لان كثيراً من المرضى الذين كان يوصف لهم الكوكايين بمقادير قليلة لتسكين آلامهم اخذوا يعتادون استعماله فيكررون ذاوله مرات متعددة في اليوم حتى اذا أدمنوه تمكن من نفوسهم وتمذر عليهم تركه وأصبح من لوازم حياتهم فتظهر عليهم ثمة علامت التسم المزمن اذ الكوكاينية التي انتشرت خامة عام ١٨٧٨ عندما قام (Bentley) بمداواة المورفينية بالكوكايين وراجت طريقتة هذه لاسبابها في انكلترا واميركا ولكنها لم تلبث طويلاً حتى ظهر فسادها فأهممت بتثاناً وذلك لان المبطلين بالمورفين الذين عولجوا بالكوكايين الفوا استعمال هذا السم ابصاراً دون ان يتركوا المورفين فأصيبوا بالدائنين ممّا .

الكوكاينية — وادل من وصف التسم الكوكايني المزمن اذ الكوكاينية (Shaw) طبيب مستشفى سان لويس في لويزيان من الممالك المتحدة سنة ١٨٥٩ ثم في سنة ١٨٨٦ نشر (Erlenmeyer) بحثاً ممتعاً جمع فيه كثيراً من المشاهدات والاسانيد العلمية في الاختلالات النفسية الناتجة عن الكوكايين وفي سنة ١٨٨٩ عرض مانبيان ومعارنه سوري على جمعية العلوم الحيوية بياناً مسهباً استقصيا فيه وصف جميع الاعراض النفسية التي تنتج عن استعمال الكوكايين المزمن مؤيدين آراءهما بالمشاهدات الكثيرة والتجارب العلمية الصادقة فأقر المجمع هذا البيان وعده حقيقة علمية لا تقبل الريب ولا الجدل .

وبما تقدم ذكره يتضح لنا ان استعمال الكوكايين حتى أواخر القرن التاسع عشر كان منحصرأ بالطب والصيدلة وان التسم الكوكايني المزمن كان فردباً عرضياً ولم يكن اجتماعياً ارادياً . وان التجارب والمشاهدات اطلعت الاطباء على ما كانوا يجهلون من فعل الكوكايين وعلى مضاره النفسية فأخذوا يحددون منطقة استعماله ويحذرون مرضاهم اغتياده . ولكن ما الحيلة وقد سبق السيف العذل . فان النفوس التي كانت تستعمل الكوكايين

لاخماد آلامها النائرة اخذت تلجأ اليه لاثارة شهواتها وغرائزها الخاملة فخرج الكوكابين من الصيدلية الى الحانة ومن مخدر الى مسكر ومن يد الاطباء الى تجار النفوس والاعراض ، وما يزغت شمس سنة ١٩١٤ على العالم الا والكوكابين يظل بسلطانه عواصم الامم المتجدنة ويعلن على البشرية حرباً خروسة لو انها استمرت لأربت ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الكبرى بكثير .

قال الدكتور (Maier) ماير : أستاذ سريري الطب النفسي في زيورخ في كتابه الكوكابينية ، المطبوع عام ١٩٢٦ ان التسمم المزمن بالكوكابين قد ازداد في السنين الاخيرة زيادة عظيمة ، فما من مملكة متمدة الا وقد شملتها أضراره ، وقد شاهدت سويسرة هذا الوباء الاجتماعي بتأصل في تربتها في الحرب العالمية الاخيرة ويملاً بضحاياها دور الأمراض النفسية .

وقال كورتوا - سوفيت وجيرو (R. Giroux و Courtois - Suffit) في وصفها تجارة الكوكو في حانات مونمارتر في باريس ما نصه :
« في سنة ١٩١٤ يكفي المرء ان يدخل احدى هذه الحانات في الساعة المسماة ساعة المشبهات لي شاهد فريقاً من النساء المبتليات رواد هذه المواطن يضطربن ويتحلمان ثم يذهبن زسراً مؤلفة من اثنتين او ثلاثة الى المفاسيل حيث يتعاطين شم الكوكابين ولا يلبثن حتى يخرجن منها براقات الاعين ، على ان الشائم هو عدم التستر ، فكثيراً ما تكون العلبة المعمولة من الكرتون او من المعادن كالفضة والذهب معروضة على (الطاولة) منضدة مقاهي الرقص وعليها مغرفتها الصغيرة التي تكال بها كمية الشمة .

اما بين الساعة الخامسة والتاسعة مساءً فان تجارة الكوكو تروج في الغالب في مقاهي الطرب وفي المطاعم . وتحتدم سوق هذه التجارة بعد الساعة الواحدة من نصف الليل لاسيما في الرابعة والخامسة صباحاً في المؤسسات الليلية ، فهي ساعات عرض السم بالازاد العلني ساعات يدهم بالجش الأثمان وقد استمرت هذه الحسالة المؤلمة حتى صدور قانون سنة ١٩١٦ فاستمرت ثمة تجارة الكوكابين ولكنها لم تفقد تأثيرها في الخفاء فانه يوجد محلات ملافاة خاصة يجتمع فيها مدمنو الكوكابين مع تجاره لتناول هذا السم الزعاف .
اما في البلاد العربية فقد شاع استعمال الكوكابين في بدء الحرب العامة في مصر

بسرعة غريبة حتى بات خطره يهدد أبناء ذلك القطر الشقيق بأشد الآفات واسوأ العواقب ، وانتقلت العدوى الى سورية بعد الحرب العامة فدخلها الكوكابين فاتحاً مع جيوش الاحتلال محمولاً على أنامل عشاقه القيد الحسان من الرافصات الغربيات يغرين به روادهن حتى ان منهن من جعلته سهراً لوصالهن ونجوى بنقرب به اليهن ، ولا غرو فهو المحبوب الممنوع عزيز مطلبه ، صعب مناله ، غال وصاله ، محرق هجره ، مميت منعه . ولولا صرامة في القانون وقساوة في تطبيقه وتوقف دخول الرافصات الفرنسيات البلاد السورية وضعف الوراثة السكرية عند السوريين وفداحة ثمن الكوكابين لانتشر دأؤه فيهم انتشاراً مربكاً لا تحمد عقباه .

أسباب انتشاره — اما الاسباب الداعية لانتشار الكوكابين فكثيرة أهمها :

(اولاً) الاستعمال الطبي — وهذا بطل في أوائل القرن الحاضر ولم يعد له من قيمة فعلية .

(ثانياً) العدوى الاخلاقية = وتعمل هذه في الغالب في الفريق المتخلف صاحب الحشمة (اي الموضة) والظهور والتقليد الفاسد وفي ذوي السذاجة العقلية التي تدفع صاحبها الى تجييز كل ما هو رائج ولذلك نشاهد الكوكابينية منتشرة في الغالب في الغرب عند النساء ، وبالعكس ذلك في الشرق لما في نفس الضعيف من حب التقليد والسلوك مسلك القوى .

(ثالثاً) الوراثة — الوراثة أيها السادة أقوى العوامل على انتشار السموم النفسية في الامم وقد أوضحنا هذه الحقيقة في المحاضرة السابقة عندما شاهدنا ابن السكر يولد مستعداً لتعاطي المسكر كما ان ابن المدخن يولد مستعداً للتدخين . وقد شاهدنا ان السوريين ضعيفو الاستعداد لاداءات السموم النفسية لضعف هذه الوراثة فيهم وذلك لانهم حديثو العهد بالانغماس بالملذات وشرب المسكرات ، لاسباب وان أمهاتهم على الاطلاق نقيات بفضل العامل الديني والتربية الصالحة الموروثة . ومن المؤلم ان فريقاً من الشابات اخذن يخلطن بالنساء الغربيات في أعيادهن وأفراحهن فيقدمن اليهن شيئاً من المشروبات السكرية الروحية المسماة بالمنعشة فيأخذنه بمجاملة كي لا يرمين بالتعصب او بعبارة أوضح

كي يظهرن بظهور المجددات على زعمهن جاملات بان في عملهن هذا حطة أخلاقية
واساءة للقاليدهن . ودلالة على ضعف الجرأة الادبية فيهن ، لان بوسعهن رفض هذه
الكأس باسم الصحة والعلم اذا لم يكن باسم المادة والدين فيبرهن بعملهن هذا على علم صحيح
وارادة حرة بكتسبن بها إعجاب الغريبة وحرمتها .

(رابعاً) ومن العوامل على انتشار الكوكابين الاضطراب الروحي وعدم التوازن
النفسي وفساد الميول والفرائز . ففي الناس أيها السادة فريق شاذ يميله وشهواته لا يلد
له العيش ضمن الأوضاع الاجتماعية فيلجأ الى الملذات المرضية بواسطة السموم النفسية
ليسكن بفعلها شهواته فيكون بعمله هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

(خامساً) الحماية وضعف الارادة وقابلية التلقين = وذلك لان صاحبها قريب
المأخذ سريع الاغواء يستغله تجار الاعراض والمواد الممنوعة لمنافعهم فيمتدحون اليه
بضاعته حتى اذا ذاق طعمها وقع في شركها وظل فيه الى ان يهلك ، ولهذا قيل :
الادب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكرآ .

(سادساً) إثارة الحس الشهواني = وتلك من أعظم اسباب انتشار الكوكابين لاسيما
في دور الفحش والبغاء . قال الامام ابو راسد : (يدخل المرء الكوكابينية من باب الملذات
الشهوانية) غير ان هذه الاثارة موقوتة لان طول كثيراً حتى يعقها الاسترخاء والعقم .

(سابعاً) ومن الاسباب المروجة استعمال الكوكابين كيفية اخذه وسهولة تناوله
واستصحابه ، فهو لا يتطلب زجاجة ولا قفص ولا يشكل حجماً ولا وزناً ولا يحتاج صاحبه
لحقتة يعتمها وابرة يوخز بها جلده ، بل جل ما يتطلبه علبة صغيرة لانتجها الجيب ولا تستقلها
وقد يستغني عن العلبة ويعتاض عنها بقصاصة ورق صغيرة بصر بها هذا المسكر العجيب
الذي لا يدخل الجسم من باب الذوق بل بواسطة الشم والحقن ، فيستعطف المرء على مرأى
من الناس دون ان يستنكر احد فعلته وما هي الا دقائق معدودات حتى يشعر بدنيته يدب
الى نفسه فيطربها الى موضع الامرار فيهنكها .

« السكر الكوكائيني »

تأثيره لأول مرة - ويختلف فعل الكوكاين عند الناس حسب مزاجهم ودرجة إدمانهم إياه والكمية الممنصة ، فيشعر المرء الحديث العهد به عند تسعته الكوكاين بخدر ويفقد الحس التام في غشاء أنفه وبرودة في الوجه لاسيما حول الأنف والفم يصحبها شحوب اللون انقبض الأوعية وفاقة الدم ، ولذلك تعد السعطة الأولى مزعجة غير لذيدة ، وتترافق أحياناً بالغثيان وهبوط القوى وخفقان القلب والأرق .

النشوة - اما مدمنو الكوكاين فانهم يشعرون غب لتناول هذا السم يبضع دقائق بانسراح في الصدر وبنشيط عظيم في الجسم والدهن وبمقدرة على العمل غير منظرية وبخفة في الروح والحركة غير مألوفة ، و يسرور ثلاثي فيه الآلام والأحزان وسعادة بنفسى صاحبها عندها البؤس والشقاء ، وتسمى هذه الحالة النشوة الكوكائينية ، وتحصل عندما تكون الكمية الممنصة قليلة .

السكر الكوكائيني - اما عند تزايدها فيحدث السكر الكوكائيني وهو يتألف من عناصر او حوادث نفسية مختلفة تشتد وتضعف حسب تكرار تناول الكوكاين والكمية والكيفية ، وذلك لان تناول الكوكاين معوطاً أخف من أخذه حقناً تحت الجلد ، وتسعته بكميات صغيرة غير متكررة أخف عملاً من امتصاصه بكميات كبيرة ، واعم هذه الاعراض النفسية ، حدة الدهن ، ونشاط الحركة ، وخدر الحس بالآلم ، وفلج القوة المراقبة والناقذة الذاتية ، وإثارة الشهور الغامض ، وفساد الافعال العقلية .

حدة الدهن - وتيجلي حدة الدهن بتوقف الذاكرة والخيالة وسرعة تداعي الافكار وتواردها على خاطر وسهولة التكلم وكثرته والضحك والقهقهة والمزاح ورفع الصوت والخطابة .

نشاط الحركة - وتترافق حدة الدهن هذه بنحس دافع للحركة والعمل فلا يستطيع سكير الكوكاين الاستقرار والسكون قترأ ذاهباً آيماً كثير التلفت والاشارات سريع الحركات خفيفها بيتكر الاعمال ويباشرها ويكثر الزيارات والدعوات . ويتجلى هذا

النشاط خاصة في الحس الشهواني فإنه يزداد باديء بدء زيادة شديدة ولكنه لا يلبث أن يسترخي ، ولهذا نرى مدمني الكوكابين جميعهم يشكون العنة .

خدر الحس بالألم — وبالنظر لبطلان الحس بالألم تراه لا يشعر بالنعب ولا يفتريه ملل ويتنامي جميع أحزانه ومكدراته .

شلل القوة المراقبة والناقدة الذاتية — وبطرق بطلان الحس هذا الى القوة الناقدة والمراقبة فيفلجها فيثور الشعور النفساني الغامض وتنتقل الأهواء الكامنة والشهوات المحصورة فيسعي لتحقيقها .

تبدل طباع المرء واخلاقه — وتبدل طباع المرء واخلاقه فيصبح صعب الرأس سريع الغضب شرس الخلق سهل الاندفاع كثير المفاجآت والتعدي ، لا يحتمل الاذى يحنق لاقل سبب ويقتول الأجرام لدى ادنى حادث .

فساد الافعال العقلية — وقد يقف السكر او التسمم الكوكابيني عند هذا الحد من الفعل اذا لم يركز المرء تناوله اما اذا تكررت السمعات ولا سيما اذا كان تناوله بواسطة الحقن الجلدية ، فتظهر ثمة أعراض فساد الافعال العقلية فيختلط الذهن ويتغير الادراك والشعور وتستولي على السكر الأوهام والتخيلات لتسم الحواس فيبصر الاشياء على غير ما هي عليه فيرى العصا ثعباناً والشياب المعلقة شياطين او اوصافاً والاشخاص مشوهي الاشكال ، ويسمع صريراً ودويّاً لوجود لها في الخارج ، وتارة يخيل اليه انه في جوف من الغبار لامع الذرات ، او وسط مراب نخل يتطاير أمام عينيه الى غير ذلك من الأوهام البصرية والسمعية المزعجة التي تشاهد في سائر حالات السكر المزمن على اختلاف مسبباته .

التخيلات الحسية الجسدية — اما العرض الوهمي الخاص بالكوكابينية فهي التخيلات الحسية الجلدية فان مدمني الكوكابين يشعرون بحشرات تدب وتركض وثقفل تحت جلد جسده فتخرشه كالبق والبراغيث والقمل والجرب والقيح والديدان وأحياناً هي بلورات العسكوكابين نفسها تهتز في جلده فيعمل على مطاردتها وتزعجها باليخك ويحجج الجلد .

وقد تشترك الخواص بضلالها ويرى الكوكابيني الحشرات تسير على جسده ويشعر بانها تلدغه وتغمس في الجلد فينتزعها منه ويتناولها بيده ويضعها في وعاء فيه ماء بجانبه ، او انه يلقها على الارض ويستحقها بظفره . ومنهم من يتناول أبرة يأخذ باستقراء هذه الحشرات ما بين الجلد والعضلات ليخرجها ، فيدمي بعمله هذا جسده ويعرضه للالتهابات والآفات الوبيلة .

ثقب حاجز الأنف — ونشأ هذه الأوهام الجلدية عن تأثير الكوكابين في الاعصاب السطحية بتخديرها وعن ثقبض الاوعية الشعرية فيتوقف ورود الدم الى الجلد فينمل وتتهبط حرارته ويتوقف فعل التغذية فيه فيتمسخ واكثر ما يشاهد تلف الجلد في حاجز الانف فانه ينثقب عند مدمني الكوكابين .

الهذيان الكوكابيني — وقد لا ينحصر هذا الوهم والتخيل في الخواص فقط بل يتطرق الى الفكر ايضاً فيتصور الكوكابيني اموراً لا صحة لها ويتدخل عليه الغرور والعجب والغيرة والشك بالناس فيتمثل على الانتقام ويقترب أفعطع الاجرام وينتهي هذا الدور بالخلل والحدس العمومي والنسبات .

دور الضخو — ويستمر السكر الكوكابيني المعتدل ثلاث ساعات والى اربع ، ثم يأخذ المرء بالافاقة فيشعر بهبوط في قواه وتقل مزيج في حركاته وكسل شديد في اعضائه وخمول عظيم في عقله مع خبل ووهن في اعصابه وضيق في صدره مع انقباض وكدورة في المزاج . وتعود اليه آلامه السابقة مضاعفة فهو لا يقوى على المشي لان ساقيه لا تحملا له ولا يقدر على الاضطجاع لانه يزيد في سآنته وكآبته ، وعندما يعيل صبره وتخور عزيمته ولا يجد له ملجأ يلجأ اليه للخروج من هذا الضيق المخلق يتجه الى الكوكابين مرغماً وهو يعلم بانه بيت الداء ومصدر البلاء ولكن ما الخيلة وهو وحده المسكن لهذه الآلام فيتناوله كرهاً لا يشعده به سمادته الاولى بل ليخدر به آلاماً هو مسببها ، وهكذا دواليك دور متسلسل من طغور يرافقه خمول وضجر ، بدادي بسم يصعبه سكر وحدر وفي ذلك لعمري منتهى البؤس وأقسى درجات الشقاء .

هذا اذا كان المرء ذا سعة وقدرة على الحصول على الكوكابين اما اذا كانت معوزاً

فهناك الطامة الكبرى فهو لا يستنكف عن بذل ماء وجهه والتدفق لافظم الرذائل وارتكاب كل محرم الى ان يظفر بضالته وقد يستحوذ عليه الضجر واليأس فيعمد الى الانتحار .

الكوكابينية المزمنة — وقد لا يمضي زمن طويل على الكوكابيني المدمن حتى تضمحل قواه وتلاشي مواهبه وعواطفه ويقل فعل التغذية في الجسم فيهزل ويكمد لونه وينقص وزنه وبعسر هضمه الطعام ويتعاقب عنده الامساك والاسهال وتغور عيناه وينتابه الارق ويصبح كالجماد لا يكثرث ولا يبالي بشيء ، ضعيف العقل متدرجاً نحو العته والجنون .

ذلك مصير الكوكابينية ايها السادة وهي كما ترون : شعلة من نور الحياة تبهج الابصار تبرز وهلة في حلك الدماغ فتلهب بجزارتها كل مافيه من قوى شريفة في آن واحد ، حتى اذا نصب ذلك المعين الذي هو ذخيرة العمر في حين من الزمن قصير تجمد تلك الشعلة ، ويظلم ذلك النور ، ويصبح ذلك الهيكل الانساني كالسراج الذي نصب زبته حيواناً وحشياً يقترب أنواع الازدي ، مصيره السجن حيناً ثم ملاجئ المرضى ثم دور المجانين .

قال كورتوا سوفي وجيرو « ان اضرار الكوكابين هائلة ، فان الامراف باستعماله خلافاً لاسائر السموم المسكرة يعود رو بدأ رو بدأ الى الاستحالة الجسمية والهذيان والجنون والتلاشي ، ويعي الجسم لقبول السل » .

وقال لوجرن « ان الوباء الكوكابيني على الرغم من كونه محدوداً لذو شأن بين العوامل في انحطاط الجماعات ، وذلك لان المشاهدات اطلعتنا على ان نسل الكوكابيني المدمن يأتي مصاباً بالبلامة — على ان ذلك نادر — لان ادمان الكوكابين يحدث عند صاحبه العنة فيصاب بالعم وما العمم الا انتحار الجنس » .

الوقاية — وما كادت المشاهدات الطبية تفضح هذه النتائج المؤلمة الناشئة من ادمان الكوكابين حتى اضطربت لهولها فرائص أساتذة العلم في أنحاء العالم المتمدن فأخذوا يصيحون بامهم باعلى أصواتهم ومن فوق منابر الاورشاد والتدريس على السنة الكتب والجرائد نارة ، وبافواه الخطباء والوعاظ والنواب والجامع العلمية والمعلمين تارة أخرى ينادون بحكوماتهم واكرم به من نداء : الكوكابين هو الخطر الاجتماعي المدام فخاربوه .

وقد لبثت حكومات العالم هذا الداء ولا سيما فرنسا التي شأهت هذا الوباء ينتشر في عاصمتها انتشاراً سريعاً فأصدرت القوانين الصارمة بمنع دخول الكوكابين بلادها ، ففي ١٢ حزيران سنة ١٩١٦ سنت الحكومة الفرنسية قانون منع المخدرات ووضع التنفيذ في الحال وهو يقضي بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين وبدفع جزاء تقدي بترايح ما بين مائة الفرنك والالف منه على كل من يتناول الكوكابين او يحمله او يسهل ادخاله البلاد او استعماله ، و يقضي بالجزاء نفسه على الاطباء والصيدالة الذين يساعدون المبتلى بالكوكابين على الحصول عليه او يصفونه لغير ضرورة طبية ، ولا أكثر من سبعة ايام ، على ان يكتسبوا بالحروف المقدار الموصوف و كيفية استعماله و يوقعون على الوصفة بوضوح ، وعلى الرغم من صرامة هذا القانون والفسادة التي استعملتها الحكومة الفرنسية في تطبيقه فان تجارة الكوكابين ظلت رائجة في الخفاء لسهولة امكان الحصول على هذا السم خارج البلاد وامكان ادخاله الحدود بالحبيل وبعه خفية باثمان بامضة تتناسب مع الصعوبات القائمة في وجه الحصول عليه ، وقد كان لهذا الغلاء الفاحش فائدة في توقيف انتشار الكوكابين أعظم من فائدة المراقبة نفسها .

قال لوغر (Logre) « ان كثيراً من التجار يسافرون الى سويسرا وهولاندة والمانيا و يعودون منها بعدد كبير من كيلو غرامات الكوكابين المصنوع في مانهايم او دارمستاد ، وان الالمان لغايات قد لا تكون تجارية محضة يروجون دخول هذا السم البلاد الفرنسية » . وقال كورتوا سوفي وجيرو « ان الالمان استفادوا من الاحتلال الفرنسي البلجيكي بلاد الرين فأغروا الجنود المسكرة فيها واستخدموه واسطة لتهرب الكوكابين » وقد ساعدت الطيارات كثيراً على تهرب الكوكابين لعدم مراقبتها المكسبة .

وبلجاً مهربو الكوكابين لاخفائه عن أعين المراقبة بطرق من الحبيل والخديعة كثيرة يبدلونها كل يوم خشية افنصاحها ، فمنهم من يحمله في عصاه او داخل أعمدة الاسرة المخوفة ، او في كعب الجذاء ، او بطانة الثياب ، ومنهم من يجعل للوعاء طبقتين يخفيه بينهما . وذكر كورتوا سوفي وجيرو ان احد مبتوري الساق كان يخفيه في قناة ساقه الصناعية .

وعندما يدخل الكوكابين البلاد يباع فيها خلسة ضمن أوراق صغيرة تتضمن مقادير

زهيدة و يكون الكوكابين فيها مفتوشاً باضافة بعض الاجسام الشبيهة به اليه كخامض البوريك او الفناختين او سكر العليب . و يُطلى غواته بعضهم بعضاً على باعته ، و هم لعمري الطبقة المخطئة من الامة المنجردة عن الشرف والوجدان ، ولا غرو فعملهم هذا عدا انه سلب وسرقة ، فهو جنسية فظيمة فيها قتل النفوس وهتك الاهراض و بنم الاولاد واستخالة الامة .

فيا أيتها اليد الاثيمة التي تمد السم لاختيا لقتله به لقاء بنقض دربعات ، ارجعي الى ربك قادمة مستغفرة ، واعلمي ان تجارة السم لا تثمر ، وان قتل النفوس التي حرم الله بالسيف او الكوكابين سواء .

ولما كانت طرق المنع الداخلي والمراقبة الشديدة لم تحمل ثماراً دون تشرب السم داخل المدن طلبت الحكومات الاوربية الى جمعية الامم وضع قانون دولي عام يغطي بتهدد كية صنع الكوكابين في المعامل و حرافتها مراقبة دولية شديدة .

على ان هذه التدابير وحدها لا تكفي لابقاف تيار المسكرات الجارف دون ان ندعم بارادة الفرد بواسطة التربية الصحية الصحيحة . قال كورتوا سوفي وجيرو « يجب على المدارس عند انتهاء الدروس الرسمية في المساء التي تمتنع فيها الشهوات وتسيطر الامواء على النفوس ان يعلم الشبان بطرق بسيطة واضحة أخطار بعض الأضرار وبعض المساوي » الى ان قالوا « اذا كان الضغط من شأست القانون فان الرقابة وصيانة الاخلاق من واجبات التربية وحفظ الصحة » .

فهل للعارف وهي السيطرة على التربية في هذه البلاد ان تنتهج هذا السبيل الصالح في التعليم المدرسي فتسدي بعلمها هذا خيراً الى الامة ذالى المنصر وتعال به رخصا الله والناس . وقد أدركت مدى أهمية الصحة العامة السورية ما للدعاية الصحية من الشأن العظيم في وقاية الصحة والأخلاق فأقامت في معهدنا الطبي مرضاً تمثل فيه الأمراض الاجتماعية الناتجة عن الزمري والمسكرات بشكلها الحقيقي محسوبة بالشروح الوافية والتصايح القويمة ، وسيقف هذا المعرض أبوابه للشبيبة السورية في القريب العاجل .

اسعد الحكييم

حروف التاج

وعلامات الترقيم

— « —

« ١ — حروف التاج »

ما كادت نماذج حروف التاج تُملن ونذاع حتى تناولتها أقلام الكتّاب ، البعض بالمدح والبعض بالنقد والدم . ويحصر نقد هذه الحروف في وجهين : (الاولى) في أشكالها فقال المنتقدون انها لا تألف مع الحروف المادية وليس فيها من الانسجام والخطابة ما يطابق الذوق الفني : (الثاني) في فائدتها واستعمالها ، فذهبوا الى انه لا حاجة لنا بها في الكتابة العربية وانه باستعمالها تزداد حروف الطباعة وهذا يخالف قواعد الاقتصاد . فالوجه الاول ليس من شأننا البحث فيه لعلاقته بقواعد الخط وأنواعه وأوضاعه ونحو ذلك مما اختص به ارباب هذا الفن . وبالنظر في الوجه الثاني اي في فائدة هذه الحروف واستعمالها نرى انها لم توضع لمجرد الزخرف والزينة او محاكاة الاصطلاحات الافرنجية حياء في التقليد والتجديد وانما الغرض من وضع حروف تختلف شكلاً او حجماً عن الحروف المادية هو فنيه القاري الى أوائل الكلام وتمييز الأعلام ، فهي من قبيل الترقيم^(١) الذي يراد به الايضاح والابانة كما شهد بذلك احد النقاد (الاستاذ محمد وهي الخطاط الشهير والخبير بمحكمة الاستئناف بمصر) فقد قال : « ان الفكرة في حد ذاتها سامية » وأهم مزايا هذه الحروف الدلالة على الاعلام من أسماء وكُنى والقاب وتمييزها مما يشبهها من المسميات او الصفات . ولو لم تكن هناك حاجة الى ما يميز الاسم العلم لما وضع الكتّاب بين أقواس دفعا للالتباس . وقد عرفت الا تراك هذه المزايا

(١) رقم الكتاب اي مجموعه وبيته .

فوضموا لذلك حروفاً تمتاز عن الحروف العادية وهي مقتبسة من الخط السكوفي المشهور واستعملوها في بعض مطبوعاتهم قبل استعمال الحروف اللاتينية بزمان بعيد .

وعلى ذكر الاعلام لا بأس من التنبيه الى امر جدير بالاهتمام وهو ضبط الاعلام الافرنجية المكتوبة بالحروف العربية اذ لا يتأتى النطق بها نطقاً صحيحاً خلواً الابدابة العربية من حروف تؤدي في اللفظ ما تؤديه الحروف المعروفة بالتحركة في اللغات الاوروبية مثل e. i. o. u. eu. ou وليس عندنا ما يقوم مقامها في الكتابة غير الواو والياء على ان الافرنج يلفظون كلاً منها بشكل خاص . فلا بد اذاً من علامات تؤدي مخارج هذه الحروف وبغيرها يتم ضبط الاعلام الافرنجية وبعض الاسماء العربية ولذلك نرى المجلات العربية تكتبها بالحروف اللاتينية . ومن تنبه الى هذا النقص الشيخ ابراهيم البازجي (رحمه الله) فوضع علامات تكتب فوق حروف الة وتدل على طريقة النطق بها بحسب مخارج الحروف المتحركة في اللغات الاوروبية ، ولكن هذه العلامات لم يتم استعمالها واصبحت في طي الخفاء بعد احتجاب (الضياء) . وللأتراك فضل سبق في وضع مثل هذه العلامات لضبط النطق بالحروف التي يختلف لفظها في بعض الكلمات مثل الضاد والطاء والكاف والواو والياء وقد استعملوها في الطباعة قبل استعمال الحروف اللاتينية بنحو نصف قرن . ومن الكتب المطبوعة بهذه العلامات القاموس التركي المسمى (لهجه عثمانية) تأليف اللغوي الكبير احمد وفيقي باشا .

وانعبد الى الكلام على حروف التاج فنقول ان ما يتسبب عن استعمالها من الزيادة في حروف الطباعة لا يعد شيئاً يذكر بالنسبة الى عدد الاشكال المستعملة الآن فان لكل حرف من حروف الهجاء أشكالاً متعددة بحسب موقعه في الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وغير ذلك .

واذا نظرنا الى كثرة هذه الأشكال وما في جمعها وتفريقها من العناء وضياح الوقت نرى ان احسن طريقة وضعت لتقليل عددها مع المحافظة على رونق الخط انما هي الطريقة التي وضعتها لجنة اصلاح وتحسين الحروف العربية بمطبعة بولاق الاهلية في سنة ١٩٠٣ اما الطرق الاخرى التي اقترحها بعضهم لاختزال الحروف فيما يذهب يرونقها ويشوه محاسنها على ان الخط العربي بجميع أنواعه يعد من الآثار الجليلة والدخائر النفيسة بل

أهو من مفاخر اللغة العربية لما امتاز به من الروعة والجمال ، ومن الواجب على أبناء هذه لغة المحافظة عليه والحرص على استبقائه خالصاً من الشوائب .

وقد اقترح بعضهم كتابة الحروف منفصلة كالطريقة المتبعة في الطباعة الانجليزية وهو اقتراح مخيف اذ يتعذر تنسيق الحروف العربية المفردة تنسيقاً هندسياً في السطور والطامة الكبرى ما ارتآه بعض المستشرقين من كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية . وقد بينتُ فساد هذا الرأي وما يحول دون العمل به من الموانع في مقالين نشر احدهما في (المقطم) بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٢٤ والثاني في (السياسة اليومية) في ١٤ فبراير سنة ١٩٢٩ .

« ٢ — علامات الترقيم »

لم يكن للعرب علامات للدلالة على فصل الجمل والتعجب والاستفهام ونحو ذلك مما اقتبسناه من اللغات الاوربية بل كانوا يكتبون الكلام متصلاً معتمدين على سياق المعنى على ان لهذه العلامات من الفوائد ما لا يحتاج الى بيان لانها تعين القاري على تفهم الكلام وايضاح ما قد يستنبه من وجوه المعاني ، فهي من قبيل الشكل والاعجام . ومعلوم ان الكتابة كانت في اول عهدها غملاً منها وقد وضعها فيها بعد أئمة اللغة لما رأوا ما يقع في القراءة من الخطأ والتصحيف . قال المسعودي : « الخطوط المضمجة كالبرود المضممة » وقيل : « إجماع الخط يمنع من استعجابه وشككه يؤمن من اشكاله » و « رب علم لم أعجم فصوله فاستعجم محموله » فاذا جاز لنا إدخال الاعجام والشكل في الكتابة لا حرج علينا في اقتباس بعض العلامات التي تُعين على تفهم الكلام وتوضيح المعاني .

وليس من غرضي في الكلام على علامات الترقيم ان أبين فوائدها وانما أردت بهذه العجالة التنبيه الى ما يقع من الخطأ في وضعها والاسراف في استعمالها . فمن العلامات التي يضعها بعض الكتاب في غير مواضعها او يسرفون في استعمالها (الفصلة) وهذه علامتها (،) فيستعملونها لفصل المفردات المعطوفة مثال ذلك انهم يكتبون : فصول السنة أربعة : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع . وأقسام الكلام ثلاثة : اسم ،

وفعل^١ ، وحرف . على انه لا عمل للفصلة مع واو العطف . اما الاقرب فنج فانهم لا يستعملون أداة العطف بين المفردات المعطوفة ويستميضون عنها في الكتابة بهذه العلامة ، بيان ذلك اننا اذا ترجمنا البيت الآتي الى لغة اوربية :

الخليل والليل واللبداء تعرفني . والسيف والرمح والقرطاس والقلم
فيكتب هكذا :

الخليل الليل اللبداء تعرفني . السيف الرمح القرطاس والقلم
فتوضع أدلة العطف قبل الكلمة الأخيرة أي أنها لا تكرر كما في اللغة العربية .
وهذا يشبه عندنا قول الشاعر :

مكر^٢ مفر^٣ ، مقبل مدير مع^٤ . كجلود صخر حطه السيل من عل
على انه يجوز وضع الفصلة بين الجمل المعطوفة ولو كانت صغيرة مثاله :
الطير يقرأ ، والفدير صحيفة ، والسحاب يكتب ، والندى ينقط^(١)

ومن الخطأ وضعها بين الموصوف والصفة ولو كانت جملة مثل : صادر من قلب ،
تجرّد من غواشي الغرض . ونفس ، سمّت عن كل غابة . كما انه لا حاجة لوضعها بين
المبتدأ وخبره مثل : افضل المعروف ، اغاثة الملهوف . الا اذا حالت بينهما جملة معترضة
مثل : كل ذنب ، وان عظم ، صغير في جنب عفوك . وكل زلل ، وان اجل ،
حقير عند صفحك . ولا ينبغي وضعها بين الشرط وجوابه مثل : آمن سلك السداد ، بلغ
المراد . او بعد المنادى مثل : يا علي ، ناوطني الكتاب . او بعد فاء السببية مثل : محمد
فابق أقرانه في الامتحان ، فاستحق الجائزة الاولى .

وأقول بالاجمال ان هذه العلامة لا توضع الا بين الجمل المعترضة والجمل التي يتركب
منها كلام تام الفائدة ، ومن الخطأ استعمالها في غير هذين الموضعين .
ومن الكتاب من يضع علامة الاستفهام او علامة التعجب والاتصال مكررة^٢ مثني
وثلاث على انه لا حاجة لهذا التكرار وبعضهم يضع علامتين معاً . اما الفصلة المقطوعة
وهذه علامتها (،) فيحسن إغفالها اكتفاء بالفصلة .

(١) (المجمع) لعل الكاتب أراد في هذا الكلام ثبوت لا نظم .

وخلاصة القول انه لا ينبغي الاسراف في علامات الترقيم فان الغرض منها انما هو الايضاح والابانة ، اما الاسراف في استعمالها او وضعها في غير مواضعها فما ينشأ عنه الخلط والارتباك .

هذا ما عن لي من البيان والملاحظات على حروف التاج وعلامات الترقيم اعرضه على أنظار اولي الشأن لعله يعود بالفائدة التي نتوخاها من البحث . ولو كان لنا مجمع لغوي وهو الأمنية التي طالما عللنا النفس بادراكها ، لأغناها عن البحث والنقد . فهو المرجع الذي يعود عليه في كل ماله علاقة باللغة وآدابها وكتابتها والنظر في أي اقتراح يرد به التجديد او الاصلاح .

حبيب غزالة

ابن خفاجة الاندلسي

- ٢ -

« لفظ شعره وأسلوبه »

يمكن قاري ديوان ابن خفاجة الناظر فيه بعين النقد والتأمل — ان يصفه بما يأتي :
(١) — جزالة اللفظ

فان ابن خفاجة وان تخلف به زمنه عن أمثال احمد بن عبد ربه كثيراً وتأخر عصره
بوجه عن أمثال ابن زيدون قليلاً يقل عنهما في الرقة وسهولة اللفظ فتغلب عليه جزالة
اللفظ ونفاسته في كثير من قصائده ومقطعاته سالكاً طريقة المتقدمين من اهل الاندلس ،
كابن هاني والرمادي وابن دراج القسطلي بالرغم من وصفه هو شعر نفسه باللين والدونة
في قوله :

وحسبك من شعر يكاد لدونة تغني به النبت الهشيم فيورق
ولا ننكر ان له من المقطعات والقصائد ما يكاد بذوب رقة وسهولة الا انه قليل
بالإضافة الى سائر شعره .

فمن جزل قوله من قصيدة يصف جبلاً :

وليل اذا ما قلت قد باد، وانقضى،	تكشف عن وعد من الظن كاذب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب	لا عشق الآمال بهض ثرائب
فزقت جيب الليل عن شخص أطلس	تطاع وضاح المضاحك قاطب
وأبت به قطعاً من الفجر أغبشا	تأمل عن نجم توقد ثاقب
وأرعت طلاح الذؤابة باذخ	بطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة	ويزحم ليلاً شبه بالمناسكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه
بلوث عليه الغيم سود عمام
أصحت اليه وهو أخرس صامت
وقال ألا كم كنت ملجأ قاتل
وكم مرّ بي مرّ مدج ومؤوب
ولا طم من نكب الرياح معاطي
فما كان إلا ان طوتهم بد الردى
فما خفي أبكي غير رجفة أضلع
وما غيض السلوان دمي وانما
فحق مني أبقي ويظمن صاحب
وحق مني أرعى الكواكب ساهراً
فأسمني بنت وعظه كل عبدة
فسلّى بما أبكى وسوّه بما شجبا
وقلت وقد تكبت عنه رطبة
ومن سهله قوله في صفة بطاح وظلال :

سقياً لها من بطاح أنس
فما ترى غير وجه شمس
وقوله في غلام بقل عذاره :

أيها التائه مهلاً
هل ترى فيما ترى
وغراماً قد تسري
أين دمع فيك يجري
أين نفس فيك تهدي
أي الملك كانت إلا
وتخلى عنك إلا
سأهني ان تهت جهلاً
الا شباباً قد تولى
وفؤاداً قد تسلى
أين جنب يتقلى
وضلوع فيك تعلى
عارض واني فولى
أصفا لا يتخلى

. وانطوى الحسن فهلا . أجل الحسن وهلا

(٢) - ايجاز أسلوبه لكثرة ما يزحم لفظه بالمعاني والاستعارات او التشبيهات المتعددة في البيت الواحد كما سيأتي بعد .

(٣) - محاكاته في كثير من قصائده فقول المتقدمين معارضا لم في وزنهم ورويتهم كآبي نواس والبي تمام والبحري وابن هاني والمنيني ، فمن ذلك قصيدته الرائبة التي يمدح بها الوزير ابا عاصم ويعارض بها ابن هاني الاندلسي في رائبته التي اولها :

فلنقت لكم ريح الجلال بعنبر . وأمدكم فلق الصباح المسفر .
وجنيتم ثمر الوفائم بانما . بالنصر من ورق الحديد الاخضر .

فيقول ابن خفاجة في مطلع قصيدته متغزلا :

حدر القناع عن الصباح المسفر . ولوى القضب على الكشيب الأغر
وتملكته هزة في عزه . فاريج في ورق الشباب الأخضر
منفسا عن مثل نفحة مسكة . منبسجا عن مثل سمة طي جوهرا
سلت علي سيفها أجفانه . فلقبت من المشيب بمقرا
منجلدا لأربا بنفسي انت يرى . هذا المزير قتيل ذاك الجوذر

وقوله في ميمية يعارض بها ابا نواس في قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم . نمت من لبلي ولم أنم
فان ابن خفاجة يقول في ميمية هذه وأغار عليه في بعضها :

قل لمسرى الريح من إضم . وليالينا بذي سلم
طالب لبلي في هوى قمر . نام عن لبلي ولم أنم

وهي طويلة جميلة .

وقوله في يائية يعارض بها ابا الطيب المنيني في قوله (وأغار عليه) :

كنى بك داء ان ترى الموت شافيا . وحسب المنايا انت يكن امانيا
فان ابن خفاجة يقول في يائيته :

كفاني شكوى ان أرى المجد شاكيا . وحسب الرزايا انت تراني باكيا

وهي طويلة جيدة .

(٤) - كثرة استعماله للحجاز والامتعارات والتشبيهات ، و كثيراً ما يرحم بها البيت الواحد حتى تفيض معانيه ، ويزيدها غموضاً خفاءً علاقاتها يتعد لوازمها فمن الأول قوله بصفت منفرجاً :

وصقيلة الأنوار تلوح عطفها ريح ثلث فروجها مقطار
عاطى بها الصهباء أحوى أحور بحباب أذيات السرى سحر
والنور عقد الغصون متوالف والجذع زقد والخليج حوار
بجدقة ظل اللي ظلا بها وتطلعت شفا بها الأنوار
رائض القصب بها قد شرب الثرى وشدا الحمام وصفق النبار
خفاء الحف عطفها الورق الندي واللف حيف جنبها النوار
فتطلعت سيف كل موقع لحظة من كل غضن صفحة وطار
ومن الثاني قوله في وصف فرس أشهب بعد موقعة :

وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا
ترى به ماء نعل النيف منسكباً يجري وجاحم فار البأس مشتملا
فغادر الطعن أجنان الجراح به رمداً وصبراً طرف القنا قدلا
وأشرق الدم في خد الثرى نجلاً وأظلم النقع في جفن الوغى كغلا

معاني شعره

وابن خناجة من المحدثين المعاني المؤثرين جانبها على جانب اللفظ ، وكأنه أحس ذلك من نفسه فحاول جبره بكثرة الجناس والطباق كما فعل أبو تمام ، فإذا سلم له اللفظ من معرة التكلف مع تجويد المعنى جاء شعره غابة الغابات ، والا فقد أفتب الذم واستوقف النظر في تفهمه واستيعابه غامضه .

ويمكن القارئ لحيوانه إجمال الأمور الغالبة على معانيه فيما يأتي :

(١) - غلبة ازدحام المعاني على أكثر شعره فيحمل اللفظ القليل لثمة معنى متشعب المناحي والعلائق وأما معاني متعددة : مما أوردت بعض شعره تفصيلاً وغموضاً : وفي ذلك يقول ابن خلدون في باب انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر مما يجب على الشاعر أن يراعيه

في شعره « ولا يكون الشعر سهلاً إلا إذا كانت معانيه تسابق الباطن إلى الدهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرقي الأندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسيج على الأساليب العربية كما مر » يريد ابن خلدون بالأساليب انتحاء منحى العرب في جعل مادة الشعر الخيال والوجدان لا القضايا الفلسفية . أما ما يعيبه على ابن خفاجة فهو ازدحام البيت من أبياته بخیال منتزع الصورة من متعدد كثير أو بعدة أخيلة ، فيكون فيه جملة استعارات ومجازات في اللفظ والأسناد ، متداخل بعضها في بعض ، أو جملة تشبيهات كذلك ، وقد كنى ابن خلدون ابن خفاجة بأبي بكر مع اشتغاره بكنية أبي إسحاق ولا يعرف شاعر مسمى بابن خفاجة مشهور بأنه شاعر شرقي الأندلس إلا شاعرنا هذا فتكنيته بأبي بكر سمو من ابن خلدون أو أن له كنيته فمن ذلك قول ابن خفاجة في المدح :

فاركض الدهر ساجداً ، وانتفض المنة مدار سيقاً ، واستنصب السعد لامة
وقوله :

وغمامة نشرت جناح حمامة	والبرق قد نسج الظلام نهارا
متألق صدع الدجى وسقى الثرى	فأبيض ذا نوراً وذا أنوارا
في أجرج خاف الزبيع به ابنه	كرماً ، فأخصب ربوة وفرارا
هفت الصبا منه بمسرى ديمه	مطلاء قريبها العجاج وقارا
وصكفت فسات فضة ولربما	طبعث بكل قرارة دينسارا
نثلت به زرق النطاف سوابقا	زرقاً وجردت الشعاب شفارا
فكأنما فلت هناك كنيبة	فرمت به عنها السلاح فرارا
ارض هبطت بها سماء بطلقة	وخطت من سدق بها أنوارا

وقوله :

فالروض مهتز المعاطف نعمة	نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انفجلى	عنه فذهب صمغته أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة	طرف يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرونو إلى عواده	شاكٍ ويلتمح العزيز ذليل

وقوله في الكأس :

والكأس طرف أشرق قد جال في عرق عليه من الحباب يسيل

وقوله :

ولوى الخليج هناك صفحة معرض ثمت سوافها ثغور أقاح

ومثل ذلك كثير في شعره :

(٢) — كثرة توليده معاني فنون الشعر غير وصف الطبيعة كالمدهح والرتاء والغزل

من معاني وصف الطبيعة ويضيق بها المقام عن كثير من الشواهد الممثلة لما نقول كل التمثيل

فنجمل القاري إلى ديوانه (طبعة جمعية المعارف المصرية) في صحائف ٢ و ٣ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٦ و ٤٠ و ٤٦ و ٦٩ و ٩١ و ٩٤ و ١٠٢ و ١١٠ و ١١١ الخ .

ونشير إلى ذلك بأبيات فمن ذلك قوله في رثاء وزير من قصيدة :

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء

ولكل شخص هنرة الغصن الندي غب البكاء ورنه المكاء

يا مطلع الانوار انت بمقلتي أسفا عليك لمنشأ الانواء

ومنها :

جالت بطر في للصبابة عبرة كالغيم رقت فخال دون سماء

ومنها :

فلطالما كنا نري بظله فتريح منه بسرحة غناء

فنفقت على حكم البشاشة نورها ولنفس في أوجه الجلساء

وقوله في المدح ويدعو على نفسه :

فان انا لم أشكر لك والدار غريبة فلا جادني غاد من المزن رايح

ولا استشرفت يوما إلى به الربا جلالات ولا هشت إلى الأباطح

(٣) — توليد بعض معانيه من بعض بل ربما كرر اللفظ مع المعنى فاحيا بذلك معنى

ابن الرومي ، كان اذا اخترع معنى او استحسنه لا يزال يلح عليه بالاستعمال ، ويستقصي في

استخراج صور متعددة منه ، وذلك كثير في شعره . وفي قليل ما ذكره شبه مما لم يذكره .

فمن ذلك قوله من قصيدة زهرية :

وقد ارتدت غصن النقا وانقلدت حللي الحباب موالف الانهار
: يقول في قصيدة أخرى :

ومجر ذيل غمامة لبست به وشي الحباب معاطف الانهار
وقوله في القصيدة الاولى :

نثرت بحجر الارض فيه بدالصبا درر الندى ودرام النوار
و يقول في الثانية :

نثرت بحجر الروض فيه بدالصبا درر الندى ودرام الانوار
(٤) - كثرة اختراعاته للمعاني الرائعة وحسن تصرفه في معاني غيره حتى تصيح
ناصرتها في ملك يمينه واكثر ما يكون ذلك منه في التشبيهات والاستعارات كقوله
في وصف فرس :

وأدلم لولا انه راق صورة لما عرفته العين من ليلة الحجر
وقوله في وصف معركة بصف السيوف والنقع :

والبيض تحنى في الطلى فكأنما كؤبث عراً منها على أزرار
والنقع يكسر من سنى شمس الضحا فكأنه صداً على دينار
وقوله في حسن التعليل :

وما أرغت الكاس في كفه ولكنها ضحكك عن سرور
وقوله :

وجه به من يدع الحسن ما بقيم للماشق أعذارا
قد طبع الحسن به درهما تسبك منه العين ديناراً
(أي من الخجل)

وقوله في وصف ذميمة متحلية :

الابكى الدر فوق حالي حلى بها العقد شر ما حلى
يرنى بها ما يمر من حلق مخبأ تحت منظر الجلى
قد راق مرأى وساء مختبراً فهل ترى اثمرت به دفلى
والدفلى هي شجرة ورد الحمار جميلة الزهر سامة .

وقوله في وصف فرس أشقر عليه حلبة من فضة :

بسام ثغر الحلمي تحسب أنه كأس أثار بها المزاج حبابا

وقوله في وصف ساق :

وأهيف قام يسقي والسكر يعطف قداه

وقد ثرخ غصنا واحمرت الكاس ورده

وألهب السكر خذا أوري به الوجد زنده

فكاد يشرب نفسي وكدت أشرب خده

وقوله في السرى :

ورملت في خلع علي من الدجى عقدت لها من أنجم ازرار

وقوله :

صح الهوى منك ولكنني أعجب من بين لبائقة مدثر

يكأنا في فلك دائر فأنت تخفى وأنا أظهر

(٥) - إكتاره من الإغارة على معاني غيره ، بالرغم من ثروة شعره بالمعاني المختصرة

والأخيلة الرائعة ، ولكن هذه فطرة البشر بأخذ الآخر عن الأول ما يحسن .

فمن ذلك قوله يصف الصباح في بيتين أبداع الأول وسرق الثاني :

وفي مصطلح الآفاق جمر كواكب علاما من الفجر المطل رماد

ولما نفرى من دجى الليل طحاب وأعرض من ماء الصباح ثماد

حننت وقد ناح الحمام صباية وشق من الليل البهيم حداد

سرق الثاني من قول البيهري .

حتى تبدى الصبح في جنباته كلاما يلح من خلال الطحاب

وقوله :

فلو أنهم خلدوا خلود ثنائهم لم ينصم عنهم عرا الأعمار

أخذه من قول المتنبي .

كفل الثناء له برد حياته لما انقضى فكأنه منشور

وقوله في مبيع :

اذا رنا يجرحني طرفه لحظته أجرحه ثارا
 فيصبغ الدرّ عقيقاً به وأصبح النوار أزهارا
 اخذه من قول احمد بن عبد ربه صاحب العقد وزاد عليه .
 ما ان رأيت ولا سمعت بمثله درأ بعود من الحياء عقيقا
 وقوله :

وكل حياة الى منهي اجل وكل حمام اعل
 اخذ كل الشطر الاول من بيت ابن هاني الاندلسي من مطلع مرثية له مقصورة وهي :
 مع كل آت قريب المدى وكل حياة الى منهي
 وربما كان هذا من اتفاق الخطاظر لانه معنى مبتذل . وقوله :
 فيها هو في السن السلام تأخرا وفي الحمد عنوان الكتاب نقد ما
 ولد من قول المتنبي في رائيته يمدح عضد الدولة وابن العميد :
 من مبلغ الأعصاب اني بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا
 الى ان يقول :

ورأيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا
 نسقوا كما نسق الحساب مقدما وأتى فذلك اذ اتيت مؤخرا
 لان لفظ (فذلك) كانت تذكر في الحساب عند نهايته فيقال فذلك كذا وكذا ولفظ
 (السلام) بوضع في آخر الخطاب .
 وقوله يمدح :

جدير باحراز الملا غير راكض مغدّ وادراك السهى غير قائم
 اخذه من قول اسحق الموصلي يفتخر بولائه لخزيمة بن خازم .
 اذا مضى الحمراء كانت ارومى وقام بنصري خازم وابن خازم
 عطست بانف شامخ وثناوات بداسي الثريا قاعداً غير قائم
 ويقول ابن خفاجة في هذا المعنى ايضاً من قصيدة :

من منزل قد شبّ من نار القرى ما شاب عنه مفرق الظلما
 لو شئت طلت به الثريا قاعداً وثبرت عقد كواكب الجوزاء

« ما يؤخذ عليه »

يؤخذ على ابن خفاجة عدة أمور : منها مداخلته بعض معانيه في بعض وازدحامها في البيت ، ومنها افراطه في استعمال المجاز وإثارة على الحقيقة والحق انه لا يصار الى المجاز الا اذا قصرت الحقيقة عن أداء المعنى وتحويله ، ومنها خفاء بعض معانيه خلفاء لوازم المجاز او التجريد كقوله :

ولقد جربت مع الصبا جري الصبا وشربتها من كف احوى احور
ناجيت منه عطارداً ولربما قبلته فثمت وجه المشتري
نندى بفيه اقاحة نقاحة شربت على ظمأ بماء الكوثر
فقد يخفى ما يريد في البيت الثاني ، فان قيل انه أراد المريح لانه احمر اللون فغلط
بذكر المشتري كما غلط امرؤ القيس في قوله : « اذا ما الثريا في السماء تعرضت »
يريد الجوزاء لان الثريا لا تجري عرضاً - فهو يريد ان وجهه احمر بالتقبيل ،
قلت : فلا يظهر بسهولة تخصيص التشبيه بعطارد عند المناجاة فان أراد انه في بدء
المناجاة كان ابيض الوجه كمطارد ثم احمر بعد التقبيل كالمشتري ، فلم خص عطارد ؟
مع ان اكثر النجوم ببيض على ان من سيارات الشمس ما هو ابيض ايضاً كالزهرة .
ومنها بعض اخطاء في اللغة او احكام القافية فالاول كاستعمال لفظ (اقاحة) في البيت
الثالث المتقدم على انه مفرد اقاح بدون باء معان (اقاح) هذا اسله اقاحي بباء مشددة وقد
يخفف ويستعمل استعمال قاض وداع وعلى كل حال فاللفرد ليس الا اخوانة ويقع في هذا
الخطأ كثير من الشعراء والكتاب . والثاني كوقوع الابطاء في القافية دون مرور سبعة
ايات على الاشهر في معنى القصيدة فانه يقول :

ومرى بطير به عقاب كاسر أمسى بلاعب من عنان ارقما

ثم قال بعد اربعة ايات :

ومرعى الهلال يدب فيها عقرباً وانساب منعطف الحجر ارقما

ومنها يرد بعض تشبيهاته وخروجها عن مألوف الذوق العام في كل زمان كقوله

في مطلع قصيدة يمدح بها اكبر امير من المثلثين في الاندلس :

ألا هل أطل الأمير الاجل أم الشمس حلت ببرج الحمل

ولا يخفى علينا انه شبه وجه الامير بالشمس في اول الربيع ولكن برد في جمل هذا الوجه حالاً في حمل — وقوله منها :

يشد اللثام على صفحة ترى البدر منها بارقي زحل

فانه يريد مع خفاء المعنى ان فلك البدر ادنى فلك الى الارض مع انه عند تشبيهه الامير به نراه ابعد الكواكب في ارتفاع المنزلة وانت تعلم ان جميع اصحاب الطوائف والقراءات ويشابههم الادباء ان طالع زحل نحس — ومن ذلك قوله يتغزل في ملبج وبصفه :

من يلق من لالعج وجد به ريجاً فقد لاقيت اعصارا

تخفق احشائي به دوحة وتثر الأعين نوارا

تخفق الاحشاء هنا الشاملة للامعاء فبيح واستعمالها مع الريح والاعصار ابيح . وغير ذلك كثير .

« الموازنة بينه وبين غيره »

اذا وازنا ابن خفاجة بكل شاعر من شعراء الأندلس ووصاف الطبيعة وجدناه يذم جميعاً في هذا الباب واقرّب الناس شيئاً به من شعراء المغاربة ابن حمديس الصقلي فانه أجاد وصف الطبيعة بما يقارب وصف ابن خفاجة او يساويه وأمكنه زاد غلظه وصف أمور كثيرة كوصف الفلاح والحصون والمصانع والقصور والتأثيل وكثيراً من أنواع الحيوان وزاد عليه في أغراض أخرى غير الوصف ، فانه يجيد العجاء ، وابن خفاجة ليس له في هذا الباب قليل ولا كثير ويجيد المدح وهو متناعه التي يتكسب بها ، وتوفي ذلك يجي في ابن خفاجة معه مضايلاً لأجملها ، ويجيد الخمر بات وله فيها الكثير الجليل .

وامناز عن ابن خفاجة بشكوى الزمان والمرض والغربة عن الأوطان والشينوخة والقل في البلاد والفخر الجيد والتخربض على الجهاد وطول القصائد غالباً ، ولقد يرجع ابن حمديس على ابن خفاجة في جملة . واقرّب الناس شيئاً به من المشارفة الصنوبري فانه ووصاف طبيعة مثله حتى يقايسه أدباء المغرب والمشرق به فيقولون في ابن خفاجة (صنوبري المغرب) غير ان الصنوبري أرق شعراً وأسهل ، وابن خفاجة أجزل لفظاً وادق معنى ، ومن شبهه بابي الفتح كشاجم فقد ابد به عن حليته ، فلان كشاجم ووصاف لكل شيء ، ومقل في وصف الطبيعة عن ابن خفاجة .

اما مقايسته بابن المعتز وابن الرومي والبحتري فكل هؤلاء يفضلونه بمجموع مزاياتهم ،
فابن المعتز بفضل الرقة وجمال التحيل واجادة الطردبات ووصف بحال الانس ، والبحتري
وابن الرومي بفضلانه بالتبريز في كل غرض من أغراض الشعر حتى وصف الطبيعة نفسها
وان قل شعرهما فيه عنه .

اما الموازنة بينه وبين غيره في قطعة من الشعر قالها وقطعة قالها غيره فقد يفوق ابن
خفاجة وقد يتخلف . ومن ذلك ما رواه المقرئ عنه قال : « قال ابن خفاجة في ديوانه
وخرجت يوماً بشاطبة الى باب الحمامين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية
وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه ابي عمران بن ابي نلبد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك
فألفيته جالسا على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست مستأنسا به
فجري اثناء ما نأبشدها ذكر قول ابن رشيقي :

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بمأمة من خده او خده منها استرق
فكانه وكأنها قر نعم بالشفق
فاذا بدا واذا انثني واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا نوح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جداً وأثنى عليها كثيراً ، احسن ما في القطعة سياقة الاعداد
والأقائت نراه قد استرسل فلم يقابل بين الفساذ البيت الأخير والبيت الذي قبله فينزل
بازاء كل واحدة منها ما يلائمها وهل ينزل بأزاء قوله (واذا نطق) قوله (شغل الحدق)
وكانه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديها :

ومنهف طاوي الحشا خنث المعاطف والنظر
ملاً العيون بصورة تليت محاسنها صور
فاذا رنا واذا مشى واذا شدا واذا صفر
فضح الغزاة والغما مة والحامة والقمر

فجن بها استحسناتاً . اه . قال ابن ظفر : « والقطعة القافية ليست لابن رشيقي بل
هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب احد شعراء الشيعة » .

ونحن نوافق ابن خفاجة في تفضيل قطعته على الاخرى الا انه لا يغيب عليك ان السابق هو الذي فتح الباب ، وطرق لابن خفاجة سرمد النظم على ما في استعمال لفظ الغزالة مؤثلاً للغزال من خلاف بين اللغويين وانها الشمس عند اكثرهم .

ومن هذه القصة تعرف ان ديوانه المطبوع ليس هو النسخة التي جمعها بنفسه لانها لا توجد فيه كما انه وجدت اشعار له خارجة عنه وشهرة ابن خفاجة تستدعي ان له ديواناً اكبر منه وتجد في ديوانه بعض موازناات بين مقطعات له ومقطعات لغيره فراجع ان شئت .
« كتابته »

وابن خفاجة كاتب جيد على طريقة الاندلسيين الجارين على طريقة ابن العميد واكثر كتابته خيالات شعرية .

ولم نعرض للكلام على كتابته هنا بنوع تفصيل لاننا نترجم له شاعراً لا كاتباً ولان كتابته لا تمتاز عن كتابة غيره بفضل بلاغة او رقة او ميزة لفظية .
« مختارات من شعره »

ومن شعره يصف علماء السوء من المسلمين والقساوسة من النصارى :
درسوا العلوم ليملكوا يمجداهم فيها صدور مرانب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة في اخذ مال مساجد وكنائس
وقال :

احس المدامة والنسيم عليل	والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد ثنبه داعم	والماء مبثسم يروق صقيل
ونطلمت من برق كل غمامة	في كل أفق رابة ورعيل
حتى شهادى كل خوطة أبكة	ربا وغصت تلمعة ومسيل
عطف الاراكه فانتنت شكرآله	طربا ورجع في الغصون مدبل
فالروض مهتز المعاطف نعمة	نشوان بعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى	عنه فذهب صفحته أصيل
وارند ينظر في نقاب غمامة	طرف يرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو الى عواده	شساك وبلتمح العزيز ذليل

وقال ببدي رأيه في تربية الطفل :

نبه وليدك من صباه بزريرة
وانهره حتى تستهل دموعه
فالسيف لاندكو بكفك ناره
حق يسيل بصفتيه ماؤه

وقال في طيف الخيال :

ورداء ليل بات فيه معانقي
فجمعت بين رضاءه وشرايه
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة
والليل مشمط الدوائب كبرة
ثم انتهي والسكر يسحب فرعه
ويجر من طرب فضول رداءه
القاهرة : احمد الاسكندري

تهكم الجاحظ (١)

- ١ -

« أساليب التهم عند الأفرنجية »

الى جنب هذا المذهب الذي ذهبه الجاحظ في الضحك والازمحاك مذهب آخر وهو التهم ، وامل بين المذهبين بعض الصلة وان كان كل منهما يختلف عن الآخر ، فصاحبها يحتاج الى شيء من خفة الروح ولكن هذه الخفة في الازمحاك بريئة من الحمز والمز وانما غايتها التنشيط والاستجمام ، اما في التهم فقد يمازجها الخبث سواء أكان هذا الخبث ظاهراً أم كان باطناً . -

وقد كان التهم من جملة أساليب سقراط في تقرير فلسفته فكان سقراط في تهكمه يرمي الى مناقضة خصمه فيسأله مسائل من باب تجاهل الدارف فكان في بدء الامر بقرئ مذهب خصمه ثم يتلطف في سؤاله فلا يزال به من سؤال الى سؤال حتى ينفذ به الى المناقضة في القول . -

أصل الأمر في التهم ان نقول قولاً وانت تريد ضده ، فلما قال النظار لام ابراهيم ابن هاني : ما بعد هذا الكلام كلام ، لم يقصد في هذه العبارة الا ضدها ، ظاهر كلامه الاعتراف بعلم ابراهيم ولكن باطنه تمريض يجهله . -

لست في حاجة الى الكلام على خصائص التهم فان هذا الكلام داخل في البديع وانما أقتصر في مثل هذا المقام على الإشارة الى ان التهم اكثر ما يستعمل في الخطاب فهو يغلب في الأحاديث حتى يكاد يكون لهجة يتفرد بها بعض الناس ، وقد يكون هذا التهم

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

لباس فكرة فيها فزح ومسرور او صيغة مزح ووحافه، او قالباً بفرغ فيه يغضب او حقد او يأس او غير ذلك من هوائج النفس .

واذا أردنا ان نعرف رأي منكم من حذائق المتكلمين في هذا المذهب فلنسمع ما قاله أنا تول فرانس :

« لا أزداد تفكيراً في حياة البشر الا ازددت اعتقاداً ان من الواجب علينا ان نجعل شهود هذه الحياة وقضاها التهم والشفقة . —

التهم والشفقة ناصحان صالحان . —

فالتهم بابتسامه يجب علينا الحياة ، والشفقة بدموعها تقدس هذه الحياة ، والتهم الذي أرغب فيه ليس فيه شيء من القساوة ، انه لا يستهزي بالحب والجمال ، فهو رفيق وفيه عطف ، فضحكة بكظم من الغبط ، وهذا التهم هو الذي يعلمنا ان نخشع من الأشرار والحقى ولولاه لأفنى بنا الضمف الى كراميتهم . — »

ان هذا الكلام على وجازته يصور لنا قيمة التهم ، فاذا اشتمل هذا المذهب على تحبيب الحياة وتقديسها ، واذا درر بنا على السخار بكل شرير وبكل أحمق بدلاً من ان نعبأ بهذا الشرير او بهذا الأحمق ، فما أعظم شأنه وما أعزأ بال الذين يعرفون كيف يتصرفون فيه . أفعلم اننا نلاحظ ان يسخر من الأشرار والحقى ، وقبل ان ننظر في هذا كله لا أرى مخنونا في ذكر أنماط من تهم الاقرنية على سبيل المقايسة والموازنة . —

امام المتكلمين في فراسة انما هو (قولنير) وهذا نمط من اسعه :

أبتأ جان جاك روسو رسالة موضوعها : اصل نماوت الناس وقد كانت اكا دمية ديجون افترحت هذا الموضوع وطلبت التسابق فيه ولكن روسو لم يجز في هذا الميدان فلم يحرز نصب السباق الذي أحوزه سنة ١٧٤٩ في رسالة جعل فيها الآداب والعلوم مصدر الفساد . —

اتصلت هذه الرسالة بفولنير فكتب اليه كتاباً يرد فيه عليه وقد جاء في جملة هذا الكتاب ما يلي :

لم يجترم الجرائم الكبيرة الا مشاهير الجلاء فان الذي يجعل من هذا العالم وادي دموع انما هو جشع الرجال الذي لا يبذل الى تقع غليله وعيهم بهم التي لا سلطان عليها فان

الآداب تغذي الروح وتصلحها وتسليها وانما لتخدمك في الوقت الذي تعترض فيه عليها . —
ثم ختم رسالته بهذا الكلام :

أعلمني السيد . . . ان صحتك رديئة فينبغي لك ان تجودها بشميم هواء وطنك وان
تتمتع بالحربة وان تشرب معي حليب بقرنا ، وترعى من عشبنا . — «
فالهمز يتخلل هذا التهكم المصقول الحواشي . —

فكان فولتير يقول لروسو : ان جسمك معتل واعتلال الجسم يؤدي عادة الى
اعتلال العقل فكان فولتير يقول لروسو : ان عقلك لا يتخلو من اعتلال . —

واليك نمطاً آخر في التهكم وهو قول (لابروير) في الموهوسين في حب الكتابة :
« يأخذ فلان ورقة وقلماً فجأة من دون ان يفكر في ذلك من قبل فيقول في نفسه :
أريد ان أولف كتاباً على انه ليس له استعداد للكتابة ولكنه في حاجة الى خمسين (بستولا)
فأصبح به من غير جدوى : خذ المنشار يا (ديوسكور) وانشر ، او اضع دائرة دولاب
فتحصل على اجرتك ولكنه لم يتعلم هذه الحرف كلها فأقول له : انسخ اذن او صحح في
المطبعة ، لانكتب ، بيد انه يريد ان يكتب وان يطبع كتاباته ، ولما كانت المطبعة
لا يرسل اليها دفتر ابض فانه يسوده بما يروقه فيكتب مثلاً : ان نهر السين يجري في
باريز وان الاسبوع فيه سبعة ايام او ان السماء ماطرة ، ولما كان هذا الكلام لا يخالف
الدين ولا الحكومة ولا يؤدي نشره بين العامة الا الى افساد الذوق وتعويد العامة
الاشياء التي لا طعم لها يعرض على المراقبة ثم يطبع فيعاد طبعه مع ما في ذلك من العار على
الاجيال وعلى كبار المؤلفين . — «

فهذا الكلام كله تهكم ، فان قول (لابروير) ان نهر السين يجري في باريز ، او ان
هذا الكلام لا يخالف الدين ولا الحكومة ، ان هذا القول كله انما هو همز ولمز . —
مالنا ولهذا كله فلننجل الى استهزاء الجاحظ !

اذا كان التهكم على نحو ما قال (اناؤل فرانس) يعلمنا ان نهزاً بالأشعار وبالحمقى فقد
علم هذا التهكم الجاحظ ان نهزاً بطائفة من الناس فيهم الحمقى ، وقد اجتمعت له أسباب
التهكم ومهدت له السبيل اليه .

أفلم تله أم مطبوعة على التهكم فان مجيئها يطبق الكراريس التي علم امرها في

كلامنا على حيانه استهزاء بولد يقضي ايامه في طلب العلم وهو عالة على امرأة تمونه !
 أفلم يخرجه في الأدب والعلم رجال لا يضعون فرص التهمك اذا سئمت هذه الفرص
 فعبارات ابي عبيدة والنظام التي مررت بنا في كلامنا على ثقافة الجاحظ أشباه : لا عليك
 فان سرقك لا يؤذي وامثال : مابعد هذا الكلام كلام ، انما هي عبارات بتخللها التهمك . —
 ولقد ظهر ميل الجاحظ الى الاستهزاء من صغر امره وحدائه منه واليهكم القصة التي
 لنا من البنا وهي من آثار هذه الحدائه . قال الجاحظ^(١) : « وبينما انا جالس يوماً في
 المسجد مع فتيات من المسجديين مما يلي أبواب بني سليم وانا يومئذ حدث السن اذ أقبل
 ابوسيف المروزي وكان لا يؤذي احداً وكان كثير الظرف من قوم سراقة حتى وقف علينا
 ونحن نرى سيفه وجهه اثر الجدة ثم قال مجتهداً : والله الذي لا اله الا هو ان الخُرَّاءَ حلوا
 ثم والله الذي لا اله الا هو يمينا ثانياً يسألني الله عنها يوم القيامة ، فقلت له أشهد انك
 لا تأكله ولا تذوقه فمن أين علمت ذلك ؟ فان كنت علمت امرأً فلعن الله ما علمك الله ،
 قال : رأيت الذبَّان يسقط على النبيذ الحلو ولا يسقط على الحار ويقع على العسل ولا يقع
 على الخلل وأراه على الخُرَّاء اكثر منه على الثمر ، أوتربدون حجة أبين من هذه ، فقلت :
 يا ابا سيف بهذا او شبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب ! »

واشند فيه هذا الميل الى الاستهزاء بالحقي كل حيانه فمن استهزائه بامثال هذه
 الطبقة من الناس قوله في اثناء كلام له على المكي^(٢) :

« وكان المكي طبيباً طيب العجيج ظريف الحبل عجيب المال وكان يدعي كل شيء على
 غابة الاحكام ولم يحكم شيئاً قط من الجليل ولا من الدقيق واذا قد جرى ذكره فسأحدثك
 ببعض أحاديثه وأخبرك عن بعض علمه لتأمل بها ساءة ثم نود الى ذكر الذبَّان :

ادعى هذا المكي البصر بالبراذين ونظر الى يرذون واقف قدالتى صاحبه فيه اللجام ،
 فرأى فاس اللجام واين بلغ منه فقال لي : العجب كيف لا يذره التي وانا لو ادخلت
 اصبعي في حلقى لما بقي في جوفى شيء الا اخرج ، قلت : الآن علمت انك تبصر ، ثم مكث

(١) الحيوان الجزء الثالث (ص ١١٢) .

(٢) ، ، ، (ص ١٠١) .

البرذون ساعة يلوك لجامه فأقبل علي فقال لي : كيف لا يبرُد اسنانه ، قلنا إنما يكون عند البصراء مثلك ، ثم رأى البرذون كلما لآك اللجام والحديدة سال لمسابه على الأرض فقال لي : ان البرذون افسد الخلق عقلاً ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفي ، قلت له : قد كنت اشك في بصرك بالدواب فأما بعد هذا فلست اشك فيه . —

وقلت له مرة ونحن في طريق بغداد : ما بال الفرسخ يكون في هذا الطريق فرسخين والفرسخ يكون اقل من مقدار نصف فرسخ ففكر طويلاً ثم قال : كالت كسري يقطع للناس الفراسخ فاذا صانع صاحب القطيعة زادوه وإذا لم يصانع نقصوه . —

وقلت له مرة : علمت ان الشاري حدثني ان المخلوع بعث الى المأمون يجراب فيه سمسم كأنه يخبره ان عنده من الجند بعدد ذلك ، وان المأمون بعث اليه بديك اعور يريد ان طاهر بن الحسين يقتل هؤلاء كلهم كما يلقط الديك الحب ، قال : فاسب هذا الحديث انا ولدته ، ولكن انظر كيف صار في الآفاق ، واحاديثه واعاجيبه كثيرة . — «

تهكم الجاحظ

- ٢ -

ظهر تميله الى الاستهزاء من غضاظة عوده واستحكم فيه هذا الميل بعد ان نهيات له اسباب التهمك يجذافها ، فقد خلق مطبوعاً على هذا التهمك ، وقوت فيه ثقافته هذا الطبع ، وعاش في عصر احتاج فيه الى السخرية ، فغاش في عصر ترك فيه الجمهور الأكبر والنسوة الاكظم التوقفت عند الشهية ، والنسب عند الحكومة وعزل الحق فيه جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن ، والخلاعة عاش في عصر استفاضت فيه الرذيلة وشاعت فيه طائفة من الخرافات في طبقات العامة ، وبعض العلماء والمؤلفين فلم يسجد الجاحظ بداً له من النتيجة على هذه الخرافات ، وعلى هذا الضلال وهو الرجل الذي وقفت نفسه على نصرة الحق في عمره كله فمضت خاصة فقد اسكن القول في عصره وصلى الذم ، فلم يبق للجاحظ الا اظهار ما عثده من القيام بما يلزمه من نصرة الحق وهجمة على الباطل ولا سيما بعد ان كثرت عتوه وحماؤه ومثمة بؤه فلم يجد له ماضي سلاحاً من التهمك ، فها التهمك الذي قال فيه فولد ير اذا اردت ان تقتل خصمك فاجعله بهزأة . فاجتهد الجاحظ في جعل خصمه هزأة كل حياته ولئن غابه ابن خنينة باستهزائه من الحديث استهزاه لا يخفى على اهل العلم ذكره فلم يترك الجاحظ بالصحح من الامايد واما استهزائه بعض تأويلات وتفسيرات لا بقوله عقل عالم المشتغل بالتحقيق والتجسس قرناً متكاملاً .

فلنجهد في بيان بعض مواطن من هذا الاستهزاء .

لجاحظ أسلوب في التهمك على بعض اهل التفسير والتأويل بسيط جداً وقد بلغ من بساطته انه لا يكاد يظهر عليه اثر الاستهزاء والسخرية فهو يمدس هذا التهمك دسكاً دون ان

يظهر على بيانه فبدلاً من ان يتعرض لهذه الطائفة من العلماء تعرضاً ويجادلهم جدالاً بكنفي في أكثر الأوقات بالدلالة على آرائهم والاشارة الى مذاهبهم ، ولكن هذه الاشارة معها كانت خفية ومعهما كانت رمزاً لا تخلو من روح التهكم فيينا الجاحظ مثلاً يمضي قوله في باب من ابواب العلم كباب ما يعتري الانسان بعد الخلاء وكيف كان قبل الخلاء وبيننا بفيض في هذا الباب في أمور علمية اذ يعرض له رأي من الآراء التي لا يؤيدها العلم فيكسني بالنسبة عليها كقوله مثلاً وقد سمعتموه (١) :

« وزعم بعض المفسرين واصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالنار فعطس الأسد عطسة فرمى من مخربه بزوج سنابير فلذلك السنور أشبه شيء بالاسد وسمح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل .
ثم يردف هذا القول كلامه الآتي :

قال كيسان . فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنابير وتلك السنورة حواءها وضحك القوم - - »

ان مجرد ذكره لأشياء هذه الآراء في اثناء بحثه عن أمور مبنية على العلم والعقل كان للدلالة على مخبرته باصحابها فكأنه يغمز بعينيه غمراً فهو لا يتولى الطعن على هذه الآراء والمذاهب وإنما يكفي نفسه مؤنة هذا الطعن بتركه للقاري حتى الحكم على مثل هذه الآراء وهذا الأسلوب على نزاهته الظاهرة لا يخلو من مهارة وحذق ولم لا اقول لا يخلو من خبث ، فان الجاحظ لا يتولى فيه التشنيع والتهجين وإنما يجرى القاري جرراً الى هذا التشنيع والى هذا التهجين ثم ينسحب انسحاباً فيخرج بمسند ايقاظه الفتنة كاهن البون لا ظهراً ولا ضمراً - -

ونظائر هذا التهكم بسيفينة في كتاباته ومن هذا القبيل قوله : مثلاً (٢) :

ويزعم زرادشت وهو مذهب المجوس ان الفارة من خلق الله ، وان السنور من خلق الشيطان وهو ابليس وهرمن ، فاذا قيل له : كيف تقول ذلك ، والفأرة مفسدة تجذب وتبلة المصباح فتحرق بذلك البيت والقبائل الكثيرة والمدن العظام والارياض الواسعة

(١) الحيوان الجزء الاول (ص ٦٧) .

(٢) ٤٠ ٤١ - الرابع (ص ٩٩) .

بما فيها من الناس والحيوان والاموال وتعرض دفاتر العلم وكتب الله ودقائق الحساب والصكالك والشروط وتعرض الثياب وربما طلبت القطن لتأكل بزره فتدع اللعاف غربالاً وتعرض البجرب واوكية الاسقية والازفاق والقرب فتخرج جميع ما فيها وتقع في الآنية وفي البئر فتتوت فيه ، وتحوج الناس الى مؤن عظام وربما عضت رجل النائم وربما قتلت الانسان بمعضتها ، والفار بجراسان ربما قطعت أذن الرجل وجرذان انطاكية أنهجرب عنها السنابير ، وقد جلا عنها قوم وكرها آخرون لمكان جرذاتها وهي التي فجرت المستأنة حتى كان ذلك سبب الخسر بارض صبا وهي المضروب بها المثل وسهل العرم مما تؤرخ بزمانه العرب ، والعرم المستأنة ، وانما كان جرذاً ونقتل النخل والفسيل وتخرب الضيعة وتأتي على أفرحة الركاب والخضر وغير ذلك من الاموال والناس ربما اجتلبوا السنابير ليدفعوا بها بوائق المار ، فكيف صار خلق الضار المفسد من الله ، وخلق النافع من خلق الشيطان ، والسنور يمدى به على كل شيء خلقه الشيطان من الحيات والعقارب والجمالان وبنات وردان والفأرة لا تقع لها وموتنها عظيمة . قال : لان السنور لو بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة ، فهل سمعت بحجة قط او بحيلة او بأضحوكة او بكلام ظهر على تلقح مرة يبلغ مؤن هذا الاعتلال ، فالحمد لله الذي كان هذا مقدار عقولهم واختيارهم . - »

على انه هذه المرة لم بكنتم استهزاءه فقد دل عليه بقوله : فهل سمعت قط بحجة او بحيلة بيد انه وان أفصح عن سخريته بهذه العبارة الاخيرة كان سيفه مندوحة عنها فان تدوينه لمثل هذه الاقوال كافٍ للاعراب عن هذا التهمك الكامن في ذهنه . -
ومثل هذا الاستهزاء كثير في كلامه لا أجد بي حاجة الى الاستزادة منه وانما ضربت لكم مثلاً حتى تستأنسوا به . -

وقد يخرج في بعض الاحايين سيفه رده على من يعيب كتبه عن البساطة التي لمحت اليها فيرهف قلبه ويحشد طبعه ، فبدلاً من ان يلجأ الى رباطة جأش المتهمكين والى هدوئهم وسكونهم بثور ثورته فيقول لهذا العائب الذي عابه باكثر كتبه (١) :
« بهرك ما سمعت ، وملاً صدرك الذي قرأت وأبطلك وأبطرك فلم تنجح للحجة وهي

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول (ص ٦) .

لا معوضة ، ولم تعرف المقائل^(١) وهي لا بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد ، رأيت ان سب الاولياء أشقى لدائك وأبلغ سب شفاء سقمك ، ورأيت ان ارسال اللسان أحضر لذة وأبعد من النصب ومن إطالة الفكرة ومن الاختلاف الى ارباب هذه الصناعة ولو كنت فطنت لعجزك برصبت نقصك بتمام غيرك واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك وحبس على تقويم اشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالثبوت في الآجل ، وكنت ان اخطأتك الغنمة لم تخطئك السلامة ، وقد سلم عليك المخالف بقدر ما ابتلي منك الموافق ، وعلى انه لم يبدل منك الا بقدر ما ألزمت من مؤنة انقيفك والتشاغل بتقويمك وهل كنت في ذلك الا كما قال العربي : هل يضر السحاب نبع الكلاب والا كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أمسى زائراً أبى رمى فيه غلام بججر

وهل حالنا في ذلك الا كما قال الشاعر :

ما ضر غلب وائل أهجوتها ام بكت حيث لناطح البهران
وكما قال حسان بن ثابت :

ما أبالي أيب بالحزن تبس ام لحساني بظهر غيب لثيم

وما اشك أنك قد جعلت طول اعراضنا عينك مطية لك ، ووجهت حملنا عينك الى الخوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث ليعض من لم يرحق الصفح فجعل العفو سبباً الى سوء القول

فان عدت ، والله الذي فوق عرشه مخنك مصقول الفرار ين ازرقا
فان من الجهل ان تضرب الطلى وان تلمس العريض حتى يفرقا وقال الاول
وضغائن دأبوتها بضغائن حتى شقيت وبالحيود حقودا
وقال الآخر

وما نعي عنك قوماً انت خائفهم كمثل رفك جهالاً يجهال
فانفس اذا حاربوا واحرب اذا قعسوا ووازن الشر مثقالاً بمثقال

الى آخر هذا الكلام

(١) في الاصل : المقابل .

غير ان هذه الاساليب كلها في التهكم قد لا تكون شيئاً قبيحاً الى تهكمه في كتابه .
التربيع والتدبير ، فهذا الكتاب انما هو المثل الأعلى في التهكم والحجة القاطعة فقد كان
استهزاؤه فيه على أساليب فنية ، يخرج في السخرية بالرجل من باب الى باب ومن شكل الى
شكل حتى يمزقه تمزيقاً فيصفره في عيون الناس أولاً ثم يصغر هذا الرجل في نفسه فيتمنى لو
ان الارض خسفت به خوفاً من ان تقع عليه عين ، وهل يبلغ الاغفاح في القول من رجل
ما يبلغه منه تصويره في صور شتى كل صورة منها معرض تعرض علينا فيه ناحية من نواحيه ،
وفي كل معرض من هذه المعارض صورة هنلية .

فمرة تعرض علينا طائفة من آداب نفسه وصفات عقله في معرض هنلي فيقول ^(١)
« وانا أبقاك الله اعشق انصافك كما أعشق المرأة الحسنة وانعلم خضوعك للحق كما
اتعلم النفقة في الدين ولربما ظننت ان جورك انصاف قوم آخرين وانك يقنعك سماع رجال
منصفين وما ظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة ومقابلة الاختيار بالاضطرار واليهين
بالشك والبقظة بالحلم الاً بالذي خصمت به من إشار الحق وألمته من فضيلة الانصاف
حتى صرت احوج ما تكون الى الانكار أذن ما تكون بالافرار واشد ما تكون الى الحيلة
فقرأ اشد ما تكون للحجة طلباً . — »

ثم لا يكتفي بهذا المعرض حتى يضيف اليه هذه الصورة ^(٢)

« غير ان ذلك بطرف ساكن وصوت خاضع وقلب جامع وجأش رابط ونية جسور
وارادة نامة مع غفلة كريم وفطنة ظليم ان انقطع خصمك تفاقت وان خرق توقفت غير
منجوب ولا منثعب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حסود
ولا منافس ولا متغالب ولا متعاقب بفل الحد ، و بصيب المفصل و بقرب البعيد و يظهر
الخطي ويميز الملتبس و يلخص المشكل و يعطي المعنى حقه من اللفظ كما يعطي اللفظ حظه
من المعنى و يحب المعنى اذا كان حياً يلوح وظاهراً بصيح و يخفيه مستهكاً بالتعقيد
ومستوراً بالتقريب . — »

(١) رسائل الجاحظ على هامش المبرد (الجزء الاول ص ٤٦) .

(٢) * * * * * ص ٤٧

وإذا فرغ من هذا المعرض عرض علينا محاسن علمه فيقول ^(١)

وإذا انتهى من محاسن علمه انتقل الى محاسن اخلاقه فيقول^(٢)

يبقى له الا الاستهزاء بجماله الفاتن فيعرض علينا هذا الجمال فيقول (٢)

وظنك أكثر من علمه واسمك افضل من معناه ، وحلمك اثبت من فجواه . — »

الى اصل الكتاب .

(۱) رسائل الجاحظ على هامش المبرد (الجزء الاول ص ۵۷) .

(۲) = = = = = ص ۶۲

(۳) # # # # # ص ۶۸

هذا آخر ما خطر على البال من تهكم رجل هنأ بأشياء كثيرة في هذا العالم ، هنأ بالخرافات والأباطيل وبالحمقى وربما كان خروجه من ديوان الخليفة هنأاً بالمعظمة نفسها ، بل ربما سخّر بشيء أعظم من المعظمة فإذا كان الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد الذي وصف فيه الشيء وضده على السن مختلفة يرمي إلى حقيقة فلسفية فيصوّر لنا طبقة من الناس يستحسنون طائفة من الأمور ثم يصوّر لنا طبقة غيرهم يستقبحون ما استحسن غيرهم إذا كان غرض الجاحظ من هذا الكتاب تقرير هذه الحقيقة فكأنه يريد أن يقول لنا لا حقيقة مطلقة في الدنيا وإذا كان هذا قوله فكأنما الجاحظ هنأ بالحياة كلها . —

دمشق : في ٥ كانون الاول سنة ١٩٣١



آراء وافكار

—«»—

حول مقالة الشاعر الصنوبري

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الحادي عشر (ص ٤٨٤) من مجلة المجمع مقالة للصادق الاستاذ الشيخ كامل الغزي مقالة عنوانها (الشاعر الصنوبري) ذكر في مطلعها انه جمع نبذة من اخباره وجمع زهاء اربعمائة بيت من شعره وان اول سفر عثر فيه على كلمات في هذا الشاعر مجموع قديم مخطوط ثم قال : اذا أمعنا النظر في ترجمة الصنوبري التي اتي بها كل واحد من صاحب المجموع المخطوط وفوات الوفيات ومعجم البلدان وابن عساكر وابن جني فاننا لأول وهلة بظهرنا اختلاف عظيم في اسم الصنوبري واسم ابيه وجده وجد ابيه ووصفه مرة بالصيني وأخرى بالضبي وتسمية ياقوت لجدّه بمروان وتسمية ابن عساكر لجد ابيه بمرار ونورد ابن جني باسمه واسم ابيه دون جميع من ذكرناهم ممن ترجموا له .

ثم ذكر انه اتبع باسمه واسم ابيه ونسبه الاكثرية وانه احمد بن محمد الصبني الصنوبري الحلبي . وان كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر محرفة عن الصبني ثم قال :

اما تاريخ وفاته فلم ار من صرح به سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلا ريب تاريخ مغلوط اذا سلما بصحة الحكاية التي أوردتها صاحب التنبية عن ابن جني فانها كادت تفيدنا صراحة ان الصنوبري كان في سنة ٣٤٦ حياً يرزق . نستفيد هذا من قول ابن جني وانشدت ابا علي ليلاً قصيدة ابي الطيب التي اولها (واهر قلباء ممن قلبه شيم) الخ فان هذه القصيدة آخر ما نظمه ابو الطيب في حلب اي انه نظمها حين فارق سيف الدولة وذلك في السنة المذكورة . وعلى كل حال فان تاريخ وفاة الصنوبري لا يخلو من إبهام فهو يحتاج الى تدقيق عميق اه .

أقول وأني أيضاً ممن عني منذ مدة يجمع اخبار الصنوبري وشعره وقد اودعت ترجمته ونبذة من شعره المجلد الرابع من تاريخي (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) (ص ٢٣) ناقلاً معظم ذلك عن تاريخ ابن عساكر المحفوظ بظاهرية دمشق وقد سميت هذه المجموعة (الروضيات) وفي بقي طبعها ان شاء الله تعالى . وقد ارجى ما جمعت من شعره الى الآن على ٦٠٠ بيت .

أما قول الاستاذ الغزي ان اسمه واسم ابيه احمد بن محمد فهو صواب لاربع فيه لاجتماع كلمة من ذكرهم من المؤرخين وغيرهم على ذلك اما اسم جده فهو الحسن (لا الحسين كما جاء في المجموع المخطوط وهو تحريف من الناسخ) وهكذا سماه (الحسن) ابن عساكر وياقوت والذهبي في تاريخه الكبير الموجود منه خمسة أجزاء في المكتبة الاحمدية بخلب وفي تاريخه (العبر في اسماء من غير الموجود في هذه المكتبة بخط الحافظ ابن حجر) . واما اسم ابي جده فهو صرار لا مروان كما جاء في المعجم لياقوت فانه هكذا في ابن عساكر وفي تاريخ الذهبي ايضاً وما في المعجم تحريف .

وأما قول الاستاذ ان كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر معرفة عن الصبي وجزمه بانه الصبي فهو بعيد عن الصواب وخطأ محض والصواب انه الضبي كما قال ابن عساكر وهكذا في تاريخ الذهبي الكبير وفي العبر ايضاً وهو نسبة لبني ضبة قبيلة من قبائل العرب وبغلب على الظن انه لو كانت الصبي لذكره ياقوت في كلامه على الصين كما هو شأنه في نسبة المشاهير وبدو لنا الى الجزم بانه الضبي ان جد الصنوبري كان قاطناً في بغداد وهو صاحب بيت حكمة من بهوت حكم المأمون كما قاله ابن عساكر في اول ترجمته فهو عراقي . وبنو ضبة نزات بلاد العراق كما ذكر ذلك الفلقشندي في صبح الاعشى حيث قال (ج ١ ص ٣٤٨) ومن قبائل طايضة بنو ضبة قال في العبر وكانت بالناحية الشمالية من نجد بجوار بني تميم ثم انتقلوا في الاسلام الى العراق وهم الذين قتلوا المنيني الشاعر اه .

وقول الاستاذ انه لم ير من صرح بتاريخ وفاته سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلاربع تاريخ مغلوط الخ .

أقول ومن صرح بوفاته في هذه السنة الحافظ الذهبي في تاريخه المتقدم وفيان هذه السنة وأورد له من نظمته (لا النوم ادري به ولا الفلق) وذكره ايضاً في تاريخه العبر في

حوادث سنة ٣٣٤ ونص عبارته وفيها (اي توفي) الصنوبري الشاعر ابوبكر احمد بن محمد ابن الحسن الضبي الحلبي وشعره في الدررة العليا .

ومصاحب المجموع الذي هو من مخطوطات مكتبة الاوقاف في حلب المحفوظة في المدرسة الشرفية — عين لنا الشهر الذي توفي فيه وهو شهر رجب فيكون نقله لتاريخ وفاته عن غير الذهبي والذهبي لم يعين الشهر لانه في تاريخه الكبير ولا في العبر فيكون الذهبي ومصاحب المجموع قد انفتحت كليهما على ان وفاته في هذه السنة . وعلى هذا فيكون الصنوبري قد بقي مدة وجيزة بعد مجيء سيف الدولة الى حلب هي سنة واربعه اشهر لان سيف الدولة دخلها في ثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ٣٣٣ .

واما استدلاله بقول ابن جني انشدت ابا علي ليلاً الخ وانها كادت تفيد صراحة ان الصنوبري كان حياً في سنة ٣٤٦ الخ فهو غلط منه وسهواً في النقل فان المكبري شارح ديوان المتنبي لم يذكر في شرحه هذه القصيدة انها آخر ما نظمه المتنبي في سيف الدولة وانه فارقه بعد ذلك بل آخر قصيدة قالها فيه في حلب هي قصيدته التي اولها (عجبى اليمين على عجبى الوغي ندم) الخ فقد ذكر المكبري هنا (ج ٢ ص ٢٨٧) انه قالها سنة خمس واربعين وثلاثمائة وانها آخر قصيدة قالها بخضرة سيف الدولة .

فعلى هذا تكون وفاة الصنوبري في سنة ٣٣٤ امراً محققاً لا ريب فيه . هذا ما ظهر لنا وفوق كل ذي علم عليم .

محمد راغب الطباخ

—

رجاء

عثر على جزء من تاريخ حلب للمصاحب كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد الشهير بابن المديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) في المدرسة الحسينية في الموصل وقد ارسلت فاستنسخته وهو في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة اوله زهدم بن الحارث كان بدابق الخ وآخره سعيد بن سلام المغربي والفصل في ذلك يرجع للدكتور داود الحلبي مؤلف كتاب مخطوطات الموصل .

وبوجد من هذا التاريخ الحافل الذي تجد فيه ما لا تجد في غيره من الاخبار والتراجم
مجلد في مكتبة الأمة في باريس . ومجلد في مكتبة أباضوفيا في الآستانة . ومجلد في مكتبة
لندن .

فترجو ممن وقف على شيء من هذا التاريخ غير المجلدات التي ذكرتها في المكاتب العامة
او الخاصة ان ينفضل بافادتي مع وصف الكتاب من الخط وعدد الاوراق وتاريخ الكتابة
وما هو اوله وما هو آخره وله مزيد الشكر . حلب : محمد راغب الطباخ

==«وَلَا تَقْرَأُ»==

مخطوطات نفيسة^(١)

واما كتاب (تكملة القاموس) فهي المستدركات في شرح مؤلفها (الزبيدي) على القاموس
وانما بداله بعد فراغه منه ان يجردها في تأليف على حديثها كما ذكره في خطبتها ففعل مع تنقيح
واختصار يسير لبعض الجمل وطبعم منفردة لا تنكر فائدته وعندني نصفها الاول ثمر يبا يخطط
مشرقي صحيح والي اوده توجيه عنايتكم الى الاهتمام بطبع حاشية القاموس المسماة : (باضاءة
الراموس ، وافاضة الناموس ، على اضاءة القاموس) تأليف سيدي محمد بن الطيب الشرقي
القاسمي شيخ سيدي مرتضى وعمدته في هذا الفن حسبما أفصح بذلك في ديباجة شرحه (تاج
العروس) بقوله : ومن أجمع ما كتب عليه مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي
عبدالله محمد بن الطيب بن محمد القاسمي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة
١١٧٠ وهو عمدة سيف هذا الفن والمقلد جيدي العاقل بحلي ثمر يره المستحسن وشرحه هذا
عندي في مجلدين ضخمين اه وهو مراده بشيخنا عند الاطلاق في تاج العروس ومع كون هذه
الحاشية او الشرح على ما عبر به سيدي مرتضى كانت عنده واستمد منها كثيراً في تاجه بل
هي عمدته كما وثقها فقد ثني عنانه عن نقل كثير من عيونها ومباحثها النفيسة التي لا توجد في
غيرها كما يعلم بالوقوف عليها واولها بعد البسملة :

سبحان من القاموس المحيط رشحة من آثار آياته والقبوس الوسيط لحة من أنوار آياته
فله الحمد على ما قلنا من عقد صحاح جوهر آلائه وأولانا من باب محكم ولائه أنطقنا جلت

(١) [المجمع] من كتاب جاءنا من حضرة الاستاذ صاحب التوقيع .

حكيمته ومنطقنا جلت بالنعم السوابغ نعمته وأذاقنا من حلاوة بارع لسان العرب . ما دونه
الفائق المذهب وقطر النداء وارتشاف الضرب . وقرب لنا جمهرة خلاصة التنقيح والتهديب وغاية
التقريب وأنا هنا من صراح المجد الغروي ما نهاية الفصح المختار المنتخب ان يستضي بنور مصباحه
المزهر ففيه الكفاية عن كل مصنف غريب . والصلاة والسلام الايمان الاكملان على من
اقام اساس مجد الدين ابي الطاهر محمد بن الطيب ابي الطاهر بن الاطايب الاطاهر
المعرب عن كل مغرب من الآي الظواهر الخ .

ولصاحبها ترجمة حفيظة في الجزء الرابع ص ٩١ - ٩٤ من سلك الدرر في أعيان القرن
الثاني عشر لابي الفضل المرادي مفتي دمشق وبالجملة فهي حاشية نفيسة في بابها وعندني نسخة
منها في مجلدين ضخمين بخط مغربي .

وأوجه عنايتكم ايضاً الى كتاب تهذيب الاسماء والافعال لابي القاسم بن القطاع فانه
من أنفس المؤلفات التي اعتمدها سيدي مرتضى ايضاً وذكر في شرحه انه في مجلدين بيد ان
كتاب ابن القطاع الذي ذكره في ديباجته انه تلخصه وخلصه من كتاب ابنية الافعال لابن
القوطية هو في مجلد واحد وعندني نسخة منه بخط مغربي ولا أدري هل هو واحد قسمي الكتاب
الذي أشار اليه سيدي مرتضى او غيره .

- والى كتاب المثلث لابن السيد البطليموي فانه مع صغر حجمه مفيد في بابيه وعندني
نسخة منه ايضاً بخط مغربي ولا أظن يعني عنه مثلث ابن مالك المطبوع فانه نظم والاول
نثر وفرق بينهما .

- والى مختصر الزبيدي لكتاب العين اول من صنف في جمع اللغة المنسوب للخليل بن احمد
وهذا وان أطبق الجمهور على القدح فيه ونسبته الى الليث بن نصر بن سيار الخراساني قال
صاحب المزهر بعد ذلك قد اجمع الناس كثيراً بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على
كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة
والابنية المختلفة وفضلوه ايضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة مثل جمهرة ابن
دريد وكتاب كراع لاجل صغر حجمه الخ كلامه وعندني نسخة منه عتيقة بخط اندلسي
كثبت اثناء القرن السابع غير انها لا تخلو من خرق الارضة مع تجديد نحو العشر بن ورقة منه
بنساخته قديمة ايضاً .

طبعة : عبد الجادي بن محمد السلاوي

مطبوعات حديثة

—«»—

آداب الحسبة

« لابي عبدالله محمد بن ابي محمد السقطي المالتي الاندلسي نشره السيدان كواين »
« وليني يروفانسال مع مقدمة له بالفرنسية وتعليقات لغوية وتفسير بمض »
« المفردات طبع في باريز سنة ١٩٣١ ص ٧٢ النص العربي ومثلها بالفرنسية »
« وهو من مطبوعات معهد العلوم المغربية »

الحسبة أشبه بدبوان الشرطة والصحة والبلديات لهذا العهد ، لم تبطل على الأغلب من الديار الاسلامية إلا بظهور نظام البلديات المنقول عن أوضاع الغرب في القرن الماضي .
وقد كتب كتابنا عننا على أربعة مخطوطات في الحسبة ، صفنا ما في ص ٥٣٧ و ٦٠٩ من المجلد الثالث من مجلة المقتبس منذ أربع وعشرين سنة الأول منها « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » استنسخناه سنة ١٣٢٢ هـ عن نسخة جلبت من حلب والثاني كتاب الحسبة لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي وهو من مخطوطات الخزانة الزكية بالقاهرة .
والثالث نصاب الاحساب لعمر بن محمد بن عوض الشامي (النسامي او السنامي ؟) من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة . والرابع « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » لعبد الرحمن ابن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري (او الشيرازي) من مخطوطات دار الكتب المصرية .
وهذه الكتب الأربعة من تأليف علماء من المشارقة ، أما كتاب السقطي المالتي فهو من تأليف رجل من المغاربة الاندلسيين ولذلك وقعت له مصطلحات غير مألوقة في لغة المشرق ومنها الاسباني الاصل او ادخل في اللغة القشتالية من العربية ، وقد حل معانيها الاستاذان الناشران فنمنا بعلمها كما قال مؤرخي المدنية الاسلامية في الغرب ومؤرخي اللغة العربية .

ونظن هذا المنشور بالطبع هو قطعة من كتاب المالقي الاندلسي بعثر فيها المطالع على أوضاع تخالف بعض الشيء ما جاء من نوعها في التأليف الأربعة التي ذكرنا (خطط الشام م ٥ ص ١٣٥) . وأصناف الصنائع في الكتب التي اطلعنا عليها أوسع مادة وعدداً ولا يعقل ان تكون الاندلس حتى في عهد الخطاطها اقل صنائع من بلدان المشرق . والمالقي كان محسباً ولذلك جاء كلامه معززاً بالشواهد والوقائع التي خبرها بنفسه فجاء في تضاعيف سطوره بامور اختص بها . وكان طبع كتاب الحسبة في الاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية في القاهرة وطبع كتاب آخر يدخل من بعض الوجوه في باب الحسبة بمدينة دمشق سنة ١٣٠٢ هـ وهو كتاب « الخنار في كشف الأسرار » للعلامة زين الدين عبد الرحيم ابن عمر الدمشقي المعروف بالجوهرى من اهل القرن السابع وفي هذا من كشف أسرار من بدعون النبوة والمشيخة وكذبة الوعاظ والرهبان والاحبار وبني ساسان واهل الحراب والعكارين وأصحاب السير والرمل والمزمين والدجاجلة من الاطباء ومن يلعبون بالنار ويعملون الطعام والمشعبذين والجوهريين الى ما يتعلق بذلك من الامور الغريبة في بابها خدم بها صاحبها الحسبة من طريق غير مباشر . وعسى ان تصرف همه احد الطاهرين فيطبع جميع هذه الرسائل في مجلدة طبعة علمية مثقنة فانها تفيد من عدة وجوه لانها تصور المدنية القديمة وثانيتها بالفاظ ضاعت من الاستعمال والمجتمع في حاجة اليها .

محمد كرد علي

أعلام السريان

« ترجمة مار سويريوس بمقوب البرطلي المتوفى سنة ١٢٤١ بقلم السيد »

« مار سويريوس أفرام يرمصوم طبعت في دير مار صرقص للسريان »

« بالقدس سنة ١٩٣١ ص ١٢ »

هذا علم من أعلام السريان من اهل القرن الثالث عشر للمسيح وهو من جملة من تخرج بكامل الدين بن يونس الفيلسوف الموصل المشهور وكان اهل الذمة يقرأون عليه النوراة والانجيل (راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة وفي تاريخ ابن

خلكان) . وذكر الاستاذ واضح الترجمة البرطلي ان هذا كان « يعني على السريان إهمالهم
إسانهم اذ لم يضعوا له الضوابط والقوانين كما فعل اليونان والعرب حتى انهم لم يعتنوا بالتكلم
به بل فضلوا عليه اللغات الأعجمية اليونانية والفارسية ثم العربية بعد انتشارها بينهم ومن
ثم أدخلوا فيه الفاظاً حوشية وأهملوا الفاظهم الأصلية التي حفظت بعضها اللغة العربية
وضاعت من السريانية على طول عهدنا مع وجودها في لغة كنية السريان الاقدمين » اه
ولعل هذا كان من العوامل في دثور لغة السريان من الجزيرة والشام الا قليلاً .

م . ك

مجموعة الرقم العربية

« نشر بإدارة السادة كويب وسرفاجيه وفييت في القاهرة سنة ١٩٣١ »
« المجلد الاول منه في ٣١٢ ص وهو من مطبوعات المعهد العلمي الاثري »
« الفرنسي في مصر »

يقوم بنشر هذا الكتاب تسعة عشر عالماً من علماء الآثار من الفرنسيين والامات
والانكليز والعرب وغيرهم وينشرون الرقم العربية كما وجدت ويزوونها الى ناشرها
او ناشريها مع بيان المصادر التي وردت فيها وقد وضعوا بجانبها ترجمتها بالفرنسية . وفي
هذا الجزء اربعمائة رقم وسيكون في كل جزء من الاجزاء التالية مثلها . وقد جعلوا هذا
السر المتمع تذكراً لواضع علم الرقم العربية العلامة المرحوم فان يرشم الاثري السويصري .
واكثر الرقم في هذا الجزء مما وجد في مصر وقد بدأ واضعوه باقدم رقم صربي وجد
في الارض حتى الآن وهو الرقم النبطي الذي وجد في النمرة من ارض الشام وصورته :
« في نفس امر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أصر التاج وملك الاسدين ونزارو
وملوكمهم وهراب مذحج عكدي وجاء بزجاي في حج نجران مدينت شمر وملك معدو
ويتن بنيه الشعوب ووكهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدي ملك من ٢٢٣
يوم يكسلول بالسعد ذو ولده » . ومعنى ذلك بمصطلحننا ان هذا قبر اسري القيس
ملك العرب كلهم الذي لبس التاج وأخضع لسلطانه قبائل اسد ونزار وامراءهم وفرق

مذبح الى ذاك اليوم وظفر في حصار فخران مدينة شمر وأخضع قبيلة معد ووكل الى بنيه أمر القبائل وأرسلهم على الفرس والرومان ولم يبلغ احد من الامراء مبلغه في المجد . وقد هلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من بكسلول (٧ كانون الاول ٣٢٨ م) كان السعد لعقبه . واسم هذا الكتاب بالفرنسية Répertoire chronologique d' épigraphie arabe . فأعظم بهمة هؤلاء العلماء الذين يحبون آثارنا ونحن عنها غافلون .

م . ك

المقصد

« تأليف عبد الحق الباديبي نشره بالفرنسية وعلق عليه السيد كولين »

« ص ٢٥٤ طبع في باريس سنة ١٩٢٦ »

اسم هذا التأليف كما قال ناشره « المقصد الشريف والمنزوع اللطيف في ذكر صلحاء الربيف » تأليف ابي محمد عبد الحق بن اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر بن قيس بن سعد ابن عبادة الباديبي الغرناطي الخزرجي ألفه سنة ٧١١ (١٣١١-١٢ م) نسج فيه على منوال كتاب التصوف للتادلي المصنف (سنة ٦١٧-١٢٢٠-٢١ م) وفيه تراجم صلحاء الربيف ريف المغرب الافصى منهم المعروف بآثاره ومنهم الذي لم يشتهر عند الباحثين وفي التعليقات اللطيفة التي اتبعها به ناشره الاستاذ كولين فوائد جغرافية واجتماعية ومدنية تفيد الباحث في تاريخ الربيف خاصة والمغرب الافصى عامة وتدل دلالة واضحة على مبلغ عناية علماء المشرقيات بالندفيق والتوسع في البحث والدرس في موضوعات استرحننا نحن اهلها من تعهدنا وانعموا أنفسهم باحبابها وهم غرباء عنها . وحبذا لو طبع الاصل مع الترجمة اذا اردنا منة لناشر المحقق .

م . ك

المنتخب

— من —

« أدب العرب »

[طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١ جزآن]

[في ٢٨٨ ص و ٥٦٧ ص ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر]

تقدمت وزارة المعارف في مصر الى الاساتيد : طه حسين واحمد الاسكندري
واحمد امين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري واحمد ضيف في جمع أنماط من قول
العرب منظومه ومثوره في مختلف الأغراض ، على متباين الأزمان . —
جمع هؤلاء الاساتيد شملهم فتضافروا على انتخاب طائفة من ادب العرب ذكروا انهم
حرصوا فيها على امرين : الامر الاول ان يكون منتخبهم من الادب مرآة الحياة الادبية
في العصر الذي استفاض فيه وصورة اهل هذا الادب . والامر الثاني ان يكون في
مختارهم ما يبعث في قلوب الشباب حب اللغة والادب .

لقد كثر نفرغ الأدباء من حين الى آخر لانتخاب نماذج من ادب العرب ، فريق يذكرو
الغاية التي يرمي اليها في منتخبه وفريق لا يذكرو شيئا من ذلك . —
لاريب في ان ادبنا مبعثر يفتقر الى كثير من الترتيب حتى يكون سلسلة مطردة اذا
قأبنا النظور فيها شهدنا تسلسل ما تشتمل عليه في العصور فانتقلنا فيها من طور الى طور
وتراءى لنا مختلف هذه الأطوار . —

الكلام على انتقال الأدب من طور الى طور يرجع الى مؤرخي الادب أنفسهم فليس
للذين يجمعون طائفة من منظوم القول ومثوره لغرض من الأغراض او لغرض
متعلق بهذا الكلام . —

غير انه قد ذهب بعض أدباء الانفجحة في كتبهم التي يختارون فيها جملة من شعر
شعرائهم او كناية كتابهم مذهبا لا يرى فيه محذورا ، فبدلاً من ان يستخرجوا منتخبهم
من مدافنه ويحشروه في كتبهم حشراً فانهم يسلكون في ذلك مسالك : بعضهم يصدرون

آثار كل عصر من العصور بكلام وجيز يصور الحياة الأدبية في هذا العصر ، وبعضهم يشرحون منتخبهم شرحاً غير هذا الشرح الذي ألفناه . -

اننا نعودنا حتى اليوم ان نقصر في الشرح على توضيح معاني الألفاظ وهذا امر قد يستطيع الطالب سبيلاً اليه فلا يفتقر في البحث عن معنى لنظ من الألفاظ في معجم من المعجمات الى كثير من المعاني وقد يجد في هذا البحث لذة في بعض الاوقات . -

فاذا كنا نلوحى ان نبعث في قلب الطالب حب لغته وأدبه فالسبيل الى هذا ان نعدل عن هذه الاصول الخاففة التي نبني عليها في الشرح . -

من القواعد التي يجب ان يتبعها الطالب لغته وأدبه قاعدة مدارها على توضيح امور كثيرة في الشرح ؛ من جملة هذه : الكلام على معاني القطعة المنتخبة وتأليفها والكلام على لغتها ويدخل في الكلام على لغتها الكلام على أسلوبها وعلى خصائص الفاظها ثم يتبع هذا كله رأي في القطعة على صورة جملة . -

أظن ان هذه القواعد قد تمهد للطالب سبيلاً الى الإحاطة بعقيدة ادبه ولغته وقد نشر في صدره محبة هذه العقيدة ، اما الاقتصار على شرح الألفاظ فهذا امر يلهو به الطالب نفسه . -

واذا كانت هذه العمل انما هو من أعمال معلمي المدارس الثانوية فهل ضعف ذوق هؤلاء المعلمين ضعفاً احتاجوا فيه الى من ينتخب لهم طائفة من أدب العرب . -

شفيق جبري

الاعلام العربية والفارسية

« عند السريان »

للسريان علاقات وثيقة بالعرب وأدأ صر أرخى عراها كرا الايام ونقلب الحكام ونفشي
الجهل ولكن دون ان نفصمها . فمن السريان الاقدمين علماء اعلام مستعربون اتقنوا العربية والفوا
فيها وترجموا تصانيف ذاع صيتها واستفاخت شهرتها كما ان من العرب عدداً دان بمذهب
السريان قبل الاسلام خاصة واختلط بافراد هذه الملة حتى عد منهم . واللغة العربية في
ايامنا هذه تحتاج الى من ينقن العربية والسريانية ويكشف لنا عما بقته الايام من آثار
السريانية المجيدة وعمآخدمه وابه اللغة العربية في مختلف العصور الاسلامية . وقد قيض الله
لهذا العمل المفيد العلامة السيد سوريوس أفرام مطران السريان في سورية ولبنان ففشر
حتى اليوم بضع رسائل تدل على تضلعه بهذه الموضوعات وتمكنه منها . والرسالة التي نكلم
عليها هي من جملة هذه الرسائل وهي بحث بمنع عن الاعلام العربية التي شاعت بين السريان
بعد الاسلام ولا سيما الأسماء العربية لبعض البطارقة والمطارنة والرهباب والرواهب
والقسوس وغيرهم مثالهم البطرك الانطاكي ديونيسيوس مجي والبطرك عريز ابو المعاني
وجمال الدين ابو الفرج غريغوريوس ابن العبري المشهور الى عشرات من امثال هذه الاعلام
العربية .

مصطفى الشهابي

رياحين الادواح

« الطبعة الثانية سنة ١٩٣١ »

السيد ابو الفضل الوليد شاعر مبدع وكاتب مجيد . وكتابه هذا « الرفين الاول »
من قصائده ديوان نفيس على صغر حجمه فيه ما بلذ الشعراء ويطرب اصحاب الشعور
الرفيق . وقد جمع بين الهزل والجد واللهو والزهد والخمر والرشد كما تجمع طاقة الزهور
بين اصناف الورد والرياحين . وكله منظوم بابداع ممزوج بفكاهة وقد صدره بمقدمة
طويلة دعاها (بالتلويحات) وهي ثروة ثرة فيه من الالفاظ والمعاني درراً جميلة غير قليلة .
ولقد كنا نعيب في مثل هذا الديوان الجميل طبعه على ورق عادي يشبه ورق الجرائد

السبارة جنساً وكان حقه ان يطبع على ورق مقبل ويجلد بمجلد فاخر ليكون له مقامه الرفيع في خزائن الادب والادباء — لولا ان المؤلف رغب في إفادة الشبيبة وخدمة الامة ببيع كتبه بثمن رخيص على علائها قدرأً وغلائها وضماً وهي والحق يقال فكرة صائبة .

عبد الله رعد

الصابون

« تأليف السيد عبد الله عمر عذرة »

هو كتاب صناعي قيم يبحث اصحاب الصنائع على تجديد طرائقهم القديمة واكثر انماهم فيجبوا بذلك ما اندثر او كاد مما كانت له في عهد سبق قيمة في بلادنا وشهرة وتجارة حل بها الاضمحلال الا قليلاً وذلك من جملة الاسباب التي جرت ولا تزال تجر وطننا الى الفقر .

عاج الاستاذ عذرة موضوع كتابه بنظام حسن وأسلوب تجاشي فيه قدر الاستطاعة استعمال الكلمات الفنية الثقيلة وتعابير الكيمياء التي لا يفهمها الا الكيماوي وذلك ليقربه الى افهام اصحاب المصابن وهم ليسوا على الغالب في بلادنا اصحاب فن بل ممن تعلموا صنع الصابون عن اسلافهم دون ان يلوا بكيف ولا بكم مما يطبخ في الخلقين . فاستقرأ الزيوت والمواد الاولية وطرق الطبخ المعول عليها في شرقنا ، وقابلها بالطرق الفنية الغربية ، ودأل على الفرق بينهما من حيث اجناس المحصول وزيادة الفائدة ، ومدى اصحاب المصابن الشرقية بنصائح فنية ان هم عملوا بها نهضوا ببضاعتهم ان لم يكن الى مستوى معامل البلاد الاوربية ، فالى تجديد حياتهم الصناعية الوطنية يعيد اليها شيئاً من رواجها القديم .

عبد الله رعد

الرسالة النباتية

[في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى]
[ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف]



المعاجم العربية الحديثة التي يقام لها وزن في البحوث النباتية واسماؤها العربية والمعرّبة
اثبات : معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية
للدكتور محمد شرف . وقد تقل كلاهما عن أهم المؤلفين في النبات قديماً وحديثاً كإبن
البيطار وابن العوام والأصمعي وفيري واحمد ندا وفورسكال وشوينفورت وبوست
وغيرهم . وطبعوا المؤلفين بالمطبعة الاميرية في القاهرة فجاءا فريدين في بابهما . وهما اليوم
أصلح المعاجم في هذا الصدد ، يوفران كثيراً من وقت القاري الذي يفتش عن اسم نبتة
من النباتات ولا سيما معجم الدكتور احمد عيسى فانه يمتاز بسهولة مراجعة الالفاظ في اي
لغة من اللغات الاربع وهي العربية واللاتينية والفرنسية والانكليزية .

ومن البديهي ان المعجمين المذكورين لم يتناولوا سوى بعض المهم من النباتات
مما جاء في الكتب التي مر ذكرها او في بعض المعاجم الاجنبية . وهما ابعد من ان يتناولوا
كل ما نراه في كتب النبات الواسعة من مختلف الاسماء اللاتينية لنباتات شتى مفيدة
او غير مفيدة ، نبتتها الطبيعة في انحاء العالم ولا يوجد لكثير منها أسماء حتى في اللغات
الاوربية المشهورة . ومن البديهي ايضاً اني لا ابغي في هذا البحث الموجز التعرض لتلك
النباتات وعددها عظيم وانا اجهل معظمها الا في الكتب ، بل غايي ذكر بعض نباتات
زراعية لم يوردها شرف ولا عيسى في معجميهما كبعض الأزهار والرياحين واشجار
التزيين وجنباتها واشجار الحراج والفواكه ، وهي نباتات زرعتها او رأيتها في حدائق
النبات وقليل منها لم أزرعه ولم أره لكن قرأت عنه في الكتب والمجلات الفرنسية . ولا

نعرف لهذه النباتات اسماء عربية (لان أجدادنا كانوا يملونها) لكن لاسمائها العلمية (ومعظمها مأخوذ عن اليونانية) معاني وصفوا بها بعض اعضاء النباتات او بعض مميزاتها فيسهل علينا ترجمة تلك الاسماء بمدلولاتها . ثم انهم ينسبون بعض النباتات الى العلماء الذين كشفوها فيسمونها باسمائهم او يطلقون عليها اسم احد الملوك او الامراء او آلهة الأقدمين وجميع هذه الاسماء تترك على حالها عند تعريبها او يجعل بصيغة النسبة . ولم أذكر لكل نبات سوى اسم جنسه . ولو عمدت الى ذكر انواعه وذكر اصنافه خاصة لطال الكلام دون كبير فائدة من حيث الغاية التي نتوخاها في هذا البحث . ومن المعلوم انه لا يجوز ان اكتب في هذه الرسالة ما هو خاص بكتب الأزهار والأشجار ، اذ ليست الغاية هنا تحليلية انواع تلك النباتات واصنافها وذكر مناباتها وفوائدها وغير ذلك من المعلومات التي لا تستوعبها غير الكتب ، بل الغاية بيان أصلح اسم عربي او معرب او مترجم لجنسها . اما الالفاظ المختصة بالانواع فمعناها يمكن سهل الترجمة في الغالب وكذا الالفاظ الدالة على الأصناف ولذلك لم أر لزوماً للتعرض لها في هذا المقال . (الا بعض انواع كما في زهرة القبس وزهرة زينيا) مثال ذلك انني لم أتعرض للجنس المسعى (Campanula) البتة لان كلاً من الدكتور عيسى والدكتور شرف ذكره وذكر له اربعة انواع ، مع ان لديّ منه عشرين نوعاً لم يورداها وهي كلها تزرع وكلها يعرفها ارباب الأزهار وهاك بعضها :

الجريس الكبير الورق	Campanula grandiflora
» النبيل	nobilis
جريس سبريا	sibirica
الجريس الملتحي	barbata
» المجتمع الزهر	glomerata
» العريض الورق	latifolia
» المستدير الورق	rotundifolia
» الخذروفي	turbinata
» البولوني	boloniensis

Campanula coespitosa
» pyramidalis

الجريس القزم
= الهرمي
الخ ...

ومما لا ريب فيه انني لو اردت ذكر أهم الأنواع لكل جنس من الاجناس التي سقتها في رسالتي هذه لأرتب اسماؤها على الف لفظة .

ولم أذكر ايضاً اسماء الاجناس المترادفة بل اكتفيت بالاسم الأشهر ورأيت من العبث في هذه الرسالة الصغيرة وضع اسم صاحب النبات بجانب اسم الجنس لشهرة الاجناس المذكورة ووجودها في كتب الازهار والاشجار المهمة . ولم أر حاجة الى ذكر الفصيلة التي ينسب اليها كل جنس لان ذلك من متناول معاجم النباتات وكتيبها . ولا بد لي من التنبيه الى ان النباتات التي ذكرتها في هذه الرسالة لم أجد منها شيئاً في كتاب النبات لشوينفورث . اما بوست فقد اورد منها عدداً صغيراً في كتابه « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » دون ذكر اسماء عربية لهذا العدد الصغير ، والسبب في ذلك ان النباتات التي نحن بصددتها لا تنبت في بلادنا بل منابتها بلاد اجنبية مختلفة ومع هذا فهي اليوم شائعة في جميع العالم وما من حديقة او شارع او منبت الا فيه عدد منها . واعتمدت في تحري اشتقاق الاسماء العلمية على اهم موسوعات الازهار والاشجار الفرنسية . ويحجبني ان اعترف بان ضيق الوقت وقلة الوسائل حالا دون البحث عن عدد كبير من اشجار التزيين المستعملة في البلاد الحارة خاصة كاشجار الفصيلة النخلية التي شاهدت منها في حدائق مصر مجموعة بديعة . فلعل العلماء المصريين يسدون هذا الخلل .

ولست ادعي العصمة فيما ترجمته او عربته من الاسماء . ورب عالم بالنباتات الزراعية متمكن من اللغة يغلطني في بعض الالفاظ فأشكر له يده . وارجو من المؤلفين الذين يقتبسون الفاظ هذه الرسالة في مؤلفاتهم ان يذكروا النبع الذي استقوا منه وهو مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق فهذا اقل ما يتطلبه من ربما لبث ساعات يتحرى لفظة واحدة وهو لا يبتغي على عمله جزاء ولا شكورا .

ولقد قسمت البحث قسمين واحداً بالازهار وآخر بالاشجار وسقت الالفاظ في كل منها مرتبة على حروف المعجم .

القسم الاول في الازهار

A

Abronia	الرشيقة (من اليونانية لرشاقة ازهارها)
Accena	الشائكة (من اليونانية للشوك الدقيق في الكأس والثمرة)
Achimenes	المقرورة (لشدة تأثيرها بالبرد)
Acroclinium	المنحية الرأس (لانحناء ازهارها الانتهاية قبل تفتحها)
Agapanthus	زهرة الحب
Ageratum	الدائمة الشباب (من اليونانية لطول عمر ازهارها)
Alonsoa	الألنصوا او الألنصية (منسوبة الى Alonso zanoni وهو نباتي من بيرو)
Alstroemeria	الألصطروميريا (منسوبة الى Cl. Alstroemer وهو نباتي وزراعي سويدي)
Arctotis	اذن الدب (ايماء الى ما في ثمارها الفقيرة من نتوءات)
Arenaria	زهرة الرمال (لم يذكرها شرف وذكر عيسى لها نوعاً واحداً وهي لها عدة انواع منها الانواع الآتية المعروفة :
Arenaria Laricifolia	زهرة الرمال اللارقسية الورق
≡ Montana	زهرة الرمال الجبلية
≡ balearica	زهرة رمال جزائر البليار
≡ Cespitosa	زهرة الرمال المفرخة
Asperella	الجؤيسة (تصغير جاسئة)
Astilbe	المكدة
Astrantia	النجمية (لشكل النور في نباتات هذا الجنس)
Aubrietia	أيرياسيا (منسوبة الى الرسام الفرنسي Aubriet)

B

- Bartonia (منسوبة الى النباتي الدكتور برطون الأمريكي)
 Bocconia (منسوبة الى Boccone النباتي الصقلي)
 Boltonia (باسم J. Bolton النباتي الانكليزي)
 Boussingaultia { بوسنغلطيا (احياء) لذكر بوسنغلط العالم الفرنسي المشهور
 بابحاثه الزراعية والكيمياء الزراعية)
 Brachycome (من اليونانية لقصر زغب البزور)
 Briza { المنخية السنبيلات (سميت بهذا الاسم لانحاء سنبيلاتهما وهي مبذولة في
 بلدتنا حاصبيا حيث تنبت في الطبيعة فيقطعونها ويضمونها في الزهريات)
 Browallia (منسوبة الى المطران السويدي Browallius)

C

- Calandrinia (منسوبة الى Calandrini وهو نباتي سويسري)
 Callirhoe (باسم احدى آلهات الجمال اليونانية)
 Callistephus { زهرة الملكة مرغريتا (هكذا يسمونها بالفرنسية اما اللفظة العلمية
 فهي من اليونانية بمعنى الجميلة الاكليل . وهذه الزهرة عدة اصناف
 جميلة توف بها رسالة . وسمها لينوس Aster sinensis ايه
 الأسطر الصيني)
 Centauridium الشبيهة بالأرجيقن او اخت الأرجيقن
 Centrosema الملفوفة العلم (لشكل العلم في زهرتها الفراشية)
 Cerastium زهرة القرون (لطول السنفات في بعض انواعها)
 Chionodoxa نقر الثلوج (من اليونانية بهذا المعنى لكشفها في ذائب الثلج)
 Clarkia إكلرقيا (باسم القبطان Clark)
 Clianthus زهرة المجد (لجمال تويجها)
 Clintonia إكلنطونيا (باسم Witt Clinton الاميركي)
 Cobaea قويا (باسم Cobo وهو نباتي يسوعي من الاندلس)

Collinsia	قلانسيا (باسم Collins معاون رئيس النجمع العلمي في فيلادلفيا)
Collomia	زهرة الغراء (لبزورها المخاطية)
Coreopsis	زهرة البق (معناها باليونانية الشبيهة بالبق لشكل ثمارها)
Corydalis	زهرة القبرة (لم يذكروها عيسى . وذكرها شرف فستماها حب القنبر والاصح زهرته . وهي من اليونانية لان شكل زهرتها كرجل القبرة لها عدة انواع واصناف)
Cosmidium	اخت الزينة (الشبيهة بزهرة الزينة)
Cosmos	زهرة الزينة (لجمال ازهارها)
Cuphea	المنحنية (لشكل كأسها)
D	
Diascia	زهرة التزويق (لرشاقة ازهارها)
Dicentra	ذات الجناحين (لتوجيها الذي له جناحان)
Dracocephalum	رأس الغول (لشكل ازهارها)
E	
Eccremocarpus	زهرة الثمار المتدلنية
Echeveria	أشوريا (باسم رسام نباتي من المكسيك)
Echinocystis	زهرة المثانة الشائكة (لشكل ثمرها الشوكي)
Eranthis	زهرة الربيع (من اليونانية بهذا المعنى)
Eremurus	زهرة الأذنان الوحيدة (لازهارها المجتمعة غناقيد طويلة سنبلية)
Eutoca	زهرة الخصب (لكثرة ازهارها)
F	
Fuchsia	فوشيا (منسوبة الي نباتي من بافاريا اسمه Leonard Fuchs)
G	
Galega	الزهرة المدرة
Gamolepis	المتحدة الحراشف (لاتحاد الحراشف في قنابة الزهرة)

Gaura	زهرة البهاء (لجمال الزهر في بعض انواعها)
Gerardia	جيرارديا (منسوبة الى John Gérard)
Gerbera	جربرارا (منسوبة الى النباتي الالماني Gerber)
Gilia	جيليا (منسوبة الى النباتي الاسباني Salvador gil)
Gloxinia	غُلُكسينيا (باسم الكاتب النباتي Gloxin من كولمار)
Godetia	غُداسيا (باسم النباتي Godet من نوشاتل)
Gymnothrix	زهرة الحرير العاري (اشبه الحرير في سنبلائها)
Gynerium	زهرة المدقة الزغبية
H	
Helichrysum	زهرة الشمس النحينة (لشكل حراشف الرؤيس ولونها)
Hugelia	هوجاليا (باسم البارون Hugel من ويانا)
Humia	هوميا (باسم قريبة Sir Abraham Hume)
I	
Iberia (Thlaspi)	زهرة الأندلس
Ionopsidium	اخذ البنفسج (نباتها الشبيه بنبات البنفسج)
Ixia	زهرة الدبق (للزوجة العصاراة في بصلائها)
L	
Lagurus	ذيل الارنب (سماها شرف شعر الارنب والاصح ما ذكرناه)
Lamarckia	لاماركيا (باسم لامارك العالم الفرنسي المشهور)
Lathyrus odoratus (pois de senteur)	زهرة الجلبان العطر
Layia	ليتا (منسوبة الى توماسي العالم بالمواليد)
Leptosiphon	زهرة الانبوب الرقيق (لرقه انبوب تويجها)
Leptosyne	النحيلة (لمنظر بعض انواعها النحيلة)
Limnanthes	زهرة المناقع (لانها تعيش في الارض الكثيرة الرطوبة)
Loasa	لوازا (اسم لامعنى له ركبه أدنسون من حروف وردت على خاطره عفواً)

Lophospermum العرفية الحب [لشكل حبوبها]

M

Maurandia مورانديا [باسم الدكتور النباتي Maurandy]

Melica العسلية اللب [من الايطالية]

Mimulus المقنعة [لان تويجها يشبه قناع الممثلين]

Mina مينا [باسم وزير من المكسيك]

Morina مورينا [باسم النباتي الفرنسي L. Morin]

N

Nœgelia نوجيليا [باسم الاستاذ Nœgeli مدير حديقة النباتات في مونيخ]

Nemophila زهرة الحراج [لانها تجود في الحرجات]

Nolana زهرة الجريس [لشكل ازهارها الجرسية]

Nycterinia زهرة الليل [لتفتح ازهارها في الليل]

O

Oxyura الحادة الذيل [لشكل السمات في ازهارها]

P

Pentstemon زهرة خمس الأسدية [لوجود خمس اسدية منها واحدة عقيمة]

Petunia اخت التبغ [لصلاتها النباتية بالتبغ]

Phacelia زهرة الجمّة [لشكل ازهارها]

Phlox زهرة القبس [لشكل الازهار في احد انواعها وهو القبس الهرمي]

وهذا الجنس من اشهر الازهار له عدة انواع وعشرات من الاصناف

زرعنا كثيراً منها فمن انواعه المعروفة :

Phlox Drummondii قبس أدروموند

» Pyramidalis القبس الهرمي

» Paniculata العشكولي

Phlox acuminata	القبس المونف ^(١)
» hybridæ	» البغلي
» ovata	» البيضي
» verna	» الربيعي او قبس الربيع
» subulata	» الخرزى
Podalyria	بوداليريا [باسم الطيب بودالير ابن اصقلاب]
R	
Rhodanthe	اخت الورد [للون زهرتها]
S	
Salpiglossis	سان المزمار [لشكل مدقات زهرتها]
Schisanthus	الزهرة المخروزة [لوجود حز في زهرها]
Schisopetalum	زهرة القعالات المخروزة [للحز في القعالات اي البتلات]
Streptocarpus	زهرة الثمار الحلزونية [لان ثمارها تستدير حلزونياً عندما تنضج]
Struthiopteris	سرخس النعامة [لان اوراقها تشبه ريش النعام]
T	
Tigridia	زهرة الببر [لابقع الجميلة في لفافة الزهرة]
Trachelium	زهرة العنق [لطول انبوب التويج]
Trichosanthes	الزهرة الشعرية [لتحزيز دقيق في تويجها]
Triteleia	الزهرة الثلاثية الكاملة [لوضع اجزاء زهرتها الثلاثية المنتظمة]
Tritoma	الزهرة الثلاثية
Trollius	الزهرة المستديرة [من الالمانية Trol بهذا المعنى]
V	
Venidium	زهرة العرق [للعروق البارزة في الساق]

(١) لفظة المونف من وضع العلامة الدكتور امين باشا المعلوف . انظر مجلة المجمع

Viscaria	اخت الببق [للزوجة ام انواعها]
W	
Watsonia	وطصونيا [باسم الاستاذ النباتي الانكليزي Watson]
X	
Xeranthemum	الزهرة الندية [اي الزهرة التي إن جفت لا تذبل]
Z	
Zinnia	زينيا [باسم الاستاذ النباتي الالماني Zinn وهذا النبات من اشهر الأزهار له انواع معروفة منها :
Zinnia elegans	الزينيا الرشيقة
» multiflora	= الكثيرة الزهر
» mexicana	= المكسيكية
وفي كل من هذه الأنواع اصناف مشهورة لدى غواة الأزهار لا مجال لذكرها في هذه الرسالة .	

* * *

القسم الثاني في الشجر والجنبه (١)

A	
Abelia	أبليا [منسوبة الى الدكتور Abel Clark]
Acmadenia	جنبه الغدد الحادة [الماعا الى غدد المثبر الحادة]
Adenandra	جنبه الغدد الذكورية [اشارة الى الغدد التي في المثبر]
Agathosma	جنبه الرائحة الزكية
Akebia	عقبيه [هكذا تسمى في اليابان وهي معرشة]
Amorpha	الجنبه الناقصة [لنقص في تركيب نورها]

(١) الجنبه هي النباتات التي صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول وقد اتخذناها لما يسمى بالفرنسية Arbuste و Arbrisseau على السواء واول من استعملها حديثا امين باشا المعلوم

Ampelopsis	{	اخت الكرمة [لأنها تشبه الكرمة . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Aotus		العديمة الاذن [لقد الزوائد في الكأس]
Araucaria	{	أروكاريا [من Araucanus وهو اسمها في بلاد شيلي . ويسمونها في دمشق الشمسية أي المظلة]
Argyrolobium		جنبه السنفة الفضية [للون سنفها الفضي]
Aucuba	{	أكوبا [هكذا تسمى في اليابان . شاهدناها في غرينيون وفي غيرها . وهي اليوم مبذولة]
Azara		عزارة [باسم العالم الاسباني J. N. Azara]

B

Baccharis	{	شجرة الخمر [يقال ان السبب في اطلاق هذا الاسم عليها رائحة جذورها . ذكرها عيسى وشرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Biota		شجرة الحياة [من اليونانية بهذا المعنى اشارة الى اسمها القديم]
Boronia		بورونيا [باسم النباتي Boroni]
Brachysema		القصيرة العلم [لقصر العلم في زهرتها]

C

Callistemon		الجميلة الاسدية [من اليونانية لجمال أسديتها]
Calodendron		شجرة البهاء [من اليونانية بهذا المعنى]
Carpinus	{	شجرة الذير [من القوطية بمعنى خشب الرأس أي الخشب الصالح لصنع الانيار التي توضع وراء رأس الثيران . وهي من اشجار الحراج المنتشرة في اوروبا ومنها نوع في جبل اللكام شمالي الشام]
Carya	{	اخت الجوز [من اليونانية بمعنى الجوز . وهي مبذولة في اميركة وتصلح لتزيين الشوارع]
Caryopteris		الجوزة المنحقة [لثمارها المنحقة]

- Cazuarina [باسم الطائر Cazuarus لان اغصانها الطوال المتدلية تشبه ريشه]
- Cephalanthus { جنبه الازهار الرأسية [لان نورها انتهائي على شكل رؤيس .
ذكرها شرف باللفظة العلمية ولم يترجمها]
- Cestrum Syn. Habrothamnus جنبه البهاء [لما اكثر من ١٥٠ نوعاً]
- Chamœcyparis شجرة السرو الصغير [الماعاً الى انها تشبه السرو]
- Chamœlaucium اخت الحور الالبيض [لان ساقها تشبه ساق الحور الالبيض]
- Chorizema المنشقة السنفات [لان سنفتها تنقسم قسمين متفرقين]
- Cladrastris النحيلة الاغصان
- Clerodendron { شجرة الرهبان [لان كهان الهند يستعملونها في صلاتهم .
اكتر من ثمانين نوعاً]
- Colletia كولسيا [باسم Collet وهو كاتب نباتي فرنسي]
- Coronilla { جنس الأكيليل [لشكل ازهارها . لم يذكروها عيسى وذكروها
شرف باسمها العلمي]
- Corylopsis اخت البندق [لانها تشبه البندق اي الجلوز]
- Cotoneaster { شبيه السفرجل [لان اوراقه زغبية كاوراق السفرجل . له
عدة انواع منها نوع في لبنان]
- Cratægus { جنس الزعرور [لم يذكروها شرف وذكروها عيسى له ثلاثة
انواع مع ان له اكثر من اربعين نوعاً كثير منها معروف
يزرع او تنبته الطبيعة في مختلف البلاد]
- D
- Darwinia الدارونية [منسوبة الى دارون الشهير]
- Decumaria الشجرة العشرية [اشارة الى اجزاء الزهرة العشرة]
- Diervilla دياروبلا [منسوبة الى الجراح الفرنسي Dierville وهي من اشهر
جنبات التزيين]
- Dillenia دلائيا او الدائنية [منسوبة الى Dillenius وهو معلم نبات في اكسفورد]

Diosma	{	الجنبية العطرة [لرائحة اوراقها الغدنية . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Diplolcena		المزدوجة اللقافة [لان لقافة زهرتها مزدوجة]
E		
Empetrum		جنبية الصخور [الماعاً الى مكان نباتها]
Eriostemon		جنبية الاسدية الزغبية
Erytrochiton		شجرة الكأس الحمراء
Eutaxia		شجرة الحشمة [لشكل الشجرة النحيل اiban ازهارها]
Evonymus	{	لم يذكروا عيسى وشرف لهذا الجنس سوى نوع واحد مع ان له عدة انواع زراعية اهمها E. japonicus وهو مبذول في حدائق بيوت دمشق حيث يسمى المرجان
G		
Gastrolobium		البطنية السنفات [لشكل السنفة البطني]
Gleditschia	{	غلاديشيا [منسوبة الى النباتي الالماني Gleditsch وهي من اشجار التزيين المعروفة]
Gompholobium	{	المتفتحة السنفات [لانتفاخ سنفتها وكون السنفة تكون كروية في رأسها]
Grevillea		غريفيليا [منسوبة الى C. F. Greville لها اكثر من ١٥٠ نوعاً]
Gymnocladus	{	المريانة الاغصان [لمنظر اغصانها في الشتاء . لم يذكروا عيسى] هذا الجنس وذكروا شرف فسماه شيكو وهو الاسم الفرنسي
H		
Hakea		هكيا [منسوبة الى البارون Hake لها اكثر من مئة نوع كثير منها معروف]
Hamamelis	{	الجنبية المشتركة [لانها تحمل نوراً وثماراً سوية . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Hibbertia		هبرسيا [ينسب الى النباتي الانكليزي Hibbert]

Hydrangea	{ شجرة الكوب [لثمارها التي تشبه كوب الماء . ذكرها شرف بلفظتها الاجنبية ولم يترجمها]
I	
Idesia	ايديزيا [باسم Ides وهو من الراد الهولانديين]
Itea	اخت الصفاف
K	
Kennedia	كنديا [باسم Kennedy الانكليزي احد اصحاب النبات]
L	
Lagerstroemia	لاجرستروميا [باسم النباتي السويدي لاجرستروم]
Lardizabala	لرديزبلة [هكذا تسمى في بلاد بيرو . وهي جنبه معرشة]
Lecythis	شجرة القنينة [لان الثمار تشبه القناني]
Leptospermum	شجرة البزور الرقيقة [لشكل بزورها]
M	
Maclura	مكلورا [منسوبة الى W. Maclure وهو اميركي عالم بالمواليد]
Mahonia	ماهونيا او ماهونية [منسوبة الى Mac Mahon النباتي الاميركي]
Margyricarpus	شجرة الثمار اللؤلؤية [لثمرتها التي تشبه اللؤلؤ]
Melicope	الشجرة العلية [لوجود اربعة اعضاء عليية في قاعدة المبيض]
Metrosideros	شجرة القلب الحديدي [لصلابة خشبها]
Myoporum	الشجرة الرقطاء [لوجود نقط شفافة في اوراقها]
N	
Nandina	النندينة [من Nandin وهو اسمها في اليابان]
Nesœa	جنبه الساحل [لان انواعها تنبت في السواحل]
O	
Olearia	اخت الزيتون [لان اوراق بعض انواعها تشبه اوراق الزيتون]
ormosia	شجرة المقد [لتعمل في صنع العقود]

Osmanthus	الزهرة العبققة [الماعا الى رائحة زهرها]
Ostrya	{ شجرة الحراشف [الماعا الى حراشف الزهرة . وهي من اشجار الحراج المنتشرة في ادرية . وتوجد في جبل اللكام شمالي الشام]
Oxydendron	الشجرة الحامضة [لحموضة اوراقها]
P	
Paulownia	بولوفنيا [منسوبة الى Paulownia ملكة هولاندة]
Phebalium	اخت الآس [لانها تشبه الآس]
Phellodendron	الشجرة الفلينية [لقشرتها الفلينية]
Photinia	{ الشجرة اللامعة [للمعان ورقها . لم يذكروها عيسى وذكري شرف نوعاً قال انه مرادف لاسم الثمرة «ايكي دنيا» المعروفة في دمشق ؟ ولهذا الجنس انواع للتزيين جميلة]
Pilocarpus	{ الكحية الثمار [لان ثمارها تشبه الكحة . ذكروها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Piptanthus	البكورة الأعبال [لان اجزاء زهرتها تبكر في سقوطها]
Platilobium	العريضة السنفات
Poinciana	{ ابوانسيانا [منسوبة الى M. Poinci ذكر عيسى نوعاً عن فورسكال ولم يذكروها شرف شيئاً . وفي هذا الجنس انواع للتزيين جميلة ومشهورة]
Pseudotsuga	إتسوغة كاذبة [لانها تشبه الأتسوغة]
Ptelea	{ الشجرة المجنحة [من اليونانية جناح لثمرتها المجنحة . سماها شرف درداراً وهي غيره]
Pterocarya	اخت الجوز المجنحة [اشارة الى ثمارها الجوزية المجنحة]
Pultenœa	بالتنيا [باسم الطبيب الانكليزي Pulteney]
Pyracantha	شوك النار [لثماره الحمر الساطعة]
R	
Rhynchospermum	جنبية البزور المتقارية [الماعا الى شكل بزورها]

S

Schizandra	المشقوقة الأسدية
Sequoia	الشجرة الجبارة [سميت سكويا لأنها هكذا تدعى في كليفورنيا . وأسميتها الجبارة لأنها تعلو حتى تبلغ ١٣٠ متراً في بلادها . وهي من جبارة الشجر ومن الفصيلة الصنوبرية] .
Sphaerolobium	الكروية السنات [لشكل سنفتها الكروية]
Spiranthera	اللولبية المأبر [لتشكل مآبرها اللولبية]
Spiroen	جنبه الاكاليل [لان اليونان اطلقوا هذه اللفظة على جنبه كانوا يصنعون الاكاليل من اغصانها . وفي هذا الجنس نحو ٥٠ نوعاً . لم يذكر شرف منها سوى نوع واحد سماه ملكة المروج
Swietenia	شجرة الأبنوس [اللفظة العلمية منسوبة الى نباتي هولاندي . اهم انواعها S. Mahagoni وهو بالفرنسية Acajou]
Symphoricarpos	شجرة الثمار المتحدة [لاجتماع غدة ثمار في إبط الاوراق]

T

Thuya	شجرة العفص [هكذا تسمى في دمشق . ولم يذكرها شرف . وسماها عيسى شجرة الحياة مع ان شجرة الحياة هي Biota التي تشبه هذه الشجرة]
Triphasia	الشجرة الثلاثية [لعدد الوريقات في الكأس والتويج]
Tsuga	إتسوغة [هكذا تسمى في اليابان . وهي من اشجار الفصيلة الصنوبرية الشهيرة]

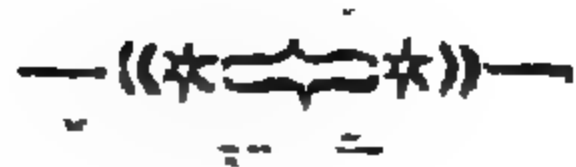
U

Ulex	جنبه الأدغال [ذكرها شرف ولم يترجم اللفظة العلمية]
------	-----------------------------------------------------

Z

Zanthorhiza	الصفراء الجذور
Zinobia	زينوبيا [باسم الزباء]

مصطفى الشهابي



تصحيح نهاية الأرب

« أغلاط الجزء الثامن »

سبق لي ان تدبعت أغلاط سبعة الاجزاء التي طُبعت من كتاب [نهاية الأرب في فنون الأدب] للعلامة النويري . وقد نشرت ذلك تباعاً في مجلدات السنة [١٩٧٦] من هذه المجلة . ثم اطلعت احيراً على الجزء الثامن وهو آخر ما طبع من أجزاء ذلك السفر النفيس في مطبعة دار الكتب المصرية مصححاً بقلم الاستاذ [احمد الزين] ولم يكتفِ حضرته بالتصحيح فقط بل علق عليه في ذيل الصفحات تعاليق بلغ فيها الغاية من [إصلاح المحرّف والمصحّف . وتكميل الناقص . وتحقيق الاعلام . وضبط المتن . وتفسير الغريب . وايضاح الغامض . وتشرح ما اشكل من الايات . وأسماء البلاد والامكنة . والتنبيه الى الكلمات العامية والالفاظ الاصطلاحية] الخ — كل هذا أخذه المصحح الفاضل علي عاتقه . فقام حق القيام به . واستوفى الاجادة فيه . واستحق الثناء عليه . غير أنني — وانا أتصفحه — وقع نظري على اشياء أحببت التنبيه اليها . وبيان رأيي في ما هو الصواب فيها . مشابعة للاستاذ المصحح في ما هو بصده من خدمة هذا الكتاب الثمين . وتكميلاً للعمل الذي بدأت به منذ سنين . والله وليّ المحسنين :

فمن هذه الاغلاط ما في :

ص ١ س ٩ — قال المؤلف بصف القاضي الفاضل [ورافع علم البيان لامحالة . والفاصل بغير إطالة] في السجعة الاخيرة قصر يشبه ان يكون صوابها [والفاصل بين الحق والباطل بغير إطالة]

وص ٢ س ١٠ — قوله [والخيال الزائر . بالحبيب العاذر] لعل صوابه الغادر : فان الحبيب أجدر بان يوصف بالغدر من ان يوصف بالعدر .

وص ٦ س ٢ — [والنصرة خاصة بسلطانكم . والكفاية مكتنفة بجماعتكم] و[مكتنفة] ضبطت بكسر النون . ولا يصح هذا لما أن [اكتنف] يتعدى بنفسه كما قال المصحح فالصواب فتح نون [مكتنفة] أو هي محرفة عن [مكتفية] .

وص ٩ س ٩ — [ونسأل الله ان يمن بقربه ورحاب الآمال فسائح والزمن المناظر بالقرب مسائح] قوله [المناظر] فسر المصحح بالجنادل . وعندى انه تحريف عن [المناجز] وهو بمعنى الميارز المقاتل .

وص ٢٠ س ١ — [وحاشى جلاله من الإخلال بعهود الوفاء] هذه الجملة من إنشاء القاضي الفاضل وقوله [جلاله] بالجيم حسن بالجملة . ولكن احسن منه ان يكون محرفاً عن [رحلاله] بالخاء المعجمة ويكون فيه من جناس الاشتقاق ما للقاضي الفاضل حريص عليه . وقد عاش عمره بفن السير اليه .

وص ٢٠ س ١٣ — [سقى الله أرض الغوطتين مدامعي] قال المصحح [انما ذكر الغوطة بالتثنية حرياً على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثني] أقول : غوطة دمشق مشهورة وتذكر تارة بالافراد مراداً بها مجموع بساتين دمتق وتارة بالتثنية ويراد بهما حينئذ الغوطة الكبرى المنبسطة في السهل الواقع شرقي دمتق — والغوطة الغربية الواقعة بين ضفتي الوادي وتسعى احياناً غوطة وادي بردى . ومثل ذلك [النيرب] فانه يذكر بالافراد مراداً به مجموع بساتينه ويذكر بالتثنية باعتبار قسميه او جانبيه .

وص ٢١ س ٣ — [وماضراً اليد الكريمة التي أياديها بيض في ظلمات الايام . وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا السنة الألسنة والانلام] لا معنى لكون السنة أسنة الرماح تقوم بمدح افعال اليد . وانما صواب العبارة [الألسنة الألسنة والانلام] وتكون [السنة] جمع سن واحداً أسنان يقال : سن وأسنان وأسنة كما يقال : كن وأكنا وأكذبة . وفي الحديث الشريف [وأعطوا الركب أسنتها] اي مكنوا الركائب من ان تعمل أسنانها في الرعي . والمعنى هنا ان تلك الافعال لا يقوم بمدحها إلا اسنان اي اطراف الألسنة والانلام . ويقال في فصيح الكلام [هذه الكلمة — مثلاً — مما يدور على سن القلم . اي طرفه . وعلى أسنة الانلام — اي أسنانها . اي اطرافها . كما يقولون : أسلات الألسنة وأسلات الانلام وهي جمع أسلة مستدق اللسان .

وص ٢١ س ١١ — [يكتب فلا يجاب • ويستكشف الهم بالجواب فلا يجاب] اذا لم يوجد [استكشف] في كتب اللغة كما قال المصحح فيكون صوابه [ويستكشف الهم] اي يطلب منه ان يكف عن الهم • ومع هذا فان قوله [فلا يجاب] يناسبه [فعل الاستكشاف لا [الاستكشاف] • فعسى ان يصدر ائمة اللغة في هذا العصر فتوى يجوز فعل [استكشف] وامثاله مما يؤيده القياس • وان لم تذكره المعاجم التي في ايدي الناس •

وص ٢٢ س ١ — [وحوشي المولى ان يكون عوناً على قلبه • وان يرحل اثره الري على ميربه] قال المصحح لعل صوابه [عن شربه وهم الجماعة يشربون] ولا حاجة الى هذا فان السرب بمعنى الطريق وقد ممد له بقوله قبله [وان يرحل اثره] اي عقبه فالارتواء يرحل في اثره قائماً على سربه اي طريقه : يقال قام على طريقه واستقام على طريقته اي دام وثبت على المضي فيها •

وص ٣١ س ٧ — لم أقف منه علي كتاب يخلف سواد سطوره ما غسل السمع من سواد ناظري • ويقدم بيباض منظومه ومثوره ماوزعه البين من سواد خاطري [قوله] ويقدم بيباض [صوابه] وينظم بيان [فيلتئم حينئذ مع قوله [منظومه] ومع قوله [ماوزعه] اي فرقته وبدده • اما قوله : [سواد خاطري] فصوابه [شتات خاطري] اي المتشتت المنتشر من خاطري وهو اجس نفسي • ولا وجه لآت يراد [بسواد خاطري] العدد الكثير من خاطري • فان [السواد] قد يكون بمعنى العدد الكثير ولكن يجب حينئذ ان يضاف الى متعدد فيقال [سواد القوم] وسواد الناس و [كثرت سوادهم بسوادي] اي جماعتهم بشخصي • هذا هو موضع استعمالها •

وص ٣٣ س ٩ — [ولقد استغرب وصول الرفاق • وقد صفت من كتابهم الكريم عياهم] هذا من كلام القاضي الفاضل • والتزامه والتزام كتاب زمانه السجع امر معروف فلعل في الجملة الاولى نقصاً يتم به السجع مع الجملة الثانية هكذا [ولقد استغرب وصول الرفاق بعد ان طال غياهم • وقد صفت من كتابهم الكريم عياهم] •

وص ٤٥ س ١٠ — [كتاب اشتمل على بديع المعاني وياهرها • • • فكأنه طرف طرف صوبه مدرار • وعلم علم منصوب في رأسه نار] قال المصحح صواب [طرف طرف] [قطر قطر] الاولى مصدر قطر بمعنى سأل والثانية بمعنى المطر كاندل على ذلك بقية الجملة اه

ويعني ببقية الجملة قوله [صوبه مدرار] فان الصوب المدرار يناسب [قطر القطر] ولا يناسب [طرف الطرف] اهـ . وارى ان [طرف طرف] صواب بعد تصحيح الثانية بظرف بفتح الظاء المعجمة بمعنى الظرافة اي الكياسة و [طرف] الاولى بكسر الطاء وهو الكريم من الخيل وكثيراً ما سمعنا شيوخنا يقولون في تقريب الكتب [ولقد سرحت طرف الطرف في هذا الكتاب] يعملون للطرف اي العين طرفاً اي جواداً يسرّح . وهنا جعل القاضي الفاضل لظرافة ذلك الكتاب الوارد اليه جواداً وصفه بما توصف به كرائم الخيل فقال [صوبه مدرار] ووصف الجواد بان جريه كالصوب المدرار معهود في بليغ كلامهم ومن ثم يسمون أفراسهم [سكاب] من انسكاب المطر ويدفونه بانه [يعبوب] من عبّ البحر ارتفع وتتابع موجه . و [الدفة] الفرس الكريمة تندفق في مشيها . ومن هذا القليل قوله صلى الله عليه وسلم في صفة فرس ابي طلحة : [ان وجدناه لبحراً] .

وص ٤٩ س ١٤ —

[كتاب به ماء الحياة ونقعة ال — حيا فكا في اذظفرت به الخضر] قوله [الحيا] مقصوداً لاشي من معانيه — واشهرها المطر — يناسب هنا فصوابه [نقعة الظما] يقال شرب حتى تقع اي شفى غليله وروى ظمأه .
وص ٦٩ س ٣ — [وكل مطهم ان ر كض تلق السماط ل كضه] ليس في إزعاج ر كض الجواد للسماط [اي صف الجنود في الميدان] — كبير امر ولا مبالغة في شدة ر كض ذلك الجواد . فان اي جواد ر كض أزعم صفوف الناس ؛ وانما المبالغة الشعرية هي في ان يزعم الجواد بر كضه كواكب السماء . وهذا ما أراده الشاعر مذ قال [تلق السماك] فخره الناسخ الى [السماط] والسماك كوكب مشهور وهما سما كان .

وص ٧٣ س ٨ — [وسيدنا مصعب الميم وهذا ابن تيس رقياتاه . ومهلي الشيم وهذا حبيب أبنائه . وفائق الاحسان وهذا في الجلالة ابن ابي دواده وفي الادب ابن زياتاه] قال المصحح الفاضل قوله [وهذا حبيب أبنائه] في الاصل [حبيب ألياتاه] وهو تضعيف فان الذي ونفعا عليه ان حبيباً هذا من أبنائه المهلب لامن شعرائه الذين مدحوه اهـ . ولكن اهتمام اولئك الكتّاب بمراعاة السجع وتفريطهم بالمعنى لاجله أحياناً — امر معروف : [فرقياتاه] و [زياتاه] يكون ينتها [أبنائه] — بعيد عن طبيعة انشاء ذلك العصر . فلا مندوحة عن القول بوضحة

[أبياته] الواردة في الاصل . ويكون المراد بحبيب ابياته هو [ابو تمام حبيب الطائي] لا [حبيب ابن المهلب] ولا سيما ان المؤلف قال [مهلي] ولم يقل [مهل] وبينهما فرق : فالمهلي احداً بناء المهلب المنسوبين اليه وهم كثيرون ولم يمدح ابو تمام احداً منهم واشهرهم الوزير ابو محمد المهلي وكان بعد ابي تمام بنحو مئة سنة . فلا بد ان تكون كلمة مهلي محرفة عن اسم آخر من ممدوح ابي تمام . ولأن نقول بوقوع التحريف في مهلي خير من ان نقول بوقوعه في الكلمة التي تنتهي بها السجعة ومنزلة السجعة في نفوس القوم منزلتها . اما ممدوح حبيب الطائي فكثيرون ومن أشهرهم الحسن ابن وهب واخوه سليمان بن وهب وله في الحسن ثلاث عشرة قصيدة فقوله [ومهلي الشيم] صوابه إذن [ووهي الشيم وهذا حبيب ابياته] وبهذه الصورة تتناسق السجعات . وتبقى كلمات [ايات] على حالها كما وردت في الاصل . و [آل وهب] ليسوا باقل من [آل المهلب] منزلة في تاريخ الاسلام والخلفاء : فقد كن أبائهم كتاباً من عهد الأمويين وكان الحسن بن وهب ممدوح ابي تمام . وتولياً لبواب الرسائل وكتب لابن الزيات . واخوه سليمان ولي الوزارة للمهتدي ثم للمعتد . وارى ان الذي جعل الكاتب يقول [وهي الشيم] ثم يقول [حبيب ابياته] فيجعل ابائهم ذا ايات يضرب بها المثل في كل وهي — هو قول حبيب في الوهبيين :

[كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب]
[إن قلبي لكم كالكبد الحري وقلبي لغيركم كالقلوب]

وقد سمع هذا بعض الصالحين فقال لو كانت هذه الايات في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أليق إذ لا يستحق هذا القول إلا هم رضي الله عنهم .

وص ٧٥ س ١١ — [جواباً عن كتاب شفاعة يوصي على اخيه نجم الدين] قوله [يوصي] سواء كان من الافعال او التفعيل إنما يتعدى في مثل هذا المقام بالباء لا بعلى الا على سبيل التضمين .

وص ٧٥ س ١٧ — [واحأه كنف قلبه . واددعه بين شغاف القلب وخبه . واعاده الى معبود ولائه وحسبه] قوله [وحسبه] ربما كان صوابه وجه . لان الحب وهو الذي يزول ثم يعود لا الحسب . وكذلك هو الذي يلا ثم الولاء بمعنى المحبة والقرب .

وص ٧٧ س ٣ — [ان الله . . . أعد داري ثوابه وعقابه . وحذر رأولي العقوبة من ألم

- عذابه [قوله] [العقوبة] محرف عن مثل [الحوبة] هي الاثم .
- وص ٨٢ س ٩ — [وأمضى عزائم آرائه التي وأرضى همته التي اذا هممت اغنت عن
الايض المرفف والاسمر الخطار وأرهف اقلامه التي انخ] قوله [وارضى همته] لعلها
محرفة عن مثل [وأمضى همته] من امضى الامرأنفذه ومنه مضاء السيف . او [وارضن همته] اي
احكمها وثبتتها . أما ان الله يرضي همته فلا معنى له .
- وص ٨٣ س ٧ — [ولا زال ربه مربعاً للجلال ومصيفاً ومشرعاً وارد الظلال
وريفاً] قوله [وارد] بالبدال ان ناسب [المشرع] فانه لا يناسب [الظلال] ولذا كان صوابه
[وارف الظلال] من ورف الظل اتسع وطال وامتد . وقوله [وريفاً] ليس صفة كوارف إذ
لا يقال ظل وريف كما يقال ظل وارف وانما واو [وريفاً] للعطف وهو معطوف على [مشرعاً]
ومعنى الريف الخصب وسعة الرزق ومنه ريف مصر .
- وص ٨٤ س ١ — [والجناب الذي فاضت مواهبه . وجاءت مذانبه . وجاءت
سحائبه] المذانب جداول الماء تسيل عن الروضة الي غيرها كما قال المصحح . ولكن قوله
[جاءت المذانب] لا يتسق مع [فاضت] قبله و [جاءت] بعده فهو محرف عن مثل [مارت] من
مار الماء ماج واضطرب وجري على وجه الارض .
- وص ٨٦ س ٥ — [ورأيت الناس مومثون من ليث عليه مهابة فكانوا كالكردان
أبصرن بازيا] قوله [مومثون] بالهمز لا معنى له فلعله محرف عن مثل [موجسون] من الوجس
وهو فزعة القلب او [موجبون] بفتح الجيم اي تخفق قلوبهم من اوجب الله قلبه أخفقه
وأرجفه .
- وص ٨٧ س ٨ — [فهو غاب العلم وهم اغصانه وشجره] قال المصحح [في الاصل (باغ
العلم) وفي حروفه قلب لا يظهر به المعنى] اقول بل يظهر المعنى بالباغ اكثر مما يظهر بالغاب . والباغ
البستان قال في شفاء الغليل : هو فارسي عربيه المولدون وادخلوا عليه اللام قال البستي :
[لا تنكرن اذا اهدبت نحرؤك من علومك الغر او آدابك التفتا]
[فقيم الباغ قد يهدي لصاحبه يزسم خدمته من باغه التحنفا]
- وص ١١٠ س ١٠ — مما كتبه الملك المنصور قلاوون في اثناء الحروب الصليبية الى
ملك اليمن قوله : [والرغبة الى الله في كذا وفي كذا وفي ألا تُقص رماحنا والانشاق

لدينا إلا أكباد أكناد. ولا تجز غير شعور ملوك التتاراخ [قال المصحح أراد [بالا كنناد] الجاحدين. ثم استشكل [اي المصحح] ان يجمع [كُند] وصفاً على أفعال. اقول والحق في ذلك ان [أكناد] ليست لفظاً عربياً من السكوند اي الجحود وانما هو جمع [كُند] على وزن قُفل لقب افرنجي يطلق على امراء الافرنج واشتهر منهم في الحروب الصليبية كثيرون ذكرهم كتاب العرب ومؤرخوهم كابي الفداء وابن الاثير. وأشهر هؤلاء الامراء [كندهري] و [كند صنجيل] واصل كند [كونت] [Conte] بمعنى امير فعربوه الى [كُند] على وزن قفل — وقفل يجمع على افعال قياساً — فقالوا [أكناد] وقرن ملوك التتار. بالا كنناد يدل على انه أراد بالا كنناد امراء الصليبيين. وقد كان هؤلاء واولئك من اشد اعداء ملوك مصر والشام في ذلك العهد.

وص ٤٦ اس ٨ — ذكر المؤلف مة غزلية ركنكة لبعض كتاب زمانه جاء فيها

هذا البيت :

[هل مخبر عنكم بعيش بقره ميت الرجا والصبر بعد الياس] . . .
فقوله [بقره] ضميره يرجع الى المخبر. وكون الرجا يعيش او يذبح بقره بالمبشر المخبر عن الاحباب — ليس بطائل. فلعل صوابه [بقوله] اي بشارته. على ما في هذا التعبير من اللين والركاكة. ومعظم تعابير المقامة من هذا القبيل.

وص ٥٤ اس ٤ — على لسان الخليفة العباسي [المستكني] نزيل مصر الى امام اليمن لائماً مهدداً [واتخذنا مصر دار مقامنا. لما كانت في هذا العصر قبة الاسلام. وفيئة الامام. وثانية دار السلام] قال المصحح [فيئة الامام] اي محل فيئته اي محل رجوعه يريد ان مصر هي التي رجعت اليها الامامة العباسية اه. وعندني ان صوابه [فيئة الانام] اي ان الناس يرجعون اليها في امور دينهم لمكان الخلافة فيها — ودينام لمكان السلطان منها. اما كونها محل رجوع الامامة العباسية فليس ذكره في هذا المقام بما يشرف بل بما يؤلم وينقص.

وص ٥٦ اس ١٠ — من كتاب الخليفة المذكور الى امام اليمن [رسمنا بها] «اي بالرسالة التي ارسلناها اليك» والسيف يود لو سبق القلم حدثه. والعلم المنصور يحب لو فات القلم واهتز بتلك الروابي قدّه [القلم] تكرر في الجملة فلعل الاولى محرفة عن [العلم] ويكون المعنى : ان السيف يتنى لو سبق الراية الى العدو لان الراية عادة تحمل أمام الجيش. كما ان الراية نفسها

تتمنى لو سبقت القلم : إذ ان القلم يباشر تهديد العدو ومحاربتيه قبل تسيير الرايات اليه .
 وص ٨٦ اس ١٤ — من كلام سيدنا علي رضي الله عنه [ومن يكبر على الناس زل] هكذا بالزاي من الزلل بمعنى العثار وهو حسن ولكن الاحسن ان يكون بالذال من الذل ليكون تقيض ما حاوله المتكبر من الكبر على الناس مذ يؤدي عمله الى عكس ما اراده .
 وص ٢٠٢ س ٨ — [ومنحصل البلد لثلاث سنين : مبقلة ومتوسطة ومجدبة] بقوله [مبقلة] قال المصحح إنها في الاصل [مبقلة] وفيه قلب وصوابه [مبقلة] كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه و [المبقلة التي كثر بقلها اه] ما قاله المصحح وهو حسن ولكن إبقاء [مبقلة] بتقديم القاف على ما جاءت في الاصل أحسن لان الاقبال في المواسم أعم من ان يكون من جهة خصب بقولها او ثارها او قطانيتها : يقال أقبلت الارض بالنبات جاءت به . ونقول اليوم كثيراً : السنة سنة إقبال اي خصب . فلا بد اعني للعدول عن مبقلة الى مبقلة على ان المصحح [س في ص ٢٩٥ س ٣] صحح هو نفسه عبارة [المعتلة والمتوسطة والمجدبة] بقوله [المبتلة] تحريف صوابه [المقبلة] كما يقتضيه السياق ويريد بالمقبلة السنة التي تقبل بالنبات اي تجي به اه .

وص ٢٢٢ س ٩ — عدد المؤلف وظائف مباشر البيوت السلطانية قال [ومن هنا تعاهد اسماء الحوائج خاناه] قوله [اسماء] صوابه [اشياء] وهي الامتعة المحفوظة في البيت المسمى [الحوائج خاناه] فانه يحتوي على اشياء يتفقد بها الموظف لا على اسماء .
 وص ٢٢٢ س ١٤ — [ويحصر لكل منهم ما حضره في كل يوم] قال المصحح في الاصل يحضر بالضاد المعجمة وهو تحريف اه . وأرى ان صوابه يحصى من الاحياء فان مباشر بيت [الحوائج خاناه] يتلقى من كل من القصاب والحيواني والطيوري اشياءه ويحصىها عليه .
 على ان [يحصر] لا بأس بها .
 « المغربي »

مذهب الجاحظ في النقد^(١)

— ١ —

« رأيه في التوليد — رأيه في اولى الشعر »

= 0 =

قبل ان أتقد فن الجاحظ وادبه ولغته لم لا انظر في نقدا الجاحظ نفسه ، كيف كان ينقد
فن غيره —

ولقد كان النقد قديماً في لغة العرب ولكننا لا نتجاوز عهد النابغة الذبياني مخافة ان نضيع في
مجاهل لا مخرج لنا منها .

للعرب في الجاهلية مجالس ادب واسواق وماتم بها فلين عنها ، شيخ النقدة في تلك الايام
نابغة بني ذيب الذي كان يضرب له نبة من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه
اشعارها . —

وفي صدر الاسلام مجالس ادب حافلة وربما تصدرت في هذه المجالس امثال سكينه بنت
الحسين وعائشة بنت طلحة . —

وفي زمن بني أمية مجالس ادب تشبه مجالس الأذب في الجاهلية منها مربد البصرة ومسجد
الكوفة . —

وخلفاء بني العباس أشباه هذه المجالس وربما كانت مجالس المنصور والمهدي والرشيد
والمأمون وغيرهم من الخلفاء وابناء الخلفاء والإمراء والوزراء أعظم وأحفل .
ولو استقصينا أنماطاً من النقد في تلك العصور لوجدنا لها شكلاً خاصاً لا يتعداه فسواء

(١) سلسلة محاضرات الابتداء السيد شفيق جبري إحد أعضاء المجمع العلمي العربي التي
شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أكان النقد مجرداً من اسباب التفضيل والتمييز على نحو ما كانت عليه الحال في بعض الاحايين في النقد الجاهلي والنقد الاسلامي ام كان هذا النقد موضعاً هذه الاسباب في العصور التي تقدمت الجاحظ انه لا يتعدى الصور اللفظية والمعنوية من حيث انحراف هذه الصور عن الذوق او من حيث مطابقتها للذوق ، فلم يكن له قواعد ثابتة ولم يكن له اصول يبنى عليها وانما كانوا في بعض العصور يملون طائفة من هذه الصور فيتطلعون الى صور حديثة . —

ثم ما لبث ان ظهر الرواة فظهر ابو زيد الانصاري وابو عبيدة الاصمعي وظهر حماد الراوية والمفضل الضبي وخلف الاحمر فكان لنقد الشعر صورة خاصة وضحتها لنا الجاحظ فقال : « طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يعرف الا غريبه فرجعت الى الاخفش فالفيتيه لا يتقن الا اعرابه فعطفت على ابي عبيدة فرايته لا ينقد الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات .

قال صاحب بعد هذا الكلام : فله در ابي عثمان لقد غاص على سر الشعر واستخرج ارق من السحر . — »

وقال في مقام آخر :

« ولم أر غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ولم أر غاية الرواة الشعر الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم أر غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل . — »

قد يشتمل هذا الكلام على شيء من المبالغة وخاصة العبارة التي تتعلق بالاصمعي فالذي وصل اليه من امر الاصمعي ان له آراء في نقد الشعر تدل على انه يعرف غير غريب الشعر وكيف كان الامر فان الذوق الادبي في عصر الجاحظ قد لوث بالوان شتى فمرة كان هذا الذوق يصبغ بصباغ فحوي ومرة بصباغ لغوي ومرة بصباغ اخباري . —

هكذا كان نقد بعض الرواة حتى جاء المؤلفون وشرعوا في تأليف الكتب في النقد فدخل النقد في طور جديد من حيث الترتيب والتأليف ، من هو لاء المؤلفين محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء فقد فصل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمختصرمين فأثر لهم منازل واحتج لكل شاعر بما وجدته له من حجة وما قال فيه العلماء ولكن جوهر النقد لم يختلف عما

كان عليه في القديم فكان الحكم لشاعر من الشعراء لما تأنه شعره اولشروود قافيته اولابتكار أسلوبه — .

ولكن انحنوا الجديد الذي نجاه النقدة في هذا العصر انما هو الطعن على ثقة بعض الرواة وهذا النحو أفق حديث في التمهيص والتدقيق الظاهر ان الرواة كانوا يزدون في الاشعار فأشار ابن سلام الى توليدهم لاء الرواة وبين اسبابه فقال :

« فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها وما أثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم فأت وقائعهم واشعارهم وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على السن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار وليس يشكل على اهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون — . »

الا ان ابن سلام لم ينبه على الزيادات التي زادها الرواة ولو فعل لنفي الشعر العربي فلم يبق مجال لارتباب المرتابين بصحة بعض هذا الشعر .

والى جنب هذا الأفق آخر فكان نبهوا على توليد الرواة فقد نبهوا على اختلاف لسان حمير ولسان قريش فقد أشار ابن سلام الى قول ابي عمرو بن العلاء في هذا المعنى فقال :

« مالسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عرييتهم بعريتنا — . »

غير ان ابن العلاء لم يبين وجه هذا الاختلاف أهو من حيث قواعد النحو والتصريف أم هو من حيث اللفظ فبقي كلامه غامضاً وقد وردت في طائفة من كتب الادب الفاظ مجانية لها معنى غير المعنى الذي لها في لغة قريش ، وهذا كله لا ينفع غليلنا — .

وفي هذا العصر الذي نبهوا فيه على توليد الرواة وعلى اختلاف لسان حمير ولسان قريش ظهر الجاحظ فهو من ابناء عصر ابن سلام — .

ولقد بصعب على رجل مثل الجاحظ قضى عمره كله في التمهيص ان يمر بمواطن الزور في الادب فينقل الكلام عليها فقد أشار الى التوليد فقال ^(١) :

« ولقد ولدوا على لسان خلف الاحمر والاصمعي ارجازاً كثيرة فما ظنك بتوليدهم على السنة القدماء ولقد ولدوا على لسان جحشويه في الحلاق اشعاراً ما قالها جحشويه قط فلو تقذروا من شيء تقذروا من هذا الباب — . »

وقال في موطن آخر في توليدهم على بشار^(١) :

قال صاحب الكلب : السنور يساوي في صغره درهماً فاذا كبر لم يساو شيئاً وقال العتبي :
كسنور عبدالله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بدينار

... وقد يضاف هذا البيت الى بشار وهو باطل —

غير ان الجاحظ لم يبدل على الذي ولدوه فلم يخف شيئاً الى ما قاله ابن سلام في زيادة الرواة ، ولودل على موطن التوليد لما اتسع المجال الى الشك سيف بعض ادبنا وقد كان يسهل على الجاحظ وامثاله ان يحضوا ويدققوا حتى يستخرجوا بعد هذا التخصيص والتدقيق الزيادات التي زادها المولدون فهم متصلون بتطور اللغة من عهدها الجاهلي المتعارف الى عهدها الاسلامي ومن عهدها الاسلامي الى عهدها العباسي فليس بينهم وبين هذه العصور التي تطورت اللغة في اثنائها الا قرنان او ثلاثة قرون فقد كان يتيسر لهم ان يعرفوا روح كل عصر ولغته وفنه لانهم على نحو ما قلت لكم متصلون بتلك العصور ، اما اليوم فان التنبيه على موطن التوليد قد يكون عقبة كؤوداً فاذا أردنا ان نعرف ان هذا البيت من الشعر قد أحياه شاعر من الشعراء لزمنا ان نتعمق في ديوان الشاعر كله حتى نعلم هل هذا البيت الذي نحمله من روحه اولغته من لغته ارفقه من فنه فاذا اعترضتنا المصاعب في تمييز بيت من الايات فكم تعظم هذه المصاعب في تمييز قصائد بمحاذيرها قلت في عصور متفاوتة بعيدة عنا —

وليس في لغتنا معجم يبين لنا ان اللفظ الفلاني استعمل في العصر الفلاني ثم بطل استعماله بعد ذلك العصر فقد تمربنا الفاظ لشاعر من الشعراء نظنها في بدء الامر غريبة وقد تكون هذه الالفاظ شائعة في عصر هذا الشاعر فاذا لم يكن في لغتنا معجم يدون الالفاظ بحسب تاريخها صعب علينا ان نعرف ان هذا اللفظ مؤدع على لسان فلان والشك في الادب قد لا يخلو في خاتمة امره من محاذير وقد فطن الجاحظ لهذا الامر فقال في خطاب جماعة مالوا الى رد بعض الامثال على جماعة آخرين^(٢) :

وان جازلكم ان تردوا عليهم هذا المثل جاز لكل من كره مثلاً او شاهداً ان يرد عليهم كما رددتم وفي ذلك افساد امر العرب كله فان زعمت ان الديك كان احق به فخصومك كثير ولسنا

(١) الحيوان الجزء الخامس — ص ٩٦

(٢) = = الثاني — ص ٥٥

نحيط باوائيل كلامهم على اي مقادير كانوا يضعونها ومن اي شي اشتقوها وكيف كان السبب ورب شي انكرناه فاذا عرفنا سببه أقررنا به . —

الا ان الجاحظ على مصاعب التدقيق في التوليد قد ركب هذا المركب الخشن فتفرغ لتمحيص خطبة زعم انها منسوبة الى معاوية^(١) . وبعد ان فرغ الجاحظ من ذكر الخطبة قال :

« وفي هذه الخطبة ابقاك الله خروب من العجب : منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من اجله دعاهم معاوية ، ومنها ان هذا المذهب — في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف — أشبه بكلام علي وبمعاينه وبجباله منه بحال معاوية ، ومنها انا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله اعلم باصحاب الاختيار وبكثير منهم . —

غير ان الجاحظ كان يجب عليه في رد هذه الخطبة ان يسلك مسلكاً اقرب فيأتي بناذج من خطب علي وبنادج من خطب معاوية وان يقابل بين هذه الأنماط كما فيشير الى الفاظ علي ويشير الى الفاظ معاوية ويدل على الالفاظ التي بالفها علي والالفاظ التي بالفها معاوية فيقول : هذه اللفظة مثلاً من الفاظ علي ، وهذا التركيب من تركيب علي ، وهذا الفن من فن علي ، وقد وردت اللفظة والتركييب والفن في خطبة معاوية فهذا كله مردود ، ولو فعل ذلك لكان تمحيصه ابلغ ، لان لكل خطيب او لكل شاعر او لكل كاتب ، لكل واحد من هؤلاء الثلاثة مفردات ومصطلحات وتراكيب لا يجتدونها ففي ملازمته وقد يستعملها على الزعم منه ويكرر استعمالها دون ان يشعر بها ، اما قول الجاحظ : ومنها انا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، فلا يخلو من بعض الضعفت لان الزجل اذا حضرت وفاته قد تبدل حاله عقله وحالة روحه . —

على ان الجاحظ قد تجرد في بعض المقامات للتنبيه على مواطن التوليد في الشعر ايضاً فلم يكن ضعيف الحجة في هذا التنبيه فمن هذا رده طائفة من الاشعار من جملتها هذا البيت

[١] راجع الخطبة في البيان والتبيين — الجزء الثاني ص ٢٨

للأفوه الأودي^(١) :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار .

فقال في رد هذا البيت^(٢) :

« واما ما رويت من شعر الأفوه الأودي فلمعري انه جاهلي وما وجدنا احداً من الرواة يشك في ان القصيدة مصنوعة وبعد فمن اين علم الأفوه ان الشهاب التي يراها انما هي قذيف ورجم وهو جاهلي ولم يدع هذا احد قط الا المسلمون فهذا دليل آخر على ان القصيدة مصنوعة — »
اما وقد عرفنا رأي الجاحظ في التوليد فلا بأس بان نعرف رأيه في اولية الشعر ، وعلى هذا تنشأ لنا صورة تصور لنا مذهب في نقد بعض الآراء الادبية العامة ، من هذا النحو قوله^(٣) :
« واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن اول من نهج سبيله وذهل الطريق اليه امرؤ القيس ابن حجر ومهلل بن ربيعة وكتب ارسطاطاليس ومعلمه افلاطون ثم بطليموس وذئب بقراط وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور وقبل الدهور والاحتباب قبل الاحتباب ويدل على حداثة الشعر قول امرؤ القيس بن حجر :

ان بني عوف ابتنوا حسنا ضيعه الداخلون اذ غدروا
ادوا الى جارهم خفارتهم ولم يضع بالغيث من نصره
لاحميري وفي ولا عدى ولا استعير يحكمها الثغر
لكن عوير وفي بدمته لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زراة وكم كان بين موت زراة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بقاية الاستظهار فماتني عام — »
وقال في مقام آخر^(٤) :

« وقد قيل الشعر قبل الاسلام في مقدار من الدهر اطول ما بيننا اليوم وبين اول الاسلام »

[١] الحيوان — الجزء السادس من ٨٨

[٢] = = = = = ٩٠

[٣] = الاول = ٣٧ -

[٤] = السادس = ٨٩

ففي قوله الاول جعل عمر الشعر مائتي عام وفي هذا القول جعله مائتين ونيفاً ، وفي كلا الحالين اشتطاط —

أصحح ان امرؤ القيس اول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق اليه ، قد يكون امرؤ القيس اول من حفظت اشعاره او من ارائل الشعراء الذين تناسلت اليها اشعارهم واما ان يكون اول الشعراء فلا ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى تقادم الشعر فقال امرؤ القيس نفسه :

عوجا على الطلل القديم لعلنا نبكي الديار كما بكي ابن حذام
وقال زهير :

ما ارانا نقول الا معاراً او معاداً من قولنا مكروراً
وقال عنتره :

هل غادر الشعراء من متردّم

فالذي يستنبط من قول امرئ القيس وزهير وعنتره انه جاء قبلهم شعراء جالوا في الشعر كل مجال وحاتموا في سمائه كل محلق وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورتوا عنتره وزهيراً وامراً القيس فيض فلو بهم وصوب اذهانهم وانطوت آثارهم فلانعرف عنهم شيئاً فلغة العرب متقدمة العهد فلا يمكن ان ينشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف فلا ريب في انها سبقتها احقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور حتى وصلت الى ما وصلت اليه فالعصور التي انتقلت اللغة في اتنائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلثة في تاريخ ادبنا ولا تسد هذه الثلثة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الام التي خالطها العرب في قديم الدهر ، وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته اليها بجذافيرها فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله قال ابن فارس : ذهب علمنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير —

والمعروف ان بلاد العرب الجنوبية حضارة يمتد تاريخها الى القرن الثامن قبل السيد المسيح فأين اللغة التي صورت هذه الحضارة وكيف تكون حضارة ولا تكون معها لغة —

يقول احد أدباء الفرنسيين (١) :

«النثر الادبي في التاريخ لا يأتي على نحو ما يظنون قبل الشعر وإنما يأتي بعده ، والذي يأتي قبل الشعر إنما هو اللسان الطبيعي العامل ، لسان الموائج والمنافع ولكننا نستطيع ان نجعل من قوانين التاريخ الادبي العامة ان كل ادب يبدأ بالشعر ثم ينزل الى النثر بالغاء القيود التي تقيد اللغة الشعرية وبإطراح هذه القيود اي بالتخلي عن لوازم الفن كلها ان لم يكن بالتخلي عن نتائج الفن —»

فاذا كان الادب يبدأ بالشعر ثم ينزل الى النثر فأين النثر الذي نزل اليه الشعر الجاهلي ، أهو هذا النثر الاسلامي المتكامل الذي ظهر فجأة دون ان يكون لتكملة عامل من العوامل ، لاشك في ان النثر الاسلامي سبقه نثر وهذا النثر سبقه شعر ولم تبق لنا الايام من هذا كله الا الشعر الجاهلي المتعارف والاقليلاً من النثر الجاهلي —

مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش وتموت فكذلك اللغات فانها اشبه شي بهذه المخلوقات ولياذا اللغات وحياتها وموتها عوامل منطقية وفلسفية وتاريخية وغير ذلك تجمعها كلمة : حياة الالفاظ ، ولست اعلم بحثاً يأخذ بمجامع القلوب نظير البحث عن حياة الالفاظ —

نقول الجاحظ : ان الشعر الجاهلي عمره قرنان فيه اشتطاط على ان الجاحظ نفسه يقول وقد سمعتم قوله : ولسنا نحيط باوائل كلامهم — اي كلام العرب — على اي مقادير كانوا يضمنونها ومن اي شيء اشتقوها وكيف كان السبب ، فان الذي يقول هذا القول لا ينبغي له ان تزلق به قدمه هذا المزلق فيجعل الشعر حديث الميلاد صغير السن —

دمشق : في ٢٦ كانون الاول سنة ١٩٣١

—((*)=*)—

مذهب الجاحظ في النقد

— ٢ —

« اهتمامه بالصنعة »

تبين لنا من النظر في نقد الجاحظ لطائفة من الآراء الأدبية العامة انه يذهب في الأدب مذهبه في العلم ، وما هذا المذهب الا الاستقصاء في كل شيء ، فالتحقيق اغلب صفات الجاحظ فكما انه يتقذر من توليد الكذابين في ابواب العلم فكذلك يتقذر من التوليد في ابواب الأدب وسواء ارشدت مسالكه في الدلالة على مواقع الزور في هذا التوليد ام لم ترشد انه نزاع الى التمهيص فاذا جاز لنا ان نستنبط صفة له من اساليب نقده التي قلبنا النظر فيها استنبطنا منها امعانه في التدقيق . —

فلننظر بعدهذا كاه في طبيعة ذوقه ، كيف يذوق نتائج القرائح وثمرات الخواطر ، أ يقتصر على استحسان المعاني وحدها ام انه مولع بالصنعة وهل وقف به ولعه بالصنعة على تفضيل اساليب المتقدمين ام انه مال الى مذاهب المولدين وما غابتنا من هذا كاه الا استخراج صورة عامة لذوقه الفني من آرائه المبعثرة في اضعاف كتبه حتى يتحمل لنا ذوقه كما تمثل لنا تحقيقه . —

للجاحظ ولع خاص بالصنعة وأريد بالصنعة في هذا المقام الفن على مصطلح عصرنا فهو ميال الى استحسان الالفاظ فمن قوله في هذا الباب وقد تقد بيتين من الشعر^(١) :
« وانا قد سمعت ابا عمرو وقد بلغ من استجداته هذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلاً حتى احضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له وانا ازع ان صاحب هذين البيتين

[١] الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٠

لا يقول شعراً ابداً ولولا ان ادخل في بعض القيل لزعمت ان ابنه اشعر منه وهما قوله :

لا تحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا افطع من ذاك لذل السؤال

وذهب الشيخ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها المعجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير — «

فالجاحظ مفتون بالفن فهو يريد ان نعطي المعاني حقوقها من الالفاظ واظن ان هذا المذهب يحتاج الى شيء من التوضيح فقد يخطر على البال ان الذهاب الى استحسان الالفاظ انما يراد به الخط من مقادير المعاني حتى يتوهم المتوهمون ان الذين يستحسنون الالفاظ يقولون : المعاني لا قيمة لها وانما القيمة للالفاظ وحدها ، ولكن الالفاظ في الحقيقة انما هي خدام المعاني فقد وضعت للدلالة على فكر من الافكار فلو لا الفكر لم يكن اللفظ فحسن الالفاظ يستوجب حسن المعاني فاذا وجدنا الفاظاً ضخمة ولم نجد لها معاني ضخمة استخرجنا من ذلك ان اصحابها لا يحوكون الكلام على حسب الاماني ولا يخيطنون الالفاظ على قدود المعاني ، فقد تكون الفاظ سيئة تشتمل على معاني حسنة ولكن هذه المعاني لا يبقى لها اثر في القلوب لانها لم تعط قسطها من الصنعة ، لنضرب مثلاً ذلك ولنرجع الى البيتين اللذين استشهد بهما الجاحظ : معناه ان اصحاب النفوس الكريمة يفضلون الموت على سؤال الرجال فالمعنى فيها حسن ولا شك ، ولكن الشاعر هل تهيأ له ان يكسوه ما يناسبه من اللفظ ، اذا كان الغرض من الشعر ان يعرض علينا حقائق الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك هذه الافكار ذاتها وظواهر صيغها كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه ، اذا كانت هذا هو الغرض من الشعر فالبيتان اللذان تقدمهما الجاحظ وخاصة البيت الثاني ليس فيها شيء من الصور الشعرية فان لغة البيت الثاني بعيدة عن لغة الشعر فكلمة : ذاوذاك واشباهها انما هي من الالفاظ الثقيلة على السمع — «

فلما ذهب الجاحظ الى استحسان الالفاظ لم يذهب الى استقباح المعاني وانما ذهب الى ان الالفاظ التي صورت المعنى في هذين البيتين لم تكن مناسبة لهذا المعنى فالفرق بينه وبين ابي عمرو الذي استجاد البيتين كالفرق بين الرجل الأديب وبين الرجل غير الأديب

او كالفرق بين صاحب الفن وبين المجرد من الفن فابو عمرو لا اهتمام له بالفن فانه ينظر الى مجرد المعنى سواء عليه اكان لباس هذا المعنى مناسباً له ام كان غير مناسب والجاحظ معتن بالفن فانه لا ينظر الى مجرد المعنى وانما يريد ان يكون هذا المعنى مصبوحاً في قالب مناسب له فاذا كنا نستحسن المعاني وحدها ولا نبالي بالقوالب التي تفرغ فيها هذه المعاني فلم يبق للفن قيمة ولم يبق للمفاضلة بين الآثار الفنية وجه فاذا خطر مثلاً على بال شاعر مثل البحري معنى من المعاني فصبه في قالب مناسب له وخطر هذا المعنى نفسه على رجل من العامة فقذفه في لغته العامة فلا فضل للبحري على العامي فاذا كان الاصل المعنى واذا كان هذا المعنى قد وقع في خلد كل واحد منهما وكل واحد منهما استطاع ان يؤديه الى غيره هذا بلغته الشعرية وهذا بلغته العامة فلا تفاضل بينهما فمما الحاجة اذن الى الفن فأظن انكم قد ادر كنتم النتائج التي تؤدي اليها استحسان المعاني وحدها دون المبالاة بالالفاظ التي تصورها وخوفاً من هذه النتائج التي تؤدي الى القضاء على الفن ومذاهبه تفرغ اكابر أدباء الغرب والافرنجة للمرامة دون حياض الفن فن أدباء العرب من واطأ الجاحظ على رأيه كأبي هلال العسكري وابن رشيق وغيرهما فأبو هلال يقول يحسن التأليف وجودة التركيب وكال الحلية والمعرض ، وابن رشيق يختار جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ، ومن أدباء الافرنجة من دافع عن الصنعة على نحو الجاحظ .

فمن كلام « فولتير » : ان الأشياء توثق فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لأن للناس افكاراً واخدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب .

ومن كلام « فاهيه » : ان الذي يتخذ الكاتب انما هو جمال الأسلوب .
ومن كلام « فرانس » : ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبته في الازهار .

من هذا كله يتبين لكم ان اكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الأسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الأمم ، فاليونانيون كانوا على هذا المذهب ، والرومانيون اولعوا بالوع كل بهمال الأسلوب حتى أفرطوا في هذا الامر فأدى بهم إفراطهم الى التقيصير في الكتابة الحسنة .

انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحري ثم نظروا الى الذين طواهم فلم يمتد له

ظل ولم يتسع لم في أفنخلد البحتري ويموت شعراء عصره لولا الصنعة^(١) . —

ليس معنى هذا كله ان الادباء الذين استشهدت بكلامهم سواء عليهم حسن المعاني وقبحها وانما هو لاء الادباء يريدون ان نعطي المعاني الحسنة حقها من الالفاظ الحسنة فهم قد شعروا بتأثير الالفاظ في تخليد المعاني فعظّموا من مقادير هذه الالفاظ . —

واذا اردنا ان نعرف تأثير الالفاظ فلنسمع ما قاله الاستاذ « باولوسكي » في مقالة اشار فيها الى ترجمة الدكتور Mardrus للقرآن بعد ان استعد لهذا الامر عشرين سنة :

« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجتمع فيه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم واستنتج الدكتور من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وأُزيلت منازلها كانت سحراً حلالاً فمن الذي يتبجح بان يأتي بكلام ينزل على اكباده ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحريء . — »

فالجاحظ مولع بالفن ولا يقنع في خلد احد ان ولعه بالفن يقضي به الى تقير المعاني فانه يعظم المعاني ويعطيها قسطها من قوله في ذلك وقد اعجبه تمام التشبيه وخرابة المعنى وشرف هذا المعنى^(٢) :

« ولا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيهه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب او في معنى شريف كريم او في بديع مخترع الا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه ان هو لم يقدر على لفظه فيسرق بعضه او يدعيه باسمه فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم واعاربض اشعارهم ولا يكون احد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه اولعله يجحد انه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه به الانما كان من عنيزة بن في صفة النباب فانه وصفه فأجاد وصفه فتعاضى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فبلغ من استحسانهم لذلك المعنى ومن اضطر ابيه فيه انه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر . قال عنيزة :

[١] راجع محاضرة الاسلوب في كتابي «المتنبي» .

[٢] الجيوان مجلد الجزء الثالث ص ١٩٦ .

جاءت عليها كل عين ثرة قمر كن كل حديقة كالدريم
قمرى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد لا جدم

قال : يريد فعل الاقطع المكب على الزناد والاجدم المقطوع اليدين - فوصف الذباب اذا كان واقفاً ثم حك احدى يديه بالآخرى فتشبه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاء غير شعر عنتره . — «

ويسواء أحسن عنتره في هذا المعنى على رأي فريق اولم يحسن على رأي فريق آخر ان الجاحظ ذهب الى استحسان معانيه ولكنه لم يقتصر على استحسان المعاني وحدها فان معاني عنتره في هذه الايات ان لم تصورهما لغة شعرية تصويراً ناطقاً لما كان لها هذه القيمة فالجاحظ لم يذهب الى استحسان الالفاظ الا لان الالفاظ هي التي تبرز المعاني وتثبتها في الازهان على تراخي الاحقاب ، اما اجادة عنتره في ايتانه او عدم اجادته فانما هذه مسألة متعلقها الذوق ولا جدال في الذوق فقد نستحسن معنى ويستقبحها غيرنا وقد نستقبح فكراً لا يستقبحه الناس فالذي يستنبط من كل ما تقدم ان استحسان الالفاظ على مذهب الجاحظ انما وجهه اعطاء المعاني حقوقها من هذه الالفاظ بحسب مقاديرها حتى يكون لها الاثر الخالد فهو لا يتهاون بوضع الالفاظ في مواضعها لأن اللفظ اذا لم يصب في قلبه شوه المعنى او قلبه او اضاعه كلفظ : يخون في البيت الآتي قال الجاحظ وفي منخول شعر النابغة^(١) :

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

وليس لهذا الكلام وجه وانما ذلك كقولهم كان داود لا يخون وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام وهم وان لم يكونوا في حالة من الحالات اصحاب خيانة ولا تجوز عليهم فان الناس انما يضربون المثل بالشئ النادر من فعل الرجال ومن سائر امورهم كما قالوا : عيسى ابن مريم روح الله وموسى كليم الله وابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم وسلم ، ولو ذكر ذاكر الصبر على البلاء فقال : كذلك كان ايوب لا يزعج كان قولاً صحيحاً ولو كان كذلك

نوح عليه السلام لا يجوز لم تكن الكلمة أعطيت حقها ولو ذكر الاحتيال وتجبرع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفه وكان الاحنف لا يفحش لكان كلاماً مصروقاً عن جهته ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاماً معروفاً ولكان القول قد وقع مرقعه وان كان حاتم لا يعرف بقلة الاحتمال وبالتسرع الى المكافأة ولو قال : سألتك فمنعتني ، وقد كان الشعبي لا يمنع وكان النخعي لا يقول لا لكان غير محمود في جهة البيان وان كان ممن يعطي ويختار نعم على لا ولكن لما يكن ذلك هو المشهور من امرهما لم تصرف الامثال اليهما ولم تضرب بهما —»

فأنتم ترون ان كل هم الجاحظ في اساليب تقده انما هو اعطاء الكلمة حقها حتى يقع القول موقعه وحتى يكون محموداً في جهة البيان فالجاحظ من هذا الباب من اكبر رجال الفن واذا نظرتم غداً في لغته تبين لكم كيف يعطي الكلام حقوقه —»

وقد حمله مذهبه هذا واعني به انزال اللفظ في منزله دون شيء من الغلو في استعمال الالفاظ على انزال المعاني في منازلها دون شيء من المبالغة في تصور هذه المعاني وتخيلها فكما انه يتذم من الغلو في اللفظ فكذلك يتذم من الغلو في المعنى فهو لا يريد من المعاني الا ما كان صادقاً فمن قوله (١) :

« واذا استوحش الانسان مثله الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتفضت اخلاطه فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايماناً ونشأ عليه الناشئ وربى به الطفل فهما را حدم حين يتوسط الفتياني وتشتعل عليه النيطات في الليالي الحنادس فعند اول وحشة او فرعة وعند صياح يوم ومجاوبة صدى وقدر رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة تفاجأ كذاباً وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول : رأيت الفيلان وكنت السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : رافقتها ، ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : تزوجتها ، قال عبيد ابن ايوب :

فله در الغول اي رفيقة لصاحب قفر خائف متنفر

وقال :

أهذا رفيق الغول والذئب والذي بهيم يربات الجمال الهواكل

وقال آخر :

اخو قفرات حالف الجن وانتني من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الأنسى يعرف نجله وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومدّ لهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا عراييا مثلهم والأتغيا لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط وامانت يلقوا راوية شعر او صاحب خبر فالراوية عندهم كما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اطرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكثر فلذلك صار بعضهم بدعي رؤبة الغول او قتلها او مرافقتها او تزويجها وآخر يزعم انه رافق في منازعة نمرأ فكان يطاعمه ويواكله . —

ولكن الجاحظ على اهتمامه بالالفاظ وفرط اعتناؤه بالصنعة ، وعلى شدة ميله الى السلف الطيب والاعراب الاقبح الذين لم يجد لهم الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردياً ولا قولاً مستكرهاً ، لم يؤثر المحافظة على اساليب المتقدمين التي تناسحت اليه من عصر الجاهلية والاسلام وانما رأى لكل عصر اطواراً وان الانتقال من طور الى طور انما هو من علامات الحياة . —

اتصل الجاحظ بعصر انقلب فيه الافكار كل منقلب ، فقد نقلت في ذلك العصر كتب الهند وترجمت حكم اليونانيين وحوادث آداب الفرس فكانت لهذه الافكار المنقولة تأثير في ادب العرب فقد استوجبت هذه الافكار صيغاً حديثة لا عهد للعربية بها فدخل النثر في طور لم يدخله من قبل ، ولم يكن الشعر بمعزل عن آثار الانقلاب فان الشعراء اتصلوا بخلفاء متقلبين في اعطاف الحضارة والتعم فكان من بدائه الامور ان يكون في شعرهم اثر من صور هذه الحياة الحديثة . —

ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهرت على شعرهم آثار حديثة تختلف عن الآثار التي كانت

تظهر على الشعر من قبلهم في الجاهلية والاسلام بشار ولبونواس والبحترى واضرارهم . —
فكما انتقل الجاحظ في النثر من طور الى طور فلجأ الى اساليب تستطيع ان تستوعب
الآثار المنقولة فكذلك انتقل ذوقه في الشعر من طور الى طور فاختر من هذا الشعر ما ظهرت
عليه آثار الانقلاب فلم يؤثر المحافظة على الآثار القديمة وانما تطلب الصور الحديثة دون المبالاة
بالعصية التي تعترض على الذين يفضلون شعرا هل البدو . —
فمن الطبيعي بعد هذا الانقلاب ان يفضل ابانواس او بشاراً من الذين وسعوا آفاق الشعر
ولم يضيقوا هذه الآفاق . —

فاذا تطاول مثلاً حماد عجرد لبشار وقال فيه ايماناً ناضل الجاحظ عن بشار فقال (١) :
« وما ينبغي لبشار ان يناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلق بالشعر لان حماداً في
الخصيصة وبشاراً مع العيوق وليس في الارض مولد قروي يعد شعره في المحدث الا وبشار
اشعر منه . — »

ولا يعرف الجاحظ شاعراً بعد بشار اشعر من ابينواس (٢) . —
وله آراء كثيرة في ابينواس تتعلق بنصاحة أسلوبه وجودة طبعه . —
منها قوله (٣) :

« مارأيت رجلاً اعلم باللغة من ابينواس ولا افصح لهجة مع مجانبية الاستكراه . — »
ومنها قوله بعد ان ذكر رجلاً له (٤) :
« وانا كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان علماً راوية وكان قد لعب بالكلاب
زماناً وعرف منها ما لا تعرفه الاعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في
اراجيزه هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحدق بالصنعة وان تأملت شعره فضلت الان
تعترض عليك فيه العصية او ترى ان اهل البدو ابدأ اشعر وان المولدين لا يقاربونهم في شيء »

[١] الحيوان — الجزء الرابع ص ١٤٥

[٢] = = = ص ١٤٦

[٣] طبقات الانباري — ص ٩٧

[٤] الحيوان — الجزء الثاني ص ١٠

فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا . — «
 ليس معنى هذا كله ان الجاحظ بفضل المولدين من الشعراء علي شعراء الجاهلية والاسلام
 وانما معناه ان الجاحظ يمشي عصره ، فكما ماشى هذا العصر في تجديد النثر بسبب جدة
 الافكار فكذلك ماشاه في استحسان الشعر المولود. والا فان الجاحظ ما كان يتأخر عن
 ضرب الامثال بامرئ القيس بن حجر والنابعة الذياني وزهير بن ابى سلمى ثم مجير والاخلط
 والفرزدق^(١) . —

دمشق : في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٢

— (==*6:9*==) —

كتاب التكملة والصلة والذيل

للماموس

— (١٠) —

في خزانة القرويين عمرها الله بفاس ذات النفائس والمخطوطات النادرة المؤسسة في الدولة المرينية دولة العرفان والعلم على يد نابغة ملوكها العظام أبي عنان المريني سنة ٧٥٠ هـ — توجد نسخة من الكتاب ذي الاسم اعلاه بخط مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ثم المصري المتوفى بها سنة خمس ومائتين والالف وهي مبيضة وعليها طوره في مجلدين ضخمين يشتمل الاول منهما على ٤٢٦ ورقة والاخير على ٢٤٧ ورقة طول كل ورقة ٢٢ سانتيما في عرض ١٨ تحت عدد ورق ح ٨٠ — ١٣٦ .

فالجزء الاول يضم بين دفتيه من باب حرف الهزة الى آخر حرف الراء . والثاني يضم حرف الهاء والواو والياء فقط مكتوبان بكافغده تلاش . وفي اهل الجزء الاول بتر حيث لا توجد به خطبة الكتاب ولا توجد به فصول الالف والباء والتاء والجيم والحاء من باب الهزة ويوجد بكل من الجزئين تمزيق يسير وخرق السوس والتنقيع . نعم يمكن الاستفادة منه الا يسيراً مع مشقة .

سطور كل صفحة من ١٦ الى ١٨ الى ٢١ على غير نظام اذ كانت مؤلفه يزيد ما ظر له احاطه ولم يتقيد بمسطرة خاصة وربما كمل بالطرة .

ويوجد فراغ بين المجلد الاول والاخير وهو الحروف الساقطة بين حرفي الراء والهاء فاما ان يكون هناك مجلد تام قد ضاع او مجلدان وهذا بعيد اذ لم يكن بين فراغ المؤلف من تبليص المجلد الاول والاخير الا نحو سبعة اشهر هي التي يبض فيها الجزء الاخير . ويمكن ان يبض ذلك قبل او بعد ان وجد . نعم قد يكون يبض في الزمن المذكور جزء آخر ثالثاً

او جزءين ولكن من باب خرق العادة وطى الزمن ودونك تاريخ الجزءين مدققاً باليوم والساعة :

يوجد في آخر المجلد الاول مانصه بالحرف الواحد : تم حرف الراء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكن الفراغ من ذلك في الثالثة من ليلة الاربعاء لست بقين من شوال من شهور سنة احدى بعد المائتين والاف على يد مسوده العبد الفقير الي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه أمين .

ويوجد في آخر المجلد الاخير مانصه : وهذا آخر الكتاب الذي سميت التكملة والصلة والذيل لمافات صاحب القاموس من اللغة مما املاه الحفظ واوله الخاطر من ذكر اللغات التي وصلت الي غرائب الالفاظ التي ائتت الي وهذا بعد ان عتني كبرة واحطت بما جمع من كتب اللغة خبراً وخبرة . ولم آل جهداً في التقرير والتحرير والتحقيق وايراد ما هو حقيق واطراح ما لا تدعو الضرورة الى ذكره حذراً من اضجار مسائله وتخفيفاً على قارئه وان كن ما من الله به من التوسعة ومنحه من الاقتدار على البسط وزيادة الشواهد من فصيح الاشعار وشوارد الالفاظ الي غير ذلك مما اعجز عن اداء شكره . ليكون للتأديين معيناً ولهم على معرفة غوامض لغات الكلام الالهي واللفظ النبوي معيناً . وقد اعفيت من الحشو ومنت الءواب فيه بقدر معرفتي ونقيته من التصحيف والمغير [كذا] والخطأ المستفحش والتفسير المزداد . الى آخر ما اطال به في مدح الكتاب . ثم قال وقد نهيت فيه على مواضع وتبع المصنف فيها خطأ إما سهواً او هو من تغيير النساخ مع اني لا آمن ان اقع فيما وقع فيه والله المستعان .

ثم ذكر الكتب التي منها أخذ وعاليها اعتمد قال وان كن مدسبقي في الخطبة الحوالة فيها على اصل الشرح ولكن اذ كرهنا المشاهير منها واقصر على بعضها دون كلها : فن كتب اللغة التي هي بمنزلة الاصول الجهرة لابن دريد والصحاح للجوهري والتهذيب للزمخشري والمحكم لابن سيده والعياب للغانى والتكملة على الصحاح له ايضاً . فهذه الستة هي كالاصول في علم اللغة وتهذيب التهذيب للارموي . وما عزوته لابن بري في واسطة هذا الكتاب ثم ذكر كتباً اخرى في اللغة والانساب وفي الرجال والصحابة واسماء البلدان الى غير ذلك من غرائب الكتب المؤلفة في انواع من اللغة ككتاب السرج واللجام لابن دريد

وكتاب ايمان العرب له وكتاب^(١) غريب الحمام المفدى وعند كتيب آخرى الى ان قال :
ومن الله ارجو حسن الثواب وبرحمته اعتصم من هول يوم المآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ابداً والحمد لله رب العالمين . انتهى ذلك في الثالثة من نهار الجمعة
المباركة الثاني والعشرين من جمادى خسة (كذا) سنة ١٢٠٣ احسن الله ختامها . وكتب
ابوالفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه حامداً الله تعالى
ومصلحها اه . واني لا أعجب من الجبرتي مؤرخ . مصر حيث ترجم لمرتضى المذكور وعدد
تواليقه واهمل ذكر تكملة القاموس المذكورة على اهميتها مع كونه تليذه لكنه هو نفسه
معترف بانه لم يستوعب كل تواليقه ذكراً .

وما كم انموذجاً من الكتاب :

ففي اول ورقة من الجزء الاول المتبور هذه العبارة : (جياً الجراد) محجم على البلد وكل
طالع فجأة جابي و (جياً جيو) خنس و (الجابئة) المرأة تنبوعها الميون هذا ما يوجد اول
الجزء الاول .

وفي الورقة ٣ من الجزء الاول ايضاً : فصل الحاء مع المحزة (النخبة) كهدزة المرأة
تطلع ثم تختبي قال الزبرقان بن بدر : ان ابغض كنانتي الي النخبة الطلعة ويروى الطلعة
القباء (كذا) وخبا الشيء حفظه كخبأه والخب بالسر لفة في الخب بالفتح لما خبي وغاب
وخبأ بالارض ما يخبوه الزارع من البذر او ما خبأه الله من معادن الارض جمع خبيثة .
وقال في فصل الميم مع الهدزة :

المروءة ذكرها المصنف ولم يضبطها ولم يحدها وهي بضم الميم والراء ممدودة وقد تشدد وللعامية
في النطق بها اختلاف فمنهم من يقول مروءة بالفتح ومنهم من يقول بالتشديد مع فتح الميم
ومنهم من يقول بضم الميم وفتح الراء مع التشديد وكل ذلك خطأ واماخذها فاختلف فيه في
العباب هي الانسانية وكال الرجولية انتهى . وسئل عنها الاحنف فقال هي العفة والحرفة
وقال غيره هي ان لا تفعل في السر امراً وانت تستحي ان تفعله جهراً الى ان قال وقيل هي السم
الحسن وحفظ اللسان وتجنب المجون . وقرأ صار ذا مروءة الى ان قال ويقال في تصغير المراء
(١) [المجمع] قوله (كتاب غريب الحمام المفدى) في مقدمة التاج [كتاب الحمام

والهدى] .

والمرأة مرئي (كذا) ومرئية (كذا) . ويقال في امرأة امرأة غير مهموز بعد الراء عن ابن
عديس في الباهر ونقله اللبلي^(١) في شرح الفصيح ومرأ كنع اطعم على بناء دار او تزويج الخ اهـ .
وكل ما تقدم نقله يمكن ان يستغنى عنه بماله في الشرح .

وقال في فصل الراء مع الخاء :

الزرخ اهمله صاحب القاموس وقال الصغاني هو الزج بالرمح والمزرخة بالكسر ما يزخ
به والمصنف اوردته بتقديم الراء فوهم . ما اصبحت منه زرينخة بالكسر اي شيئاً .

وقال ايضاً في فصل الشين مع الخاء :

الشُّخاخ كغراب البول نفسه والمشنخة موضعه ورجل شخاخ كثيره وهي بهاء .
وكسحابية بالشين^(٢) منها عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الشخاخي . روى عن البخاري
مات بالشاش سنة ٣٢٣ الخ .

وقال في فصل اللام والحاء المهملة :

اسلطح الشيء طال وعرض والرجل انبسط ووقع على ظهره . وانا اسلطح واسع
عريض .

وما في هذه المواد الثلاث الاخيرة زائد على ماله في الشرح وعلى اقرب الموارد ايضاً بل
صاحب اقرب الموارد واتع في الوهم الذي وقع فيه صاحب القاموس في زرخ .
فيظهر ان التكذاب ضروري لعشاق اللغة العربية ومن يريد التوسع فيها .
ولقد ظفرت بنسخة أخرى عند بعض علماء فاس لجلة مشتملة على افتتاحية الكتاب
يمكن منها جبر الكسر او بعضه وبالله الاستعانة .

محمد الحجوي

الرباط (مراكش)

—(*)—

(١) [المجمع] لعل صوابه الليلي كما يفهم من كشف الظنون .

(٢) [المجمع] في معجم البلدان قرية من قري الشاش ينسب اليها ابو محمد عبدالرحمن بن
محمد بن عبد الخالق البخاري الشخاخي فصوابه بالشاش .

« سيرة » الامام محمد بن اسحاق المظلي

« المتوفى سنة ١٥١ »

من جملة تفانيس المكتبة القروية الفاسية مجلد مخطوط اثر نفيس حوى الاجزاء ٢ و ٣ و ٤ و ٥ من السيرة اعلاه تجزئة عشرين ولقد قابلتها بسيرة ابن هشام المختصرة منها فاذا الفرق بينهما زيادات في الاولى لا توجد في الثانية كما ان في الثانية زيادات لابن هشام معروفة وعلى كل جزء من الاجزاء الاربعة خطوط جماعة من علماء المشرق والمغرب وإجازات وسماعات عجيبة على نسق ما كان معروفاً عند الحفاظ المتقنين المتصدين للتحرير والاتقان والتثبت في النقل الذي لا وجود له في عصرنا الحاضر .

هذه السيرة هي من رواية الشيخ ابي الحسين احمد بن محمد بن النعمان البزار عن ابي طاهر الخلف عن رضوان عن احمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن مؤلفها الامام محمد بن اسحاق المظلي رضي الله عنهم .

وهذا المجلد الشاهد العدل الذي لا يقبل الطعن — سهم مصيب في نحر الجحوديين الذين يزعمون ان لا وجود للسيرة الاسحاقية ويتمون ابن هشام كما اتهموا رواة الشعر الجاهلي وكما يتمون ابصارهم في شمس الظهيرة .

محمد الحجوي

الاستاذ السيد زكي مغامر (١)



(١) عضو المجمع العلمي والمتوفى في هذه السنة .

وُلد السيد زكي مغامر في حلب سنة ١٨٧١ م وكان جده غنياً فاعتنى بتربيته وادخله مدرسة الفرنسيين وكان وبعد قليل مات جده فسافر الى العمق وبقي فيه مع والده نحو خمس سنوات اقتبس في خلالها اللغة التركية من التركمان القاطنين في تلك الجهات ثم عاد الى حلب فدخل المدرسة الرشدية العسكرية ولم يكن قد تعود الدرس فجعل يدرس في الليل والنهار وهو لا يفهم معنى ما يدرس فكان يبكي احياناً وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة لكنه لم تمض عليه مدة حتى اصبح الاول في صفه . وبقي يتدرج كذلك محافظاً على الاولوية حتى اخذ الشهادة المدرسية وسافر الى الاستانة ليدخل في المدرسة العسكرية الطبية ولكن ابي ناظرها الارمني قبوله تعصباً منه فقال الى الصحافة فعين محرراً في جريدة (ساعات) اليومية ومن ذلك الحين اخذ اسمه في الاشتهار بين الاثراك ثم ازداد شهرة بين ادبائهم بما كان يكتبه في مجلة (مكتب) وقد عدوه في الطبقة الاولى ثم اُقتلت هذه المجلة فاشترك مع صديقه الشاعر (فائق اسعديك) على نشر مجلة باسم (عندليب - زكي) و (عندليب) بوقيع (لفائق اسعديك) كان يوقع به اشعاره . ثم ان السلطان عبد الحميد ثنى (عندليب) الى سيواس فأُقتلت المجلة . ثم اخذ (المترجم) يخرج في جريدة (إقدام) اصاحبها احمد جودت بك فبقي عدة سنين ولما انتأ (طاهر بك) جرائده ومجالاته تقلد المترجم رئاسة تحريرها كلها اكثر من سنة وكان الاحتياج رائده في قبول رئاسة التحرير . وقد غلبت الحرية على لهجة جريدة (معلومات) العربية احدى الجرائد التي يتولى (المترجم) تحريرها فكانت الصحف العربية والاسلامية المنتشرة في جميع الاقطار تقتبس منها وتحتج بما ينشر فيها . ولما وفد بطريرك الروم الكاثوليك في الشام (بطرس الجريجري) الى الاستانة نوه المترجم به في صحفها بما لم يعتد سماعه في حق بطاركة العرب فلقت ذلك نظر البطريرك اليه واستصعبه معه ليتكثب له عرائضه وبذلك تعرف برجال الما بين معرفة شخصية وعلى اثرها جرى تعيينه عضواً في مجلس بلدية العاصمة واذ ذاك ترك التحرير في الصحف عدا جريدة (إقدام) فبقي يحرف فيها ويراسل الصحف العربية المصرية كالمؤبد واللواء ثم اسس محلاً تجارياً في الاستانة لاختيه السيد جميل مغامر وكان يساعده فيه كما يقوم بوظائفه الرسمية الاخرى ويقضي الليل في الدرس والتأليف ومكاتبته الصحف . ثم عين مديراً لمجلة البوليس ثم عضواً في دائرة الترجمة والتأليف في نظارة المعارف ثم لما قامت الحكومة

الكبالية عهدت اليه وكالة المعارف في انقرة امر تصحيح الكتب التي تطبع في (المطبعة العامة) وهي آخر وظائفه ومنها انتقل الى (التقاعد) .

ومن آثاره ترجمة كتاب (الرق في الاسلام) تأليف احمد شفيق باشا المصري ورسالة عن (بديع الزمان الهمذاني) وكتاباً سماه (مفتاح المكاملة العربية) . وترجم كتاب (التمدن الاسلامي) للمرحوم جرجي زيدان وقد نشر تباعاً في جريدة (اقدام) وبذلك اشتهر جرجي زيدان عند الاتراك شهرة واسعة ثم ترجم رواية (ابي مسلم الخراساني) و (عروس فرغانه) و (صلاح الدين الايوبي) و (الاسماعيليين) وكلها لزيدان . كما ترجم كتاب (تحرير المرأة) للمرحوم قاسم بك امين وكتب نحو عشرين مقالة عن حياة المتنبي في جريدة (بيام صباح) وخمس عشرة مقالة عن (ابي العلاء) في جريدة (اجتهاد) وبالجملة فان المترجم كان من اكبر العوامل في نشر آثار العرب وفضائلهم بين أدباء الاتراك المتأخرين .

وفي سنة ١٩٢٠ طلب اليه بعض الوراقين ان يترجم له القرآن الكريم من العربية الى التركية فقضى سنتين ونصفاً من حياته الادبية في ترجمة هذا الكتاب ترجمة خالية من الاغلاط ولكن بعد اتمام الترجمة قام جماعة من الحاسدين المتعصبين وطعنوا على الكتيبي بخاف هذا على نفسه واخر طبع الكتاب فاستفاد من ذلك صاحب مكتبة (جهان مهران الارمني) وعهد بترجمة القرآن من الفرنسية الى احد الاتراك فجاءت ترجمة مشوهة وسارع لطبعها فتهافت الناس عليها واشتروها وكان لها اسوأ تأثير عند العلماء المدققين . ولكن الطابع استفاد من عمله فطبع الكتاب مرتين حتى علم الناس انها ترجمة غير صحيحة فنبذوها وكانت السبب اكساد التراجم التي نشرت بعده . اما ترجمة (المترجم) للقرآن الكريم فقد نشرها الكتيبي حفيةً بعد زمان متأخر بعنوان (تركيجه قرآن كريم) ونسبها الى هيئة علمية وان (اسماعيل حتي) هو الذي صححها . ولم يفز الوراق بما كان يرغب فيه لان الناس ابتعدوا عن اشتراء التراجم ونفروا منها . ويوجد من ترجمة المترجم نسخة في دار المجمع العلمي العربي ونسخ عديدة أخرى في تركيا ومصر . ثم حولت الاحرف العربية الى حروف لاتينية فماتت جميع الكتب التي انتشرت بالحروف العربية .

وبينما كنت (المترجم) يرسل جريدة اللواء المصرية جاء الاستاذ الكاتب الفرنسي (بيير لوتي) ومعه كتاب توصية الى المترجم من مصطفى كمال صاحب اللواء فأصبح صديقاً حميماً . وكان المترجم يلقى عنه الافرنسية وهو يتلقى التركية عن المترجم الذي كتب مقالات عديدة عن هذا الكاتب الكبير في إقدام وثروت فتون . وفي خزانة المترجم جميع مؤلفات هذا الكاتب العظيم وكأها مهداة اليه بخطه فضلاً عن المراسلات الكثيرة التي دارت بينهما وربما نشر منها شيء في الصحف .

آراء وافكار

—(١)—

النثر الجاهلي

بعد ان سكنت الضوضاء التي أحدثها الاستاذ طه حسين حول (الشعر الجاهلي) منذ بضع سنين قامت اليوم ضجة أخرى حول (النثر الجاهلي) أحدثها تليذه الدكتور ذكي مبارك فقد نشر في جريدة (البلاغ المصرية) منذ حين مقالات بعنوان (النثر الجاهلي) و (نشأة النثر الفني) حركت بها من اقلام كبار كتاب الادب في مصر فانبثروا لتأييده في بعض مآذبه اليه ومعارضته في بعضه . وقد احببنا ان ننشر خلاصة من هذا الموضوع الجم الفائدة .
الطريف الاثر في آدابنا العربية :

افتتح الدكتور مبارك مقاله الاول بهذا السؤال :

[هل كان للعرب ثر فني في عصور الجاهلية ؟ وهل كانوا يفصحون عن أغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟]

واجاب على ذلك عنقاً اولاً من قال ان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم وجود ادبي ولا سياسي . وقائل هذا القول امام سلم يرى ان الاسلام هو الذي خلق العرب وتقلهم من الظلمات الى النور . او مؤرخ يشك في ما اثر عن العرب من الآثار الادبية . ومنهم من غلا فزعم ان عرب الجاهلية كانوا يعيشون عيشة اولية وهذه الحالة لا تسمح لهم بتولد النثر الفني فيهم . صاحب هذا الرأي هو الموسىو (مريسيه) وشايحه عليه الدكتور طه حسين . ويراد بالنثر الفني ما يلجأ اليه الرجل لا ذاعة فكرة او دفع شبهة او ايضاح مشكلة . واستبعد الدكتور مبارك ان يكون للانيم التي تجاور العرب كالفرس واليونان وغيرهم ثر فني قبل الميلاد باكثر من خمسة قرون ثم لا يكون للعرب ثر مثله بعد الميلاد بخمسة قرون .

قال والدليل على خطأهم في ذلك ان القرآن أشار الى انه كانت لدى العرب كتب تدرس وكتابة تمارس بدليل آية [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك] فالنثر الفني كان موجوداً وكان يُكتب ويتداول . وعدم وصوله اليها لا يقتضي عدم وجوده . فهو قد ضاع لاسباب : اهمها شيوع الامية وقلة التدوين في الجاهلية وبعد ثرهم عن الحياة الاسلامية التي حدثت بنزول القرآن .

وبعد ان اتيت الدكتور مبارك وجود النثر الجاهلي على هذه الصورة عاد يبحث عن طريق يثبت به كيف كان نثرهم الفني ؟ وما هو أسلوبه ؟ وما هي الاتجاهات العقلية التي كان يرمي اليها كاتبو ذلك النثر في ذلك العصر ؟ ؟

فذهب الى ان النصوص المروية كآسجاء الكهات وعظات الخطباء وخطب الوفود لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي وهي على قلتها مما وضع في العصر الأموي لاغراض دينية او سياسية او قومية أي يبان فضل العرب . وبعد ان افاض في اثبات رأيه هذا قال : والنتيجة اننا لانستطيع ان نعطي النثر الفني الجاهلي لونا نطعن اليه مادمتا لم نظفر بنصوص صحيحة منه اماماروي من تلك النصوص فهو منحول تخلاق . وهذا الشعر الجاهلي ارتابوا في صحة أكثره مع ان الشعر يسهل حفظه ويعتني بروايته فكيف بالنثر وهو ليس بهذه المثابة . فاذا لم تكن النصوص المروية كافية في تعيين أسلوب النثر الفني فما هو الشيء الذي يثبت لنا ذلك ؟

اجاب الدكتور مبارك بانه القرائن . وبدبهي ان رأيه هذا فيه مفاجأة حادة بضرب التسليم بها على كثير من الباحثين المسلمين ولذا تغير اتجاه هذا البحث الى المنزع الديني بعد ان كان ادبياً محضاً . فرد على الكاتب طائفة من انبل كتاب مصر امثال الاساتذة محمد عابد المطلب [رحمه الله] ومحمد لطفي جمعة وفريد وجدي . ولا يخفى ان القرآن في اعتقاد المسلمين وحى الهي فكيف يقول الدكتور انه نثر جاهلي .

وقد اجاب على هذا بان اقتضاه القرآن نموذجاً للنثر الجاهلي لا يلزم منه نفي ان يكون القرآن وحياً آهياً كما لا يلزم منه ان لا يكون كذلك . وكل ما يريد اثباته هو ان أسلوب النثر الفني الجاهلي ان فقدنا نصوصه الاصلية الجاهلية فاننا نراه مصوراً وممثلاً في آيات القرآن التي ضربت على غرار ذلك النثر وهي تعطينا صورة صحيحة عنه . لانها انزلت لهداية اولئك

الجاهليين وارشادهم . ولا يمكن ذلك الا بمخاطبتهم بما يفهمون من الكلام والاساليب . وقد صرح القرآن نفسه بان الرسول لا يُرسل الا بلسان قومه ليبين لهم . ولا معنى لهذا الا ان القرآن مفرغ في اساليب العرب النثرية الفنية حتى يتيسر فهمهم لها فيسترشدوا بها . وكان الدكتور يقول هذا كل ما أريده من قولي ان القرآن نموذج للنثر الفني الجاهلي . اما كونه كلام الله لا كلام البشر او بالعكس فليس من مباحث الادب التي نحن في صددها . وقد تمكّن الدكتور باستاذة [طه حسين] الذي قال ان القرآن [لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن] . ثم ختم مقاله بقوله [واختلاصة ان القرآن نثر وانه دليل على ان العرب كان عندهم ثروتي قبل الاسلام . فكان لهم بذلك وجود ادبي متين قبل ان يتصلوا بالفرس واليونان . وفي هذا قضاء على اوهام من زعموا] ويريد بهم موسيو مرسيه وطه حسين] . ان اول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الاصل . وان العرب لم يكونوا يعرفون من قبل غير الخطيب والاسجاع والامثال .

وبعد ان اثبت الدكتور مبارك انه كان للعرب الجاهليين ثروتي نموذج القرآن بحث في ان [الزخرف] الذي يهتم به علماء البلاغة هل اتصل بذلك النثر بمقتضى طبيعة اللغة العربية ام وصل اليها من الخارج حين اتصل العرب بالفرس واليونان ؟ يرى الموسيو [مرسيه] ان [الزخرف] اتصل باللغة العربية عن طريق الفرس وقال [طه حسين] انه جاءها عن طريق اليونان . وهذه الفكرة ترجع الى [ربنات] القائل بان المدنية العربية غريبة عن العرب .

والدكتور مبارك لا ينكر ان كل أمة [ومنها العرب] تتأثر بمحضارة أم أخرى لكنه مع هذا يرى ان [الزخرف] عنصر اصيل في اللغة العربية . وشاهده على ذلك القرآن ايضا فمفعم بالزخرف والصنعة المحكمة التي تدل على ان المخاطبين بها وهم العرب يعرفون ماهي الكتابة الجيدة وما هو الأسلوب الجذاب . ثم اشار الدكتور الى ان البحث عن زخرف القرآن من اي جهة اتصل به هو بحث خطر : لان الرأي العام الاسلامي لا يسمح بدراسة القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الاصلية والعناصر الدخيلة . ومع هذا فمعرفة الصفات الاصلية في النثر العربي ومحاكاة القرآن لا تبسر لنا ما لم يصل اليها مجموعة نصوص صحيحة من النثر الفني الجاهلي تمثل لنا من ماضيه قرنين على الاقل . ومن أين لنا تلك المجموعة وليس في يدينا

الاقليل من النثر المنسوب الى القرن الذي يباشر ظهور الاسلام ومثله لا يمكن ان يكون اليه في معرفة طبيعة لغة من اللغات . فلم يبق لدينا الا القرآن وهو اثر عربي صرف لان الرسول الذي تلقاه عربي نشأ في بيئة عربية وبلغه بلسان عربي . اما تاثر القرآن بأداب اجنبية فاحتمال محض وهو لا يغني من اليقين شيئاً فالزخرف الفني في القرآن طابع اصيل فيه فيكون طابعاً اصيلاً في لغة الجاهليين الذين خوطبوا به وفهموه حق فهمه . واتصال العرب بالفرس قد يحدث تطوراً في هذا الزخرف لكنه ليس العلة الاولى فيه كما ظنه بعض المستشرقين . وهذا الزخرف او الخواص الفنية الموجودة في القرآن وجدت في النصوص التي عاصرتة كالأحاديث النبوية وخطب الخلفاء والقواد الذين جاؤا بعده بقليل فتم لنا بهذا ان لغة الجاهليين كان لها ثرفني وان لذلك النثر الفني زخرفاً وصنعة أصيلة فيه كانت تزين نصوصه الكثيرة المفقودة والتي حاكها القرآن ووصفها لنا ابلغ وصف .

ولم يكف الدكتور بما مر من امر [الزخرف] بل تعداه الى العلوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض والبديع فذهب الى انها اصيلة في لغة العرب بدليل وجودها في القرآن ولم يتحدث في القرن الاول والثاني كما ظنه مؤرخو الآداب العربية . اذ لا يعقل ان يظهر كتاب كالقرآن بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير فالقرآن ظهر في لغة تجاوزت طور الطفولة . واربابها المتكلمون بها لم يكونوا من الأمية بحيث وصفوا بل هم مستعدون — بثقافتهم الادبية — لفهم ما فيه من قواعد البلاغة واساليب البيان قال : بل انا اذهب ابعد من ذلك فأقرر ان الاسلام كان تاجاً لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية في الحدود التي كان يستطيعها العرب .

فالاسلام لا يتصور ان يكون نقل العرب من ظلمات الى نور بل من نور الى نور اتم لكن نورهم الاول لم تصل اليها صورته المختلفة . لاقى الاسلام من المعارضة آلاف المصاعب فيمكن الانتفاع بانه لم يُنقل في معامع تلك المعارضة سوى ما نقل اليها من الخطب والرسائل ؟ اين السنة اليهود العرب والأشراف من قريش ؟ واين ما قاله الصحابة في الرد على خصومهم ؟ وكل ما نقل اليها لا يصف حياة العرب العقلية فلا بد أن يكون هناك آثار ونصوص اندثرت ولو بقيت لفقها اسرار آجية من حياة العرب العقلية وثقافتهم الادبية ومبلغ [الزخرف] الذي كانوا يزينون به لغتهم .

ثم اشار الدكتور الي ان ضياع آثار الجاهلية كان بالاسلام . وضياع آثار الاسلام كان بحروب الردة حتى كاد القرآن نفسه يتلاشى لولا ما فعله ابو بكر من جمعه وتدوينه فلعب الجاهلية علوم ادبية كانوا يحذقونها قبل ان اتصلوا بالفرس والروم في العهد العباسي : فاذا استكثر المستشرقون ومن لف لفهم من أدبائنا — على ابي الاسود الدؤلي ان يكون هو اول من فكر في وضع علم النحو فانا استقل ان يكون هو المفكر الاول . بل اول من فكر هم عرب الجاهلية الذين عرفوا النحو وغيره من العلوم الادبية . وما قبلته أتحمّل تبعته والدفاع عنه وارجو ان يكون له اثر في فهم البيئة القديمة التي نزل فيها القرآن والتي سموها خطأ عصر الجهل وهي في رأيي عصر معرفة ونور .

ثم استشهد الدكتور بكلام لابن فارس يتنسم منه انه كانت للعرب معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . وهو على الجملة يرى ان العلوم العربية كانت معروفة قبل الاسلام . وما حققه الدكتور مبارك قبل الاسلام .

وما حققه الدكتور مبارك في مقالته هذين يمكن تلخيصه هكذا :

- [١] كان لعرب الجاهلية ثر فني .
- [٢] زخرف الفن الذي كان في ثمره اصيل فيه لادخيل .
- [٣] آثار النثر الجاهلي ونصوصه لم يصل اليها الا النثر القليل المشكوك في صحته .
- [٤] القرآن هو وحده الاثر العربي الموثوق به الذي صور لنا النثر الفني الجاهلي .
- [٥] القرآن كما صور لنا نثر الجاهلية دلنا على انه كان لهم حياة عقلية وعلوم لغوية .

مطبوعات حديثة

== (١) ==

ترجمة القرآن الى الفرنسية

« بقلم المحامي احمد لايمش Ahmd Laïmèche وابن داود B. Ben Daoud »

« طبع بمطبعة : هنتز إخوان — وهران — في ٣٤٦ ص من »

« القطع الوسط »

لأدري ما الفائدة من ترجمة القرآن ؟ —

أفلا ترى ان لغة القرآن تشتمل على اسرار لا يعرفها الا الراسخون في هذه اللغة فكثير من اساليبه لم يجر على الحقيقة وانما المراد به المجاز وصور المجاز تختلف في الامم فالترجمات انما يترجمون ظواهر الكلام ويقفلون عن بواطنه فما هو اثر ترجمتهم . —

خذ مثلاً من الامثال ، خذ هذه الآية : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم

غشاوة ولم عذاب عظيم . — »

فقد ترجم المؤلفان ظاهر هذا الكلام وانما ثمة المفسرين ذهبوا غير هذا المذهب فالبيضاوي

يقول في تفسير هذه الآية :

« ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانما كهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم الى آخر ما جاء في هذا التفسير الى ان قال : وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية . . . »

فكيف يعرف الافرنجي الذي يقرأ ترجمة الآية ان في هذا الكلام استعارة وان

الختم والتفشية لم يكن على الحقيقة ، واذا غاب عنه هذا الامر فكيف يدرك اسرار القرآن ، واذا هو لم يدرك اسرار القرآن فلست ادري كيف يكون نظره الى الآيات وكيف تكون قيمتها في نفسه . —

ثم ان المسلمين يفرق شتى منهم من ينظر الى ظواهر الآيات ومنهم من يتغلغل في بواطنها ، انظر مثلاً الى صورة التين : والتين والزيتون وطور سين ، فقد ترجم المؤلفان هذا الكلام على ظواهره وانما المفسرون ذهبوا مذاهب في تفسير هذا القسم فمنهم من زعم ان التين دمشق والزيتون فلسطين ومنهم من يقول وماتعرف دمشق الآب دمشق ولا فلسطين الا بفلسطين وان كنا وانما وقفنا من ذكر التين على مقدار طعمه وانه نافع وانه غذاء قوي فقد اسأنا ضناً بالقرآن وجهلنا فضل التأويل . —

فكيف يعرف الا فرنجي هذه الامور كلها وانما يحمل القسم على ظواهر الكلام ولا يحيط ببواطنه فتخفى عليه اسرار القرآن : —

ثم ان لكل لغة نغمة خاصة تعمل عملها في القلوب خذ سورة من البور ، خذ سورة الزلزال :

« اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض انقالها . وقال الانسان مالم آ : »
أفلا تجد ان الزلزال انما هو امر عظيم وان هذا الامر العظيم انما يستلزم البقاء تدل على العظمة وان كلمة الزلزال وحدها فيها نغمة خاصة توحى اليك هذه العظمة ، وان هذا كله انما هو من عبقرية اللغة فكيف تستطيع ان تنقل هذه العبقرية من لغة الى لغة من دون ان تضع نغماتها واسرارها . —

شفيق جبري

في دولة الادب والبيان

[عمر ابوالنصر]

« ٢٢٣ صفحة من القطع الوسط طبع بمطبعة روضة الفنون »

« سنة ١٩٣٢ في بيروت »

—(١)—

مقالات في موضوعات شتى ، في الادب والنقد وفي تصوير طائفة من رجال الحكومة في لبنان ، هجم فيها الكاتب على خفّتم من المذاهب بشيء من الجرأة فبقي - في اكثر هجماته على الساحل خوفاً من الفرق -

صاحب هذه المقالات من المفتونين بكلمات التضريح والتعفير والتعطيم فلست تجد في خطرات نقده الا الفاظ الهدم والنقض واشباها -

مرة تحدثه نفسه بهدم اللغة فليس يضير اللغة في مزعمه ان يخطي احدنا في فتح الحاء وضم التاء وليس يسوء القواعد في مذهبه ان تبدل بعض الحركات الصرفية فهو يرى ان هذه المباحث انما هي قشور في الادب لكنه بعد هذه الثورة العممية لا يلبث ان يهدأ فيرجع اليه فكره فيستنهض الناس للمحافظة على اللغة فخرام عليهم في رأيه ان ينتهكوا حرمتها -

ومرة يهجم في صدره ان يحطم الادباء كلهم فليس في الادب العربي في سورية على حسب دعواه ميزة ، وليس فيه لون جديد من الوان الحياة فأدبنا ضيق النواحي مضطرب النسيج ضعيف المادة فلا ينعم بالخلود اديب من أدباء العصر في باقيات الايام .

غير انه بعد هذه الهواجس يحاسب نفسه فيلهمه الله الصواب فيقول :

« اهدم ماشئت من رأي ثم اقحمتنا بما عندك من رأي ومذهب ، هذا النقد الحق » .

فاذا خرج القاري من قراءة هذه المهجسات والخطرات بشيء فلا يخرج باحسن من

هذا القول -

شفيق جبري

—«»—

الكتاب السنوي

« للمجمع المصري للثقافة العلمية »

عدد صفحاته ٢٣٢ صفحة بتخلها رسوم وتداول فنية واحصاءات وبيانات

المجمع المصري للثقافة العلمية مجمع علمي يضم اليه عدداً من خيرة علماء مصر وقد خدم منذ ألف الى اليوم اللغة العربية والعلوم المصرية خدمة جلى بنشر الكتب والقاء المحاضرات ونشرها مطبوعة .

وان في عداد المواد التي يتألف منها دستور هذا المجمع مؤتمراً عاماً يقيم في اوائل كل عام تلقى فيه محاضرات قيمة تنشر في كتاب سنوي . وهذا الذي نحن بصدد كتاب مؤتمره الذي التأم من ٢١ الى ٢٧ مارس (آذار) سنة ١٩٣٠ يحوي احدى عشرة محاضرة في اهم الموضوعات العلمية والعمرائية والتاريخية والطبية والصحية القاهها اقطاب يستنار بشماع علمهم ، هم الحكيم علي بك ابراهيم رئيس المجمع ، والابتاذ فؤاد صروف ، والاستاذ اسماعيل مظهر ، والحكيم علي مصطفى مشرفة ، والحكيم جورجى صبحي ، والحكيم حسن صادق ، والحكيم اندراوس شخاشيري ، والاستاذ سلامة موسى ، والحكيم محمد شرف ، والحكيم محمد رضا مدير ، والحكيم علي حسن . وبذكر اسماء هؤلاء الاعلام كفاية عن تقريب محاضراتهم كل واحدة بمفردها فبكل واحدة منها غنى عن مطالعات كثيرة وتفتيح طويل في موضوعها العلمي .

عبد الله رعد

الكنائس الشرقية البيزنطية

مؤلف هذا الكتاب الأب الياس اندراوس البولسي يأتي في مئتين وخمس وتسعين صفحة بقطع الربع مزينا برسوم جمّة تمثل يعمّاد وديرة وشخصيات بارزة تاريخية وحالية لعلية الرؤساء الدينيين للكنائس التي كتب عنها .

عنى المؤلف بالكنائس الشرقية البيزنطية جماعات المسيحيين المنتسبين للطقس البيزنطي سواء كانوا على المذهب الكاثوليكي ام على المذهب الارثوذكسي وتمييزاً لهم عن الكنائس الغربية المنتسبة ذروها للطقس الروماني وهم الذين يستعملون في صلواتهم اللغة اللاتينية ويُعرفون باللاتين . اما الذين عرفهم بالكنائس الشرقية البيزنطية فهم فروع يستعملون اليونانية والسلافية والالبانية والكرجية والعربية حسب الامصار وكلهم طقس واحد .

وقد جعل المؤلف هذا الكتاب بمثابة دليل الى معرفة هذه الكنائس فجاء احصاء دقيقاً وقد استند فيه الى مصادر قيمة عددها في خاتمة كتابه .

شمل هذا الاجزاء عدد نفوس كل جماعة من هاته الجماعات مع ذكر مختصر لتاريخها وام بيها وديرها وابرز رجالاتها وكيفية ادارتها . وفرّق فيه لكل فرع بين اتباع المذهب الكاثوليكي منه واتباع المذهب الارثوذكسي من اجل المقابلة في الارقام وفي طرق الادارة بهوخياً في ذلك نوعاً من التوطئة وبعبارة أخرى رمى فيه دلوه بين الدلاء الناشدة التفاهم واصلاح ذات البين بين الفئتين الاختين وتوحيدهما .

اما لغة هذا الكتاب فغربية صحيحة لا بأس بها ، لا تكلف في عبارتها ولا خطأ او غريب في اعرابها وتلك خير طريقة في كتابة الكتب المعدة ان يفهمها العالم وغير العالم .

عبدالله رعد

شعراء الجزائر في العصر الحاضر

«جزءه الأول في نحو ٢٠٠ صفحة وقد طبع في المطبعة التونسية»
[سنة ١٩٢٦]

كنت وأنا أنصفح تراجم هؤلاء الشعراء وأقرأ نظمهم وثرهم أشعربا مريين قد هزنا نفسي مسرةً واعتباطاً . الأمر الأول وحدة اللغة العربية الفصحى بيننا معشر المشارقة وبين اخواننا المغاربة فهم يكتبونها كما نكتبها ويتذقون بلاغتها كما نتذوقها وبذلك تتوحد منازعنا ومشاربنا وهذه مزية القرآن وهو العروة الوثقى التي تضم إليها ما تفرق من اطراف الاقطار الاسلامية . والأمر الثاني ما نراه من اللهجة الحادة في مخاطبة الطامعين ومقارعة المتغلبين مما يدل على ان اليقظة أصبحت فيهم تامة كما هي في الاقطار المشرقية وانهم اخذوا يفهمون الحياتين الاجتماعية والسياسية ويوفقون بينهما وبين ما يابأ مربيه القرآن وتطليه تعاليم الاسلام . وهؤلاء الشعراء والكتاب في بلاد المغرب كافة بعد ان كانوا يعدون بالآحاد أصبحوا يعدون بالعشرات بل والمئات . والكتاب يتضمن ترجمة نحو (١٢) شاعرا واديبا وقد زين برسومهم واودع الكثير الطيب من اشعارهم وعلق عليها ناشره الفاضل البسيد . [محمد الهادي الزاهري] تعاليق لغوية توضح المبهم وتزيل الغموض الخفي المشكل . «المغربي».

الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير

لا نرى إلحاح المبشرين في تبشيرهم الاسباب في نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها الى وجوب العمل على إصلاح تقاليدها وعاداتها وأخلاقها . وكنا نظن ان شمالي [إفريقية] هو أبعد الاقطار عن هذه النهضة او اليقظة — واذا الأمر على العكس واذا في تونس والجزائر بل والمغرب الأقصى نهضة ويقظة تحتذي مثال النهضة المصرية وتمشي على اثرها في مقاومة التبشير والمبشرين من ذلك مقالات بقلم الاستاذ محمد السعيد الزاهري الجزائري — كان نشرها أولاً في صحيفة [الفتح] وقد عاد اليوم فجردها في كتيب صغير .

« له »

تهذيب الاخلاق .

« والتعليم الاجتماعي الوطني »

كتاب مدرسي بهذا العنوان ألفه [الخوري انطون عيين] وقد راعى فيه برنامج المعارف اللبنانية وضمه المباحث الاخلاقية والاجتماعية التي لا يسع الفتيان جهلها ولا طبع نفوسهم بطابعها . فواجبات الانسان إزاء خالقه . وصحة بدنه . وتوفير ماله . وإدارة منزله . وتربية اولاده — ثم موقفه إزاء المدرسة والمجتمع والدولة والوطن وسائر الأمور — كل ذلك مما تضمنه الكتاب . وأتى عليه مؤلفه ايضاحاً وشرحاً بالاسلوب اللين . والتعبير الهين . مقسماً الى دروس متقاودة . وابحاث متناسقة متناسبة .

« له »

هدية كتب الى المجمع

- اهدى الى مكتبة مجمعنا السيد محمد بن محمد زبارة الحسني امير قصر صنعاء اليمن ونزيل القاهرة — طائفة من كتب العلم المفيدة ننشر اسماءها فيما يلي شاكرين له هديته :
- ١ — الجزآن الاول والثاني من تفسير الشوكاني المسمى [الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير] . والشوكاني اكبر عالم قام في اليمن بل في العالم الاسلامي في القرن الماضي وقد زاحم المجتهدين الاولين في فهم اسرار الدين وبكفي ان نقول هو صاحب (نيل الاوطار) وقد توفي في صنعاء سنة ١٢٥٠ هـ والكتاب طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .
 - ٢ — الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير تأليف القاضي الحافظ شرف الدين الحسن بن احمد السياغي الصنعاني المتوفى سنة ١٢٢١ هـ وهو اربعة اجزاء كبار طبعت في مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .
 - ٣ — نعمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير للسيد الحافظ العباسي بن احمد الصنعاني وهو من المعاصرين الاحياء . والتتمة في مجلد يبلغ نحو ٣٥٠ صفحة .
 - ٤ — رسالة تتضمن ماقاله أجلاء العلماء في الديار المصرية وغيرها في تقريب كتاب (الروض النضير) المذكور .
 - ٥ — كتاب (تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين) تأليف الامام الشوكاني المذكور وقد طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي .
 - ٦ — ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان تأليف السيد محمد بن ابراهيم الوزير الحسني الصنعاني مؤلف (لا يثار الحق على الخلق) المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ طبع في مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر في نحو ٢٠٠ صفحة والكتاب يرمي الى لزوم الاكتفاء بالقرآن عن الفلسفة اليونانية التي اولع بها علماء الاسلام وبعض فرقه كالمعتزلة وغيرهم .
 - ٧ — البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع تأليف السيد محمد الوزير المذكور طبع في المطبعة السلفية في نحو ٧٠ صفحة .
 - ٨ — مجموعة الرسائل اليمنية : خمسة منها في مجلد واحد :

- (١) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين تأليف الامام يحيى بن حمزة الحنفي .
- (٢) العقد التمين في إتيان وصاية امير المؤمنين تأليف الامام التوكانفي .
- (٣) العنصرة عن الصلوات : عقيدة السيد الحسن بن احمد الجلال اليعني .
- (٤) فيض التعان الكشاف للقناع عن اركان الابتداء تأليف السيد الحسن المذكور .
- (٥) قرة العين في الجمع بين الصلاتين تأليف الفقيه حامد بن حسن ساكر الصنعاني .
- وكل هذه الرسائل طبعت في (ادارة الطباعة المنيرة) لصاحبها محمد منير الدمشقي والرسالة السادسة طبعت على حدة وهي [الوجه الحسن المذهب للحزن لمن طلب السنة ومتى على السنن] تأليف اسحق بن يوسف بن الامام المتوكل على الله اسماعيل المتوفى بصنعاء سنة ١١٧٣ هـ طبعت في مطبعة الجمل بجوار الازهر .
- ٩ — بهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال تأليف شيخ الاسلام محمد بن يحيى بهران اليعني الصعدي توفي سنة ٩٥٧ هـ طبعت في مطبعة الجمل ايضاً .
- ١٠ — نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر^(١) .
- « المغربي »

—((؟*))—



الطبعة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في شهر

آذار - نيسان

١٩٣٢

دمشق

المجمع العلمي العربي

— (١٣٣٩) —

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

٣٠٠ // السادسة الى الحادية عشرة //

في الخارج ٦٠٠ // الاولى الى الخامسة //

٣٥٠ // السادسة الى الحادية عشرة //

الف ليلة وليلة تاريخ حياتها^(١)

« المحاضرة الاولى »



يخطو الدهر دائباً في وناك وكبرياك وصمت ، فيعفو الاثر . ويفري الحجر . ويبري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، الا شيئاً واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويمكن كمن السر في دخيلته وإضماره ، أريد به ذكريات الصبي ، واحلام الحداثة ، فهي باقية والجسم يتخونه البرلى ، ثابتة والعيش تزعره الاحداث ، ناضرة والمنى يصوتحها اليأس ، متسرقة والنفس يغشاها من ألهم ظلام ومحب ، فمن منكم يأسادة لا يذكر اول بيت أبصر فيه الوجود ، واول ملعب عرف فيه الرفيق ، واول مكتب رأى فيه المعلم ، واول موعد لاقى فيه الحبيب ؟ ومن منكم لا يذكر ساعات السمر اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدّة الحنون . او الأم الرؤم . او الظئر الحانية ، فينصتون في سكوت وشوق الى ماتقصه عليهم من روائع الأسرار . وبدائع الأقاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب ان يحدر الأعصاب الطفلية الرقيقة ، فتغفر تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الاقاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سحراً ، ولعواطفنا المشوبة سكرًا ،

(١) محاضرة للعلامة السيد احمد حسن الزيات عضو المجمع العلمي العربي ألقى في

في ردهة المحاضرات في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢ .

ولعلوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الاحلام والاماني تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتنقلت من عهد الى عهد ، ومن مهد الى مهد ، ومن بلد الى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقية العالية ، وعطور الازمن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر لوجود الانسان ، لانها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية . ولا تتحدد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الاساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها الى بلاد الفرس ، ثم رحلت الى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتنسم بسننات العقيدة .

وأما أبطال الدين ووجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ توب الخلود ، فقد كن لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بملازمة الاسفار وملازمة الغير ، فتحدث الناس اولاً بما فعلوا ثم سرّجوا حول أسمائهم وأنبأهم الاكاذيب والاعاجيب حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم : كدعد ويلي في الشعر والجن نواس وجحا في التنادر .

أما أكثر الأبطال فمن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للثلث الاعلى ، او القدر العايب او الجد العاثر ، او السلطان الجائر ، او الهوى المتسلط ، او الامل الآسي ، او الحظ السعيد .

وعلى ذكر الطفولة ومناغيات الامومة أراكم ولارب تركتموني أنكم وعدتم بالذاكرة الى تلك العهود الحبية تخيلون سحرها ، وتستعيدون ذكرها ، وتصيغون الى ذلك الصوت الحنون ، ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب او البعيد ، مردداً أسماء اولئك الأبطال الذين طالما اكتبتم لا كتبتم لصاحبهم ، وتألمتم لصاحبهم ، وشاركتهم بالعطف في نعماء الحب ، وبأساء الحرب ، ولأواء الخطب : من أمثال حسن البصري ، ونور الدين المصري ، والشاطر محمد ، والشاطر حسن ، الى آخر ما سجلته الذاكرة ...

انا كذلك يا سادتي ذكرت حين كتبت هذه السطور — هاتيك القبور التي ضمت هواي . ورفقة صباي ، ونوعاً من الحنان والاخلاص لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبعه . . . ثم ذكرت شيئاً آخر : ذكرت مجلي من مجالي الأُنس في القاهرة كان جمعة القلوب ،

وألفة النفوس ، ومستجم الخواطر ، فعصفت به روح المدنية الحديثة ، ذلك منظر المحدث
 او القصاص او الماسر او الشاعر في مقهى الحي وهو في حلقه الشرقية المنوَّفة الضافية ، فوق
 صفته الخشبية البالية العالية ، وقد تجمع بين يديه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، أوزاع العامة ،
 وشيوخ المحلة يستجمون من كلال العمل اليوتي برشف القهوة العريضة ، وتدخين النرجيلة
 العجيبة ، وتبادل العواطف الاخوية ، ثم الاصفاء المشترك الي (ابي درويش) وهو يقص
 بصوته العريض المتشد ، وجرسه الهادي المتزن — حروب (عنتره) او وقائع (ابي زيد)
 او مخاطر (ابن ذي بزن) فينقلهم بقوة تمثيله او يحسن ترتيبه ، على جناح الخيال — الى عصور
 هؤلاء الابطال ، فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفتك السحر وبطش المردة . ثم يرى
 الخبيث أن ثورة الحماسة او الشوق قد طغت في النفوس لوقوع البطل في أسر او شدة ، فيسكت
 ليجمع النقاط من السمار والنظار . فلا يجد هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليكمل هو الي إطلاق
 البطل من أساره ، وإيقاظ الجمهور من شدة قلقه وسمارة انتظاره

وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب ، والصمت
 العالم ، والمظر الكئيب — قد خفقت فوقها الرايات ، وأشرقت في جوها الثريات ،
 وتلاأت في سمائها المصابيح ، وأخذت زخرفها بالسامرين ، وقد جلسوا متقابلين على
 الدكك العالية بطوف عليهم غلمان باكواب من ذوب السكر المعطر بماء الورد ، وصاحبنا
 المحدث قد خرج الى القوم يتهادى في عمته المكورة وجبته المعصرة وقفطانه الانيق الاصفر .
 وقد تدلت من حزامه الحريري ذلاذل تنوس علي بطنه المنتفخ الضخم . فاذا استوى على
 عرشه المنجد — توهج البخور من جانب وتضوعت العطور من جانب تم خشتت الاصوات
 ورنت اليه العيون وأنشأ يحدث . فاذا بدا لاحد ان يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا
 المهرجان عجب اولاً من انه لا يعرفه ، ثم أجابه بلهجة البخور المزهو : هذه ليلة زفاف عبلة
 الي عنتره . . . فاذا كانت القصة قصة بني هلال — وجدتم هذا الهوى الجميع قد استمال
 الي عصبية شنيعة . ورأيتهم إخوان الامس قد أصبحوا أعداء اليوم : فطائفة تتعصب لبني
 هلال . وطائفة تتعصب لبني زناتة . وهؤلاء يريدون الشاعر على ان يقص واقعة . واولئك
 يسألونه ان يقص اخرى ، والشاعر لا يجيب الا من يجزل له العطاء . فاذا رجحت كفة
 وشالت كفة أخذ يروي من ذاكرته وغيبه — على هوى الفئة الغالبة مالم يسجله تاريخ . ولم

بدونه كتاب . فيزور الغرائب ، ويخلق الوقائع ، ويقمش مما خزنه في حافظته من مختلف الاسمار ورقائق الاشعار ليحرك منها للبطل رحلة تهز العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الغيرة في صدور خصومه ، فإما نفحة أخرى تميل به الى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الجزبين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذي صورته لكم هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينام النهار ويجلس الليل يحدث اربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكك اللبق الحافظ الواعظ — هو الاثر التاريخي والمودج الحقيقي ، لذلك القصص البارع الذي خاف لنا كتابنا العالمي الحالد (الف ليلة وليلة) .

يرجع تاريخ هذا القصص ياسادة الى صدر الإسلام ، والفضلي في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما تعلمون على مجملات من أخبار القرون الخالصة والنذر الاولى ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها — من أسلم من أهل الكتاب كقيم الداري ووهب بن منبه . وكعب الاحبار وعبدالله بن سلام : فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون الى الناس في المساجد ، يفصلون ما في كتاب الله من قصص الانبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الانباء ، ابتغاءاً للعبارة ، والتماساً للموعظة ، ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصص فيه ، حتى طردهم امير المؤمنين علي من المساجد ، ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول وقوة أثره في توجيه الميول — فاتخذوه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتنال الاحاديت . واختلاق الافاصيص في الاغراض الحزبية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولد رجلاً علي القصص كأن اذا صلى الصبح يجلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا للخليفة وحزبه ، ودعا علي أهل خصومته وحزبه . وكان هو اذا انتقل من صلاة الشجر جلس الى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القصاص في بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء . فعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة (٧٧) أن عتاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال

ويقصُّ عليهم . ثم قال : أين القصص ؟ فلم يجبه أحد . فقال : أين من يروي شعر عنتره ؟ فلم يجبه أحد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً إلى جنب يتسهبان على الناس وجوه الرشد ، ويموتان على العقول صور الباطل ، والقصص كانوا في ذلك أئدً وطأة على الحق : لأنهم ينسبون ما يفترون إلى التاريخ أو إلى الدين . فلما هدأت نائرة الأحزاب ، وسكنت طائفة الفتن ، ونضجت العقول — عاد القصص إلى المسجد ، فوجد الواقع قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن إلى كذبه وبيتهانه . والحليفة قد استغنى عنه يرواته وندماله ، فانقلب إلى العامة . يسامرهم في أملائهم وأعراسهم بما أثر من أيام العرب ونقل من أساطير العجم ، وروي من أخبار الفتوح .

وانتشر القصص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرة من ظواهر اجتماعها ، وحاجة من حاجات عامتها ورعاها ، واشتدت هذه الحاجة حين انفجرت الدواهي على العالم الإسلامي في أواخر العصر العباسي وبعده : من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعسف المتغلبين من المغول ، وغزو المتعصبين من الفرنك ، فظلمهم العامة تفرجاً للكرب ، والخاصة تسجيماً على الحرب ، واكتهم كانوا في مصر أبرع صناعة ، وأتق بضاعة ، وأرفع مكانة ، لأن طبيعة إقليمها ، ونظام اجتماعها ، وطباع سكانها كانت تعين على ذلك : فهي قطر زراعي ملوم الرقعة ، متصل العمارة ، يجود بالخير الكثير ، على الجهد القليل ، فكان لذلك أهله قليلي الاسفار يؤمنون بكل خبر ، كثيري البطالة يميلون إلى اللهو والسمر ، وكانوا لا ينفكون بين يسرٍ متدفق طلق — إذا عم الفيضان ، وعدل السلطان ، واقتصد الموت وعسر متجهم كز — إذا فحش الغلاء ، وألح الوباء ، وبغى الحاكم . وعلى الحالين كان السامر أو المسامر عنصرين من عناصر الحياة ينضران بهجة العيش في الرخاء ، ويسرّيات كربة النفس في الشدة .

وكان أول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنتر التجيبي سنة ٣٨ تولاه مع القضاء ثم أفرد به ، ثم تعاقبت القصص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداءً للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وحمية . وترون ذلك أخيراً ظهوراً في عهد الفاطميين . فقد كان (يعقوب

ابن كلاس) وزير المعز يعتمد على المناظرات في نشر رفقته الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لاهل البيت . وكان مقتل الامام (علي) ومأساة الامام (الحسين) موضوع المنايز والسوامر في شهري رمضان والمحرم .

وقيل ان ربة حدثت في قصر (العزير بالله) فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية فطلب الى شيخ القصص يومئذ [يوسف بن اسماعيل ^(١)] ان يلقي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنتره ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سمرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين الى اليوم وهي الياذة العرب لا ينازعها هذا الشرف الى الآن عمل فني آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة . ففي عهدي (المقتدر بالله العباسي) و (العزير بالله الفاطمي) كانت القصص الحكوميون والشعبيون يحشدون لوضع الاخبار ، ويتنافسون في جمع الاسمار ، من الوراقين والرحالين والعامة .

ولكن القصص في العراق كان من عمل الكتاب ، يصورون فيه أنبل عواطف الناس ، وأجمل مواقف الحياة ، ويلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء ، وسوامر الملوك ، فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها الى السليقة الغريبة المجولة على الأيجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضع (الجهشباري) و (ابن دنان) و (ابن العطار) في القرن الرابع من الأفاضل في الحب الطروب ، والترقب المسرف ، وما وضعه من قبلي هؤلاء (سهل بن هرون) و (علي بن داود) و (أبان بن عبد الحميد) من الاسمار في الامثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وما صنع من قبل هؤلاء (عيسى بن دأب) و (هشام الكاكي) و (الهيثم بن عدي) من الاخبار في الهوى البذري والسخاء العربي في الاسلام والجاهلية — كل أولئك موسوم بسمعة العقلية العربية الخالصة من خذف الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة .

(١) وقيل انه الشاعر الطبيب أبو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري . ومن قال بهذا الرأي الأستاذ كوسين يزيف قال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس .

أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصاصين والمسامرين ، يلتقونه من الكتب ، ويتلقفونه من الافواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصاص على قدر ما عندهم من القصص . فاذا ما انقطع احدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطعت به أسباب العيش ، فهم لذلك مضطرون الى تطويل الموضوع بالاستطراد ، وبسط الحوادث بالتزيد ، وحذب القلوب بالإغراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الادب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للادب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان (Roman) في اصطلاح الفرنك ، فان المعروف التائع من قبل — إنما كان المثل (Fable) والأقصوصة (Conte) والحكاية (nouvelle) وهذه الانواع قد توالد بعضها من بعض على نحو ما يرى الاستاذ (برونثير) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب (دارون) على الانواع الادبية ، فالأقصوصة نشأت من المثل ، والحكاية نشأت من الأقصوصة ، والقصة نشأت من الحكاية ، باتساع الخيال ، وفعل المبالغة ، وحكم الزمن . ولكن القصة العربية قد تأخر نشوءها الى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لان عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الاولى كانوا أعد بطيعةتهم ومعيشتهم عن هذه الامور ، ثم كانوا في عصور التحضر والاستقرار يؤثرن الخاصة باديهم فيضطرون في حضرة الملوك ان يراعوا أدب الحديث فلا يفرقون في الحادث حتى يجانب العقل ، ولا يسهبون في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسهون في القول حتى يصادم الخلق ، اما القصاص المصري فقد تهيأت له الانساب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الاوزاع والعامه فلم بتقيد معهم بقوانين الخلق ، ولا بقضايا المنطق ولا بقائع التاريخ ، فهو بصطنع اللهجة الصريجة ، ويستعمل الالفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً الى الاغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً الى الحوادث العريضة ، ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق ، لانه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها ، فاستطاع بذلك ان يزور أغرب الحوادث ، ويجمع شتى الاحاديث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة ، وللعامه مصدر ثقافة .

كان القصاص المصري يعتمد في مادته على ما يصدر عن بغداد من الاقاصيص الموضوعة

والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، تم بصيف الى ذلك ماتنوقل سيف مصر وما يجمع من الاخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدونون ما راوا من الاعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضلان وبزرك بن شهر يار مثلاً ، اذ يتحدثون بها الناس كأن يقولوا لهم ما حكاه ابن خرداذبة من ان في بعض الامم رجالاً عراض الوحوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامته أطولهم على اربعة أمتار ، وفي جلودهم تقط حمر وصفر وبيض ، وإن فيهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه كراس الكلب ، وجسمه كجسم الثور او الاسد ، وما جاء في كتاب (المستطرف) من ان في (البلفار) من طوله اكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه ، كما تأخذ الطفل الصغير ، ويكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطمع هذه الاشياء ، وانما رأوا صورها علي الأتار التي خلفها البابليون والفراعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كانت القصص يتناول هذه الاخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستطارد الى حوادث شتى ، لا يصلها بحياة البطل الا صلة واهية . انظروا مثلاً كيف صنع قصة (عنترة) : بناها على حادثة أصلية صحيحة : هي (حرب داحس والغبراء) التي شبت لظاها بين عبس وذيان قبيل الاسلام . ثم دارت رحاها على قطب من أقطابها وهو (عنترة بن شداد) العبسي ، فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ، ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وحمه وكرمه ، وما اتصل بذلك من عادات البدو ، كالضيافة والحماسة والإجارة والشعر والعز والسلب والثأر ، ولكن حروب عبس وذيان معاهول فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلاً ، ولا تدر عليه من المال كثيراً ، فهو يوقع الحصومة بين عنترة وبين فرسان العرب فيقابلهم ويقاتلهم ويسمهم جميعاً بالنكول والعجز . والقصص في انشاء ذلك بنقلنا في السهول والادوية ، ونقلنا بين المضارب والاخبية ، حتى جلا لنا من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تمثل في خواطرهم من طريق التاريخ المقتضب المفكك الا بعد جهد . ثم يرى مع ذلك ان الشوق شديد ، وان الامد الذي يريده بعيد ، فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدم به الى مصر بلد القصص فيقود عنترة بها حروباً ، ويهلك شعوباً ، ويبتني حصوناً لا تزال العامة تعرفها الى اليوم باسمه ، ثم يذهب الى القسطنطينية ويواجه من امرأة رومية . حتى اذا

ظفرت المتنون اخيراً بالشجاعة الخارقة عاد ابنه من (بيزنطة) الى الحجاز فطالب بعرش ابيه وحارب معاديه ومغتصبيه ، والميتة التي اختارها القصاص لعنتره تدل على قدرة فنية عجيبة ، وكان (لامرتين) لا ينفك بها مهيّبا ، ومنها طروبا ، فقد ذكر أن (الاسندالهيص) احد خصوم (عنتره) المقهورين الموتورين رماه غيلةً بسهم صريش مسموم ، فلما احس البطل فعال الموت في جسمه الوثيق خشي على قومه من بعده شرّ الهزيمة وعار الفشل ، فوقف حبال العدو الثائر ممطّياً جواده ، متكئاً على رمح ، وأمر جيشه بالتقهقر والنجاة ، فارتد الجيش وبقي هو واقفاً يعالج سكرات الموت ، والعدو متحفز للهجوم ، ولكنه لا يجرؤ عليه خوفاً من عنتره حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر قد بلغ مأمنه ، فلما طال وقوفه ، وجاوز الحد سكونه ، ارتاب الجيش المهاجم ، فدبر الحيلة لكشف الامر فأرسلوا الى جواده حجراً تهيج به ، فلم يصكده برأها الفرس حتى وثب وتبته خرواً لما فارسه على الارض صريعاً .

والغالب فيما أظن ان القصص الماهر قد اخذ هذا الختام البارع من مصرع (سليمان بن داود) أمام عماله السحريين من الجن ، وقد أجملته البلاغة المعجزة في هذه الآية الكريمة « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة في عصر كان وادي النيل فيه منيع الحوزة ، باهر الجلالة ، صافي المورد ، لا يكدره والغ ولا واخل : فكان استقلاله يلهم العزة ، وعرويته توحى الشهامة . فلما هبت الاعاصير الهوج بالبربرية الجامحة ، فأطفت منائر بغداد ، وزعزعت عرش الخلافة ، وعبثت الهجمة الجاهلة بترات العرب : من علم وادب ، وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على التام ومصر ، نلج الهلال الآفل ، وتنهش المجد الطريد — رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً عجيباً . ورأينا القصاص قد اتسع خياله ، بقدر ماضى علمه ، فهو يخلق بلاداً لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد في العمل على الجن والسحر والخوارق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة — ظهرت في مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة غفلاً من أسماء مؤلفيها : لان القصص المحترفين وانما كتبوها لانفسهم فيما أرجح

ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة ، فُنُشرت على شكلها ، دون اسم ولا وصف ولا تعريف .

وأشهر قصص هذا الدور سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الهمة ، وفيروز شاه ، فأما أنها كتبت في هذي العهود فذلك واضح لادنى نظر من لغتها وأسلوبها وماتدور عليه من عادات واعتقادات وصور ، وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن وقائعها ، واسماء اشخاصها ، فأبطلها جميعاً عاشوا بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموهم اليها . . .

فالمهلل بن ربيعة كان الوجه البحري ميدان حروبه ، وسيف بن ذي يزن هو الذي أجرى النيل من جبال القمر بكتابه السحري الذي دفنه في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذي خطط مدن مصر ، فالجيزة اسم من أسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمهور الوحش قائدان من قواده ، والنيل تفرع الى فرعي رشيد ودمياط : لان الملك (سيفاً) وهو قادم به من السودان وقف بقائل الكفار الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه ، ولكن الماء وراءه قد عب عبابه وطفعت أواذيه فاندفق تطر منه الى الشمال . واتجه الملك بالشطر الآخر الى اليمين .

ومدينة (سمند) أصلها سماء نود لان الحكيم (نودا) صاحبها قد عقد عليها سماء بالسحر توقعاً لغارات الملك سيف وهو ذاهب بالنيل الى مصبه . ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم ، وقال ان قبره هو الذي يعرف الآن بالجيوشي .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فان العواطف الدينية والحماسة القومية التي ألهمتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصص على ان يتملق هذه العواطف ويغذيها بما يلفق من الاشعار والاخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر .

فسيف بن ذي يزن كان حنيفاً مسلماً يقتحم المعادل والأرصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلتها ، وهو يقول : « لا اله الا الله إبراهيم خليل الله » . وكذلك سائر الابطال في سائر القصص ، الا انهم كانوا بعد الاسلام لاقبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر للهجرة كانت حكم المماليك بفساده ، وحكم الاتراك باستبداده ، قد أتيا على ما بقي من اركان الاجتماع ، وحللا أواصر الاخلاق والعباع ،

ومني الناس بالحاج الأوباء ، وشراة الجبابة والرؤساء ، واستشعرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر ، فأخذوا الى التصوف او الى المحجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والافيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالسطارة والحيلة ، وتقاتلوا على حطام الحياة بالخدعة والغيلة ، وحال نظام الفتوة في مصر الى مناسر من اللصوص والعيارين ، يقطعون متون السبل ، ويعشون بالامن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ، ويجلونهم إجلال الزعماء ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالإعجاب والمبالغة فظهر حينئذ ذلك القصص الوضع الذي يمثل هذه الحال بمقارنتها وسفالتها ، ويصور تلك البيئة بخرافاتا وجهاليتها ، كالقصص الذي يدور على (علي الزبيق) و (احمد الدنف) و (حسن شومان) و (دليمة المحالة) او (دالة المحالة) كما يسميها (المسعودي) . وأصبح أسلوب القصص في هذا الدور دائر آبين الجهالة والفتنة . فهو يستعمل في قصصه لغة مبتذلة وتراكيب قاحلة وجملًا مخفوظة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة . ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السهر والسمر قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب الباطالة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشعوذة والسحر والتقدم . فتكدسوا في السوامر حول القصص وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الاساطير والاسمار . فهبوا يدونونها كادونت تلك السير من قبل . فكان عمادون في تلك الحقبة الغريبة كتابنا وموضوع محاضرتنا (الف ليلة وليلة) .

(الف ليلة وليلة) يأسادة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته ، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب . قد لقي من جنوة الخاصة وترفع العلية أذى طويلا ، أغفله الادب فلم يتحدث عنه . واحتقره الادباء فلم يبحثوا فيه ، وراه (محمد بن اسحق المعروف بابن النديم) فقال إنه غث بآراء ، لانه نظرا ليه نظره الى الادب الارستقراطي الذي يصور ترف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث تغلب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية أصحاب المذهب الايداعي (الرومانتيكيين) في الغرب بحياة السوق والدماء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهب جرود الاشتعمار وعشاق الآثار ينقبون عن (فولكلور^(١)) الشرق . اخذوا دباؤنا بحكم

(١) فولكلور (Folklore) كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي — مجموع التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأمة من الأمم .

التقليد والعدوى — يعطفون على أدب السواد ٤ فدوّنوا اللغة العامية ٤ وجمعوا الأغاني الشعبية ٤ ونظروا بعض النظر في فن القصص ٤ وسمعوا في رجفة من الدهش — الى قول — الاوربيين : ان في أدبنا الموروث كنزاً دفيناً — من هذا النوع له في أدبهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بدياً الى هذا القول بثقة . واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي ان يذكروا في الكتب ويوضع في المكتاب وينبه الناس الى فضله ٤ . وبينما العرب بانتاجه حتى رأينا بعيوننا انه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر الى كل لغة . وحلّ الموقع الاول من كل أدب ٤ وظفرباً عجائب النوايع من كل أمة . حتى قال (فولتير) انه لم يزاوّل فن القصص الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ٤ وتمنى القصص الفرنسي (استندال) ان يحو الله من ذاكرته (الف ليلة وليلة) حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين اخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في اصله ٤ وتكشف عن مناحي جماله وفضله ٤ . وان دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ٤ وخصته بالطريف الممتع من فصولها . وان الاستاذ (فكتور شوفان) أفرد له في كتابه (تاريخ المؤلفات العربية) جزءين سرد فيها مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته ٤ وجزءين آخرين خلص فيها طائفة كبيرة من حكاياته ٤ . وان الكتاب الروائيين قد استفادوا للسبب والمسرح فاستخرجوا للاول رواية (لص بغداد) والثاني (قسمت) او (القضاء والقدر) ٤ . وان رجال التربية والتعليم في فرنسا ، ألمانيا وانكلترا — قد اقتبسوا منه أدباً للاطفال فاختصروه وصوروه ٤ ولقيت انا منذ عامين في القاهرة مستشرقاً اسبانياً وآخر اميركياً قد أرسلت الاول طبعته . والثاني جميعته ٤ لينقبا في مدن الشرق عن مخطوطات (الف ليلة وليلة) .

حينئذ أخذت خاصتنا تقرأه وتسمعه ٤ ومطابعتنا الراقية تصححه وتطبعه ٤ وأدباؤنا المترفعون بشيرون اليه في تاريخ الادب . ولكنهم الى اليوم لم بدرسوه دراسة علمية تكشف عن لبابه ٤ وتستقطر النطف العذاب من عبابه ٤ وهو على الرغم من جميع ما فيه ٤ قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ٤ وصور بالاثوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ٤ ونسر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ٤ وأتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب الذي احتقر العامة . فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف

والاديب الباحث والكاتب القصصي — منهل ثرياينايي ، صافي الموردي . وهو — فضلاً عن ذلك — كان للشعب العربي في زمن انخلاله ، وضياح استقلاله ، وصعوبة اتصاله — قبس يبعث الحرارة في النفوس الخاملة ، وذكرى تلوع القلوب أسمى علي المجداذهب ، وصلة ثقافية تجمع المنازع المتفرقة على الوحدة .

يكاد يكون (الف ليلة وليلة) علماً ثانياً على بغداد ، بل ربما كان أدلّ عليها اليوم في نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع في الحضارة ، ومكانها البارز في التاريخ : ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر ، وفيضان النهر حتى محوها . أما في هذا الكتاب فلا يزال سناها باهياً لم يخب ، وصداها داوياً لم ينقطع ، فو الحضارة العربية في (بغداد) متحف زاخر بالاعاجيب ، دونه مآل الحضارة الفرعونية في مصر من معابد ومقابر وكنوز ، لانه يسير في البلاد وهي ثابتة ، ويتحدث الي جميع الشعوب وهي صامته ، حتى أصبح لفظ (بغداد) في جميع اللغات مرادفاً للعمرات الزاهرة ، والترف العجيب — واسم الرشيد رمزاً للعبدل الشامل والزمن الخصب . ذكر احد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخي فقال : كان ذلك في العصر الذهبي إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد .

ذلك بعض فضل الكتاب على (بغداد) . وقد ذكرت من قبل أنه لم يؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه احد من بنيها ، وانما جمع في مجالس القصص في القاهرة ، ودون على هذا الشكل في القاهرة ، وطبع اول طبعة كاملة في مطبعة الحكومة بالقاهرة . ثم كان حظ القاهرة من كتاب (الف ليلة وليلة) ان صورها للناس مثابة للاحتيال والسطارة والشموعة والجهل بينما بصور (بغداد) مهبطاً للفضل ، وموطناً للنبل ، ومعدناً للكرم ، وعشاً للحب ومظهراً للترف ، حتى كان من جرأ ذلك ان اهل (بغداد) لا يزالون يقولون (عياق مصر وحياي مصر) ونحن ما زلنا نقول في القاهرة : تبغدد فلان اذا أظهر البغدة . وهي كلمة مشتقة من (بغداد) تدل على السرب والترف والبطر والنبل !

وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب ان القصاص المصري اذا يتحدث عن مصر — وهو منها وفيها — يتحدث عما يرى ، وعبر عما يسمع ، وقد علمنا في اي عهد من عهود الضعف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر . اما اذا تكلم عن بغداد فإِنما يتأثر بعوامل اربعة : يتأثر بما وضع من الاقاصيص الجميلة في بغداد — ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل

الاذهان عن عظمة بغداد وأبهة الخلافة — ويتأثر بما ركب الله في طباع الناس من
تقديس الماضي ، وتعظيم البعيد — ويتأثر بجهله أحداث التاريخ وتطور الامم ، فيأبى وهو
في القرن العاشر من الهجرة ان يعترف بموت (الرشيد) ، ومصرع (بغداد) ونكبة
المجد الأثيل .

اما بعد فاني أحاول الآن ياسادتي ان أكشف عن حقيقة (الف ليلة وليلة) بمقدار
ما تيسر لي المراجع في (بغداد) ، بعد ان توفرت على قراءته ودرامته في مختلف الطبقات ،
ووقفت على ما نشر عنه من الابحاث في بعض اللغات . وما أريد بالطبع ان أدفع السأم في
نفوسكم بذكر ما لا يحتمله المقام من التحليل المفصل ، وانما أجتزئ بذكر ما لا يسع الرجل
المثقف جهله من امر هذا الكتاب .

وهنا يدركنا المساء كما يدرك شهر زاد الصباح ، فترجي البقية الى الاسبوع المقبل
اذا تفضلتم بالسماح .

احمد حسن الزيات

الكلمات الايوبية

—(١)—

وأعني بها الكلمات التي تولدت في عهد الدولة الايوبية والدول التي خلفتها في مصر
والشام : كنتُ — وانا أنصفح الجزء الاخير (الثامن) من نهاية الارب لمؤلفه النويري
المصري — أعثر على كلمات جارية في لغة تخاطب المصريين في ذلك العهد . وهي كلمات
(عامية) — أو نكرمها فنسميها (مولدة) — مما لا يعرفه فصحاء العرب ولم يدونه أرباب
المعاجم . والذي جعلني أهتم بتلك الكلمات أنها مازالت الى اليوم شائعة على ألسنتنا وعائشة في
لغة تخاطبنا : فهي إذن قد عاشت نحو ثمانية قرون . وما يدرينا لعلها كانت حية قبل ذلك
التاريخ ايضاً .

والبحث في كلمات اللغة من حيث نشوءها وتطورها ومرور الازمنة المختلطة عليها — هو
فن او منحنى حديث من مناحي المباحث اللغوية التي يعنى بها علماء اللغات الراقية ويضعون فيها
المصنفات النفيسة . وما زال هذا الفن — أو الابتكار في البحث اللغوي — مجهولاً لدينا معشر
العرب ، بيد أن الانتباه اليه ، والفكرة فيه قد أخذت تنمو . وسيأتي زمن يكون فيه
لكلمات لغتنا (ولا سيما غير القاموسية منها) تاريخ ومؤرخون ومصنفات . واخشى ان يسبقنا
الى هذا الضرب من خدمة لغتنا العربية اولئك المستشرقون الفضلاء كما فعل المستشرق
الكبير (دوزي) مذ جمع الكلمات التي أهملها أرباب المعاجم العربية وأودعها كتاباً ضخماً
ذا جزئين .

وهذه الكلمات التي سنسردها في مقالنا هذا من جملة الكلمات التي تولدت بل الأجدد
ان نقول من جملة الكلمات التي كانت شائعة الاستعمال في عهد الايوبيين وخلفائهم كما كانت
شائعة كذلك في الاقطار التي حكموها وخاصة القطرين المصري والشامي .

وكما دعونا الكلمات التي كانت شائعة في عهد الخلفاء العباسيين — (الكلمات العباسية) —
 يحسن ان نسمي الكلمات التي كانت شائعة في عهد الايوبيين الى زماننا هذا — (الكلمات
 الايوبية) — والكلمات التي تولدت في عهد اختلاط الافرنج الصليبيين والسوريين —
 (الكلمات الصليبية) وستأتي الاشارة في مقالنا هذا الى كلمة من تلك (الكلمات الصليبية) .
 ولانعلم ان كانت بعض تلك (الكلمات الايوبية) مما ورثه الايوبيون من العباسيين او لم
 يرثوه منهم بل تولد في زمنهم هم . لكننا نعلم بيقين ان كثيراً من تلك الكلمات قد ورثه العهد
 التركي العثماني من المماليك التي سبقتها ثم انتشر في عهد سيطرة العثمانيين على مصر والشام .
 وما زال شائعاً بيننا الى هذه الايام .

فأول تلك الكلمات الايوبية كلمة (ديوان) على ان كلمة (ديوان) مما ورثه الايوبيون من
 قبلهم كما ورثوها من بعدهم او يقال ان كلمة (ديوان) هي حجرة الزاوية في البنائين بناء (الكلمات
 المعربة) في الاسلام وبناء (الكلمات الادارية) في الاسلام . أليس أول من استعملها
 عمر بن الخطاب ؟ وذكر بعضهم ان معنى (الديوان) كن موجوداً قبل ان يعرب لفظه : إذ
 انه (اي المعنى) وجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى (حذيفة) رضي الله عنه ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اكتبوا لي من تلةظ بالاسلام من الناس - فكتبنا له ألفاً
 وخمسمائة رجل) . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انني اكتب
 في غزوة كذا وامراًتي حاجة . قال ارجع فاجمع مع امرأتك) . فيفهم من هذين الحديثين
 ان الاحصاء و(قيد النفوس) او (نفوس العزاة خاصة) نشأ في عهده صلى الله عليه وسلم .
 أما تسمية ذلك بالديوان فكان في عهد عمر :

ذلك انه بمقتضى وعنده الهرمزات الفارسي فقال لعمر : هذا بعث قد أعطيت أهله
 الأموال فان تخلف رجل منهم وأخل بمكانه (اي ترك المكان او العمل الذي وكله اليه
 أميره) فمن أين يعلم صاحبك (أي أميرك الذي وليته ذلك الجيش) فأثبت لهم ديواناً . فسأله
 عمر عن (الديوان) ففسره له فكلمة (ديوان) أم الكلمات الادارية الدخيلة .

وكان (الديوان) ديوانين : ديواناً بالتمام : لغته الرومية ، وديواناً في العراق : لغته
 الفارسية . ثم تحولت الى اللغة العربية . ويحكى في سبب تحول ديوان الشام الى العربية أن

بعض كتاب الروم في الديوان السامي أراد ماء لدواته فبال بالنواة . فبلغ الخليفة سبب
الملك بن مروان خبره فأدبه و كان ذلك من جملة الاسباب في تحويل الديوان من الرومية
الى العربية .

ومن الكلمات الايوبية الادارية كلمة (المجلس) بمعناها الاداري المتعارف اليوم وكلمة
(كتابة الانتاء) و (كتاب الانتاء) و (كتابة الحساب) و (كتاب الحساب) ونسبها
اليوم المحاسبة و (كتابة التصرف) و (كتاب التصرف) و كانوا يريدون (بالنصرف)
ما نريده اليوم بالاعمال الداخلية او الاعمال الادارية مما يقابل الاعمال المالية والعسكرية . ومن
كلمة (التصرف) هذه جاءت كلمة (المتصرف) و (المتصرفية) عند الاتراك العثمانيين . وكلمة
(الخزانة) ويريدون بها مستودع الامتعة والثياب والتقادوم والخلع وشاعت لدى الاتراك
العثمانيين باسم (خزينة) و (خزنة) لكنهم يريدون بهما مستودع النقود والاوراق المالية .
وكلمة (جامعية) بمعنى الراتب والاجر . و (العوائد المقررة) وهي صلات وهدايا تخص بها
الحكومة بعض ذوي المنزلة في الدين أو الشرف أو العلم . وكلمات (الناظر) و (النائب)
و (المباشر) . وفي غزوة اليوم أسرة تسمى بالمباشر وهي من أصل مصري . وما زالت كلمة
(مباشر) تطلق في محاكمنا الشرعية على الذي يجلب الخصوم أو يبلغ اوراق المحكمة (الدعوتية)
ويسمى (المخضر) ايضاً . وكلمات (الرتب) و (المناصب) و (أرباب المناصب) ويريدون بها
ما نريده بها اليوم . وكذلك (التسريف) و (التشاريف) بمعنى الرتب الرسمية وهي شائعة في
الدولة المصرية اليوم بمقابل كلمة (الرتب) الشائعة عندنا . وكلمة (المرسوم) و (المنشور الشريف)
وجمعها (المناشير) وهو ما يتضمن الاوامر السلطانية الصادرة بالتعيينات الادارية او القضائية
او العلمية وترادفها في الدولة العثمانية كلمة (فرمان) وهي كلمة فارسية . وكلمة (دستور) ولها
معان عرفها العرب الاقدمون ثم شاعت في الدول الاسلامية الاعجمية بمعنى (الاذن)
وبمعنى (الوزير) وبمعنى (الكتاب) يتضمن قوانين الدولة ونظمها وأوامرها . وكلمة
(كشف) بمعنى تقرير أو بيان ينظمه الموظف ويفصل فيه أعمالاً قام بها او حسابات أجراها .
ومثل (الكشف) كلمة (عرض) يودعه رئيس الديوان تفصيلاً لاستعراض الجند وقيود
رواتبهم . وكلمة (تحرير) بمعنى الكتابة و (ضبط) تقييد الشيء و كتابته و (جريدة)
و (جرائد) للسجلات والدفاتر التي تقييد فيها المعاملات الحكومية . وغلبت اليوم على دفاتر

فيود المحكمة الشرعية . وكلمة (شطب) كانوا يريدون بها نقل [المعاملة] او [القيد] من دفتر الى دفتر . ولا بد أنهم يمدون خطأ بالخبر على المعاملة الاولى إشارة الى إهمالها وعدم الاعتداد بها وبهذا المعنى « معنى إمرار الخط على السطر وإفساده » نستعملها نحن اليوم مذ نقول [استطب] و [شطب] وفي اللغة الفصحى [ارمح] و [رمح] يقال رمح الكاتب ما كتبه إذا أفسد سطوره بعد كتابتها . وكلمة [جندية] بمعنى العسكرية والتجند و [أجناد الحلقة] الحلقة في اللغة العربية بمعنى السلاح وقد استعملها الايوبيون وخلفاؤهم بمعنى الجنود بأسلحتهم يقامون في مواضع المخافة للحراسة والخفارة . ومثلها [المسلحة] و [المسالح] وهي مراكر الجنود بأسلحتها تعد للعرض المذكور . وما زال يوجد مكانان في الطريق بين بيرت و طرابلس التام على ساحل البحر أحدهما يسمى [ابو حلقة] على بعد كيلومترين او ثلاثة من طرابلس فيه عين ماء وكن في زمن الجراكسة المصرية مركزاً للجنود الخفراء - والمكان الآخر يسمى [المصليحة] بياء التصغير محرف عن [مصيلحة] تصغير [مسلحة] اسم عقبة كسودود فيها بناء شبه قلعة صغيرة كانت تقيم فيها الجنود للخفارة وحفظ القوافل والمسافرين .

وكلمة [استدعاء] والاستدعاء في اللغة بمعنى الطلب تم صار يطلق على كتاب التكموى الذي يرفعه المستدعي الى الحاكم طالباً انصافه او النظر في مظلمته او تسوية بعض مشاكله مما هو من وظيفة ذلك الحاكم الذي قدم اليه الاستدعاء . بمعنى كلمة [الاستدعاء] في الاصطلاح موافق لمعناها في أصل اللغة العربية وهو الطلب . على ان كلمة [طلب] نفسها ما زالت الى اليوم تستعمل في الحكومة المصرية بمعنى الاستدعاء أو نوع آخر من أوراق المعاملات الرسمية . فلاحاجة الى ان يقال ان كلمة [استدعاء] محرفة عن كلمة [استدعاء] بتقديم العين على الهمزة . ولعمري ان هذه الكلمة [استدعاء] أفصح وأدل على المعنى الاصطلاحي من أخذتها : ذلك ان معنى [استدعى] هو ان يتقدم المظلوم الى الحاكم ويستعديه على خصمه اي يطلب منه ان [يُعديه] ومعنى [يُعديه] يزيل عدوانه عنه ومعنى [العدوان] الظلم والتعدي . فهمزة [أعداه] هي للإزالة كالفهمزة في [أشكاه] القاضي اذا زال شكايته وأنصفه من خصمه . فالاستدعاء في اللغة هو طلب إزالة العدوان . فاذا كُتِبَ هذا الطلب في كتاب صح ان نسمي الكتاب [استدعاء] فيكون الفرق بين [الاستدعاء] و [الاستدعاء] ان [الاستدعاء] في اللغة يدل على مجرد الطلب . أما [الاستدعاء] بتقديم العين فيدل على طلب خاص وهو إزالة

العدوان عن المستعدي المظلوم . فالاستدعاء اصطلاح حسن . ولكن الاصطلاح على [الاستعداد] أحسن منه . على اننا يمكننا منذ الآن ان نخصص كلمة [الاستعداد] بتقديم العين لكتب الشكاوى التي ترفع الى قضاة العدل . وتبقى كلمة [الاستعداد] بتقديم الدال في كتب المصالح الاخرى التي ترفع الى سائر الحكام .

والمستودعات الاميرية كانت تسمى في عهد الدولة الايوبية [البيتوت السلطانية] وتختلف اسمائها باختلاف ما يجعل فيها : فهي [الشراب خاناه] و [الفراش خاناه] و [السلح خاناه] الخ وكان كلمة [خاناه] بمعنى البيت كانت تلفظ في التركية القديمة بالف مد بعد النون . اما في التركية العثمانية فاختلفت الى [خانه] فيقال [جيجانه] و [طوبجانه] . وكان لكل بيت مباشر هو المسؤول عما فيه . قال في [نهاية الارب] مبيناً وظيفة مباشر [الفراش خاناه] : « ويعرض ما يسلمه للفراشين عليهم . . . ويخبط ما يتسلمه الصناع الذين يفعلون الخيام الجديد وغيره من آلات [الفراش خاناه] من قماش يياض ومصبوغ وغزل وجلود ومشمعات الخ » .

ففي هذه العبارة عدة كلمات أيوبية : منها [الفراشون] وهم الذين يتولون أمر فرش قصور العظماء وغلبت اليوم في مصر على الذين يلتزمون تقديم آلات الضيافة من فرش وغيره في الولائم والمآتم . وكلمة [الخام] الظاهر انه أراد بها ما يراد بها في بعض بلاد الشام اليوم وهو ضرب من الثياب البيض غير خالصة البياض ولذا تسمى في دمشق [البطانة السمراء] وفي القاموس [الخام الجلد الذي لم يدبغ والكرباس الذي لم يغسل وهو فارسي معرب] فاستعماله اليوم في الثياب السمراء موافق لمعنى [الكرباس] لأن الكرباس الثوب الأبيض من القطن او الثوب الخشن . والخام من القطن ايضاً وهو خشن . وكذلك يطلق لفظ [الخام] اليوم في الفن أو الصناعة — على المواد الأولية قبل ان تتحول الى مصنوع كالصوف والقطن قبل نسجها والجلد قبل صنعه والمواد المعدنية قبل صهرها الخ . وهذا الاستعمال موافق لمعنى الخام في اللغة كما قال القاموس غير أن القاموس خصه بالجلد . وأهل الصناعة والاقتصاد اليوم تخطوا به الى كل مادة تُصنع : جلداً أو غيره . وكلمة [قماش] نريد بها اليوم ما كانوا يريدونه في العهد الأيوبي أعني الثياب المختلفة التي تلبس أو تفرش . وهو استعمال عامي إذ للقماش في اللغة معنى غير هذا . وقول المؤلف [قماش يياض] يوافق استعمالنا اليوم من

إطلاق [البياض] على الثياب البيض الرقاق التي تفصل أقمصه وسراويلات ويسمى هذا الضرب من القماش في دمشق [مادام] وفي القديس كان يسمى الكرباس ويجمع على الكرايس لكن الكرباس يكون فيه خشونة كما يفهم من كتب اللغة وكما يفهم من استعماله مذ يقولون [وكان فلان متفتفاً يلبس الكرايس] .

وكلمة [متفتفات] ايضاً مما استعمله اليوم ونريد به ثياباً تظلى بالشمع ويتقى بها المطر ويسمى المتشمع الذي يلبس لا تقاء المطر في اللغة العربية [مطراً] على وزان منبر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

[فأسرج لي الدماء واعجل بمطري ولا يعلم خلق من الناس مذهبي]
وكلمة [جندرة] ورد ذكرها في نهاية الارب مع تفصيل الثياب ورفوها وحشوها فلعلهم يريدون بها ما ذكره علماء اللغة مذ قالوا جندرة الثوب اذا أعادوشيه بعد ذهابه قال الجوهري وأظنه معرب . ونريد بجندرة الثوب اليوم تموجاً خاصاً في وشي الثوب او في صبغه وتلوينه .
و [آلة الحمام] يريدون بها ما زیده اليوم مما يستصحب المغتسلون في الحمامات من طشوت وطاسات .

وكلمة [طواشيه] مما استعملوه في العهد الايوي ويستعمل اليوم في ذلك المعنى ايضاً وكانوا في العهد الأموي يدعونهم [خصيان] .
وكلمة [بخش] بضم الباء يريدون بها [التقب] لكنها اليوم أصبحت عامية مبتذلة .
وكلمة [نذر] مراداً بها الشخص الواحد فيقولون كما نقول اليوم: اخذ القائد معه خمسين نفراً مثلاً اي خمسين نفساً . ولها معنى في اللغة غير هذا .

وكلمة [قلوب] ذكرها في نهاية الارب مع الأباير والتوابل ويريدون بها لب الفستق واللوز والبندق وتسمى في بعض بلاد الشام [قلوبات] أما اهل دمشق فيسمونها [مكة مرات] .
وكلمة [الأقسما] يذكرونها مع الفقاع [ضرب من الأشرطة] والفواكه والحلويات ولعلهم يريدون [بالأقسما] ما ذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال هو نقيع الزبيب وهو معرب [أبسما] . أما الاقسما في بعض بلاد الشام فيراد به نحو شراب التوت او اللينون محلي بالسكر ومبرداً بقطع الثلج التي تبقى جامدة تققع تحت الاسنان . وقد أخذت كلمة [الأقسما] ثبوتاً رويداً رويداً وتخلفها كلمة [ترببات] .

ويقولون [دسوت النحاس] الدسوت له عدة معانٍ في اللغة وليس منها معنى القدر الكبير كما هو الشائع على السنة العامة اليوم فهو إذن مولد زيرادفه [الخلقين] والخلقين كلمة يونانية . وكانوا يقولون [الركائيب] بتقديم الراء على الكاف ويريدون بها المغارف وهو لفظ شائع إلى اليوم في مصر لا في الشام لكنهم [أي أهل مصر] اليوم يلفظونه على أصله فيقولون [ركائيب] بتقديم الكاف جمع [كُرُوبه] وهي المغرفة . قال في مستدرك التاج إنها كلمة مصرية . فأنت ترى أن المصريين الأقدمين كانوا يلفظونها بحرفة مذ يقولون [ركائيب] لا [ركائيب] . وليس هذا بعجيب متهم : فإن أبناءهم اليوم يقولون في [أرانب] جمع أرنب [أنارب] بتقديم النون . وما زلت أذكر السيد أحمد بك الحسيني رحمه الله مذ قال لي أما يجب لحلم الأثارب ؟ فلم أفهم ذلك حتى فسر لي .

وكانوا يستعملون كلمة [الخصم] أي التزليل في الحساب كما تستعملها اليوم وكذا كلمة [وصول] . ويقول المصريون اليوم [إيصال] أما في الشام فما زالوا يقولون [وصول] و[وصل] . وقال في شفاء الغليل إنها مولدة عامية . ولقد نظرت بعض المولدين مذ قال : [أنفقت عمرى في هوائك وليتني . أعطى وضولاً بالذبي أنفقته] وكذلك يقولون [غلقى ما عليه من أجرة الضمان] أي أدى بقيته كما تقول اليوم وهو تعبير عامي . أما قولهم [عبر الشيء] أي وزنه ليعلم مقدار ثقله بالنسبة إلى موزون آخر — فهو فصيح لأنموذ . ومثله فعل [استعبر الشيء] وهو المستعمل في بلادنا اليوم لمعرفة الموزون أو المكيال . وكذلك كلمة [إردب] في الكيل المختص ما زالت مستعملة إلى اليوم . ومثلها [فدان] في المساحة .

وسألني بعض كبار المهندسين عن كلمة تقوم مقام (Precipis) الفرنسية مذ يقولون « مسح المهندس الأرض الفلانية فبلغت خمسين متراً بالضبط » فإن الكلمة الفرنسية لا يجوز لنا استعمالها لنجنتها وكلمة [بالضبط] لا بد لها . فقلت يمكنك أن تقول [بالتمام] أو [تماماً] . ثم اتفق أن رأيت صاحب [نهاية الأرب] يقول (ص ٢٤٤) في صدد معرفة عمر القلām الذي تؤخذ عنه الجزية « يُدار خيط على عنق الصبي مرتين تحريراً ثم يوضع طرف الخيط بين أسنانه وتُدخل أنشوطة في رأسه فإت دخلت دل ذلك على بلوغه وإلا فلا » فقوله [تحريراً] قد أراد به في غالب الظن ما نريدده نحن اليوم في قولنا [بالضبط] وما يقوله

الافرنسيون بقولهم (Précis) و (Precisement) فما علينا اليوم الا ان نحكي هذه الكلمة فنقول [فلان عمره ستون سنة تحريراً] و [زرت فلاناً في الساعة الثامنة والنصف تحريراً] و « فلان بلغت قصبات أرضه التي اشتراها الف قصبة تحريراً » الي غير ذلك .

ذكرنا كلمة [قصبات] ونحن على يقين ان معظم أهل الأقطار العربية لا يعرفون ما المراد منها لكننا نحن استعملناها في المعنى الذي يستعملها فيه الدماشقة اليوم والمصريون قديماً : فقد ذكر صاحب [نهاية الأرب] الفدّان وحدد مقداره فقال : « هو اربعمئة قصبة بالقصبة الحاكمية والقصبة الحاكمية ستة أذرع وثلاث أذراع بذراع القماش » . ولا يخفى ان ذراع القماش هو الذراع المستعمل اليوم في بلاد الشام ويسمى ايضاً الذراع الاسلامبولي . وفي دمشق مقدار من المساحة الارضية يعبرون عنه بالقصبة وهو ثمانية واربعون ونصف [مربع] بالذراع المذكور اي الذراع الاسلامبولي أو ذراع القماش فتكون النتيجة ان قصبة المساحة التي كان يسميها المصريون في العهد الايوبي بل والعهد الفاطمي [القصبة الحاكمية] نسبة الى [الحاكم بامر الله الفاطمي] — هذه القصبة هي المستعملة اليوم تقريباً في دمشق فيقولون [قصبة] ولكن لا ينعنونها بالحاكمية كما كان ينعنها المصريون الايوبيون . وقال القلقشندي في [صبح الأعشى] القصبة الحاكمية طولها ستة أذرع بالهاشمي وخمسة أذرع بالنجاري وثمانية أذرع بذراع اليد اه .

ورأيت في [نهاية الأرب] كلمةً عربت منذ ثمانية قرون ودخلت في لغة أجدادنا السوريين من لغة الافرنج الصليبيين وقد نبه اليها المؤلف نفسه فقال « وفي بعض الأعمال الشامية نواح مفصولة ومضمّنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل » ثم قال مفسراً كلمة [مفصولة] مانصه : [وكلمة « الفصل » بالتام كله كلمة افرنجية واستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارتجت من أيدي الافرنج جرياً على عادتهم اه] . وكأنه أراد بقوله [جرياً على عادتهم] ان أهل الشام في زمن الحروب الصليبية كانوا يعرفون كلمات الافرنج ويستعملون على استعمالها . وهل المصريون ياترى ما كانوا يفعلون ذلك ؟ وكلمة [فصل ومفصولة] استعملهما المؤلف النويري — كما رأى القاري — في صدد استئجار الارض الزراعية المثلثة . فلاحية من نواحي الشام تكون مفصولة أي ذات فصل بان تكون إقطاعاً بتصرف أمير من الامراء الاقطاعيين فيعتمد هذا الأمير على بعض اتباعه فيؤجره الناحية لقاء مبلغ

من المال — هذه الارض الاقطاعية المؤجرة على هذه المدة كُنْ يقول عنها أسلافنا أهل الشام انها أرض [مفعولة] وايجارها [فعل] . وقال المؤلف النويري ان الشاميين أخذوا هذه الكلمة من لغة الافرنج فكيف أخذوها؟ قال الاشتاذ احمد الزين مصحح كتاب [نهاية الارب] معلقاً على عبارة المؤلف مانصه : « لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الافرنسية Vassal [فصل] ومعناه التابع الذي أعطاه متبوعه انطاعاً نظير واجبات يؤديها كما في معجمات هذه اللغة فكأن أهل الشام اشتقوا من [فصل] لفظ [الفصل] وأرادوا به المعنى المصدري اي التبعية ثم حرفته ألسنتهم الى كلمة [الفصل] كما هنا حسب نطقهم العربي واشتقوا منه لفظ [مفعولة] » اه كلامه .

فأجدادنا أهل الشام لما لم يجدوا في اللغة العربية كلمة خاصة تدل على استئجار تابع الامير من متبوعه أرضه الاقطاعية وسموا العليبيين يقولون معبرين عن هذا المعنى بكلمة (Vassal) استجازوا تعريبها وقالوا [الفصل] و[الارض المفعولة] حتى استعملها النويري في كتابه . فيصح لنا نحن اليوم ان نسميها [كلمة صليبية] ونبحث عن أخواتها ونضعها اليها بعنوان [الكلمات المصليبية] وقد يعثر المتتبع اليقظ على كثير من هذه الكلمات .

ونفتم هذا البحث بكتبتين إداريتين كان المصريون في عهد الدولة الايوبية يستعملونهما: احدهما كلمة [الترصيع] يريدون بها ما نريده بكلمة [التنظيم] مذقول : نظم العامل العمل او نظم جدولاً بالعمل امامهم فكانوا يقولون رصّع العمل وترصيع العمل ولا بأس باستعمال هذه الكلمة في مثل هذا المقام او مقام آخر يشبهه . اما الكلمة الاخرى فهي [معدوق] مذقولون مثلاً : « وامر البيوت السلطانية معدوق بناظر خاص » ويريدون [بمعدوق] ما نريده اليوم بكلمة [منوط] مذقول هذا الأمر منوط بفلان اي معلق به ومرتبطة به واليه مرجعه . ولكلمة [معدوق] معنى في اللغة لا تمكن إرادته هنا الأعلى استكراه . فليس لنا في استعمال [معدوق] حاجة مادامت لدينا كلمة [منوط] بشرط ان لا نشدد واوها ونقول [منوط] كما يفعل بعضهم .

« المغربي »

مذهب الجاحظ في الادب (١)

—(١)—

أحطنا حتى اليوم بثلاث نواحٍ من نواحي الجاحظ فقد تكشف لنا عمله ودينه ونقده ، فكان في عمله يبني على أصول معينة وصولاً إلى الحقائق وكان في دينه يعمل عقله في التفسير والتأويل دون أن يكون لأحد سلطان عليه ، وكان في نقده على نحو ما رأينا في عمله يتوخى الحقائق معتمداً بالفن الاهتمام كله ، فإذا عرفنا هذا فهل علينا من حرج أن نعرف طائفةً من مذاهبه في الأدب كما عرفنا طائفةً من مذاهبه في العلم والدين والنقد ، وآراء الجاحظ في الأدب مشتتة في أثناء كتبه فلا نجد له مباحث مطردة في هذا الباب يأخذ بعضها برقاب بعض فكانه يلهو بمجامع المعاني لهواً وهذا اللهو من خصائص عبقريته . —

وعلى هذا النحو أننا لا نطمح في استقصاء آرائه الأدبية وإنما نتوخى معرفة اليسير منها لعلنا نتمور الجاحظ في صورة الأديب كما تصورناه في صورة العالم أو في صورة الفيلسوف أو في صورة الناقد . —

قبل أن أتفرغ لبيان أفكاره الأدبية لا أرى لي مندوحة عن الإشارة إلى مذهبه في الأدب ، فالجاحظ من أصحاب الأدب المجرد ، أنكم تعلمون أن الجاحظ عاش في عصر استفاضت فيه الحرية في كثير من الأمور ، من أجله هذه الأمور تسمية الأشياء باسمائها دون اللجوء إلى الكنايات ، فإذا تصفحنا بعض الشعر في ذلك العصر ظهرت لنا ألفاظ غريبة تمور بالطبيعة في حقائق صورها دون شيء من التعفف ، والجاحظ متمثل بعصره الاتهام كله على نحو ما تبين لكم ذلك فلم ينسج من أثر من آثار هذا العصر فإذا وجد أن الأدب

(١) سلسلة محاضرات الأستاذ السيد شفيق جبري أحد أعضاء الجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

المجرد مذهب من المذاهب المستفيضة أخذ به ولم يتورع فهو صورة عصره في كثير من الأمور فمن قوله في هذا المعنى ^(١) :

« وبعض الناس إذا انتهى إلى ذكر ... ارتدع وأظهر التعرز واستعمل باب التورع واكثر من تجده كذلك فانما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبيل والوفار إلا بقدر هذا الشكل من التصنع ولم يكشف قط صاحب رياء وتفاق إلا عن لؤم مستعمل ^(٢) » ونذالة متمكنة إلى آخر ما ذكره ثم أبد مذهب هذا بطائفة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام بعض الخلفاء الراشدين والسلف الطيب —

ففي كلام الجاحظ ما يدل على أن هذا الشكل من الأدب لم يشرع الشيوع كله فقد كانت طائفة من الناس يرتدعون ويظهرون التعرز ويستعملون باب التورع إلا أن الجاحظ كان يرى أن هذه الأخلاق إنما هي من ضرب التصنع وكيف كان الأمر فالذي يهمنا إنما هو المذهب نفسه ولهذا المذهب رجال ظهوروا في فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منهم (Henri Beyle) في مقدمتهم (Balzac) و (Flaubert) ثم (Zola) وغيرهم فيكاد يكون (بالزاك) أستاذ الأدب المجرد أو الأدب الواقع على حسب المصطلح فقد أحيى في رواياته جماعات تموتها على نحو جماعات اللحم والدم —

لمح (بالزاك) في مقدمة روايته من رواياته إلى غرضه فالغاية التي يرمي إليها إنما هي كتابة تاريخ الرجل الطبيعي ، فأنتم تدركون من هذه الكلمة النتائج التي تؤدي إليها كتابة التاريخ الطبيعي للبشر ، شأن صاحب هذا المذهب إنما هو وصف القبح والجمال ووصف الخير والشر على وجه واحد فلا قبح ولا جمال ولا خير ولا شر في نظر أهل هذا الأدب وإنما هي مظاهر مختلفة يظهرها الرجل فهم يشبهون الإنسان بخيوان أو نبات —

ليست غابتنا التبسط في الكلام على أهل الأدب المجرد وإنما أردنا أن نقابل بينهم وبين الجاحظ فالجاحظ يختلف عنهم من حيث أنه لم يتوسع في هذا المذهب فهو لم يضع روايات يرمي فيها إلى تموير القبح والجمال أو الخير والشر وإنما لجأ إلى مفردات قد لجأوا إلى أشباهها نظراً إلى التزامها بموضوعاتهم فهو يشبههم في قليل من المواطن فقد نجد من كلامه ما هو مجرد من الأدب نسبة إلى عصرنا وقد يكون هذا الكلام مألوفاً في عصره إلا أنه كيف يكون

(١) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ . (٢) لعله : عن لؤم مستعمل .

الامر فلا نستطيع في هذه الايام ان نستعمل أضراب هذا الكلام لأن عصرنا لم يتهياً لهذا النوع من الأدب ، اما كلام الجاحظ الذي اشرت اليه فانه يتجلى لنا في بحثنا عن لغته . — وقد جرته هذه الحرية في الأدب الى حرية مثلها في اللغة فاسمعوا ما قاله في بعض كلامه على الكلاب^(١) :

« فأما الذي شهدت أنا من ابي اسحاق بن ضيار النظم فانا خرجنا ليلة في بعض طرقات الأبلّة وتقدمته شيئاً وألح عليه كلب من شكل كلاب الرعاء وكره ان يعدو فيغربه ويضربه وأنف ايضاً من ذلك وكان انفاً شديداً الشكيمة ابناءً للعضية وكره ان يجلس مخافة ان يشر عليه ببوله أو لعله ان يعضه فيهرت ثوبه وألح عليه فلم ينله بسوء فلما جزنا حده وتخلصنا منه قال ابراهيم في كلام له كثير يعدد خصاله المذمومة فكان آخر كلامه أن قال : ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعليك بالبراري والغياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم ، فلما بلغ الى قوله البهائم ثم قال :

ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون من قولي : ان كنت سبع ولم أقل ان كنت سبعاً وانا أقول : ان الإعراب يفسد نواذر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام انما أعجبه تلك الصورة وذلك المخرج وذلك اللغة وتلك العادة فاذا دخلت على هذا الامر الذي انما أضحك بسحقه وبعض كلام العجمية التي فيها حروف الإعراب والتخفيف والتثقيب وحولته الى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والتجانية انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته . — »

فلم يأنف الجاحظ بعد أن بسط مذهبه هذا من لحن أو من كلام غير معرب أو من لفظ معدول عن جهته حتى قال في كتاب البخلاء^(٢) :

« وان وجدت في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا انا انما نركنا ذلك لأن الإعراب يعض هذا الباب ويخرجه من حده الا أن أحكي كلاماً من كلام متعالي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه . — »

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته وانما أوصى

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ١٣٦ .

(٢) البخلاء — ص ٣٣ .

بهذا المذهب فقال ^(١) :

« ومتى سمعتَ حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك وان تحكيها الامع إعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بأن تلحن في إعرابها واخرجتها من مخرج كلام المولدين والبلد بين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومأخذه من مألح الحشوة والطعام فإياك وان تستعمل فيها الا إعراب أو أن تغيّر لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرّياً فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها . — »

فاذا عرفنا ميله الى الحرية في التصوير والم الحرية في اللغة لزمنا ان نعرف مذاهبه في هذا التصوير وفي هذه اللغة ، ماهي الأصول التي يبني عليها الفن . —

لم يمتن الجاحظ بشيء في أبواب الفن إعتماده بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني فان قاعدة : لكل مقام مقال تكاد تكون أغلب تواعده ، فما أكثر ذكره لها في كلامه ، وما أكثر تنبيهه على استعمالها ولا عجب في ذلك ، فاذا رأيت غداً كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه وكيف تكون ألفاظه على أنداد هذه المعاني عرفت السبب الذي من أجله يحرص هذا الحرص على أن يكون المقال مطابقاً للمقام ، فقد نبه على هذه القاعدة في مواطن كثيرة من كلامه لا أرى بي حاجة الى ذكرها كلها وانما اجتزيت بذكر بعضها فن قوله في هذا المعنى ^(٢) :

« وكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ وكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والكنابة في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال وان كان موضع الحديث على انه مضحك وملهي وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته وان كان في لفظه سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على ان يسر النفوس يكرّ بها وبأخذها كظامها . — »

أو قوله ^(٣) :

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٨١ .

(٢) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ .

(٣) = = = ص ١١٤ .

« وقبج بالتكلم ان يفتقر الى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والجار أو في مخاطبة أهله وعبداه وأُمته أو في حديثه اذا حدث أو خبره اذا أخبر ، وكذلك من الخطأ ان يملأ اللفاظ الأعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل . — »
أو قوله (١) :

« ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا واذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مدح الملوك أطالوا وللأطالة موضع وليس ذلك بخطأ وللأقلال موضع وليس ذلك من عجز . . . ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو حمكي عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام . — »

ومثل الإشارة الى قاعدة : لكل مقام مقال كثير في كلام الجاحظ ولكن كيف يريد الجاحظ ان يكون هذا المقال ، ماهي قواعد الانشاء في نظره ، أيريد ان يرسل الكاتب كلامه على محبته دون شيء من التنقيح أم يريد ان ينقح هذا الكلام . —
اهتم الجاحظ بالتنقيح كل الاهتمام فهو يعلم مقدار فتنة الكاتب بكلامه فلم يجد بداً من تنبيهه على التهذيب فقال (٢) :

« وينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الا على الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالامور متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لا بداء الكتاب فتنة وعجيباً فاذا سكت الطبيعة وهذات الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة أعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر :

ان الحديث تغر الناس خلوته حتى يلج بهر عي واكشار

ويقف عند قولم في المثل كل مجر في الخلاء يسر فيخاف ان يعتريه ما اعتري من أجرى فرسه وحده أو خلا يعلمه عند فقد خصومه واهل المنزل من اهل صناعته ليعلم ان صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ٤٦ . (٢) الحيوان — الجزء الاول ص ٤٤ .

فيضرب مائة لانه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب في الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه فأراه الغضب ان الرأي في الاكثر وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتدي الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثر أبعد . (واعلم) ان العاقل ان لم يكن بالمتبع فكثيراً ما يعتربه ما يعتربه من ولده ان يحسن في عينه منه المقبح في عين غيره فليعلم ان لفظه أقرب نسباً منه من ابنه وحركته أمس به رحماً من ولده لان حركته شيء لا يحدث من نفسه وبداءته من عين جوهرة فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخططة يتمخطها والدخامة يقذفها ولاشواء اخر اجك من جزئك شيئاً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى إفهام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويمحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام . — .

وقال في مقام آخر^(١) :

وليس في الارض خصان يتنازعان الى حاكم الاكل واحد منهما يدعي عدم الانصاف والظلم على صاحبه وليس في الارض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتربه الغلط في شعره وفي ولده الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط فمنهم الفرق المغمور ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه فما أحسن حاله ما لم يمتحن بالكشف ولذلك احتاج العاقل في استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ومن إعادة النظر والتهمة الى أضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك . — .

ولكنه على شدة اهتمامه بالتنقيح والتهذيب لا يريد المبالغة في هذا الامر لانه يعلم ان المبالغة قد تفضي بالكاتب في خاتمة الامر الى شيء من التنطع والتنطس فلذلك قال^(٢) :

« وليس له ان يهذبه جداً وينقحه ويصفه ويروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرفه وأسقط زوائده حتى عاد خالصاً لا شوب فيه فانه ان فعل

(١) الحيوان — الجزء الثاني ص ٣٧ .

(٢) ۞ الاول ص ٤٥ .

ذلك لم يفهم عنه الا بان يجدد لهم أفهاماً مراراً وتكراراً لان الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بان بعكس عليها ويؤخذ بها الا ترى ان كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لوقرأته على جميع خطباء الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا أكثره وفي كلام إقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صني لوسمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام (قال معاوية بن أبي سفيان) رضي الله تعالى عنها لصحار العبدى : ما الایجاز ؟ قال : ان تجيب فلا تبطي ، وتقول فلا تخطي ، قال معاوية : أو كذلك تقول ، قال صحار : أفلني يا امير المؤمنين ، لا تخطي ولا تبطي ، فلو ان سائلاً سألك عن الایجاز فقلت لا تخطي ولا تبطي وبخضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبدية وعند اول وهلة ان قولك لا تخطي متضمن بالقول وقولك لا تبطي متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى أثره ورضوه ولو ان قائلًا قال لبعضنا : ما الایجاز ، لظننت انه يقول الاختصار ، والایجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ وقد يكون السبب من الكلام من أتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز وكذلك الإطالة . وانما ينبغي له ان يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه ولا لترداده وهو يكتفي من الإفهام بشرطه فما فضل عن المقدار فهو الخطل . — »

وانا كان الجاحظ يرمي الى التهذيب والتنقيح فمن الطبيعي ان يجعل للألفاظ صفات وخصائص وأن يحمل الكاتب على توخي هذه الصفات وهذه الخصائص ، ماهي طبائع الالفاظ التي يميل اليها الجاحظ ، قال في هذا المعنى (١) :

« وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاحتلال مصوراً عن التكلف صنع في القلب صنع الغيث في التربة الكريمة ومتى حصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصبحها الله من التوفيق ومنحيا من التأيد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابة ولا يذهل عن فهمها عقول الجيلة ، وقد قال عامر بن

عبد القيس : الكلمة اذا خرجت من القلب ونعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم يتجاوز الآذان . — «
ومن قوله ايضاً^(١) :

« ومتى شا كل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفظاً وخرج من سماجة الاستكره وسلم من فساد التكلف ، كان قيناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عرضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة ومتى كانت اللفظ ايضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبيب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للتعلم الريف .
فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفاً بأهل الجماعة شديداً لأهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحظوظ من أقطارها وسيقت اليه القلوب بأزمته وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته وجعلت على تصويب إرادته ومن أعاره الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه من محبته ذنوباً حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قاري الكتاب من علاج التفهم ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردياً ولا قولاً مستكرهاً واكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكافين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كانت ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتائج التخير والتفكير . ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمسكت عنده حولاً كريماً وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اهتماماً لعقله وتنبهاً على نفسه فيجعل عقله ذماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله من نعمته . — «

فأكبر همه انتخاب اللفظ النبیه الشريف واجتناب اللفظ المهجين الردي .
وقبل ان يشرع الكاتب في الكتابة يلزمه ان يتصور المعنى ثم يتصور اللفظ على قدر

هذا المعنى^(١) .

« وتر البلاء من هيا رسم المعنى نبل أن يعي المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجري اليه المعنى جراً ويلزقه به الزاقاً حتى كأن الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسماً غيره ومنعه الإفصاح عنه إلا به . — »

هذه بوجه التقريب القواعد التي رسمها الجاحظ في صناعة الكلام وإذا أجملتها وجدنا أنها تتعلق بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني وبتنقيح الألفاظ دون شيء من الغلو في هذا التنقيح وبما يؤدي إليه التنقيح من انتخاب الألفاظ وتخيرها فهي من هذا الوجه تشبه في بعض الأحوال القواعد التي يضمنها أدباء الفرنجة فإذا قابلنا مثلاً بين مقالة الجاحظ وبين مقالة الشاعر الفرنسي «بوالو» في فنه الشعري وجدنا القولين متشابهين في كثير من الوجوه . فإذا تم للأديب هذا كله واجتمعت له أسبابه فليعمل بعد هذا بما قاله الجاحظ له^(٢) :

« وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات أن يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ الجهود وللصبر غاية وللاحتيال نهاية . — »

فما ينبغي للأديب في نظر الجاحظ أن يكون متعباً للعقل وإنما الأدب في رأيه ضرب من الرياضة وعلى هذه الصورة يشبه مذهب الجاحظ في قدر الأدب ومذهب أكابر الأدباء في فرنسا وفي جملتهم الأستاذ «لانسون» Lanson الذي يريد أن يكون الأدب : رياضة وذوقاً ولذة^(٣) . —

في ٥ آذار سنة ١٩٣٢

شفيق جبري

—••••—

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل — الجزء الأول ص ٢٨ .

(٢) = = = = = ص ١٥٥ .

(٣) راجع كتابي : المتنبي — ص ٤ .

قصيدة الفراسة



هذه أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الاجناس وما يخص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله — على سبيل الاختصار وهي من النوادر العزيزة الوجود اذ لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب لاحمد بن ابراهيم موفق الدين أبي ذر ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ وقد كتب هذه القصيدة بخط يده وعنه نسختها وكان المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في إحدى زياراته منزلي وطلب مني أن أسمع له بنقلها فاعتذرت له ولم أجب طلبه خروصاً عليها وأخبرني انه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة احداهما مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة .

والذي يغلب على الظن استدلالاً من أسلوبها واستنباطاً من تسميتها البلدان والاقاليم وأجناس الناس بأسمائها المذكورة فيها — أنها مما نظم في القرن الرابع او الخامس . وليس الغرض من نشرها بيان نعوت البلدان والسكان التي ذكرت فيها ولا ذكر محاسنهم ومساوئهم إنما الغرض من نشرها بيان عقلية ذوي الثقافة في أهل الزمن الذي نظمت فيه فيما حكته عنهم وهي من جهة أخرى قد تعد أثراً تاريخياً قديماً يستحق ان يحرص على حفظه وصونه من فقدان والضياع .

والذي أعتقد من ذوي الثقافة في هذه الايام انهم لا يحفظهم ما يرونه في هذه القصيدة من ذكر مساوي بلادهم وأجناسهم فان شعة مداد كهم ترشدهم الى ان طباع الناس والآثام قد استحال الكثير منها الى الصد والنقيض اذ من نظر في مراة الوجود وبحث في أحوال تلك البلاد وأخلاق أهلها وطبق محاسنها ومساوئها على ماورد في هذه الأرجوزة —

تراءى له أن أكثر ما تضمنته قد أحاله الزمان الى عكسه فانقلب البلد المعاصر خرباً واخلرب
عامراً وهذا مصداق ما قاله الحكيم : « ليس ترداد حركات الفلك الا احالة الكائنات عن
حقائقها » قيل ومنه أخذ المتنبي قوله :

ثُمَّ من صحب الدنيا طويلاً تقلبت علي عينه حتى يرى صدقها كذبا
ان الكائنات تتأثر بالزمان اكثر من تأثرها بالمكان قال فيلسوف العرب النابغة
المعري :

اما المكان فتأبث لا ينطوي	لكن زمانك ذاهب لا يثبت
يقال ان زماناً يستقيد لهم	حتى يبدل من بؤس بنعماء
ان المواهب كلها عارية	ومن السفاهة غبطة بعطائها
زمان يخاطب ابناؤه	جهاراً وقد جهلوا ما عنا
يبدل باليسر اعداءهم	وتهدم احداثه ما بنا

ولابي تمام في المعنى :

ارض مصرودة وأخرى تسجيم	تلك التي رزقت وأخرى تحرم
واذا تأملت البلاد رأيتهما	ثري كما ثري الرجال وتعدم
حظ تعاوره البقاع لوقته	وادي به صفر ووادي مفعم
	حلب : كامل الغزي

وهذه هي القصيدة :

القصيدة الموعود بذكرها .

الحمد لله على الهداية	والعلم والتوفيق والدراية
هذي قصيدة الحدس والفراسة	نافعة لعايب السياسة
يعرف منها كل مستسر	في الناس من ذي صالح وبشر
وأبى جنس فيهم النجاسة	والرأي والتحريف والامانة
وأبهر يرغب في السداد	ويقتني للمهن الشداد
وأبهر في طبعه شراسة	وأبهر ليس له رياسة

ومن يكون صالحاً للخدمة ومن له عزيمة وهمة
وعلم ما أثمرت البلاد في طبعهم وماله استفادوا
فافهم مقالي فهو عين الرشد ان كنت تبغي بغيثي وقصدي
« ذكر العرب »

خير البرايا والأنام العرب كذا قال العالم المحرب
طابوا فروعا وزكوا اصولاً لانهم لم يلدوا مجهولا
ونزلوا نجداً واراض نجد سليمة من كل طبع مرد
فسلموا من شره العراق وغلظة الشام والرسناق
ففيهم العزة والحمية والشيمة الطاهرة الزكية
كراهة الغدر وبذل الجود والطنن بالثقف الأملود
وفيهم الخداع والعداوة والشر والارهاب والقساوة
وفيهم نجابة الاولاد وعندهم فضائل الأجداد
رعاية الجار وحق الضيف موجودة فيهم وضرب السيف
وفيهم تراحم وعطف وفيهم عتب وفيهم عنف
أمينهم ليس له مماثل كما الخوون ماله معادل

« ذكر العجم »

والفارسيون لهم مكارم يعرفها من لهم بلائم
لهم خلال ولهم رياسة وفيهم السداد والكياسة
وعندهم بخل وفيهم كبر وعزة ومنعة وفخر
والرحمات عندهم كثيرة والنعمات فيهم شهيرة
وفيهم نجابة معروفة وهمة وعزيمة موصوفة
وعندهم رأي وفيهم علم ومنعة وحكمة ولهم

« ذكر الترك »

والترك فيهم قسوة وعظمة وجرأة ما ان لديها مرحة

لا يعرفون العفو والوفاء ولا يرون الجود والسخاء
 وفيهم النسيان والكفران وفيهم الابطال والشجعان
 وفيهم الليوث يوم الحرب وفيهم كل مליح عذب
 لهم قسود ولهم خصور والوجنات الحمر والشعور
 وفيهم نجابة الأولاد لكن عروا من حكمة السداد
 « ذكر الديلم »

والعقل في الديلم والسداد في حسنهم ليس له نقاد
 وفيهم شهامة وفضل وعفة ورتبة ونبل
 في نسلهم نجابة وقسوة وغلظة في طبعهم وجسوة
 وفيهم جبرية وظلم وفيهم قساوة وغشم
 وعندهم شطر من الآداب ومن رجوع العقل للصواب
 « ذكر الأكراد »

والتركن الشر في الأكراد لبعدهم عن منهج السداد
 وفيهم للحرب والقتال جلادة والطعن بالعوالي
 لكن جميل الخلق والصبابة ليست لهم كلا ولا السماحة
 ونسلمهم يصلح للجلاد وللأمور الصعبة الشداد
 « ذكر الروم »

والروم فيهم أدب وظرف وغلة ونعمة ولطف
 وفيهم العقول والألباب وفيهم الآراء والصواب
 وفيهم فوارس الشجاعة والعلم والحكمة والصناعة
 وفيهم اللذة والتمتع لكنهم ما فيهم تصنع
 وفيهم البخل وذل النفس وفيهم الفهم وصدق الخدس
 لكل شيء يصلح الغلام منهم وهذا الشرف التمام
 « ذكر الأرمن »

وليس في الأرمن خير فاعلم ان كنت يا صاح أخافهم

لشغل الساق من الاعمال براهم ذوالعز والجلال
وفيهم ضرب من الجمال لكنه يندر في الرجال
وفيهم قذارة وخسة وذل نفس ليس فيه لبسة
« ذكر الفريج »

كذلك الفريج شر الأمم في غلظ الطبع وخبت الشيم
أبخل من براه رب الناس من سائر الضروب والاجناس
اكنهم ابطال يوم الحرب واعمل الخلق بمجد القضب
وعندهم سياسة قليلة وحكمة لكنها ضئيلة
وفيهم رشاقة القدود وحمرة الوجنات والحدود
« ذكر اللان »

واللان جنس خلقوا للخدمة والمعانة وحفظ الحرمه
فان تردهم للنكاح والولد فانت في ذاك على غير الرشده
« ذكر الهند »

والهند فيهم عفة وفسق وقسوة وباطل وحق
لهم شعور ولهم قدود وهم اهيل وهم عبيد
ان استرقوا يصلحوا للرق وللطرفات^(١) ولللاشق
وللنتاج ثم للاولاد وللخصومات وللجلاد
« ذكر السند »

الأم جنس الناس جنس السند فلا ترد منهم سلوك القصد
لهم خصود ولهم شعور لكننا اذاهم كثير
براهم الله الشديد الحول فاتبع سبيلي واستمع لقولي
« ذكر البربر »

أنجب أجناس الرقيق البربر لاسيما الجنس اللطيف الاصفر
للوطيء والاولاد والبيوت يحترن لا للكس والتعنت

نعم وفيهم للفناء طبع وللعلوم الرائقات جمع
والكيس والظرف لهم شعار فاخترهم فجنسهم مختار
وفيهم سوء وخبث دخله وعندهم بخل وفيهم خله
« ذكر الزرنج »

ان الزرنج في العبد وسط وأمرهم أمر به تخط
يصلح للنكاح لا للواد ثمت للخدمة والتودد
ما فيهم عقل ولا رياسة كلا ولا عندهم سياسة
« ذكر أجناس السودان »

وفي الزنوج غلظ الطباع وفيهم ميل الى البضاع
ما فيهم لنا حكمهم منية ولا لقائهم غداً من بغية
الا لاهل الريف والريثاق وكل ذي أمر شديد شاق
يراهم لذلك رب الناس فلا تكن عليهم بالآمي
« ذكر صقع مرنديب »

من في مرنديب يكون مولده يطيب منه عيشه ويحمده
ولا يزال ضاحكاً مستبشراً كأنما يشرب صرفاً مسكراً
« ذكر خراسان »

من في خراسان يكون شهما قاسي الفؤاد لا يراعي رحما
له رواء حسن ومبسم لكنه عن خيره مجهم
« ذكر نيسابور »

كذلك نيسابور فيها عجب وليدها فيه البذا والعجب^(١)
لا يعرف الفضل لرب الفضل لما عليه قد يرى من جهل
وفيهم شراسة وخفة وغلظة ومسكة وكلفة
« ذكر اصفهان »

وجيؤها فيها شريرة وخيرة لكنها شهرتها الشهيرة

(١) كذا ولعله الصخب.

ليس لمن في ارض اصهبان خليفة غير اذى الجيران
لهم رداء ولم جمال وفيهم الحيلة والادلال
وفيهم تعصب سيف الطبع لغير دين ولغير شرع
« ذكر الري »

والري فيها الكيس والظرافة لصكنها في طبعها كثافة
لهم عقول ولم آداب لصكنا آراؤهم تصاب
وفيهم تنجاعة وقوة وعندهم في طبعهم عتوة
وليدها يركب كل صعب ولا يخاف نازلات الخطب
« ذكر مرو »

ومرو في تربتها السلامة وفي بنيتها النقص والقدامة
ليس بها فضل ولا وسامة ولا لها في اهلها كرامة
« ذكر طوس »

تولد الجهل مع المولود وتسلب الرشد من الرشيد
وليدها يعرف في الاقطار بانه من جملة الابقار
وفيهم شراسة وحدة وعندهم لآمة وشدة
والحسن في غلمانهم معروف لكنهم ليس بهم ظريف
« ذكر هراة »

وفي هراة كل امر معجب من العلى والدين والتأديب
وكل فضل من دقيق العلم في اهلها وكل امر نفيم
وفيهم بسالة وقوة لكنهم ليس لهم مروءة
وفي أنانيهم جمال ظاهر يعرفه المقيم والمسافر
وفيهم بغض لاهل الحق فيا لهذا من لئيم الخلق
« ذكر همذان »

وان ترد في همذان خيرا عن زلو انك كنت طيرا

مدينة في طبعها فظاظة وفي بذىها الشر والغلاظة
الجهل فيهم شائع مشهور والعقل فيهم خامل محذور
وفيهم دناءة ولوم وترف شيطانه رجيوم
قد سلبوا الغيرة والسدادا والفوا الخصام والعنادا
وفيهم تعاشر في الذنب فيا لهذا من قبيح الادب
وفيهم محاسن وظرف لكنها ليس عليها عطف
« ذكر الاهواز »

وعند اهل الخوز والاهواز جماع كل الشر والمخازي
وفيهم علي دني الانفس بأس ولكن ليس عن نفوس
وفيهم من الجمال والمقه خليفة لكنها مستخلفه
وفيهم لباقة وشكل لكنها عم عليها الجهل
وقد سبي النساء للرجال في الحسن والعفة والاشكال
« ذكر مازندران »

مازندران في بنىها ظرف وعندهم رياسة ولطف
لكنهم في خلقهم شراسة وحدة أذرت على الرياسة
وفيهم تكرم وجود يعتاده الاحرار والعبيد
« ذكر البصرة »

وعند اهل البصرة الرداءة واللوم قد ضما الى الدناءة
في تربة الارض وفي الهواء جبلة للفهم والذكاء
وفيهم شر وفيهم لوم شعاره عليهم معلوم
وفيهم سماحة الاخلاق قد جبلت بالرفع والشقاق
وفيهم نتائج النفاق وكما يجمع في الفساق
« ذكر الكوفة »

والكوفة الحمراء في هوائها عجائب وتربها ومائها
القدر في ترايبها محبوب والخير عن مياهها مشغول

وما لهم عهد ولا وفاء لكن عليهم غلب المراء
بالمبدعات عنهم سار المثل وطبق الارض سهولاً وجبل
وعندهم غوص على العلوم منشورها والمحكم المنظوم
وفيهم حسن الطلا معروف يعرف ذاك الفهم الطريف

« ذكر بغداد »

وعند بغداد اعتدال تام في ارضها ليس له اكتمام
مولودها افهم كل ناطق بالعلم والآداب والخلائق
وعندهم كيس وفضل شامل لكنه يشوبه مخائل
وفيهم عجب وتيه وصلف ودين كل ما حووه من لطف
وعندهم سوء وفسق زائد وفطنة لكنها مكائد
وعندهم من المراء والرها (١) ما ليس يحصيه سوى رب السما
قد جبلوا على السرور والطرب والسعي بين الناس بالامر المحجب
ليس لهم عهد ولا ميثاق خص بهذا الخلق العراق

« ذكر بابل »

وبابل شر البلاد والقرى تكسب طبع اهلها شر الأرا
ففيه خلاف وبهم شقاق وعندهم في دينهم نفاق
وفيهم دين ونسك شامل وفيهم الخداع والتحايل

« ذكر الموصل »

والموصل الحدباء خير منزل قليلة الاسواء والتعال
لهم خواص في الفناء والطرب وكلما يكون من شرط اللعب
وعندهم سماحة وجود لكنها يفسدها التأكيد
لاهلها تيه وعجب زائد اكثره لفضلهم معاند
والدين في عرصتهم غريب والظلم والبغي لهم حبيب

(١) الرمالعة في الرياء .

« ذكر الجزيرة »

واسمع هديت صفة الجزيرة وماسرى عن اهلها من سيرة
 تراها وماؤها المنساب ليس به علم ولا آداب
 لكنه أشيب بالجهالة والحق المعجون بالذالة
 ما فيهم عقل ولا صباحة وبهاهم صنعتهم الفلاحة

« ذكر نصيبين »

صاب نصيبين عذاب الحمى وخص فيهم ضرها وعمما
 فما ترى في ربها صحيحا ولا فتى مهذبا مليحا
 دأبهم الخصام والمهاجرة والشر والتكذيب والمكابرة

« ذكر سنجار »

وارض سنجار فشر ارض لطالب العلم وباغي العرض
 أخلاقهم سيئة ردية وكلم في قبحهم سوية
 لا يعرفون الجود والتكرما ولا الملذات ولا التنا
 قد شغلوا بتعب الأشغال عن العلى وكرم الخلال

« ذكر حرات »

واهل حرات فشر الناس في الوصف والتقدير والقياس
 البخل فيهم أظهر الاوصاف بلا ممارسة ولا خلاف
 وفيهم من غلظ الاخلاق ما جل عن حكاية الخذاق
 تقاصروا عن شرف الفضائل وانهمكوا في أرذل الرذائل

« ذكر الرها وماردين وآمد »

وفي الرها وآمد عجائب وماردين عندهم غرائب
 كل اهلها لثام بكم عن العلى والمكرمات صم
 ليس لهم في الدين والعلوم حظ ولا في الشرف القديم
 فيهم جنفاء وشرور ونزق وعندهم في الود والحب مذق
 وكل مولود من الغلمان في ارضهم يعيش كالخيران

ومن تربي فيهم صغيرا لم يك يسف رياسة كبيرا
« ذكر الرافقة »

لا سيما ان حل ارض الرافقة وحل في تربتها علائقه
وكان من ماء البلخ مشربه ومن ثراها اكله ومكسبه
فابك علي ذكائه وفطنته وكيسه وعلمه وحكمته
كذا حكى الرواة عن هارون في وصفها ثم عن المأمون
« ذكر الشام »

والشام عين الارض والبلاد وخير دار وأجل ناد
يكسب من يحله جلادة وعزيمة يعضدها تجادة
وفيه ميل الى الولاة ومن له شأن من الكفاة
وفيه قناعة وصبر لاسيما ان حل يوما أمر
لكننا الحدة فيهم عادة وغفلة نتاجها بلادة
« ذكر منبج »

فمنبج طيبة البراري لاهلها رغبة القرار
لكنها مفسدة للرأي مبيرة للفهم والذكاء
فيها جمال ولها بهاء وفي بنيتها منطق هراء
طالما ليس له سيادة ونجمها ما عنده افادة
وفي بنيتها قوة وشدة لكنها ليس عليها عمدة

« ذكر حلب »

وحلب خزانة الذكاء وموطن العفة والحياء
طالما للغرباء سعد وهي لمن فيها شقا وكدر
لكنها تعطي دقيق العلم لأهلها من بعد لطف الفهم
لكنها تنمي التلاحى وموطن المراء والكفاح
والعصبيات لديهم وافرة وعلقة الخدق عليهم ظاهرة

« ذكر حماة »

وفي حماة حمق وخفة وفيهم المكرمات كلفة
 لكنهم فيهم ذكاء ظاهر يعرفه من لم يعاشر
 وفيهم غلاظة الطباع معروفة في سائر الاصقاع
 « ذكر شيزر والمعرة »

في شيزر واختها المعرة خلانق الجهل وطبع الشريرة
 فشيزر جهل بلامضرة والفهم والضرر لدى المعرة

« ذكر حمص »

وعند حمص كل أمر محجب من نجدة وفطنة وأدب
 لكنها منزلة الرقاعة وموطين الخفة والفراغة
 وفيهم الحدة والبسالة وفيهم القوة والجهالة

« ذكر دمشق »

وفي دمشق منظر أنيق يعرفه العدي والصديق
 وفي بنيتها منظر عجيب وخلق نتاجه غريب
 لهم رداء حسن ، بر لكنه عن باطن يفر
 وفيهم شكاسة الاخلاق وغلظة تنبو عن الشقاق
 ودادهم اما شهدت وافي فان تغب فالود منهم خاف
 وفيهم نجابة وباس لكنها ليس لها ايناس
 وفيهم غلاظة وحدة وفيهم على الغريب شدة

« ذكر فلسطين »

وفي فلسطين ، ارض الأردن والشام الاعلى كل طبع حسن
 هواؤه ، ماؤه ، والتراب لأهله فيه معارف عجب
 تكسب من حل به او نزلا نجابة تدرأ عنه العللا
 تنتج حب الدين ، والعبادة لأهله والصبر والزهادة

لكنه يغلظ الاكبادا ويعظم الفطنة والسدادا
وفيه إمساك وبخل زائد وفطنة لكنها مكاييد
ذكر مصر»

وعند مصر كل أمر معجب تحار فيه ففكرة المذهب
طالعها باللاعب والمزاح وخفة الأنفس والأرواح
وقلة الغيرة والوفاء والحب للآراء والاهواء
لكنها قرارة الفراغة وخطة الأراذل الصفاعنة
وفيهم رياسة وهمة وشبق عند النساء وخلة
والعشق فيهم البذاء فاشي ليس لهم عن قبحه تحاشي
وفيهم علم وفهم وأدب وهمة الى العلاء والرتب

« ذكر المغرب »

وعند أهل المغرب الجفاء وقوة ليس بها مراة
وفيهم بخل شديد وقحة عند الجدال المرامستجة
وفيهم شجاعة عند اللقا خليقة ليست لهم تخلقا
وعندهم علم وفهم وافر وهمة تعرفها العشائر
والعصبيات لديهم جهه لكنهم آراؤهم ملته

« ذكر الحجاز »

وفي الحجاز العلم والدكاء واللفظ والنجدة والعزاء
وفيهم دماثة الأخلاق والبأس يوم الخلف والشقاق
وفيهم الغصب سلب المال والسوء والمكر على الرجال
لهم وداد لهم جمال وفيهم الاعطاء والافضال
وفيهم ميل الى اللذات والعشق الغناء والفرحات

« ذكر اليمن »

وعند أهل اليمن القباحة موجودة وقلة الرجاحة

وقلة العقل لديهم فاشية لكننا طباعهم موالية
وعندهم فصاحة وعلم وعزيمه صادقة وفهم
وفيهم السخاء والتكرم وفيهم غدر : شر يعلم

فهذه نتائج البلاد وكنه ما يختص بالعباد
نقلتها عن كل طب ندس ربح العلوم صادق التفرس
ظاهرة الدليل ، البرهان واضحه النار والتبيان
تنفع من يرغب في السياسة ويمتطي غوارب الرئاسة
ويعتني بخبرة الانام من الأجال ومن العوام
وقدأت من حسن التهذيب تلقح رأي الفطن اللبيب

الاسماء العربية للثمار النباتية

—(١)—

نشر العالم المحقق الدكتور أمين باشا المعلوم في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات^(١) بدأه بالبزرة وأنهاه بالزهرة وترك الثمرة وأشكالها دون ان يتعرض لها. ولا شك ان الألفاظ التي استقر عليها الدكتور المشار اليه سواء أكانت من وضعه أم من وضع الذين تناولوا هذا البحث من قبله هي على ما رأيت أصح ما يجب على المؤلفين اقتباسه لكتب علم النبات وكتب الزراعة وما إليها .

ولما كانت معرفة الاسماء العربية لمتلف الثمار تهم جميع الذين يتدارسون العلوم النباتية والزراعية جئت بهذه المقالة كتحققاً لبحث أمين باشا الذي له فضل السبق في هذا المضمار . ولا يظن احد اني وضعت لأشكال الثمار أسماء لم يسبقني اليها العلماء من قبل . فالحقيقة ان عملي في هذا البحث يقتصر على تقييد الألفاظ التي وضعها السابقون واختيار ما أراه منها أصح من غيره . وربما لم يزد ما هو من وضعي (والأصح ما أنه اليه قبل غيري) على لفظة واحدة أو لفظتين .

والكتب التي راجعت فيها الاسماء الموضوعة لأشكال الثمار هي الآتية :
أولاً : كتاب الدر اللامع في النبات ومائمه من الخواص والمنافع تأليف انطون فيجيري بك طبع سنة ١٢٥٧ هـ في مصر .
ثانياً : كتاب مبادئ علم النبات تأليف جورج بوش طبع سنة ١٨٧١ في بيروت .
ثالثاً : كتاب علم النبات الزراعي تأليف جون برسيغال ، نقل الى العربية في وزارة الزراعة المصرية وطبع سنة ١٩٢٠ م .

(١) أنظر م ٧ ص ٢٨٩ وم ٨ ص ٣٢١ و ٤٦٥ من مجلة المجمع العلمي العربي .

- رابعاً معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف .
خامساً أهم كتب النبات المدرسية التركية ككتاب الدكتور اسعد شرف الدين .
طبع في القسطنطينية سنة ١٩١٢ وكتاب حسين رمزي بك ٤ طبع سنة ١٣٢٠ مالية في
القسطنطينية وكتاب الدكتور شرف الدين مغمومي ٤ طبع سنة ١٩٠٩ في مصر . وغيرها
وهي أربعة كتب أخرى .
سادساً مفردات ابن البيطار ومعاجم اللغة الأصلية .

لا يخفى على الذين لهم إلمام بمبادئ علم النبات ان الثمار تقسم ثلاثة أقسام أساسية وهي
البسيطة والمركبة والمؤتلفة (أو المدغمة أو المشتركة) . وان الأولى اي البسيطة على ثلاثة
أشكال : جافة ولحمة وما بينهما . وان الشكل الاول اي الثمار الجافة منها التي لا تنفتح عندما
تنضج ومنها التي تنفتح .

فمن الثمار الجافة التي لا تنفتح ثمرة يسمونها بالفرنسية (Achaine) تكون بزررتها منفصلة
عن الغلاف الثمري وقد سماها جميع المؤلفين المار ذكرهم « فقيرة » الا الدكتور محمد بك
شرف فانه عرب اللفظة الأعجمية فقال اخينيوم واخين : وأرى انه يلزم الاحتفاظ بلفظة
الثمرة الفقيرة التي شاعت منذ نحو قرن الي يومنا هذا .

ومنها ثمرة تدعى بالفرنسية (Caryopse) تكون بزررتها وغلافها الثمري متلاحمين
كحب الحنطة والشعير والذرة وأشباهها . وقد سماها فيجيري بك « الثمرة اليابسة » . وسماها
بوست وشرف « الحبة » ووردت في كتاب علم النبات الزراعي بلفظة « البرة » أما الاتراك
فانهم أطلقوا عليها لفظ « الثمرة القلوية » و « الثمرة المجوّزة » وأرى ان « البرة والحبة »
هما أصلح لفظ لهذا الشكل من الثمار .

ومنها ثمرة تدعى (Samare) لها زائدة كالجناح منهم من عرب اسمها الا عجمي فقال
« سمارة » ومنهم من سماها ثمرة مبححة وثمر جناحي . اما بوست فدعاها بالفتاح . وأظن ان
لفظ « الثمرة الجناحية » أرجح ما تسمى به .

ومن الثمار الجافة التي تنفتح ثمرة تدعى (Capsule) لم أجد لها اسماً في معجم شرف ولا
في كتاب بوست . وجاءت في كتاب فيجيري باسم « الثمار الجوفية » وكذا في كتب الاتراك

الا واحداً منهم سماها «العلبة» كما سماها مترجموا كتاب علم النبات الزراعي . وعندني ان أصلح لفظة لهذه الثمرة هي الجرو ج . جراء . فقد ورد في اللسان ان الجرو «وعاء بزر الكعابير وفي المحكم بزر الكعابير التي في رؤوس العيدان» . وجاء في المخصص «... وكان سنابله جراء الخشخاش ...» . ثلث وثمرة الخشخاش هي كبسول نباتياً .

اما لفظة العلبة فيرجع استعمالها لثمرة أخرى جافة ينفخ نصفها الأعلى كما يفتح غطاء العلب ويسمونها بالفرنسية (Pyxide) . وسميت في محم شرف وفي كتاب علم النبات الزراعي «الشر الحقي» ودعاها الأتراك باسم «الشر الصوتي ؟» اما بوست فأطلق عليها لفظة العلبة وهو أرجح اسم لها على ما أرى .

ومن الثمار الجافة التي تنفتح تلك التي تدعى (Follicule) وهي ذات غلاف ثمرى واحد يتصدع على امتداد تدريز واحد ايضاً . وقد سماها جميع من ذكرنا من المؤلفين «ثمرة جرابية» الامترجي كتاب جون برسيغال فقد أسماها «الحوصلاء» واللفظة الاولى أرجح لانها متفق عليها .

ومن ثمار نباتات الفصيلة القرنية كالفول والفاصولياء وأشباههما وتسمى بالفرنسية (Gousse) وغلافها الثمرى ينفخ على امتداد تدريزين . وقد سماها المؤلفون ثماراً قرنية وثماراً بقلية ونسب الدكتور شرف الى الجمع فقال «ثمر بقولي» . وأصلح لفظة لها هي السنفة والحُبلة . فلفظة السنفة استعملها ابن سيده وابن البيطار لهذه الثمار . وورد في اللسان «يقال لأكمة الباقلاء واللوبياء والعدس وما أشبهها سنوف واحداً سنف» . ومن البديهي ان الكم في هذه الجملة هو الغلاف الثمرى بعينه اي ما يدعى بالفرنسية (Carpele) والسنفة تطلق على ذلك الغلاف وعلى البزور التي هي ضمنه اي على الثمرة كلها .

وجاء في اللسان «الحُبلة ثمر السلم والسيثال والسَّحُر وهي حنة معقمة فيها حب حُغار . أسود كأنه العدس . وقيل الحُبلة ثمر عمة العِضاء وقيل هو وعاء حب السلم والسمر واما جميع العضاء بعد فان لها مكان الحُبلة السنفة» .

ومنها الثمار المساة (Silique) كثمار الخردل واللفت والملفوف والمنتور وقد وردت في كتاب فيجيري وكتب الأتراك باسم «الثمار الخرنوبية» وسماها بوست «الحبيبة؟» وجاءت في كتاب جون برسيغال بلفظة «الثمار الخردلي» اما الدكتور شرف فقال «ثمر

خردي ، ثمر بقولي ، حيلة « قلت وأصلح الجميع « ثمر خردلي » : اما ألفاظ « ثمر بقولي وحيلة » فغلط .

هذا في الشكل الاول من الثمار البسيطة وهي الثمار الجافة اما الشكل الثاني اي الثمار اللحمية فهي ايضا تحتوي على اصناف عديدة نكتفي بذكر أصلح الألفاظ العربية لها دون الخوض في بحث تفريق بعضها عن بعض نباتياً لان ذلك من متناول كتب النبات .

فمن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثري الداخلي ملتجماً بالغلاف الأوسط ثمرة تدعى (Baie) كالعنبه وقد سماها الأتراك وبوست وشرف « الثمار العنبية » ووردت في كتاب فيجيري وكتاب برسيغال باسم « الثمار اللبية » ولعل الاولى أصح . ومما يدخل في هذا الباب الثمار التي تدعى (Péponides) وهي الثمار البطيخية كثمار البطيخ والخيار والقرع وأشباهاها .

ومن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثري الداخلي منفصلاً عن أجزاء الثمرة السائرة تلك التي تدعى (Hespérides) وهي الثمار البرتقالية والأتراك يسمونها الثمار النارجية .

ومنها الثمار التفاحية (Mélonides) وقد أجمع كلهم على تسميتها بهذا الاسم . ومنها التي تدعى (Drupe) كثرة المشمش واللوز والخوخ فقد سماها الترك « عُقمة » وهي في اللغة ثمرة الزيتون البري . ولست أرى لهذه اللفظة مبرراً في هذا المقام . وكذا لفظة فصاة التي جاءت في معجم الدكتور شرف لان الفصحى في كتب اللغة حب الزبيب واحدته فصاة . ولعل أصلح لفظة تلك التي استعملها بوست وشرف وهي « ثمرة نووية » .

والشكل الثالث من الثمار البسيطة هي التي بين الجافة والطرية كالثمار الرمانية (Grenade) اما القسم الثاني من الثمار اي الثمار المركبة فان منها الثمرة التوتية (Sorose) والثمرة التينية (Sycone) والثمرة الصنوبرية (Cône) وهي كلها لا خلاف فيها .

واما القسم الثالث من الثمار اي الثمار المؤلفة فكثير العليق (Fruit des Rubus) الذي يسميه الأتراك « ثمرنواتي » خطأ وكاجتماع فقرات سيف في ثمار بعض الانواع النباتية .

وبعد يلخص بحثنا هذا على الشكل الآتي :

« اللفظة الفرنسية »

أصلح الالفاظ العربية

Achaine	الثمرة الفقيرة
Caryopse	البرة ، الحبة ، الثمرة الحبية
Samare	الثمرة الجناحية
Capsule	الجرو
Pyxide	العلبة
Follicule	الثمرة الجراية
Gousse	السففة ، الحيلة
Silique	الثمرة الخردلية
Baie	العنية //
Péponide	البطيخة //
Hespéride	البرتقالية //
Mélonide	التفاحية //
Drupe	النووية //
Grenade	الرمانية //
Sorose	التوتية //
Sycone	التينية //
Cône	الصنوبرية //
Fruit des Rubus	العليقية //

مصطفى الشهابي



آراء وافكار

—(«)—

الخط العربي

[النقط • الشكل — الحركات • علامات الفصل الخ]

للعلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مصنف نفيس اسمه « توجيه النظر الى اصول الأثر » عثرنا فيه على بحث ممتع في الخط العربي وعلامات الفصل والوقف والحركات المشوبة بغيرها وغير ذلك مما يستدعيه إصلاح الخط حسبما يتناهى أفاضل هذا العصر • البحث طويل يستغرق نحو عشرين صفحة وقد خصصنا منه بعض ماله علاقة بالموضوع مباشرة قال :

علم قوانين الكتاب أو الخط معروف : وهناك علم يسمى علم قوانين القراءة وهو علم تعرف منه العلامات المميزة بين الحروف المشتركة في الصور والعلامات الدالة على الادغام والمد والقصر والفصل والوصل والمقاطع الخ • وهذا العلم وعلم قوانين الخط متلازمان لغاية واحدة وهي معرفة دلالة الخط على اللفظ • وقد ذكر بعضهم ان شدة الاحتياج الى هذين الفنين وفوط عناية النفوس الانسانية بمعرفتهما وتعلمهما أغنت عن التصنيف فيهما •

وقال بعضهم الخط علامة فكما كان أبين كان أحسن • وأهل العلم وان لم يستقبحوا إغفال الشكل في المكاتبات فانهم يعدون ذلك في كتب العلم مستقبحاً • وكثيراً مادعا حسن الخط الى المطالعة في كتاب لا يميل المطالع اليه • ومن تمة جودة الخط مراعاة المناسبة بين الحروف بعضها مع بعض وبين الكلمات كذلك • ومن تمة ذلك مراعاة الفواصل وحسن التدبير في فصل الكلمات • وللخط استمداد من الهندسة ولذلك قال بعض الحكماء الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية • والخط العربي يمكن فيه من السرعة ما لا يمكن في غيره • ويحتمل من تكبير الحروف وتصغيرها ما لا يحتمل غيره • ويقبل من التنوع ما لا يقبله غيره • والمشهور من أنواعه : (المونق) (الثلاث) (النسخ) (التوقيع) (الريحان) (المحقق) (الرقاع) •

ولكل منها شيء يختص به : (فالحقق) و (الريحان) يختص بالمصاحف والأدعية .
 و (السنخ) بالتفسير والحديث ونحوهما . و (الثلاث) بالتعليم . و (التوقيع) بالتواقيع الكبار
 التي للامراء والقضاة والأكابر . و (الرقاع) بالتواقيع الصغار والمراسلات . و (المؤتق)
 بكتابة الشعر . والخط الدقيق لا ينتفع به أحد بل ربما ضعف نظر صاحبه فلا يعود ينتفع به
 هو ايضاً . وقال ابو حنيفة كنا نكتب المصاحف بالكوفة فيمر بنا علي بن ابي طالب فيقوم
 علينا فيقول أجل قلمك قال فمقطعت منه ثم كتبت فقال : هكذا : نوروا ما نور الله
 عز وجل . وقد يكبرون في تدقيق خط الكتب فائدة كأن يكبرون صاحبها رجالاً يحبل
 كتبه معه . قال محمد بن المصعب الارغواني : كنت أمشي في مصر وفي كمي مئة جزء في كل
 جزء ألف حديث . وقيل لابي بكر عبد الله الفارسي وكان يكتب خطاً دقيقاً لم تفعل هذا ؟
 فقال : « لقلة الورق والورق : وخفة الحمل علي العنق » .

وقد اختلفت خطوط الامم من حيث الحركات واتصالها بالحروف وعدمه فيكون الخط
 العربي والبراني والسرياني مما توضع حركته فوق الحرف أو تحته وبذلك تيسر لم ان يجرؤوا
 علي مقتضي الحال من الشكل عند الاشكال وتركه عند عدمه أو عند شدة الاستعمال .
 وللخط العربي من اياها وضع علامات الوقف بحيث يقرأ فيها بدون توقف . وعابه بعضهم
 بان فيه من الاشتباه ما لا يوجد في غيره من الخطوط لكن الشكوى تزول اذا التزم فيه الشكل
 وعلامات الوقف ونحوه .

والعربية أخت السريانية وحروفها أخوات حروفها . واتفق ان وجد في العربية حروف
 ستة زائدة : هي حروف (تخذ ضغط) فلم يخطر عوا لها صوراً جديدة بل صوراً مناسبة لأخوانها
 القديمة فصارت الثاء مع التاء والحاء مع الجاء والذال مع الدال والضاد مع الصاد والظاء
 مع الطاء والغين مع العين على صورة واحدة .

وقد اخترعوا النقط للحروف فزال ما كان يقع من الاشكال بين المتشابهات منها : كالحاء
 والحاء والبدال والذال والسين والشين الخ فصاروا لا يكتبون الا بالنقط سوى بعض
 الكتب القديمة فانها كُتبت بدون نقط جرياً على الطريقة القديمة ثم روعي النقط تماماً الا
 التواقيع فانهم اعتادوا كتابتها بدون نقط كما في الشهادات والصكوك وهذا أيضاً مما
 لا ينبغي ان يقع .

وكانت الحروف العربية قديماً من دون شكل كسائر الخطوط السامية ثم اخترعوا الحركات تحتها أو فوقها لاني صفها كالخطوط السامية الاخرى . وجعلوا للدلالة أوجزاً خاصاً داخل مع الحروف الممدودة في الصف مما لا يوجد نظيره . في الخطوط الأخرى . والحركات ست : حركة محضة : ضمة فتحة كسرة . وحركة مشوبة وهي التي تكون بين حركتين غير خالصة الى احدهما كالحركة التي بين الفتحة والكسرة وهي الالف المائلة الى كسرة — وكالحركة التي بين الفتحة والضمة وهي الالف المائلة الى ضمة — وكالحركة التي بين الكسرة والضمة وهي الياء المائلة الى ضمة أو الضمة المائلة الى ياء .

وبتولد منها حركات أخرى لكن هذه الست هي الاصول . وقد رأى كثيرون من فضلاء العرب اليوم وجوب إحداث علامات تدل على الحركات المشوبة ليكون الخط العربي وافياً بالغرض فيما اذا كتبنا كلمات أجنبية فيها شيء من تلك الحركات الفرعية والواقع تحريف في تلك الكلمات يؤدي أحياناً كثيرة الى تغيير المعنى ولودعاداع الى هذا في عهد الخليل ابن احمد لبادر هو أو أحد تلاميذه الى تلبية الداعي .

وقد يقال لماذا لم يضع الأسلاف علامات لهذه الحركات المشوبة وأجاب بعضهم بان السبب هو كون تلك (الحركات المشوبة) ليست في لغة قریش التي هي المقصود الاول وعليها عند اختلاف اللغات المعول . ويضم الى هذا ما كان لهم من شدة العناية بالرواية والتلقي من الأفواه فلم تبق ثمة حاجة الى إحداث علامات للحركات الفرعية . على ان من بحث وتبع وجد أنهم وضعوا علامات للحركات المشوبة ايضاً وقد ذكرها سيديويه في كتابه كما ذكرت في كتاب (المحكم في نقط المصاحف و كيفية ضبطها) لابي عمرو الداني فاستحسن بعضهم جعل علامة الفتحة المائلة الى الكسرة — الفتحة الاصلية نفسها لكنها مقلوبة بحيث يكون طرفها متجهاً الى جهة اليمين هكذا (ـ) وقد جعل بعضهم هذه العلامة مشتركة بين الالف المائلة الصغرى والالف المائلة الكبرى الا انه فرق بينهما فجعل في الالف المائلة الكبرى تحت الحرف . وربما زاد بعضهم على ذلك فوضع فوق الالف نقطتين هكذا (ٲ) وجعلها في الالف المائلة الصغرى فوق الحرف وقد التزم هؤلاء ان يكتبوا ذلك بالمداد الأحمر .

وأما الفرس ونحوهم فان الأولى لهم أن يضعوا علامة الالف تحت الحرف وذلك

لأمرين : أحدهما ان الإمالة ليست من الامور الطارئة في لغتهم ولذا كتبوا حرف المد الذي بعدها بصورة الياء : الثاني أنهم وان عدوا من كسر نحو سير وشير مما أملوه — لاحقاً فانهم يعدون من فتحه أشد لحناً . والظاهر أنه ينبغي لمن أراد أن يكتب نحو قس وزن وكل بالإمالة كما ينطق به العامة وهو في الاصل مكسور — أن يجعل علامة الإمالة تحت الحرف رعاية لما ذكر . وقد التزم بعض الكتاب ان يجعل الفتحة اذا تلاها مدّة قائمة وبعضهم لم يلتزم ذلك الا في بعض المواضع نحو يرقى ويروى ويهوى والمرتقى والمتقى ونحو راس ويأس واستاذن اذا خففت فيه الهمة بخلاف مثل كاتب وكتابة حتى ان بعضهم يرى عدم لزوم الفتحة فيه مطلقاً لدلالة الالف عليها وخصها بعضهم بالمواضع التي حذف فيها حرف المد نحو هذا وهؤلاء وههنا والآله والرحمن والسموات ولكن ونحو ذلك . وكما التزم بعضهم أن يجعل الفتحة اذا تلاها مدّة قائمة — التزم بعضهم ذلك في الكسرة فجعلها قائمة اذا تلاها مدّة سواء كان ذلك في موضع لا يخشى فيه الاشتباه نحو كريم وحليم وكبير وجليل أو كان في موضع يخشى فيه الاشتباه نحو (أدني وأقصي وأعطي وأولي وأبدي وأخني) فانها أفعال مبارعة للمتكلم وهي اذا فتحت ياؤها صارت أفعالاً ماضية للغائب الا ان الداعي هنا أضعف من الداعي فيما قبله والأولى للكاتب أن لا يلتزم شيئاً لا يلزم خشية أن لا يقوم بحقه . هذا وقد يظن ان الفتحة والكسرة قد وضعتا من أول الأمر على صورة واحدة غير أنه فرق بينهما بجعل الفتحة من فوق والكسرة من تحت وليس الامر كذلك فان التحليل لما وضع العلام جعل علامة الضمة واواً صغيرة توضع فوق الحرف — وعلامة الفتحة الفاصلة فوق الحرف الا أنه جعلها مضجعة وعلامة الكسرة ياءً توضع تحت الحرف واختار لذلك الياء المردودة وهي التي يرجع بها الى الجهة اليمنى هكذا (ے) الا انها تغيرت فيما بعد حتى صارت كافتحة . وقد اختار بعض العجم وضعها فوق الحرف علامة على الإمالة الا أنه اختصر فيها حتى صارت هكذا (ے) ومناسبة الياء للإمالة لا يخفى ولو وضعت تحت الحرف لم يكن في ذلك بأس لتمييزها بصورتها ويمكن التصرف فيها على أوجه شتى مختلفة الوضع هكذا (< < <) وينبغي لمن أراد ذلك اختيار أسهلها عليه . وأما الضمة المشوبة بالفتحة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بدون زيادة شيء عليها الا أنها تجعل مقلوبة بان يكون طرفها متجهاً الى الاعلى

هكذا (٤) وذلك مثل (الصلوة والزكوة والحياة) في العربية عند من يكتب بالواو ويجعل حركة ما قبلها ضمة مشوبة بالفتحة مثل زور وأشوب في الفارسية وينبغي تسمية هذه الحركة بالضمة المشوبة ويزيادة هاتين العلامتين يتيسر كتابة الفارسية بدون إخلال بشيء من حرركاتها وذلك أن الفرس وكثيراً من الأمم لا يوجد في لغتهم إلا خمس حركات وهي الضمة والفتحة والكسرة والفتحة المائلة إلى الكسرة والضمة المشوبة بالفتحة وأما الضمة المشوبة بالكسرة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشوبة بزيادة خط تحتها متصل بها هكذا (ؤ) وهذه الصورة مناسبة لما وضعت له لأن وضع شبه الكسرة تحت الضمة يشعر بأن هنا حركة ممزجة من حركتين هما الضمة والكسرة وأن الضمة متقدمة على الكسرة وعالية عليها وإن كانت التقدم هنا والسبق على طريق المجاز . مثال ذلك صررت (بمذعور وابن ثور) وهذه الحركة وإن كانت قليلة في العربية فهي كثيرة في بعض اللغات المشهورة وينبغي تسميتها بالضمة المائلة لأن في لفظ الامانة بحسب العرف اشعاراً بوجود الميل إلى الكسر ومما يترك لهذه الحركة رد ونحوه من المضاعف المبني لما لم يسم فاعله . وقد أشار إلى ذلك سيبويه حيث قال : أما ما كان من بنات الياء فتعال ألفه لأنها في موضع ياء وبدل منها فتحوا نحوها كما أن بعضهم يقول قد (رد) وقال الفرزدق :

وما (حُل) من جهل حبا حلائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف

فيشتم كأنه ينحو نحو فعل فكذا نحواً نحو الياء : وأما الكسرة المشوبة بالضمة فالأولى أن تجعل علامتها نفس علامة مقابلتها وهي الضمة المشوبة بالكسرة لكونها أشبه الحركات بها إلا أنها توضع مقلوبة هكذا (ة) ومثال ذلك قيل وجي وخيف وهيب وانقيد واختير وخفت وهبت وينبغي أن يكتب مثل قيل وجي على هذه اللغة بالياء دون الواو وذلك لأن الحرف الذي ينتأ عن هذه الحركة هو الياء أقرب منه إلى الواو : وقد ذهب بعض الناس إلى كتابته في غير العربية بصورة الواو وذلك لكونه مشوباً به وجعل الحركة التي أشأ عنها نوعاً من أنواع الضمة لكونها مشوبة بها وهو مخالف للظاهر فإن الظاهر كون هذه الحركة نوعاً من أنواع الكسرة لأن الكسر أغلب عليها وكتابة الحرف الذي نشأ بصورة

الياء لكونه أشبه بها . وأما في اللغة العربية فيشعير كتابته بالياء لثلاثة أمور : (أحدها) ما ذكر وهو كونه أشبه بها . (الثاني) ان أشهر اللغات فيه هي لغة من يلفظ به بالياء . (الثالث) رعاية الاحتياط فانه اذا كتب على هذه اللغة بالواو ولم ينتبه القاري للاشماع وأتى بالضم الخالص يكون قد ترك اللغة الفصيحة وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى لغة غير نصيحة وهي لغة من يقول فيه قول وجو بالضم الخالص . وأما اذا كتب بالياء فانه اذا لم ينتبه للاشماع وأتى بالكسر الخالص يكون قد ترك اللغة الفصيحة وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى اللغة التي هي أفصح منها وهي لغة من يقول قبل وجي بالكسر الخالص . واكثر الناس في أمم العلام اما مفرط واما مفرط . فمن المفرطين في ذلك من لا يكاد يضع علامة في موضع من المواضع . ومن المفرطين فيه من لا يكاد يترك موضعاً بغير علامة وقد رأيت بعض قراء الفرس جعل لما ونحوها علاماً فجعل لما الشرطية الطاء وللإستفهامية الميم والموصولة ائنا اشارة الى أنها خبرية لا انتائية وللزائدة الصاد اشارة الى انها صلة في الكلام ولكافة الكاف وجعل ذلك فوق ميم ما وكتبه باحرف صغيرة بمداد أحمر وجري على مثل ذلك في كثير من الاشياء والاولى في أمم العلام ان لا توضع الا حيث يضطر اليها أو يبعث عليها باعث .

وهاك جدولاً في الحركات وما يتعلق بها :

أسماء الحركات	العلامات	مثالها بالعربية	مثالها بالفارسية	معناها
الضمة	ou جُدْ	رُ	مَلَّان
الضمة المشوبة	o صُلُوْة	خُوْدْ	نَفْسِه
الضمة المائلة	u رُدْ	.	.
الكسرة	i صَلْ	چِه	أَي شَيْءٍ
الكسرة المشبعة	eu هِبْ	.	.
الفتحة	a هَبْ	مَرْ	رَأْس
الفتحة المائلة	e دَرَجَهْ	سَه	ثَلَاثَة

وهذا البحث واسع الأطراف جداً وفيما ذكرنا كفاية للطالب المنتبه والله الموفق .

ومن إجادة الخط مراعاة علائم الوقف . وقد اصطُح كتاب القرآن الكريم على علائم مختلفة لأقسام الوقف المختلفة : بفعلوا (التاء أو الميم) للوقف التام و(الحاء) للحسن و(الكاف) للكافي و(الصاد) للصالح و(الجيم) للجائز . وقد التزموا كتابة هذه العلائم بالأحمر ووضعها فوق موضع الوقف . وللسخاوي تقسيم آخر للوقف وجعل لكل قسم علامة خاصة غير ما ذكر توضع فوق محل الوقف وتكون بالمداد الأحمر والأقسام الخمسة هي : (اللازم) و(المطلق) و(الجائز) و(المجوز لوجه) و(المرخص للضرورة) : فعلمة اللازم (الميم) وعلامة المطلق (الطاء) وعلامة الجائز (الجيم) وعلامة المجوز (الزاي) وعلامة المرخص (الصاد) . وهناك وقف قبج جعلوا علامته (لا) .

وللكتاب اصطلاحات أخرى في العلامات (فالسین) علامة السكتة وهي الوقف اللطيف من غير التنفس . و(القاف) علامة الوقف الذي قال به بعض العلماء دون بعض . و(قف) علامة على ان الوقف مستحب لا واجب .

ومن جملة علامات الوقف ما اصطلح عليه المحدثون من وضع (دائرة) بين الحدين للفصل بينهما . وكذا بعضهم يدع بقية السطر أبيض ليكون البياض مؤكداً للفصل . ومنهم من جعل البياض علامة الفصل وهو مختلف المقادير حسب مقتضيات من تعلق المعاني بعضها ببعض قلة وكثرة وقد أشار الى ذلك ابن السيد حيث قال : والفصل انما يكون بعد تمام الكلام الذي ابتدئ به واستئناف كلام غيره . وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام فان كان القول المستأنف متساوياً للقول الاول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً وان كان مبايناً له بالكلية جعل الفصل أكبر من ذلك فاما الفصل قبل تمام القول فهو من أعين العيوب على الكاتب والوراق جميعاً . وترك الفصول عند تمام الكلام عيب أيضاً الا انه من الاول اه . وكان الصحابة لا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقيل اول ما أحدثوا النقط عند آخر الآيات ثم الفواجج والخواتم . وقال قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا . أي كتبوا الأعراس والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات . وقال بعض المقرئين : لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمزة والمهزات بالصفرة . واول من فعل الشكل في الصدر الاول بطريق النقط هو ابو الاسود الدؤلي . واما الشكل المتداول الآن فن وضع الخليل فالفتحة عنده الف صغيرة فوق الحرف والضممة واو صغيرة فوقها أيضاً والكسرة ياء صغيرة مردودة تحتها ووضع لكل من الهجزة والتشديد والروم والإشمام والسكون علامة .

وينبغي ان يتخذ للوقف اربع علامات :

- (١) علامة السكت وهي خط هكذا (—) يوضع بعد الحرف المسكون عليه والمراد بالسكت الوقفة الخفيفة مثال استعمالها ما تراه في هذا الشعر من قول بعض القضاة :
- [فما خفض الأعادي قدر — شاني ولا قالوا فلان قد — رشاني]
- وقول الكيت :

[وما أنا ممن يزجر الطير — دمه — أصاح غراب أم تعرض ثعلب]

فالسكتة الخفيفة في المواضع الثلاثة لازمة لتساعد على فهم المعنى المراد .

(٢) علامة الوقف الحسن وقد اختلفوا فيها : فمنهم من جعلها كتابة الكلمة الاولى بالحبر الأحمر . أو كتابة الحرف الأول ولا سيما ان كان واواً أو بوضع خط أحمر فوق الكلمة الاولى — كل ذلك إشارة الى أن تلك الكلمة مما يسوغ الابتداء بها وان ما قبلها يسوغ الوقف عليه . ومنهم من يجعل العلامة نقطة صغيرة ومنهم من يجعلها واواً مقلوبة هكذا (و) وهذه العلامة هي التي نختارها مثال استعمالها :

« سوسوا أحرار الناس بمحض المودة ، والعامة بالرغبة والرهبة ، والاسافل بالخفاة . »

(٣) علامة الوقف الكافي واو مقلوبة يزداد عليها نقطة أو خط تميزاً بينها وبين علامة الوقف السابقة هكذا [، أو ، —] .

(٤) علامة الوقف التام نقطة كبيرة هكذا (•) ومنهم من يجعلها ثلاث نقاط على هيئة نقط الشين (•••) أو دائرة مطبقة (○) أو منفرجة (◯) . وإذا كان الوقف التام أنواعاً فيحسن أن يجعل لكل منها علامة من هذه العلامات الأربع ومنهم من جعل للوقف التام علامات غير هذه .

ومن العلامات التي اصطلح عليها الكتاب رقم (اه) المختزلة من (انتهى) حينما يريدون ان الكلام المنقول قد انتهى وتم . وإذا حذفوا جملة في خلال الكلام يقولون (قال) وينقلون الى ذكر ما يريدون بعد حذف المحذوف ثم نحتوا من (قال) حرف القاف فيكتبون هكذا (ق) . واصطلح المتأخرون على وضع علامة للاستفهام واخرى للتعجب وهو حسن اذا روعي وضعها في محلها المناسب لا أن يخط في وضعها خط عشوائي . واما وضع علامة قبل مقول القول للدلالة عليه فيحسن اذا خيف التباس أو نحوه . ومبحث العلامات مبحث واسع الاطراف جدير بان يفرد بالتأليف اه ملخصاً .

مطبوعات حديثة

—(١)—

ديوان الحلاج

[ترجمه الاستاذ لويس ماسينيون]

« طبع في باريس في المطبعة الأهلية — ص ١٥٨ من القطع الوسط. »

الاستاذ لويس ماسينيون أحد أعضاء مجلنا العلمي متفرغ لدراسة الصوفية ، وله في هذا الباب كتاب : الحسين بن منصور الحلاج بحث فيه عن الحلاج من مجامع نواحيه بحثاً مستفيضاً مبنيّاً على القواعد الحديثة في التنقيب وله كتاب آخر بحث فيه عن اصول مصطلحات الصوفية . وله كتاب فيه أربعة نصوص تتعلق بترجمة الحلاج . —

وأخر ما أهداه الى المجمع العلمي : ديوان الحلاج فقد رتب هذا الديوان ونقله الى اللغة الفرنسية ونشره . —

قد يكون نقل الشعر من لغة الى لغة من كلاً خشناً لما في كل لغة من الخشائص والامرار التي لا تكون في لغة غيرها ، فني لغة استعارات اذا نقلت الى لغة ثانية كانت خرباً من السخرية . —

أما نقل المصطلحات الفلسفية من لسان الى لسان فليس فيه من المصاعب ما في نقل صور اللغة الشعرية وخاصة ان كانت اللغة المنقول اليها شتملة على المصطلحات المجردة أي على خصائص اللغة الفلسفية . —

وشعر الحلاج انما هو شعر فلسفي ليس فيه الا القليل من الصور الشعرية وانما احتوى على صور مجردة بعيدة عن الاستعارات وأمثالها فالفاظ العلم والايمان والتجارب والجسم

والروح والخطر والوهم والفكر وأشباهها مما شتمل عليه شعر الحلاج إنما هي ألفاظ مجردة غير لاصقة بالمادة فلا بدعيب وجود أمثالها في اللغة الفرنسية تدل عليها الدلالة الواضحة دون شيء من كمد القلم —

من أجل هذا السبب كان نقل الأستاذ ماسينيون لشعر الحلاج من العربية إلى الفرنسية نقلاً واضحاً حرص فيه صاحبه على خصائص لغة الحلاج وأسرارها —

شفيق جاري



الموجز التاريخي

[للصف الثالث الابتدائي]

«قررت وزارة المعارف في مصر سنة ١٩٣١—١٩٣٢ :

أنه هنري الشماع مدير مدارس جمعية الايمان القبطية بشبرا ويوسف فهمي أستاذ الآداب والتربية بالقسم العالي بالأزهر الشريف —

طبع بمطبعة رعميس — ٤١ شارع الظاهر — مصر .
رسالة مدرسية صفحاتها ٣٨ —

جاء فيها كلام مختصر على العرب وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين : رضي الله عنهم —

وعلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص —

وعلى معاوية بن ابي سفيان وعلى هرون الرشيد —

وعلى احمد بن طولون وعلى المعز لدين الله الفاطمي وعلى الحاكم بامر الله وعلى صلاح الدين الايوبي وعلى شجرة الدر وعلى الظاهر بيبرس وعلى قانصوه الغوري وعلى سليم الاول وعلى محمد علي بك الكبير

وفي الرسالة خرائط وصور بعض المساجد في مصر كجامع عمرو بن العاص وجامع بن طولون وجامع الغوري وصلاح الدين وسليم الاول . —
وفي آخر كل فصل أسئلة تتعلق بالفصل ذاته . —

توخى المؤلفان في رسالتهما سهولة اللغة ولكن هذه السهولة قد خرجت بهما في بعض المواطن عن متانة التركيب فلا يقال : قالب شيق ، ولا يقال تحقق من موته ولا يقال : اشترك في حروب ضد الروم الى أشباه هذه التراكيب الضعيفة فقد يكون الكلام سهلاً من غير ان يكون ضعيفاً في مبناه .

شفيق جبري



بحث لغوي في الراء

« بمعنى الرأي »

[بقلم جبران النحاس]

كراسة صغيرة صفحاتها اربع عشرة أثبت فيها صاحبها طائفة من الأقوال التي جاءت فيها كلمة الراء بمعنى الرأي .

اما الشعراء الذين استشهد بأشعارهم فهم : مطيع بن أبياس وأبو العتاهية وأبرنواس وابن الرومي وابن الهيثام وعمر بن عثمان القيني والبحري والمعتز وابن نباتة السعدي وأبو الفرج البغاء والشريف الرضي ونجم الدين بن صابر المنجيني .

وأما الكتاب فهم : أبو اسحق الصابي ، أبو منصور الثعالبي ، القاضي عبد القادر الجرجاني وقد أورد صاحب الكراسة أبحاثاً لا يتمام وردت فيها كلمة الراء منها :

فاذا رأيت أسي امري أو صبره يوماً فقد عاينت صورة رائه

فقال الصولي في شرحه على هذا البيت : هذا شيء استعمله الطائي وغيره فأما مذهب سيبويه في ذلك فاذا حمل عليه كان كالعينب لأنه لا يجعل همزة حو بائه وما كان مثلها اذا

خفف ياء خالصة ولكن تكون بين بين وياء رأيه ياء خالصة لا يجوز قلبها الى الهذرة في هذا الموضع فيقع الاختلاف في الروي وأما غير سيبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة حوبائه ومثلها اذا خفف ياء وهو مذهب ضعيف ونحو من ذلك ما جاء في شعر أبي النجم لأنه قال :

هل تعرف الربع عفت جواؤه

وقال فيها :

وعزّ شأو المغربين شأؤه

فواو شأؤه لا يجوز ان تعمز . همزة جواؤه لا يجوز أن تجعل . ا . آ خالصة .

شفيق جبيري

مصطلحات علمية

« الترجمة والتعريب »

— (١) —

كنت منذ شرعت تدريس العلوم الطبيعية والرياضية في المدارس العربية بدمشق ،
أي منذ عشرين عاماً ، أرجع أن أخذ هذه العلوم عن الكتب الغربية ، اذ لامشاحة في
أن بلاد الغرب هي منبع هذه العلوم في هذا العصر ، لكنني كنت ألاقى في سبيل الوصول
المؤاغبتي عقبات حمة في ترجمة المصطلحات الأعجمية الى اللغة العربية ، فان نفسي كانت —
ولا تزال — تأبى استعمال تلك المصطلحات على علائها أو تعريبها لاعتقادي بان كلا الحالتين
لا يخلو من الندالة على احد امور اربعة : (الاول) عدم المبالاة باللغة العربية من ان يعتربها
الفساد والتشوه فتصبح بمرور ائز من مزيجاً من لغات مختلفة محرفة الألفاظ مكسرة الحروف
بحيث لا يجدر أن يقال عنها انها «اللغة العربية» بل يجب أن تسمى باسم آخر ، فتبقى اللغة
الأصلية مدفونة في ضرائح الكتب كاللغة اللاتينية وغيرها من اللغات المهجورة لا يعرفها
ولا يقوم بذكرها سوى أفراد تلائل من محبي التفكه بها والولعين بالاطلاع على قديمها ، ثم ان
هؤلاء يأخذ عددهم في النقص كلما أخنى الدهر عليها وأفناها الى ان تدرس وتلاشي فتصبح
نسياً منسياً ، (والامر الثاني) من الامور الاربعة التي يدل عليها تحييد التعريب : التكاسل
عن بذل شيء من الهمة في التفتيش عن ألفاظ عربية تقوم مقام المصطلحات الأعجمية المراد
تعريبها ، (والثالث) العجز عن ذلك ، (والرابع) العمد الى إفساد اللغة لسوء قصد بها .
فلما كنت اعتقد بما تقدم من ان الميل الى التعريب لا تخرج أسبابه عن الامور الاربعة
المذكورة ، ولما كنت أعتمد على سعة اللغة العربية معتقداً بان كل معنى يجول في ذهن
لا بد من أن يكون له فيها لفظ ولو كان كامناً في أغوار معاجمها — كنت آخذ على نفسي أن

لا أجتاز عقبة من عقبات تلك المصطلحات دون تذليلها بترجمتها الى العربية ولو تكبدت في ذلك أعظم المشقات وفاديت باعز الأوقات . وقد وفقت والله الحمد الى ترجمة جميع المصطلحات التي لايتها في نقل ما نقلته الى العربية من العلوم الغربية حتى الآن وخطني في تلك الترجمة مبنية على ما يلي :

اولاً : ان لا اتقيد بالترجمة الحرفية بل كنت أترجم بعض الآلات مثلاً بالفاظ تفيد فعلها أو خاصة من خواصها كترجمتي Coupe - circuit « بالحرارة » وهي الآلة المعروفة عند العامة (بالبوشون) تجعل في مسير التيار الكهربائي حتى اذا اشتد التيار الى درجة الخطر احترقت فانقطع التيار فاندفع الخطر فهي إذن تحرز من خطر الحريق ولذا سميتها بالحرارة ، فلأردنا ان نترجم أعجميتها بالحرف للزم ان نسميها (قاطعة الدارة الكهربائية) ففي تسميتها بالحرارة منفعتان الاولى استعمال لفظ واحد بدلاً من ثلاثة الفاظ والثانية ان يفهم من اسمها ما خاصتها وما فائدتها ، وذلك كما ترجم بعض الأفاضل (بالون) بالمنطاد و (صومارن) بالغواصة و (اوتوموبيل) بالسيارة مع ان كلمة بالون لا يفهم منها الانطباد بل يفهم شيء متنفخ كروي الشكل و (صومارن) معناه (تحت البحر) لا (الغواص) و اوتوموبيل معناه (المتحرك من نفسه) لا (السيارة) مع انه لا يتحرك من نفسه فيتضح من ذلك ان هذه الأسماء العربية أقرب الى فهم حقيقة مسمياتها من أسمائها الأعجمية نفسها ، وهذا من جملة خمس نقل الاسماء الأعجمية الى العربية بالفاظ عربية دون تعريبها كما سنبين ذلك في مقال آخر ان شاء الله .

ثانياً : ان أتجنب في الترجمة الصيغ غير القياسية كاسم الآلة والصفة المشبهة وان اختار الصيغ القياسية كاسم الفاعل ومبالغته واسم المكان أسوة بالمتقدمين الذين ولدوا كلمات كثيرة على هذه الأوزان فان اسم الآلة سماعي لا يصح ان نصوغ على وزنه ما نشاء من الاسماء لان أوزانه كثيرة فالعرب انتخبوا لكل آلة وزناً من الأوزان المعلومة وهكذا جاءت أسماء الآلات مسموعة عنهم فكما انه لا يسوغ لنا ان ننقل أحد هذه الأسماء من وزنه الى وزن غيره من سائر الآلات ، فلا يجوز لنا مثلاً ان نقول بدلاً من ملعقة ملحق وزان مثقب او ملعاق وزان مفتاح أو ان نشق أحد تلك الاسماء من فعل غير الفعل الذي اشتقه منه العرب فنقول (مثكلة) بدلاً من (ملعقة) ، كذلك لا يجوز لنا ان نصوغ أسماء جديدة

على أوزان اسم الآلة ، وأما إذا كان ثمت اضطراب الى وضع اسماء لمسميات حديثة لم تكن عند العرب فالجمال أمامنا واسع لاستعمال كثير من الصيغ القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان ومبالغة اسم الفاعل وهي صيغ لاخلاف في قياسيتها وليس لكل منها سوى وزن واحد بخلاف اسم الآلة الذي كثرة أوزانه لا بد من ان تؤدي الى الخلاف بين المترجمين واللغويين فاذا ترجم احدها (مكروكوب) مثلاً بالمجهر (بالكسر) كان لغيره الحق ان يترجمه بالمجهر ولاخر بالمجهره ومن هنا الخلاف في وضع المصطلحات واتساع الفوضى اللغوية التي نسعى الى ازالتها ، اللهم الا اذا انعقد مؤتمر لغوي عام منتخب من جميع البلاد العربية مفوض اليه توليد ما يرثيه من الاسماء ، يقر اللفظ ثم ينشره بين العرب ، فانه فيكون استعماله شبه إجباري بالتواطوء بحيث لا يصح لمؤلف او مترجم او كاتب ان يستعمل غيره^(١) واذا لم يعقد هذا المؤتمر فان ترجمة الاسماء الحديثة على الصيغ القياسية الآتية المذكور خير من ترجمتها على أوزان مما عية لا ينشأ من السير عليها الا الخلاف والتفرق في الرأي .

ثالثاً : اذا كان اللفظ الأعجمي كلمة واحدة ولم تمكن ترجمته بكلمة عربية واحدة فاني لا أتقيد بذلك إذ لا ضرورة اليه بل يمكن ان تترجم الكلمة الأعجمية الواحدة بكلمتين عربيتين على ان يكون ذلك موافقاً لقواعد اللغة كما ترجمت (الكتروود) بالمنفذ الكهربائي و (مترونوم) بميزان الغناء و (ترمومتر) بميزان الحرارة « وان يكن ترمومتر مركباً في الاصل من كلمتين فانه في الظاهر كلمة واحدة » وكذلك كل ما كان مركباً من (متر) وكلمة أخرى نحو بارومتر (وهو ميزان الجو) ومانومتر (وهو مقياس الضغط) وإغرومتر (وهو مقياس الرطوبة) ، وما المانع لهذه الترجمة ؟ فان قيل ان المصطلح العربي صار كلمتين مع ان مقابله الأعجمي كلمة واحدة فالأرجح ان يبحث عن كلمة عربية واحدة تقوم مقام كلمتين —

(١) وما يجدر بهذا المؤتمر ان يعرض الكلمات التي يستحسنها على أنظار الناس في المدن العربية الكبرى على صفحات جرائدها وان ينظر فيما يرد عليه في تلك الكلمات من الملاحظات وذلك الى مدة معينة ثم يقرتها ، وبذلك يمكن التواطوء على ان يكون استعمال كلماته والأخذ بأرائه شبه إجباري فينتظم الحال وتزول الفوضى ، والا فان اعماله تذهب من هذه الوجهة سدى على ما نظن .

قلت فان وجدت تلك الكلمة فهي مرجمة على غيرها بلاريب ولكن على ان تفيد المعنى المراد وان تكون موافقة لقواعد اللغة ، لا كما أراد بعضهم ان يترجم ترمومتر (بالحرار) ومانومتر (بالمضايط) وإغرومتر (بالرطاب) فهب اننا تواطأنا على توليد أسماء جديدة على أوزان اسم الآلة فان (مضايط) مثلاً لا يفيد المعنى المراد من مانومتر وهو « الآلة التي يقاس بها الضغط » بل يفهم من مضايط « الآلة التي يفعل بها الضغط » كما يفهم من مفتاح الآلة التي يفعل بها الفتح لا التي يقاس بها الفتح ، وشتان ما بين المعنيين . فما الذي يضيرنا من استعمال كلمتين ترجمة لكلمة واحدة اذا لم تساعد سليقة لغتنا على غير ذلك . ألم يكن كثير من الكلمات العربية يقابلها في اللغات الاعجمية كلمتان او اكثر كقولهم Face antérieure (وهي كلمتان) مع ان عربيتهما مقدم (وهي كلمة واحدة) وقولهم Pendant deux jours (وهي ثلاث كلمات) وعريبتها يومين (وهي كلمة واحدة) وقولهم Un morceau de fer (وهي اربع كلمات) وعريبتها حديدة (وهي كلمة واحدة) وقولهم Il est venu (وهي ثلاث كلمات) وعريبتها جاء (وهي كلمة واحدة) ، فهل غبطنا بذلك أصحاب هذا اللسان وقاموا يسعون الى التفتيش عن كلمات مفردة تقوم مقام هذه العبارات ؟ كلا ، فان لكل لغة قوالب فالترجمة هي ان يؤخذ المعنى من اللغة المترجم منها ويفرغ في قوالب من اللغة المترجم اليها ، وعكساً لما تقدم فان سليقة لغتنا كثيراً ما تساعد على ترجمة المصطلح الاعجمي المركب من كلمتين او اكثر بكلمة عربية واحدة كما ترجمت Ultra - microscope (وهي مركبة من ثلاث كلمات) بكلمة عربية واحدة وهي (الجهارة) .

وان قيل ان (ميزان الجو) مركب إضافي وهو مما تصعب النسبة اليه فكيف ترجم Hauteur barométrique مثلاً ؟ قلت لا ضرورة لترجمة النسبة بالنسبة ، بل يمكن ترجمتها بمركب إضافي فلك ان تقول في ذلك « ارتفاع ميزان الجو » (مجازاً اي ارتفاع زئبقه) فتكون حركات على المعنى المراد من العبارة الاعجمية مفرغاً في قالب عربي .

فهذه هي القواعد التي بنيت عليها خطتي في ترجمة كثير من مصطلحات العلوم وحيث ان بعض أصدقائي طلب اليّ ان أنشر تلك المصطلحات على صفحات هذه المجلة ، فنزولاً عند رغبتهم ، سأقوم بنشرها تباعاً مبتدئاً ببعض مصطلحات جاءت في كتابي المطبوع «القطوف

الينية في علم الطبيعة» وقد درجتها كما يلي جاعلاً أرقاماً في حذاء ما لم يسبقني احد اليه منها والله الموفق .

١ — [Calorie — 'حريرة]

ان كل ما قبل الزيادة والنقصان يقال له في علم الطبيعة (قدر) افرسيته Grandeur كالطول والمال والحرارة ولاجل مقايضة كل قدر من الأقدار اضطر البشر الى ان يتخذوا من ذلك القدر جزءاً معيناً ليقايس به سائر أجزاء القدر وقد اصطلح علماء الطبيعة على ذلك الجزء (بالواحدة) — افرسيته Unite^(١) — غير ان اكثر الواحدات تختلف باختلاف الامم فواحدة الطول مثلاً عند العرب الذراع وعند الافرنسيين المتر وعند غيرهم الاصبع والآنش والميل الخ حتى ان بعض الواحدات يختلف عند الامة الواحدة ايضاً بحسب استعماله ، فالافرنسيون اذا أرادوا قياس طول معتدل اتخذوا له المتر واحدة وفي قياس الأطوال الصغيرة يتخذون السنتيمتر وهو جزء من مائة جزء من المتر وفي قياس الطرق الطويلة يتخذون الكيلومتر وهو الف متر ولما لم يكن لبعض الواحدات المستعملة عند الفريين في العلوم الحديثة مقابل عندنا قد اضطررنا الى ان نقبسها منهم ونستعملها في علومنا وصنائعنا التي طالما أخذناها عنهم . فلا قيت اثناء ترجمتي بعض كتبهم طائفة من هذه الواحدات أردت ان استعمل لها الفاظاً عربية فلم أجداً وفق من طريقة قد أتتني بالفاظ عربية فيها من الفوائد ما لم يكن في أصلها الأعجمي وهذه الطريقة هي :

ان آخذ مصدر المرة من مادة القدر المراد قياسه ثم أصغر ذلك المصدر ، مثال ذلك : عندما أردت أن أضع لفظاً يقابل Calorie^(٢) وهي الواحدة التي تقاس عليها كمية الحرارة

(١) وقد ترجم بعضهم Unite بالوحدة وهي ترجمة حرفية لا مبرر لها لان الوحدة مصدر مع ان المراد من Unite هنا ليس المصدر بل الاسم وكذلك كثير من اسماء المصادر الافرنسية يرد بمعنى الاسم المطلق أو اسم المفعول فلو Radiation فانه اسم مصدر بمعنى الاشعاع مع انه يرد بمعنى الشعاع وكذلك Solution وهو الحل فهو يرد بمعنى (الحلول) .

(٢) Calorie مشتقة من كلمة لاتينية وهي Calor او Caloris ومعناه الحرارة .

— أخذت مصدر المرة من الحرارة وهو (حرارة) ثم صغرتَه فصار (حريرة) ففي ذلك فائدتان : الأولى كون مصدر المرة يفيد الوحدة والثانية كون التصغير يفيد ان الكمية المفهومة من ذلك اللفظ هي جزء صغير متخذ للقياس عليه فهاتان الفائدتان غير موجودتين في معنى اللفظ الاعجمي وزد على ذلك انهم يضطرون أحياناً الى اتخاذ واحدة للحرارة اكبر من الواحدة المذكورة الف مرة فيسمونها Grande calorie مما يجعلهم في حاجة الى تقييد الأولى بـ Petite calorie وأما انا فقد سميت Grande calorie بالحررة و Petite calorie بالحريرة . فلا يخفى ما في ذلك من الاختصار وخفة اللفظ .

٢ — [Dyne — أيّدة]

٣ — [Mégadyne — أيّدة]

٤ — [Sthène — آد]

Dyne واحدة متخذة لقياس القوة تساوي جزءاً من ٩٨٠ جزءاً من ثقل الغرام في دمشق^(١) فترجمتها بالأَيّدة تصغيراً للأَيّدة وهو مصدر مرة من آد الشيء إذا قوي واشتد وصلب لأن Dyne كلمة مشتقة من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ، ثم ان عندهم للقوة واحدتين أخريين احدهما ما يسمونه Mégadyne وهي مركبة من كلمتين يونانيتين وهما [Mégas — اي كبير] و [Dunamis اي قوة] فمعنى هذه الواحدة أيّدة كبيرة وهي تساوي الف الف أيّدة^(٢) فسميتها (أيّدة) والثانية ما يعبرون عنه بـ Sthène وهي من Sthénos اليونانية ومعناها القوة ايضاً وهي تساوي مائة أيّدة فترجمتها بـ (آد) بمعنى القوة ايضاً .

(١) او جزء من ٩٨١ جزءاً من ثقل الغرام في باريز لان الاشياء في باريز أثقل منها في دمشق لكون باريز أقرب من دمشق الى مركز كرة الارض وهو مركز الجاذبة التي تولد ثقل الاشياء وهكذا كلما بُعِد عن خط الاستواء تقرباً من أحد قطبي الارض ازدادت الجاذبة الارضية فازدادت الاشياء ثقلاً لان القطبين أقرب الى مركز كرة الارض من خط الاستواء لانضغاط هذه الكرة في قطبيها كما هو معلوم في علم الجغرافية .

(٢) اذا جعلوا في المقياسات Mega في صدر الكلمة أفاد معنى الف الف مرة واذا

جعلوا Micro أفاد معنى جزء من الف الف جزء .

٥ — [Dioptrie — كُسْبِيرَة]

هي واحدة لقياس درجة كسر العدسات البلورية لأشعة الضوء وقدر هذه الواحدة قوة عدسة اذا ورد على أحد وجهيها حزمة أشعة متوازية خرجت هذه الحزمة من وجهها الآخر متقاربة بعضها من بعض حتى تتلاقى في بعد عن العدسة قدره متر. واصل Dioptrie، (Dioptron) وهي كلمة يونانية مؤلفة من Dia بمعنى من بين و Optesthai بمعنى رأى ، فتكون كسيرة ليست ترجمة Dioptrie بالحرف ولا ضرورة الى ذلك كما كنا قدمنا .

٦ — [Barye — ضُعْطَة]

٧ — [Pièze — ضَغْطَة]

Barye واحدة متخذة لقياس الضغط وتقدرها ضغط أ بيده ^(١) على سنتيمتر مربع واحد وهي كلمة يونانية أصلها Barus ومعناه (الثقل) فترجمتها بالضُعْطَة لأنها واحدة لقياس الضغط ، و Pièze كلمة يونانية ايضاً أصلها Pièzein ومعناه (ضغط) تستعمل لقياس الضغوط الكبيرة وتساوي الف مليار ضُعْطَة فترجمتها (بالضغط) .

٨ — [Lumen — ضَوْيْ]

٩ — [Lux — نُوَيْر]

Lumen كلمة لاتينية معناها الضوء سموا بها واحدة اتخذوها لقياس شدة الضوء فترجمتها (بالضوي) و Lux كلمة لاتينية معناها النور سموا بها واحدة اتخذوها لقياس درجة تنور الاشياء بالضوء فترجمتها (بالنوير) ولا يسمع المقام هنا تعريف هاتين الواحدتين .

١٠ — [Erg — عَمَّيْلَة]

Erg كلمة مأخوذة من Ergon اليونانية ومعناها السعي اتخذوها لقياس ما يقال له في علم الميكانيك (العمل الميكانيكي) فسميت هذه الواحدة (عَمَّيْلَة) جريباً على القاعدة التي قدمت بيانها .

١١ — [Loupe — مَكْبَرَة]

١٢ — [Microecope — جَاهِرَة]

١٣ — [Ultra - microscope — جَهَّارَة]

- [Lunette — نظارة]
 [Telescope — راصدة] — ١٤
 [Photographe — مصوِّرة]

Microscope كلمة مؤلفة من الصدر Micro وهو يفيد جزءاً من ألف الف جزء* من المتر أو Micros بمعنى (صغير) ومن Scope وهي مشتقة من Skopein اليونانية ومعناها (فحص) فيكون المعنى «آلة صالحة لفحص الأشياء الدقيقة» فترجمتها (بالجاهرة) بمعنى (كاشفة) من جهر الشيء إذا كشفه وفي الحقيقة أن الآلة المذكورة تكشف ما لا تستطيع العين أن تراه من دقائق الأشياء وقد ترجم بعضهم مكروسكوب بالمجهر (بكسر الميم على صيغة اسم الآلة) مع أن اسم الآلة سماعي لا يسوغ لنا أن نبني على أوزانه اللهم إلا بالتواطوء كما قدمت ذلك في أول المقال .

ومما ينجح لنا ترجمة مكروسكوب بالجاهرة دون المجهر كون المجهر له معان في اللغة العربية «فالمجهر من الكلام والصوت : الجهير ويقال رجل مجهر إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه» فلا يخفى ما في استعمال المجهر بمعنى (مكروسكوب) من الالتباس بين هذه المعاني وزد على ذلك أنه إذا ترجمنا Microscope بالجاهرة تسنى لنا أن نترجم Uta-microscope بالجتهارة (بصيغة المبالغة) وهي آلة تكشف ما لا تستطيع الجاهرة أن تكشفه من دقائق الأشياء فمأجمل المناسبة التي بين اللفظين العربيين (جاهرة وجهارة) بالنظر إلى اللفظين الأفرنجيين Microscope و Uta - microscope ولولا هذه المناسبة بين الصيغتين العربيتين لحرنا بماذا نترجم اللفظ الثاني ومعناه «ما وراء الجاهرة» .

- [Oculaire — العينية]
 [Objectif — الجرمية] — ١٥

للجاهرة عدستان مكبرتان أحدهما ما يضع الناظر عينه عليها فيقال لها عينية ترجمة لـ Oculaire والثانية التي توجه إلى المادة الفحوصة ، وقد عبرت عن هذه المادة بالجرم ترجمة لـ Objet وإن لم تكن ترجمة حرفية غير أن قلة استعمال لفظ الجرم تساعد على أن يجعل له شبه تخصيص بالمادة التي تفحص بالجاهرة أو غيرها من الآلات البصرية وكان الحق

ان يترجم Objet بالشخص لانه ضد الخيال غير ان كثرة استعمال الشخص لا سيما في غير معناه الاصلي لا تساعد على التخصيص المذكور وعلي ذلك ترجمت Objectif بالجرمية .

١٦ — [Revolver — دوارة]

في الجاهزة آلة يعاقب بها بضع جرميات فتدار على محورها لتجعل الجريمة المراد استعمالها امام الجرم المفحوص فتشبهها لها بالآلة التي تبدل فيها القذائف في المسدسات سموها Revolver فترجمتها بالدوارة لدورانها على محورها ولاشتقاقها من Eo revolve الانكليزية ومعناها قلب ولتفت .

[Lame — الصفيفة]

١٧ — [Lamelle — الفراشة]

يجعل الجرم المراد فحصه بالجاهزة على صفيفة رقيقة من زجاج ثم يستر بصفيفة أخرى من زجاج أرق من الاولى كثيراً فالاولى معروفة «بالصفيفة» ترجمت لـ Lamelle اما Lamelle فكان حقها ان تترجم «بالصفيفة» بصيغة التصغير لكن مشابهتها للاولى في الرسم تؤدي الى الالتباس فاضطرت الى ترجمتها بالفراشة (بفتح الفاء وتخفيف الراء) وهي في الأصل كل رقيق من عظم أو حديد .

١٨ — [Diaphragme — الحِظَار]

في الجاهزة تحت عدستها الجرمية صفيفة مستديرة في وسطها ثقبه لتحديد حزمة أشعة الضوء التي ترد على الجرمية فسموا هذه الصفيفة Diaphragme من كلمة يونانية Diaphragma ومعناها الحجاب فترجمتها بالحِظَار (بالكسر) وهو كل شيء حجز بين شيئين وانما رجعت الحِظَار على الحجاب ليكون أقرب الى التخصيص بالصفيفة المذكورة لانه أقل استعمالاً من الحجاب .

[Alcool — الفَوَل]

Alcool كلمة تستعمل بمعنى ما يستقطر من الخمر وتعتبر عنه العامة بالاسبرتو ووجود الالف واللام في صدر كلمة Alcool يدل على انها عربية الاصل لكنه قد تفرقت الآراء في أصلها فمن قائل كل أو كحول ومن قائل كؤول أو كهول أو قولي الى غير ذلك ، اما لكحل فليس من وجه شبه بينه وبين المائع المبحوث فيه إذ ان الاول جامد والثاني مائع والاول

أسود والثاني بلالون اللحم الا اذا قلت ان الأصل كُحِيل (بضم ففتح) وهو النفط « زيت الكاز » فهو يشبه الاسبرتو في أمرين : السائلة وسرعة الاحتراق : وأما كؤول فأقرب لفظ عربي اليه الكؤولة ومعناها أن يشتري الرجل أو أن يبيع ديناً له على رجل بدين لذلك الرجل على آخر وهذا المعنى ايضاً لعلاقة له بمعنى Alcool ، وأما كهول فمعناه ان يصير الرجل كهلاً وهذا ايضاً بعيد عما نبحت فيه ، وكذلك لم أر مناسبة بين الاسبرتو وبين القلي والحاصل اني لم أجد لفظاً أوفق للمطلوب من الغول (بفتح الغين) من غاله يقوله اذا ذهب بعقله أو بصحة بدنه ، ولا جرم أن الاسبرتو يذهب بعقل شاربه وبصحة بدنه وتسميته بالمصدر للبالغة لانه هو مادة الإسكار في كل شراب مسكر ، وقد جاء في القرآن الكريم « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » أي ليس في كأس الشراب التي يطاف بها على أهل الجنة خمار ينثال عقولهم ولا يصدرون عنها سكارى .

[Rayon — شعاع]
[Radiation — شعاعة]
[Rayonnement — اشعاع او تشعشع]
[Vecteur — شُعْ]
[Radiant — مُشِعْ]
[Radiateur — مُشِعَة]
[Roue — شعيع]

الشعاع ضوء الشمس الذي تراه كأنه حبال مقبلة عليك وفي الاصطلاح الشعاع الخط الهندسي الذي ينتشر عليه الضوء افرسيته Rayon وقد دل علم الطبيعة على ان شعاع الضوء الابيض ليس بسيطاً بل هو مؤلف من ألوان لا تحصى أشهرها سبعة معلومة في ذلك العلم فسموا كل لون منها Radiation فترجمتها بالشعاعة لان الشعاعة واحدة الشعاع .

وأما Vecteur فهي كلمة اصطلاحوا بها في علم الهندسة على كل خط ممتد بين محرق الشكل الدوراني [كالقطع الناقص والقطع الزائد] وبين محيطه ومعنى Vecteur الشعاع ايضاً فترجمته بالشُعْ [بضم الشين وتشديد العين] لانه بمعنى الشعاع .

وأما Radiant فهو من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة ترجمته بالمُشِعْ .

وأما كلمة Radiateur فقد عبروا بها عن آلة تستعمل لتدفئة المكان بهواء حار يجري فيها
فترجمتها بالمشعّة لأن هذه الآلة تنشر حرارتها كما تنشر الشمس أشعتها .
وأما Rone — وهو مأثور جم بالدولاب أو بالعجلة — فأرى الأفضل أن يترجم بالشميع
وهو في اللغة العجلة لاسيما وإن قضيانه تكون ممتدة من وسطه الى محيطه كالأشعة .

٢٤ — [Incandescence — التوهج]

٢٥ — [Luminescence — التلألؤ]

٢٦ — [Phosphorescence — البصيص]

٢٧ — [Fluorescence — البريق]

يطلقون بـ Incandescence على إضاءة الشيء ساخناً وبـ Luminescence على
إضاءته بارداً وبـ Phosphorescence على نشره أشعة في الظلام وبـ Fluorescence
على نشره أشعة في الضوء وهو ينار فخصت التوهج بالحالة الاولى والتلألؤ بالحالة الثانية
والبصيص بالحالة الثالثة والبريق بالحالة الرابعة .

٢٨ — [Projecteur — النوّارة]

٢٩ — [Projecteur — الموقعة]

يعبر الافرنسيون بكلمة Projecteur عن آلتين مختلفتين في الشكل وفي الاستعمال
وكان الأجدر أن يعبروا عن كل منهما بلفظ خاص به . أما الاولى فتستعمل لاجل إضاءة
المواضع البعيدة وتبادل اشارات الخطاطبة بتقطيع الضوء بفترات معينة فسميتها بالنوّارة
(بالتشديد) لشدة نورها ولقوة ارسالها أشعة الضوء الى بعد شاسع . وأما الثانية فهي
تستعمل في إبقاء الأخيّة^(١) على ستار ايض في غرفة مظلمة كإبقاء الصور المتحركة^(٢)
وغيرها فسميتها بالموقعة (بضم الميم وكسر القاف) ويقال لها « الفانوس السحري » .
« للبحث صلة »

الطيب : محمد جميل الخاني



(١) الأخيّة جمع خيال وأما خيالات فجمع خيالة . (٢) سنيما .

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

—(١)—

« المحاضرة الثانية »

ليس من اليسير على الباحث الكشف عن حقيقة كتاب كالف ليلة وليلة أصله مفقود ، ومؤلفه مجهول ، وزمان وضعه مبهم ، ومكان حوادثه مشتبّه ، لاننا اذا فرغنا الى التاريخ نسأله قال : إن ما يتصل بالأقاصيص والأساطير كان خارجاً بطبيعته عن اختصاص الاديب ومنهاج المؤرخ ، واذا رجعنا الى نص الكتاب ندرسه لنقبن من لغته وأسلوبه وأسماء أبطاله ومواطن رجاله وعقائد أهله — نصيب كل جنس وجيل في تكوينه وجدناه من هذه الجهة ضعيف الحجة خادع الرأي قليل الفناء ، لان كثيراً من النساخين والقصاصين في البلاد المختلفة قد اعتوروه فنقلوه على وفق لهجاتهم ، وغبشوا به على مقتضى شهواتهم ، حتى لا تجد نسختين منه ثنفتان لافي الترتيب ولا في النص . ففي حكاية البنات مع الحمال والصعاليك الثلاثة مثلاً يقول الصعلوك الثاني : انه قرأ القرآن بالروايات السبع وحفظ الشاطبية ، والشاطبية في علم القراءات كالألفية في علم النحو ، وفي بعض النسخ لا يذكر الشاطبية ويكتفى بذكر الروايات السبع . فلو ان ذكر الشاطبية كان عاماً في جميع النسخ لحكما بان هذه الحكاية كتبت بعد سنة ٥٩٠ وهي السنة التي توفي فيها الشاطبي . وفي حكاية مزين بغداد يذكر المزين الفيلسوف سنة ٧٦٣ في نسخة وسنة ٦٥٣ في نسخة أخرى ، فعلى اي الرقمين نعلم في تاريخ هذه الحكاية ؟ إذن لم يبق للباحث غير الاعتماد على النقد المبني على تاريخ الحضارات المقارن وعلى ما بقي في الكتاب من صور الاماليب ورسوم التقاليد التي لم يشوهها الناسخ ولم يعب عليها الزمن .

كان أول من ذكر الف ليلة من المؤرخين علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ في كتابه مروج الذهب فقد قال حين عرض لأخبار إرم ذات العماد « ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة اليها والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية (وفي رواية أخرى الفهلوية بدل الهندية) مثل كتاب هزار أفسانه ، وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) . والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريته شهرزاد ودينيا زاد » ثم جاء بعده محمد بن اسحق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فقال في الفهرست : « اول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن الفرس الاول ، ثم أغرق في ذلك ملوك الاشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهدبوه ونقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه ، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسانه ومعناه الف خرافة .

وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ، فلما حصلت معه ابتدأت تخبره وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك علي استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة رُزقت في انائها منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان للملك قهرمانه يقال لها دنيا زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب ألف لحيا ابنة بهمن » .

ثم قال ابن النديم في موضع آخر : « والصحيح ان شاء الله ان اول من سمر بالليل الاسكندر وكان له قوم يضحكونه ويخرفونه لا يريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس ، واستعمل لذلك بعده الملوك هزار أفسانه ويحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر لان السمر ربما حدث به في عدة ليال . وقد رأيت به بتمامه دفعات ، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث » .

فالرجلان كما ترون متفقان على ان الكتاب منقول عن هزار أفسانه الفارسي وانه موضوع في خبر الملك والجاريته شهرزاد ودينيا زاد وان اسمه في عصرهما كان الف ليلة لا الف

ليلة وليلة « ولا عبرة بمجى اسم الكتاب كاملاً في الطبعة الحديثة المصرية لمروج الذهب فان ذلك من زيادة المصحح » . ويختلفان في نسب البنت والجارية فيقول المسعودي ان شهرزاد بنت الوزير ودينازاد جاريتهما وهو الصحيح ، ويقول ابن التديم ان شهرزاد من أولاد الملوك وان دينازاد قهرمانة الملك ، ويزيد ان الكتاب يحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر وانه ألف لحيا أو هميا أو حماني أو حمانه أو خماني على اختلاف الروايات وهي بنت الملك بهمن بن اسفنديار .

هاتان الوثيقتان الخطيرتان في تاريخ هذا الكتاب ولا يوجد غيرهما فيما نشر علينا من كتب مؤرخينا القدماء اللهم الا إشارة الى وثيقة ثالثة مفقودة نقل عنها المقرئ في الخطط والمقري في فتح الطيب وعزواها الى مؤرخ مصري اسمه القرطي الف كتاباً في تاريخ مصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي ذكر فيه الف ليلة وليلة وقايس بين قصصه وبين ما يتداوله الناس في عصره من الحكايات المشهورة . وفي هذا دليل على ان الكتاب على أي صورة من الصور كان معروفاً في مصر على عهد الفاطميين ، وان اسمه كان إذ ذاك الف ليلة وليلة ، وان عنصراً من القمص العربي قد دخل في هيكله . ثم تجاهله بعدئذ ادباؤنا ومؤرخونا فلم يحققوا مصدره ، ولم يسجلوا نموه وتطوره ، حتى جاء رأس المستشرقين البارون سلفستر دسافي ، فبدأ البحث العلمي في أصله بمقالين نشرهما في جريدة العلماء Journal des savants أولهما في سنة ١٨١٧ والآخر بعده بأحدى عشرة سنة . وجملة رأيه أن الكتاب تأليف جماعة لا تأليف واحد ، وانه مؤلف في العهد الاخير ، وانه عربي الوضع من فاتحته الى خاتمه ، ودفع قول المسعودي ان فيه عناصر أجنبية من الهندية أو الفارسية . فناقش أدلته قوم آخرون أشهرهم الأستاذ (يوسف قون هامر) الالماني فقد نشر في سنة ١٨١٩ مقالا في إحدى المجلات الالمانية ، وفي سنة ١٨٢٣ مقالا آخر في المجلة الاسيوية أيد فيهما رأي المسعودي تأييداً لا سبيل عليه لاخذ . وفي سنة ١٨٣٩ ترجم الأستاذ (وليم لين) الانجليزي - قسماً من الف ليلة وليلة وقدم له مقدمة حاول ان يثبت فيها ان الكتاب تأليف رجل واحد وانه ألف فيما بين سنتي ١٤٧٥ و ١٥٢٥ للميلاد . ثم استأنف هذا البحث في هذا العصر طائفة من ثقات العلماء أشهرهم : گوچی ومولر ونولدكي واوستروب وكريمسكي وشوفان وكارادثو ، فاستجلوا على قدر إمكانهم ما غمض من أصل هذا الكتاب حتى أصبح

من الممكن بعد تمحيص ما قالوه وتصحيح ما جهلوه أن ثبت في هذا الأصل رأياً يقارب الصواب ان لم يكنه .

[أصل الكتاب وطبقاته] — أصل هذا الكتاب نواة من الأفاصيص الهندية والفارسية تسمى هنارافسانه ترجم الى العربية من الفهلوية في أواخر القرن الثالث للهجرة بعنوان « الف ليلة » وهو الذي رآه المسعودي وانتقده ابن النديم . ثم تجمع حول هذه النواة في الازمنة الواقعة بين القرن الرابع والقرن العاشر من الهجرة طبقتان طبقة بغدادية صغيرة وطبقة مصرية كبيرة . فأما النواة أو الأصل أو الاطار كما يسميه الباحثون فمؤلف من الحكايات الباقية الآتية : حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان وهي مقدمة الكتاب وحكاية التاجر والجني ، وحكاية الصياد والجني ، وحكاية حسن البصري ، وحكاية الحصان الآبنوس ، وحكاية الأمير باسم وجوهر السمندي ، وحكاية أردشير وحياة النفوس ، وحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والأميرة بدور ، وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال .

وقد اختلفت كلمة الباحثين في أصل هذا الأصل كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، ففريق يرى ورأيه الأرجح أن المقدمة وبعض حكايات الأصل هندية ويبنى هذا الرأي على المشابهة في الموضوع والطريقة والأسلوب ، فأما المشابهة والموضوع فإن في حكاية الملك شهريار وأخيه مشابهة من « كناسارت ساجارا » الهندية . وأما المشابهة في الطريقة فإن إدماج حكاية في حكاية وتوليد قصة من أخرى إحدى خصائص الأدب القصصى الهندي وهي ملحوظة في قصة (مهاهاراته) و (بنجه تنري) أصل كريمة ودمنة ، لان الباعث الاول على القصص في أدب الهند كان ابناء الفرسة واكتساب الوقت حتى يؤفك المتهور عن عزمه ، ويحجز المتسرع عن وجهه ، كما فعل البيغاء مثلاً مع زوجة صاحبه في حكاية (سو كاسباتاتي) فقد كان يقص عليها كل يوم أحسن القصص ليعوقها بلهو الحديث عن زيارة خليلها في غيبة خليلها ويقطع حديثها دائماً بقوله : سأقص عليك البقية غداً اذا بقيت في البيت . وهذه الطريقة وذلك الباعث نجدما في كثير من حكايات الف ليلة وليلة فلا نزاع إذن في أنها هندية . وأما المشابهة في الأسلوب فإن من لوازم القاص الهندي ان يقول : لا تفعل ذلك وإلا أصابك ما أصاب فلاناً فيسأله السامع وكيف ذلك فيجيب القاص على هذا السؤال برواية

القصة . وهذا الأسلوب نفسه مستعمل في تلك الحكايات من الف ليلة ، وقولهم فيها وكيف ذلك ؟ ترجمة حرفية لهذه الجملة السنسكريتية (كاتام إيات) ثم يمضي هذا الفريق سيف تطبيق نظريته على بعض الحكايات وينتهي الى ان هناك طائفة من الأقاويص لاشك في انها فارسية وهي حكاية الحصان الآبنوس وحكاية حسن البصري وحكاية ضيف الملوك وبديعة الجمال وحكاية قمر الزمان والاميرة بدور وحكاية بدر باسم والاميرة جوهر السمنديلة وحكاية أردشير وحياة النفوس .

وفريق آخر يرى ان الأصل كله فارسي تأثر بالعقائد اليهودية والايغريقية والاسلامية ويريد أحدهم وهو الاستاذ كوجي ان يجعل بين هيكل الف ليلة وليلة وبين قصة استر اليهودية صلة ونسبة . ذلك لان ابن النديم في الفهرست يقول ان هنار افسانه ألف لحميا بنت بهمن ، والطبري يقول ان استر هي زوج بهمن ، والمسعودي يجعل استر زوجة لبختنصر ويسمها دنيا زاد ، ثم يطلق اسم شهرزاد ايضاً على أم حميا بنت بهمن اي على زوجة بهمن وهي التي سماها الطبري استر . ويقول المسعودي ايضاً في موضع آخر ان أم حميا يهودية ، ويعود الفردوسي والطبري والمسعودي فيطلقون اسم شهرزاد على حميا نفسها وهي بنت الملك بهمن وزوجه على عادة الفرس الاولين . أما وجه الشبه بين قصة استر المذكورة في التوراة وبين مقدمة الف ليلة فهو أن الملك أمريوس كان كالملك شهر يار لا يرى المرأة الا ليلة واحدة ، فتزف اليه البكر مساءً ليطردها من قصره صباحاً دون ان يقتلها كما يفعل شهر يار واستر كانت كـشهرزاد تستهوي الملك وتخلب لبه فيستبقيها ، وهي بنت الوزير وشهرزاد بنت الوزير ، وهي تغرر بنفسها لتنقذ بنات جنسها من شر الفضيحة والذل ، وشهرزاد تفعل ذلك الفعل لتدراً عن بنات قومها خطر السباء والقتل .

أما علة هذه الآراء المتناكرة التي تجعل هذا الأصل عربياً يمجتاً او فارسياً يمجتاً او هندياً مشوباً — فهي ان القصص العرب قد عبثوا به عبثاً شديداً فبدلوا أسماءه وغيروا أسلوبه وموهوا لونه واخترعوا بعضه وطبعوه بطابع اسلامي محض ثم بعثروه في جوانب الكتاب وثأيا القصص حتى التأت على المقاييس الفنية فرزه وتحديدته .

وأما الطبقة البغدادية فتتألف من أقاويص غرامية صغيرة انتزعت من حياة العرب واتسمت بسمة الاسلام وفاضت بنعيم الحب والترف . تمثل حياة الطبقة الوسطى بأسلوب

صحيح عذب وتصور حضارة بغداد في أيام العروس^(١) بخيال قوي لخصب ، وتشهدكم سورة الغني في الأسواق ، وضجة الفلمانيات في الأفنية ، وقصف الجوازي في المقاصير ، ومداعبة الزوارق اللاهية في دجلة ، وتجمل من الخليفة الرشيد ملاك رحمة ورسول عناية . يجي متذكراً وظاهراً في كل مكان بالثروة للمحروم والعدل للظالم والوصل للعاشق البائس . ولا أقصد بذلك إلى أن كل حكاية يتدخل فيها الرشيد تكون بغدادية ، فان افتتان الناس بمجده ، وازدهار العراق في عهده ، جعلاه رمزاً للرخاء والعدل حتى في زمن غير زمنه ووطن غير وطنه .

تجمعت هذه الطبقة في مدى القرنين الرابع والخامس مما أثر عن الرواة ودون في الكتب مستقلاً وغير مستقل . فهي على ما أرجح بقايا القصص التي نشرها الأدباء البغداديون ثم طواها الزمن ، وقد عد ابن النديم في الفهرست عشرات منها كقصة علي بن اديم ومنهله ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف ، وقصة أبي العتاهية وعتب ، وقصة وضاح وأم البنين ، وقصة أحمد بن قتيبة وبانوح ، وقصة ريحانة وقرنفل وقصة سكينه ولرباب الخ . . . وأشهر حكايات هذه الطبقة حكاية علي بن بكار وشمس النهار ، وهي قصة شهيد من شهداء الحب تشعر النفوس حرقه الأسي على جدسها الماثر ونهايتهما المحزنة ، وقد صيغت في أسلوب رقيق وعبارة مهذبة واشتملت على نوع من الأدب يكاد يخلو منه أدب الخاصة وهو الرسائل الغرامية التي تجري بين العاشقين اذا غر اللقاء وعيل الصبر . ثم حكاية أنس الوجود وورد الأكام وهي طبعة حب وشعر وغزل . تجدون من فيها : اماحباً أو حبيباً أو واصلاً بينهما ، والشعر الذي تشتمل انما أنتهي لها خاصة فهو مطابق لمقتضى أحوالها ، مشتمل على أسماء أبطالها ، وذلك قليل في سائر الكتاب كقوله من أبيات :

ما خاب من سمالك أنس الوجود يا جامعاً ما بين أنس وجود

يا طلعة البذر الذي وجهه قد نور الدنيا وعم الوجود

ثم حكاية البنات الثلاث مع الحمال والصعاليك الثلاثة . ثم حكاية النائم اليقظان أو أبي الحسن الخليل . ثم حكاية بدور ونجير بن عمير الشيباني . ثم حكاية الرشيد مع الخليفة الثاني محمد بن علي الجوهري . ثم حكاية المعتضد مع أبي الحسن الخراساني وهي تدور

(١) أيام العروس اسم كان يطلقه البغداديون على عصر الرشيد . (المسعودي)

على السرف والترف والحب وتقص علينا مصرع المتوكل . ثم حكاية الشاب البغدادي مع جاريته . ثم حكاية الجوّاري الضرائر . ثم حكايات السندباد البحري وهي وصف جذاب شائق لسبع سفرات مخاطر في مياه الهند والصين قام بهن السندباد في عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية لم تدرك يومئذ في العمران والعظمة .

ومما لا نجدال فيه أنها كانت في الأصل رحلة حقيقية شوها الناس بالمبالغة ، وزيفها القصاص بالافتعال والتزيد ، ولعل صاحبها هو الذي نحاها هذا المنحى من الاغراب كما فعل يزرك بن شهريار في كتابه عجائب الهند . فلو صفتناها من سخف الأساطير وصرف الحديث كالسكة العملاق التي يظنها الملاحون جزيرة ، وبيضة الرخ التي يحسبها الراؤن قبة ، إذن لتكشفت عن تفاصيل دقيقة تطابق ما كتبه الرحالون في هذا الموضوع كوصف جزر المهر اجا أو المهر جان كما يسميه السندباد ، والبحث عن الماس بواسطة النسور في سيلان ، وما ذكر عن الفيل والكر كدن وشجر الكافور وتجارة القرنفل الخ . . .

وأصدق ما في حكايات السندباد تصويرها لنفسية الرحالة الذي يشفق قلبه حب الأسفار ومصارعة الأخطار وجهاً لوجه ، فهو في كل سفرة يخوض غمرات الهول ويكابد غصص الفرق ويأخذ على نفسه الموثق الغليظ لا يزعم رحلة بعد هذه المرة . فاذا ما عاد سالماً غائماً الى دياره ، ونعم حيناً بالعيش الرخي بين ندماء وسماره ، عاد الوله الشديد الى البحر الغادر ، ونازعته نفسه الطلمعة الى الأفق البعيد ، فيحتوي الراحة ، ويعاف النعيم ، ويتنازع البضائع ، ويكرني السفينة ، ثم يقلع من البصرة !!

واما الطبقة المصرية فهي أوسع الطبقات وأجمعها وأصلحها للبحث وأصدقها في اللهجة وأقلها في البلاغة . تألفت في مدى خمسة قرون بين القرن الخامس والقرن العاشر من القصص العربية والتقاليد الإسلامية والسير اليهودية والاساطير الفرعونية . وقد قسمتها حين حللتها الى طبقتين قديمة تنتهي بالقرن الثامن وحديثة تنتهي بالقرن العاشر . فالطبقة القديمة حسنة الأسلوب مطردة السياق شريفة الغرض تدور على المغامرة والحرب ، وتعارض الأخلاق وتضارب العواطف ، وتعتمد على الطلامن والأرصاد والجن والسحر والقدر كحكاية جودر الساجز وإخوته ، وحكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين ، وحكاية مسرور وزين الموصف ، وحكاية قرالزمان الثانية ، وحكاية الخياط والأحجب ، وحكاية متزين

بغداد وهي قطعة فنية قوية رائعة ، ثم حكاية علي شار او بشار مع زمرد . والطبقة الحديثة على الجملة عامية اللغة ركيكة الأسلوب جريئة العبارة تدور تارة على حيل المحتالين ومكايد العيارين ومخاطر اللصوص ، وتارة على تصوير الأخلاق وتذكير النفوس الغافلة بالعز ، وظهور القس المحتال الباعس بجانب انقص المتصوف الزاهد في هذه الطبقة — إنما اقتضته طبيعة المجتمع المصري يومئذ من التجاء فريق من الناس الى الله وانصراف فريق آخر الى الشيطان . وقد كان من الممكن ان تبدو هذه الظاهرة ايضاً في قصص بغداد لولا ان مغامرات المهر والحب فيها قد غابت في نفوس القاصصين على كل شيء وهم الى ذلك كتاب يتأهبون عن حياة العامة . فقد كان في بغداد على عهد الخليفة المعتضد بالله رجل اسمه العقاب وكنيته ابو الباز شهر بالكيد والحيلة حتى قال فيه المهرودي في الجزء الثاني من مروج الذهب ص ٤٧٩ من طبعة مصر « أنه برز في مكائده وما أورده من حيله على دالة الختالة وغيرها من سائر المكارين والمخالين ممن سلف وخلف منهم » ثم ذكر بعض حوادثه وهي غريبة .

وكان في بغداد كما كان في القاهرة نظام (التوابين) وهم اللصوص الذين اذا أتعدهم الكبر عن السرقة تابوا ورسمهم الخليفة شيوخاً لأصناف اللصوص فاذا حدثت حادثة عرفوا فعل من هي . ذكر ذلك المهرودي ايضاً في ص ٤٧٣ من الجزء نفسه وكانت بغداد والقاهرة تتبادلان هذا الصنف من الزعماء والشيوخ كما يقصه علينا الف ليلة وليلة .

تأثر القصاصون المصريون في حكايات الخليل إذن بطبيعة العمران فضلاً عن تأثرهم بما بقي مذكوراً على بعض الألسنة من أساطير اليهود والفرعونية ، فان قصة علي بابا واللصوص الاربعين مثلاً تشبه قصة وردت في (كتاب الأفاصيص الشعبية في مصر القديمة) الكبير الأثرين الاستاذ (ماسبيرو) . ثم تأثروا في أفاصيص العبر والعظات بالاسرائيليات . حكاية مدينة النحاس وقصة حاسب كريم الدين وبلوقيا وجان شاه ، وذلك مادعا الاستاذ (فكتور شوفان) الى ان يقول ان القصص المصرية الاخيرة إنما وضعها يهودي مصري أسلم ، وذلك بالطبع وهم من الاستاذ لان علم العرب بالاسرائيليات منذ ظهر الاسلام لا يقل عن علم اليهود بها .

وأشهر أفاصيص هذه الطبقة حكاية علي بابا واللصوص الاربعين ، وحكاية علاء الدين

ابي الشامات والمصباح العجيب ، وهي التي اقتبسوا منها لص بغداد للسبينا ، ثم حكاية معروف الاسكاف ، وحكاية ابي قير وابي صير ، وقصة حاسب كزيم الدين ومملكة الحيات وقصة مدينة النحاس ، وحكايات احمد الدنف وحسن شومان وعلي الزبيق ودليلة المحتالة وزينب التصابة ، وحكاية الملك الناصر والولاة الثلاثة ، وحكاية الرجل الصعيدي وامرأته الانفرنكية .

وفوق هذه الطبقات الثلاث أو الاربع تراكم في العصور الحديثة عدد من القصص الكبيرة والأقاصيص العظيمة ليلبلغ الكتاب الغاية التي حددناها له اسمه . وفي هذه الزيادة تختلف النسخ اختلافاً شديداً . من تلك القصص طائفة حائلة اللون من أثر التقليد كقصة عجيب وغريب وسهم الليل وهي من قصص البطولة والحرب تستعز وقائعها في العراق بين العرب والعجم أو بين دين الحنيفة والجنوسية ، وتستعير صورها من قصة عنتره وسيرة ابن ذي يزن ، ثم قصة عمر النعمان وأولاده وهي مضروبة على قالب أردشير وحياة النفوس ، ثم قصة تاج الملوك والاميرة دنيا وهي كسابقتها تقليد لقصة أردشير ، ثم حكاية جان شاه وهي تقليد مخيف لحكاية حسن البصري ، ثم حكاية وردخان والملك جليعاد وهي ملفقة من أمثال كليله ودمنة .

وطائفة أخرى يغلب فيها أثر التجديد كحكاية هكتار الحكيم ، وأقصصة شول وشمول ، وحكاية الجارية تودد وهي حكاية ثقافية تعليمية كتبها فقيه مصري في العهد الأحدث على الرغم من وقوع الحادثة ببغداد ، وقيام المناظرة برياسة النظام المتكلم في مجلس الرشيد ، فان الجارية كانت تقيم السائل في الفقه على المذهب الشافعي وتصرح بذلك ، وتذكر في التقويم الزراعي الشهور القبطية ككيهك وبرموده وبشنس ومسرى وأمشير ، ثم تقول في حضرة الرشيد : الويل ثم الويل لمصر والشام من جور السلطان . ومن الغريب ان الاستاذ أوستروب يقول في دائرة المعارف الاسلامية ان هذه القصة نشرت في انبانيا بعنوان (لادون زلاتيودور) أو تودور . ويظن ان تودد تصحيف تودور . ولم يتح لي الاطلاع على هذه القصة لارنى كيف تتفق مع قصة كل ما فيها مناظرة في علوم الثقافة الاسلامية البعثة .

وهناك عدداً ما ذكرت مجموعة من أقاصيص الفرسان والأجواد ونوادير الاولياء والزهاد

نقلت من العقد القريب والمستطرف وعمروس المجالس ومناقب الصالحين لم يقصد بها الا توسيع الكتاب .

[مؤلف الكتاب وزمن تأليفه وسبب تسميته] — ذهبت جهود الباحثين باطلاً في تحقيق هوية المؤلف ، لان هزارافسانه نقل الى العربية غفلاً لم يسم واضعه ، ثم غشيتهم الطبقتان البغدادية والمصرية على التدريج ، فكان كل قصاص يكتب لنفسه ماسمع وجمع في عصره من ثمرات القرائح وقطرات الأقلام دون ان يسندوها الى راوٍ او يعزوها الى مؤلف . ولماذا يفعل ذلك وهو يريد ان يحفظ ويقص لا أن يروي وينشر ! فلما هيات الاحوال أسباب تدوينها في العهد الذي ذكرته قبض الله لها من ضم شتات الفتى ونسق نظام وحدتها ثم دونها على هذه الصورة . ولم يستطع ذلك الجندي المجهول ان يملئ اسمه على الخلود ، إما لتواضع فيه حمله على إنكار ذاته ، وإما لتواطؤه من النكران والنسيان أمات اسمه بعد مماته ، ومن التوافق الغريب ان أسماء الكتاب الذين وضعوا القصص الفرنسية الكبيرة في العهد الذي دون فيه الف ليلة وليلة قد سحب النسيان عليها ذيله كذلك ، كأن غافي رولان وقصص المائدة المستديرة وقصص الحكماء السبعة مثلاً .

وقد اختلف العلماء في أن يكون المؤلف واحداً أو جماعة ولست أرى لهذا الخلاف وجهاً فان الكتاب تكون على اليقين من أعمال مستقلة ثم نما بالاتفاق على توالي الحقب ، فوضعه وتكوينه إذن عمل جمع ، وجمعه وتدوينه عمل فرد ، وتحليله الى الاعمال الفردية المتعاقبة أمر فوق القدرة ومن وراء الإمكان . أما التاريخ الذي قرأ فيه على هذا الوضع الأخير فهو النصف الاول من القرن العاشر من تاريخنا ، ومن الممكن ان يخصص منه في السنوات العشر الواقعة بين سنتي ٩٢٣ و٩٣٣ وهما توافقان سنتي ١٠١٢ و١٠٢٦ من التاريخ المسيحي . وقد حصره الأستاذ وليم لين الانجليزي بين سنتي ٤٧٥ و٤٨٥ للميلاد اي في مدى خمسين سنة فوافقناه في الغاية وخالفناه في البدء ، ولم نر هذا الرأي اعباطاً من جهة ، ولا استنباطاً من النص الظنين من جهة أخرى ، وانما اعتمدنا في تحقيقه على دليل مادي وهو ان الأستاذ الفرنسي (جلان) قد أخذ ينشر ترجمة الكتاب لبلاط الملك لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٤ وقد نقله عن نسخة عربية مخطوطة في ثلاثة مجلدات أرسلت اليه من سورية بعد سنة ١٧٠٠ وهي مكتوبة بمصر غفلاً من التاريخ ، ولكن الذي نقلها الى الشام وهو من

طرابلس كتب عليها بخطه انه امتلكها سنة ٩٤٣ للهجرة ثم انتقلت من يده الى يد آخر من حلب فكتب عليها ايضا تاريخ هذا الانتقال وهو سنة ١٠٠١ فيكون تأليف الكتاب إذن قد تم قبل سنة ٩٤٣ بزم من تقدره كما قدره (لين) بعشر سنين .

هذا من جهة الطرف الاعلى اما من جهة الطرف الادنى فانا نجد ذكر القهوة المعروفة يتكرر في بعض الحكايات كحكاية ابي صير وابي قير وحكاية علي نور الدين ومريم الزنارية مثلاً وذلك لا يكون قبل العقد الاول من القرن العاشر لان القهوة لم تنتشر في الشرق الا في هذه المدة ، ثم نجد لفظ الباب العالي وبعض النظم العثمانية تذكر من حكايات أخرى كحكاية معروف الاسكاف وهي مصرية قطعاً والعثمانيون لم يستولوا على مصر قبل سنة ٩٢٣ فيكون الكتاب إذن قد دوت بعد هذه السنة وقبل سنة ٩٣٣ .

ذلك تحقيق الزمن الذي صنف فيه الكتاب جملة ، اما تحديد التاريخ لكل حكاية وكل طبقة فذلك عمل ان تيسر في حكاية تعذر في أخرى ، وبعض الباحثين قد حاول ذلك في شي من التوفيق كالاستاذ وليم بوير الامريكي فانه نشر سنة ١٩٢٤ بحثاً في ٤٤ صفحة من المجلة الاسيوية جزم فيه بان حكاية الوزيرين شمس الدين ونور الدين قد كتبت بعد حكم الظاهر بيبرس أي بعد سنة ٦٧٦ ويرجح انها كتبت سنة ٧٠٦ وان قصة الخياط والاحدب بما تشتمل عليه من الحكايات الاخرى كمرين بغداد قد ألقت سنة ٨١٩ للهجرة والدخول في هذا الموضوع يخرج بنا الى التفصيل الذي يملك في الروح ويحمد نشاط الحديث .

سمى العرب هزار افسانه الف ليلة ولو أرادوا الترجمة الامينة لقالوا الف خرافة أو أسطورة ، فعدوهم عن العنوان الصحيح يدلنا على أحد أمرين : إما ان الليلة كانت في اصطلاحهم ترادف الاسطورة باعتبارها زمناً لها وذلك ما يستطيع استنباطه من قول محمد ابن اسحق الوراق : « ابتداء ابو عبدالله الجهمشاري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره وأحضر المسامرين فأخذ منهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . . فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تجميعه الف سمر . . » وإما ان يكون عدد الالف في الاصل إنما أريد به الكثير

لا التحديد على حد قوله تعالى : « ان تستغفر لم سبعين مرة فلن يغفر الله لم » وأحربه ان يكون كذلك فان ابن النديم قد رآه بتمامه مراراً وقال ان فيه دون المائتي سمر وهو اليوم بطبقاته وزياداته واستطراداته لا يتجاوز ٢٦٤ حكاية قسمها المؤلف على الف ليلة وليلة تقسيماً فيه عبث الهزل أو سخف الصناعة فان شهرزاد يدر كها الصباح دائماً ولما يمس على حديثها غير بضع دقائق على انه لم يبق مما رآه ابن النديم الا تلك الحكايات التي مردناها عندما تحدثنا عن الأصل .

إما زيادة الليلة على الالف فمن عمل القرن السادس لان النسخة التي رآها القرطي بمصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي كانت تحمل اسم الف ليلة وليلة . ويقول (جلد مستر) في تعليل زيادة الليلة ان العرب يطّيرون بالأعداد الزوجية وهو زعم غريب مارأيت في تاريخنا ولا في أدبنا ما يؤيده . ولقد ظل الكتاب اكثر من قرنين يسمى الف ليلة وكان الجهشياري يريد أن يسمي كتابه الف سمر وعندنا الفية ابن معطي والفية ابن مالك ، وأغرب من هذا الزعم ان يؤيده أوستروب في دائرة المعارف ويزيد عليه ان ميل الناس في تلك العصور الى التجميع في عناوين الكتب كان من البواعث ايضاً على هذه التسمية ! وليس في قولنا الف ليلة وليلة كما تعلمون تجميع ولا مزاججة . والغالب في رأيي أن الليلة انما زيدت فوق الالف لافادة الكمال كطفحة الاثاء ورجحة الميزان ، لان الالف عدد تام بالنسبة الى هذا الكتاب فاذا زيد عليه الواحد كان كاملاً . والكمال درجة فوق التمام ، وان في لغة التخاطب ما يشبه ذلك فقد يقال في المن قضيت لك الف حاجة وحاجة وفي المبالغة زرتك الف مرة ومرة وهم جراً .

« للبحث ضلة »

احمد حسن الزيات

عضوالمجمع العلمي العربي

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

—(١)—

تمهيد ٠ — محمد ظلي أفندي المعروف بأوليا جلبي اي الولي الفاضل سائح تركي شهير من رجال القرن الحادي عشر الهجري (ولد في سنة ١٠٢٠ وتوفي في سنة ١٠٩٠) زار أكثر الامصار التي كانت تتألف منها السلطنة العثمانية المتراصة الاطراف في ذلك العهد ووضع في وصف رحلاته العديدة بضعة مجلدات لم يطبع منها إلا القليل وهي تعد عند الترك من الآثار القيمة لما تضمنته من بيان عمران البقاع والبلدان التي شاهدها ووصف مناظرها ومبانيها وأحوال سكانها وصفاً لا بأس فيه تتخلله طائفة من البذخ الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لولا أن فيها شيئاً غير يسير من شوائب المبالغة والاحاديث الخرافية وذكر الاضرحة والكرامات التي كان يهتم الجلبي بها كثيراً شأن رجال تلك الايام .

قبل ان اوليا جلبي لم يوفق في صباه في تلقي العلوم وان جمال صوته ساقه للولع بـفنون الادب والموسيقى الى ان كان ذات يوم في رمضان سنة ١٠٤٥ يتلو القرآن في جامع اياصوفيا فأعجب السلطان مراد الرابع بصوته ورفعته الى قصره وجعله من ندمائه . الا أن تلك الابهة والنعمة اللتين صادفهما أوليا جلبي في القصر كانتا محاطتين بضروب التقييد والحصر . فلم تروقا لعينه ولم تنفقا

مع خفته وظرفه وحبه للعريّة والانطلاق وشغفه بالسفر وجوب الآفاق .
 فغادر القصر بعد مكوث سنتين وراح يحول في الامصار تارة منفرداً وتارة
 مع كبار الوزراء والقواد لاسيما مع خاله ملك احمد باشا احد صدور ذلك
 العهد البارزين . ورافق أهم الجيوش التي ساقتها الدولة العثمانية اذذاك في الشرق
 والغرب وحضر الحروب ووصفها وبهذا تسنى له ان يرى اكثر بلاد الاناضول
 والروم ايلي ووصل الى جزيرة كريت وجال ايضاً في أجزاء بعض ايران
 والقفقاس وجنوبي روسية ومولداويا وترانسلفانيا ودالماتيزيا وهنغاريا والنمسا
 والمانيا وهولاندة .

وقد زار هذه البلاد الاوربية وهو في بطانة السفير العثماني المرسل الى
 هولاندة . ولم تفته من البلاد العربية الشام ومصر والحجاز . جاء مرة الى
 دمشق صحبة مرتضى باشا المعين نائباً على الشام وذهب مرة أخرى معه لما
 جرد جنده لحماية الاموال الاميرية من الدروز وغيرهم في جنوبي جبل لبنان
 وجبل الجليل وأرسله الباشا في غيرها بمهمة الى غزة فزباكثر مدن الشام
 الشمالية والجنوبية وعرفها ووصفها . وقد استرعت رحلة هذا السائح التركي
 أنظار علماء المشرقيات في اوربا فترجموا منها ما يختص ببلادهم الى اللغات الالمانية
 والانكليزية والمجرية . لذلك أحبيت ان أحذو حذوهم فأنتقل الى لغتنا وصف
 البلاد العربية التي زارها لحسابي ان في ذلك ما يفيد معرفته من الأوضاع
 الجغرافية والحالات الاجتماعية التي كانت قبل ثلاثة قرون . وقد تصرف
 في عبارة الجليل وحذفت منها ما ليس في ذكره نفع وعلقت عليها نبذاً في ترجمة

الاشخاص وذكر أسماء المدن والقرى التي كانت في طريقه اوحولها مما فاتته بيانه ووصفت منها بعض ما تسنى لي زيارته ورويته أو العثور على ذكره في الكتب الجغرافية والتاريخية والرحلات القديمة والحديثة وعينت بسر الفرق بين حالتها حينما مر بها الجلبي وحالتها الحاضرة ليكون ذلك تكملة لهذه الرحلة واقتداء بما يكتبه مؤلفو كتب الأدلة للسائحون في بلادنا كإيزامبر وشوفه ومونمارسه ويديكر وغيرهم من أفاضل الفرنج الذين لم يقتف أثرهم أحد من كتابنا بعد حتى أصبح هؤلاء الغريون الغرباء يعرفون بلادنا ومساكنها وخطوطها ومصانعها وعادياتها وحالات أهلها وطبائعهم معرفة تامة ليس لأكثر مفكرينا نصيب منها وما ذلك إلا لوفرة ما عندهم من هذه الكتب وأشباهاها وفقدانها لدينا بالكلية .

وقبل الشروع بسر الرحلة لابد من التنويه بأن المحبي صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر وقد ترجم كثيراً من فضلاء الترك وأعيانهم في ذلك العهد لم يذكر اسم أوليا جلبي على الرغم من أن هذا جاء الشام وساح فيها ومكث في دمشق مدة ولم يترجم أيضاً مرتضى باشا الذي جاء الجلبي في حاشيته وظل والياً في دمشق نحو سنة وقد تحررت فلم أعتز على ذكر هذا الوزير الاعرضاً في صدد ترجمة عبدالسلام الارعشي أحد أعيان الجند بالشام وصاحب الجول والطول في ذلك العهد . قال المحبي : وكان عبدالسلام لما وجهت نيابة الشام لمرتضى باشا الكرجي ثانية في سنة سبع وستين ألف وتصرف بها متسلماً اضطرب لذلك اضطراباً شديداً لما كان قد وقع له من المعادة في توليته الأولى فأخذ يدبر أشياء لمدافعته ثم أداه اجتهاده الى ان جمع جمعاً عظيماً في الجامع

الأُموي وأحضر أكثر أهل البلدة وذكر لهم ظلمه وأشار عليهم بأن لا يرضوه
 حاكماً عليهم وكان نائب الشام السابق المعروف بالصلاح دار لم يخرج بعد من
 دمشق وكان مقيماً بالميدان الأخضر فذهب القوم اليه وأبرموا عليه ان يبقى
 نائباً وكتبوا في هذا الشأن عروضاً ومحاضر وأرسلوها الى الابواب السلطانية
 وخرج متسلماً مرتضى باشا هارباً ولما وصل اليه وهو في الطريق ارسل الى الباب
 السلطاني يعلمهم بما وقع فقرر في نيابة الشام بخط شريف فلم يمكنوه وظهروا
 الممانعة وجمعوا جمعاً عظيماً من أوباش الشام وعزموا على محاربته وطلعوا الى قرية
 دوما وهم في جيش عرمرم وكان مرتضى باشا وصل الى القطيفة فلما سمع بخبرهم
 ولى راجعاً ولم يدخل دمشق « اهـ . فيظهر من هذا ان مرتضى باشا عين لنيابة
 الشام مرتين الاولى في سنة ١٠٥٨ حينما جاء معه أوليا جلبي ودخل بموكب
 عظيم واستقبلته جنود دمشق وأعيانها استقبالا فخماً كما سيأتي ذكره . على ان
 هذا الباشا كان على ما يظهر جباراً عاتياً فعزل بعد سنة لكنه عاد للمرة الثانية
 في سنة ١٠٦٧ فلم ترض به جنود دمشق وأهلها واضطروه للرجوع فنقمت
 الدولة بسبب ذلك على عبدالسلام المذكور ورفقائه الذين قادوا هذه الفتنة
 وكان من جملتهم الامير منصور الشهابي وابن عمه الامير علي فقتلتهم جميعهم تباعاً
 وصادرت أموالهم وأملأ بهم وفاقاً لعوائد تلك الايام .
 أما الرحلة فهي كما يأتي :

كان أوليا جلبي يتدبر قضاء فريضة الحج فانتهاز فرصة سفر مرتضى باشا
 المعين نائباً على الشام فالتحق بقافلة الباشا المؤلفة من مئات الحواشي والاتباع

والجند والوف الر كائب والبغال المثقلة بالعتاد والامتعة وغادر مدينة اسكدار في غاية شهر شعبان سنة ١٠٥٨ (١) وراح يتنقل مع تلك القافلة في بلاد الاناضول كأزنيق واسكي شهر وآق شهر وقونية وآذنة ومسيس «المضيصة» وغيرها الى أن أشرف على خليج الاسكندرونة وسار موازياً شاطئ البحر الرومي فوصل الى «يئاس» وهي الآن آخر بلدة تركية متاخمة لبلاد الشام الحالية (٢).

(١) في هذه السنة جلس السلطان محمد خان الرابع على كرسي آل عثمان وهو صبي ابن سبع سنوات .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : يئاس مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المضيصة «وصحيحه انما شمالي انطاكية وجنوبي المضيصة» بينها قرية من البحر بينها وبين الاسكندرية «وصحيحه الاسكندرونة» فرسخان قرية من جبل اللكام . قال البحري :

ولقد ركبت البحر في أهواله وركبت هول الليل في يئاس
وقطعت أطوال البلاد وعرضها ما بين سندات وبين سجاس

والى الشمال الشرقي من يئاس الكنيسة السوداء والهارونية نسبة الى هرون الرشيد الذي اختطها وكأنا من الثغور في طرف جبل اللكام قاله ياقوت الحموي في المشترك . وكذلك كان في هذه الكورة التي تدعى قيليكية التابعة الآن لجمهورية تركيا قلاع عديدة ذكرت مراراً في التاريخ الاسلامي كانت تتعاورها أيدي المسلمين والأرمن والروم في حروبهم وغاراتهم مدة قرون الى ان ثبتت في يد الترك ذكر منها ابو الفداء في تقويم البلدان أسماء سيس التي كانت عاصمة ملك الارمن والمضيصة «مسيس» على جانب نهر جيحان بناها ابو جعفر المنصور وياس على الساحل وبرس برت شمالي سيس وتل حمدون بالقرب من جيحان وفي شرقي هذا التل حصن حموص وسرفندكار وفي شمالي جيحان عين زربة «آناوارزا» هذا عدا عن آذنة وطرسوس وهذه على مقربة من الثغور أو الدربندات في جبال طوروس التي كانت تفصل بين المسلمين والروم . وهذه البلاد كان يدعوها المسلمون الثغور ثم دعوها ببلاد ابن لأون ملك الارمن . وقد تغيرت أسماء أكثر هذه القلاع الآن واصبحت تعرف بأسماء تركية كطوبراق قلعة وپيلان قلعة وقريه سيس قلعة الخ .

وقد وصف قلعة ييَّاس ودورها وبساتينها ودارمكسها ومينائها وخانها
وجامعها الذي بناه محمد باشا الصوقولي الصدر الاعظم الشهير وأثنى على أهلها
لأنهم كانوا يردون عادية قرصان البحر ويحرسون المسالك والمضائق الممتدة
شمالي ييَّاس وجنوبها من شر لصوص الجبال ويسهلون سبيل الحجاج والتجار
المارين يبلدتهم من بر الترك الى بر الشام وبالعكس ونوّه بشدة حرها في الصيف
ورداءة هوائها واضطرار أهلها الى الاصطياف في النجود والهضاب المحيطة بهم
وذكر ان الرفا من الاكراد والتركمان أصحاب قطعان الغنم والماعز يتسلقون
هذه النجود في فصل الصيف ويطلّون مواشيم ترعى أعشابها الغضة وتشرب
مياها النخيرة (١) .

(١) هذه نجود جبل اللكام الذي بدعوه الافرنج آمانوس وعامة الترك كاورداغني ودعته
حكومتهم جبل البركات ، وسلسلة اللكام تعد عند أكثر الجغرافيين التخم الطبيعي بين
الشام والاناضول ويمر الآن في وسطها من الغرب الى الشرق الحد الذي اعتبر رسمياً بين
جمهورية تركيا وبلاد الشام الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، وهي تنفصل في الشمال
عن جبال مرعش وسيس بنهر جيحان وتجه بخط مستقيم الى الجنوب حتى مضيق ييلان الذي
يفصلها عن جبل الاحمر الممتد شمالي انطاكية وغربيها ، وفي هذه السلسلة الشاخنة أودية
وواد محيطة ونجود ومرايع عالية صالحة للاصطياف ورعي الماشية لجودة هوائها وغزارة
مياها وروعة مشاهدنا وطيب أعشابها ووفرة حراجها مما لا نظير له في لبنان أو غيره ، وفيها
قم شاهقة أعلاها الصخرة البيضاء (أق قيا) ٢٥٠٠ متر ومغبر ارموغر ٢٢٦٧ متراً يجللها
الثلج في معظم أيام السنة وتشرفان على سهول حلب وأذنة على السواء ، وفيها مضائق كانت
تعبّر منها في العصور الغابرة جيوش الغزاة والفاتحين من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، وكان
القدماء ولاسيما الارمن أقاموا في النقط الحامكة على هذه المضائق الوعرة قلاعاً كانوا
يشحنونها بالمقاتلة لمنع الاعداء من المرور ، منها في الشمال وفي منتصف الجبال « قلعة حجر

قال اوليا جلبي : وبعد ان مكثنا في يساس يومين غادرناها واجتازنا في جنوبها جسراً متقن الصنع ذا أربع منافذ من آثار محمد باشا الصوقوالي ووجدنا في قربه على شاطئ البحر تكية باسم الشيخ عبد القادر الكيلاني عاصمة الاركان شغلان» صعبة المرتقى تشبه عش النسر بمنعتها ورفعتها تعلو عن سطح البحر ١٢٥٠ متراً ومثلها في الشمال وعلى مقربة من اسكندرونة «قلعة المركز» وفي الشرق على حاشية سهل العمق «قلعة دربساك» ومثلها في الجنوب «قلعة بغراس» . ولما جاء الصليبيون استولوا على هذه القلاع وأقاموا فيها الفرسان الهيكليين وظلت تتعاورها أيدي الارمن والروم وصليبيو انطاكية الذين لم ينفكوا يتنازعون أمرها فيما بينهم كما ان المسلمين في عهد بني حمدان وبني أيوب والمماليك لم يتوانوا عن مهاجمتها حينما كانوا يغزون بلاد الارمن والروم ويقابلهم هؤلاء بالمثل فيتخذ كل منهم هذه القلاع نقاطاً للاستناد عند زحفه شمالاً أو جنوباً وظل هذا الأخذ والرد مستمراً الى ان جهز الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ هـ جيشاً لغزو سيس قاعدة بلاد الارمن اذذاك وولى قيادة هذا الجيش الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر محمود صاحب حماة فنجاء فاستولى على هذه القلاع وأباد الفرسان المرابطين فيها ودمرها ثم أتم غارته على سيس وحواليها ورجع ظافراً . هذا وكان جبل اللكام في اول عهد الاسلام موطناً لقوم عرفوا «في كتب العرب بالجراجمة نسبة لمدينة جرجومة عند معدن الزاج فيما بين يساس وبوقه قرب انطاكية وقد صالح الجراجمة المسلمين على ان يكونوا أعواناً لهم وعينوناً ومسالخ في جبل اللكام وكانوا يستقيمون لولاية مرة ويعرجون أخرى فيكاتبون الروم بمالكونهم على المسلمين وخرج قوم منهم في حرب مصعب بن الزبير الى الشام مع قائد الروم فنفروا في نواحي الشام لاسيما لبنان وعرفوا بالردة فاضطر عبد الملك بن مروان الى أن صالحهم» ذكره في معجم البلدان . وسكان هذه الجبال الشاهقة في يومنا تركمان سنيون لا يزالون على الفطرة معروفون بصدق المعاملة يقطنون في الشتاء في قرام الحنابة في بطون الفجاج قرب السفحين الغربي والشرقي وفي الصيف يصعد أكثرهم كما قال اوليا جلبي — الى المربع والنجد المرتفعة لرعي الماشية وقطع الحطب ويمضون حذوهم جم غفير من أكرد حرة اللجاة في شمالي العمق وهم أهل وير واكارون . وجبال اللكام كانت وماتزال

آهلة بالدرأوش . ثم استأنفنا المسير نحو القبلية فمررنا بتكية ثانية أصغر من الأولى فيها بضعة درأوش ينتسبون الى الطريقة البكتاشية ثم اجتزنا جسراً نصب على نهر تجتمع مياهه من الاودية المتحدرة من أعالى الجبال التي ذكرناها وتصب في البحر . وعلى مقربة من هذا الجسر مررنا بقلعة تدعى « قلعة المركز » تبعد عن البحر رمية سهم بنيت في سفح جبل عال مربعة الشكل ذات بناء جميل قيل أنها من عهد القياصرة (١) . ولما مر السلطان سليم من هذا المكان سنة ٩٢١

غنية بالحراج (١٥٠٠٠ هكتار) على الرغم من انكباب الامم الغابرة على قطعها لبناء الاساطيل والمعابد والقصور وهي قد اشتهرت بوفرة ما في منحدراتها الشرقية والغربية من الصنوبر الحلي والارز والشوح والسنديان والبلوط والزان والقيقب والاشجار المثمرة البرية كالنخيل والافاج والزعفران واللب والصفصاف المستحي والجوز والورد والدارين في الأودية الرطبة كما ان الزمرديق والقطلب ولا سيما اللبنة منتشرة وكثيفة في اكثر الاماكن وفي قرب يباس في لواء اسكندرونة منجم كبير يحوي معادن مختلفة كالحديد والكروم والاميات والمانغانز والنحاس لكنها بنسبة قليلة لا تفي بنفقات الاستخراج . وقد عرف القدماء هذه المعادن واستثمروا منها معدن الزاج الذي ذكر المؤرخون وجوده بين يباس وبوكة .

(١) اذا خرج السائح من يباس موازياً شاطئ البحر يصادف على بعد كيلومتر منها نهر يباس الذي ذكر اولياً جلبي جسره وفي ضفته اليسرى يبدأ التخم الذي اعتبر الآن رسمياً بين بلاد الشام وبلاد الترك وهذا التخم يسير شرقاً بموازية ذلك النهر متساقطة مغير هابطاً ضفة نهر الاسود اليسرى . ويصادف السائح في طريقه سهلاً كثير الحصى والبلاان منبسطة بين سنوح جبل اللكام والبحر وفيه يمر النهر المسى (دكر من دره) وقد ذكر اولياً جلبي جسره . ويرتأي بعض الباحثين ان معركة ايسوس الكبرى التي وقعت بين دارا ملك الفرس واسكندر المقدوني وغلب فيها دارا وكانت سبباً لاستيلاء الاسكندر على بلاد الشام حدثت في هذا السهل الواقع جنوبي يباس والذي عليه اكثر المحققين بائناً وقعت

وهو ذاهب للاستيلاء على مصر افتتحها بالامان وهي الآن تابعة لنيابة يباس وفيها قائد وعدة جنود وحولها كروم وبساتين وفي داخلها جامع وبضعة بيوت لسكنى الجنود .

وبعد ان اجتزنا هذه القلعة مررنا في ساحل البحر بمضيق يدعى صقال طوتان (قابض الذقون) لاتنقطع والعياذ بالله منه اللصوص وقطاع الطريق وجلهم من اشرار الاكراد الذين يهبطون من ناحية الجومة من أعمال حلب . لذلك يجدر بالمجتازين من هنا ان يكثروا من الحيلة والحذر . وبعد ان مررنا بمكان يدعى آجي جاي (النهر المر) وصلنا بعد ساعتين ونصف الى قلعة اسكندرون (١) .

شمالي يباس بالقرب من نهر دلي شاي . اما التكايا التي ذكرها الجلبي فقد دثرت . وبعد مسير عشرة كيلومترات بصادف السائح اطلال « قلعة المركز » التي ذكرها الجلبي ماثلة بجدرانها وبعض أبراجها الضخمة وهي احدى قلاع جبل اللكام المنبئة التي نوهنا بها وبمسيرها وقل من يعرفها الآن بهذا الاسم بل باسم القرية القريبة منها « صاري سكي » وكان الصليبيون يسمونها حصن كاستيم أو حصن كودفروا وثمة في شمالي هذه القلعة اطلال جدار يمتد من الغرب الى الشرق يندعوه الفرنج جدار السلوقيين لا يزال قسم منه قرب البحر سالماً في الجملة وقسم آخر في سفح الجبل وكان هذا الجدار على ما يظهر لسد الطريق ميف وجه الجيوش الزاحفة من الشمال الى الجنوب او بالعكس .

(١) بعد مغادرة قلعة المركز يضيق السهل الممتد في الساحل تدريجاً الى ان يقترب ذيل جبل اللكام من البحر فيؤلف معبراً ضيقاً كان يسميه الرومانيون باب قيليقية والصليبيون Portella وكان يعتبر هذا المضيق في العصور الغابرة الجدا الفاصل بين سورية وقيليقية وكان فيه ملوك الارمن دار للمكس . وقبل الحرب العامة مد الالمات في وسطه سكة الحديد الآخذة من اسكندرونة الى (طوبراق قلعة) فحلب . ويعلو الصخور التي عن يمين

وصف اسكندرونة - سميت هذه البلدة باسم بانيتها اسكندر الكبير وبعد ان خربتها عوادي الزمن عمرت في اول عهد الاسلام (١) ثم خربت مرة أخرى وصارت ملجأ لقطاع الطرق وقرصان الافرنج فاسترعى هذا المضيق ويساره أعمدة رخامية أثرية يعرفها الملاحون باسم أعمدة يونس ويزعمون ان الحوت الذي ابتلع النبي يونس عاد فلفظه على شاطئ هذا المضيق . على حين انها ليست الا بقايا باب كبير من آثار اليونانيين او الرومانيين كان معداً لسد المضيق وفتح في وجه المارين والعابرين او للإشارة اليه . وفي رواية ان جسد الاسكندر بعد موته وضع فوق هذا الباب وصرت من تحته قواده وجحافلهم . وقلعة المركز على قيد غلوة من هذين العمودين ولا يزال سكان هذه البلاد وهم أتراك يدعون المضيق والقلعة معاً باسم صقال طوتان .

(١) قال ابو الفداء : باب اسكندرونة من جند قنسرين . قال احمد الكاتب : وباب اسكندرونة مدينة على ساحل البحر الرومي بالقرب من أنطاكية بناها ابن ابي دؤاد الايادي في خلافة الواثق . قلت ان اسكندرونة كانت موجودة قبل الاسلام . وقد ذكرها المؤرخان اليونانيان هرودتس وكشفون باسم ميريانديروس . الا ان هذه كانت خارج البلدة الحالية والى الجنوب الشرقي منها وكانت مستعمرة لفريق من الفيلقيين . وقد اكتشفوا في الايام الاخيرة كثيراً من آثار ميريانديروس وفسيفسائها . اما اسكندرونة الحالية فهي بلا ريب من عهد الاسكندر شيدتها خلفاءه وسموها باسمه لتجديد النصر الباهر على دارا ملك الفرس في وقعة ايسوس : ولعل ابن ابي دؤاد الذي ذكره احمد الكاتب ربما بعد خراب قد يكون أصابها في ذلك الحين . يبلغ عدد سكانها الآن ثلاثة عشر ألفاً وهم بازدياد أكثرهم من الأرمن اللاجئين من بلاد الترك بعد سنة ١٣٤٠ . وقد جعلت منذ احتلال الفرنسيين قاعدة لتصرفية شبه مستقلة تتبع حكومة دمشق في بعض الامور وتشمل الجزء الشمالي الغربي من ولاية حلب القديمة وألحق بها ثلاثة أفضية اسكندرونة وأنطاكية وقرق خان وألحق بالقضاء الاول ناحية اسكندرونة وعرسوز وبالثاني نواحي أنطاكية والسويدية وعواقية وجبل موسى وكسب والاوردو وقصير الفوقاني والوسطاني والتمتاني والحربية وبالثالث نواحي قرق خان وحاجيندر والريمانية وبيلان .

الحال نظر نصوح باشا الذي كان صدر أعظم في زمن السلطان احمد خان فشرع ببناء قلعة حصينة في اسكندرونة ولكن السلطان نظم عليه بعد حين لتهامل بدى منه فقتله وبقيت القلعة دون اكمال . وحبذا لو اكملت هذه القلعة وجدد عمران اسكندرون لأنها فرضة بحرية ذات مكانة وقريبة من حلب نحو مرحلتين . وقد علمت انه يزورها في كل عام من سفن المسلمين والافرنج اكثر من مائتي غليون . هذا وحرمان هذه الفرضة من قلعة جعل الافرنج يتقاعسون عن دفع المكوس الى الملتزم الذي التزمها بمائتي حمل (١) . ولا سكندرونة قاضي يجبي من قراها خمسة أكياس (٢) ولها ميناء لطيف لولا ان غريبه مكشوف يأتي بالرمل فيحول دون اقتراب السفن من الشاطئ ويضطرها للارسو على بعد رمية مدفع . والى الغرب من ميناء اسكندرونة وعلى بعد ٢٦٠ ميلاً بحرياً (٣) يوجد رأس اندراوس في جزيرة قبرص وقد قيل لي انه اذا اعتدل الهواء وصفا أديم السماء ترى من هنا جبال قبرص المجللة بالثلوج . اما انا فلم يتسن لي رؤية ذلك . ويكثر وجود الافرنج والروم في اسكندرونة لهذا لا تجد فيها جامعاً او خاناً او حماماً او سوقاً سوى الخانات فانها كثيرة . وقد اعتاد الصادي والنادي الى اسكندرونة ان يمكث ليالي الشتاء في هذه الخانات حتى صارت تشبه الخانات . ويجلب الماء الى اسكندرونة على ظهور الحمير من

(١) اذا كان الحمل مائة الف قرش فالمائتا حمل تعادل عشرين مليوناً من القروش ولعل الجلبي مبالغ بهذا المبلغ . (٢) الكيس خمسمائة قرش . (٣) صحيحه مائة وخمسة أميال .

نبيع في خارجها يدعى نبيع القوافل (١) وقد اعتاد الداخلون الى هذه البلدة والخارجون منها ان يضربوا خيامهم قرب هذا النبع . وفي اسكندرونة وكلاء اوقناصل لسبع دول . اما اتقناصل الاصليون فمركزهم في خان الافرنج في حلب . ولما كانت الاسكندرونة فرصة بحرية وباب تجارة لحلب وضواحيها تجد بجانب جمر كها مخازن عظيمة يقوم فيها تجار الافرنج بالبيع والشراء دون انقطاع . حتى انه لما مر مولانا مرتضى باشا من هنا بموكبه الحافل كان من سفن الافرنج ستة وعشرون غليوناً راسياً في الميناء فأطلق كلها المدافع ترحيباً بجانبه ودام الاطلاق مدة غير بسيرة حتى كادت الغلايين لا تبرى من كثرة النار والدخان . وتحيط باسكندرونة مستنقعات (٢) . ثم قمنا من هنا مع الركب فمررنا بنبع القوافل وسرنا نحو القبلية نحاذي الساحل تارة ونصعد في الجبال أخرى وكان المطر ينهر علينا بشدة الى ان وصلنا الى بليدة تدعى ييلان (٣) .

(١) يدعى هذا النبع الآن رأس العين ومدة ما تقدمت اسكندرونة في العمران مدت الانابيب الحديدية من رأس العين الى البلدة وأسيلت فيها المياه واستراحت الحمير من النقل . (٢) كانت هذه المستنقعات ذات مساحة عظيمة تحيط باسكندرونة وتختلل أحيائها وأزقتها وتجعل هواؤها وبيلاً والاثامة فيها خطرة لشدة الوبالة الناشبة في سكانها . دام هذا الحال الى أوائل القرن الحاضر اذ مدت الحكومة العثمانية سكة حديدية صغيرة كانت تنقل بها التراب من الآكام القريبة وتطمر بها تلك المستنقعات وظلت العناية بالطمر قائمة الى الآن حتى زال كثير منها وحسن المناخ عما قبل وازداد عمران الاسكندرونة .

(٣) الطريق بين اسكندرونة وييلان وطوب بوغاز (٢٧ كيلومتراً) معبدة ومعنى بها وهي من أنزه الطرق وأجملها . يغادر السائح مستوى البحر في اسكندرونة حيث الحرارة

وصف ييلان ٠ - وييلان مركز قضاء يتبع أياالة حلب فيها نحو ثلاثة آلاف من السكان ودورها مبنية من الطين على طرفي جبلين متقابلين بينهما واد ٠ وهذه الدور ير كعب بعضها فوق بعض وتبخلها أزقة ضيقة ٠ وهواء

والرطوبة شديدي الوطأة فيمر من أمام رأس العين وعلى قيد غلوة منه المكان الذي يظن انه كانت فيه مدينة ميرياندروس ثم يشرع بتسلق أعضاء جبل اللكام وكلما اعتلى يجدها الهواء العليل والمشهد النضر وفي الكيلومتر العاشر يرى على يمينه الطريق الصاعدة الى قرية صوغوق اولوق (علوها ١٠٠٠ متر وسكانها أرمن) وفي غربيها قرية النار كيزلك (علوها ٥٠٠ متر وسكانها أتراك) ويقصد اهل اسكندرونة وحلب هاتين القريتين للاصطياف حيث يجدون المناخ الطيب والمنظر الجليل والحراج الغيابة والفنادق الجميلة ناهيك عن زرقة البحر ومראה الرائع وفي الكيلومتر (١٠١) مفترق الطريق الصاعدة الى قرية عاتق الارمنية (علوها ١٠٠٠ متر) وهي وان لم تضارع جارتها بالحراج والفنادق لكنها تفوقها بالينابيع الباردة وجمال المناظر في الصرود والشاهقة بقربها كثنية كوزبل (١٦٠٠ متر) وقمة شاكشاك (١٨٣٥) وفيها مشاهد تأخذ بمجامع القلوب حقاً ٠ فالواقف اذا تطلع الى الشرق يرى آكام جبل اللكام تنحدر أمامه نحو سهل العمق ومستنقعاته وبحيرة أنطاكية الزرقاء ومافي شرتهما من الجبال والهضاب كجبل الزاوية والاعلى وباريشا وسمعان والكرد وغيرها امتدة في الأفق البعيد حتى سهول حلب الغربية واذا تطلع نحو الشمال يرى قمماً في جبل اللكام تناطح السحاب كألماطاغ (١٨٣٥) ودازتبه (١٧٠٧) وآق قيا (٢٥٠٠) ومغبر (٢٢٦٢) ويرى بينها نجاداً ومرايع متسعة انتشرت فيها الوف من قطعان الغنم والماعز ترعى الاعشاب والانجم الغضة وفي الغرب سلسلة جبال طوروس التي تنفصل عن آمانوس بسهول قيليقية الفسيحة والبحر الخضم وقد سارت الغيوم البيضاء زرقة فزادت في روعة المشهد ٠ وهذا ما حمل ياتوت في معجم البلدان ان يذكر جبل اللكام تائلاً : هو الجبل المشرف على انطاكية وبلاد ابنليون والمحيطة وطرسوس وتلك الثغور اه ٠ هذا وفي الكيلومتر (١٣) يصل السائح الى ييلان ٠ وهي بلدة جميلة المنظر ، طيبة الهواء ، غزيرة المياه (علوها ٥٠٠ متر) . يتطرها الوادي السحيق الفاصل ما بين جبل اللكام وجبل الاحمر الى شطرين بنيت

بيلان جيد وماؤها عذب وصحة أهلها حسنة وفيها مسجد جميل له قبة مكسوة بالرصاص وامامه خان عامر وفيها ايضاً حمام وحوانيت عديدة وينتج فيها فواكه وأعناب لذيذة فهي صالحة في الجملة للاصطياف ثم ان في الجبال التي تعلوها نجود اشتهرت ببقاء هوائها وطيب مراعيها (١) ثم غادرنا بيلان وسرنا دورها كما قال الجلي في سفي الوادي بعضها فوق بعض ٤ سكانها ٣٠٠٠ ثلثاها من الترك والثلث من الارمن . لم يذكر جغرافيو العرب بيلان اذ لم تكن عامرة في زمنهم وربما هي التي كانت تدعى باب اسكندرون . قال ابو الفداء : باب اسكندرون في زماننا هو دربند بلاد سيس من جهة حلب وهو على دوت مرحلة من بغراس وليس هناك مدينة بالاصالة ولا قرية وبين بغراس وباب اسكندرون اثنا عشر ميلاً اه . قلت والعدران كان منحصراً بقلعة بغراس التي سمي العرب المضيق او الدربند بها في حين ان الافرنج سموه باب سورية (Pylea Syriae) ومنه مرت في العمود الغابرة اكثر جيوش الفاتحين الواردين على الشام او الخارجين منها . وبيلان تقع في مبداء هذا المضيق العظيم الذي يفصل جبل الاسكام عن جبل الاحمر وربما كان اول من سعى سيفي عمران بيلان هو السلطان سليمان القانوني فقد أعجبه مكانتها من الوجهة الحربية والتجارية فبنى فيها في سنة ٩٦٠ هـ الجامع والخان اللذين ذكرهما اوليا جاي ووضع جنوداً لحفظ المضيق وأسكن عدداً من التركان جلهم من الاطراف وما زال هؤلاء يزدادون وبيلان تتقدم في العدران وصارت ممر القوافل والجيوش بعد ان كان الممر بعيداً عنها قليلاً الى الشمال وصار اهل اسكندرون يلبأون اليها في الصيف للتمتع بهوائها ومائها اللذين نوه سائحنا بنجودتها . وما يرحت بيلان في عهد بني عثمان مركزاً للقضاء الى ان وفدت في سنة ١٣٤٠ هـ وما بعدها جموع الارمن على اثر اخراجهم من بلاد الترك فاسكنت الحكومة الافرنسية طائفة منهم في موضع (فرق خان) في غربي سهل العمق وعلى طريق حلب المعبدة فعمروا هذا الموضع الذي لم يكن الى ذلك الحين شيئاً مذكوراً وجعلوه بلدة حافلة بالبور والحوانيت والفنادق والمقاهي وغيرها ثم نقلت من مركز القضاء اليه في سنة ١٣٤٢ هـ وتركت بيلان قاعدة لناحية فأقل نجمها من ذلك الحين .

(١) يعني الجلي نجود جبل الاحمر المعروف هنا بقزل طاغ ويعدده البعض تمة سلسلة

نحو الجنوب نصل عقبات ونهبط أودية الى ان اجتزنا مضيقاً فيه جنود مكلفون بحفظ الدروب (١) وشاهدنا في يميننا على بعد رمية مدفع «قاعة بغراس» وهي

أمانوس ويحسبه آخرون مستقلاً عنه بمضيق يبلان . وهذا الجبل وفروعه الغربية الممتدة من جنوبي يبلان الى ميناء عرسوز ورأس الخنزير قد اشتهر مثل جبل اللكام بما في منحدراته وأطامه من حراج الشجر الغضيف والمرايع الغضراء والمشاهد الجميلة والينابيع السارية مع شيء من الضباب الذي يخفف وطأة الحر في الصيف . واكثر حراجه مؤلفة من الصنوبر الحلبي والصنوبر الاسود والبطم والبلوط والقطلب والشوح والجوز وغيرها ويستخرج القطران من أشجار الصنوبر بكثرة . وفي هضابه المرتفعة آثار معادن مختلفة لم تستثمر بعد . ويقطن النصيريون في السهول الساحلية المطابقة لسفوحه الغربية بين اسكندرونة وعرسوز وأشهر قراهم قره آغاج وهم فلاحون ويقيم التركمان في النجود والهضاب لاسيما حول غابات كسريك وقره كوز وجنككان وبش اولوق ومهنتهم قطع الحطب وصنع القطران وهم على الفطرة وصدق المعاملة وتربي قرى الارمن في جبل موسى غربي انطاكية الى الشمال دود الحرير ويصنع أهلها الامشاط من خشب القطلب . وفي سني الحرب العالمية لما أجهزت الحكومة العثمانية هؤلاء على الهجرة كما جرى لبقية الارمن اعتصموا بجبلهم بين الحراج وحاربوا الحملة التي هاجمتهم واستبسلوا الى ان توصلوا للاتفاق مع سفن الحلفاء فركبوها رجالاً ونساءً وانتقلوا الى ساحل مصر وهناك القوا كتائب الانتقام الارمنية التي زحفت مع جيش الجنرال النبي سنة ١٩١٨ ودخلت مدن الشام وكان منها ما ذكره المؤرخون .

(١) بعد مغادرة يبلان يظل السائح صاعداً في طريق طوب بوغاز الى الكيلومتر (١٦) حيث يلاقي مضيق يبلان او دربند بغراس كما كان يدعى «علوه ٧٠٠ متر» فيشرف من هذه الروابي النضرة على منظر غاية في الروعة والبهاء فهو يرى في الشرق سهل العمق ومستنقعاته وبحيرته والجبال والآكام المحيطة به فيخلق في سماء التفكير ويتذكر كيف مرت من هنا جمافل الأشوريين والفرس والمقدونيون والرومانيين والبيزنطيين والمسلمين الأولين بقيادة ميسرة بن مسروق العبسي والحملة الصليبية الاولى وجيوش المماليك والتركيان والتتار وابراهيم باشا المصري الذي كسر فيه سنة ١٢٤٨ الجيش العثماني بقيادة

قلعة قديمة تعاورتها أيدي كثير من الملوك الى ان افتتحها السلطان سليم بالامان حينما مر بهذا الطريق وهو ذاهب لقتال الملك قانصو الغوري في مرج دابق . والقلعة صغيرة القد خمسة الشكل مبنية على هضبة اتخذت قضاءً تابعاً لولاية حلب وأقيم فيها كتحدا وقائد جند الانكشارية ومحافظ القلعة وجنود وفيها جامع وخان وحمام وسوق صغيرة (١) على انها لانحرافها عن الطريق ليست

السردار حسين باشا . وبعد المضيق يبدأ الطريق بالانحدار في الكيلو متر ٢٠ موقع جقالي وفيه مخفر للدرك يؤمنون السابلة في هذه المسالك الوعرة وهنا يلح السائر على يمينه (قلعة بغراس) رابضة فوق رابية تشرف على هذا الطريق .

(١) قال ابو الفداء : بغراس من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها عين وواد وبساتين قال ابن حوقل وبغراس على طريق الثغور وكان بها دار ضيافة لزيدة وهي في الجبل المطل على عمق حارم وفي معجم البلدان لياقوت بغراس مدينة في لطف جبل اللكام بينهما وبين انطاكية اربعة فراسخ ذكرها البحتري في شعر مدح به احمد بن طولون الذي حاصر سبأ الطويل التركي صاحب انطاكية في سنة ٢٦٤ وجرت بينهما حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم قال البحتري :

سيف لها في كل دار غداً ردى وخيل لها في كل دار غداً نهب .
علت فوق بغراس فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

كانت تدعى هذه القلعة في زمن الروم حصن لوقا وهي في يومنا خراب في الجملة على ان اطلالها لا تزال ماثلة وهي اكبر مما ذكره الجلي كانت تسع زهاء الف جندي وكان لها سورات وكنيسة وبهو كبير واربع طبقات من القاعات المعقودة سقوفها وكثير من المستودعات والاصطبلات والغرف والآبار وكان لها قناطر علوها ١٨ متراً تأتي بالماء من الجبال الى القلعة والبناء الحالي اسلامي يتخلله بعض آثار الروم والصليبيين . قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ماخلاصته : ان لقلعة بغراس مآسي مفجعة في تاريخ المسلمين منها ان الروم لما جاؤا بقيادة القيصر نيكوفور فوكاس في سنة ٣٥٨ هـ وغزوا بلاد الشام

عامرة وانحصرت الآن شهرتها بزهورها الفياحة لاسيما بالسنبيل والمسك
الرومي وأهلها يقلعون من جبالها وحدائقها أبصال الزهور الجميلة فيحملونها
ويبيعونها في بقية البلدان وقد يصلون بها الى استانبول . « للبحث صلة »
وصفي زكريا



حتى حمص وعرة وطرابلس وجميع الساحل واعملوا فيها النهب والحرق والخراب عادوا
ومعهم من السبي مئة الف صبي وصبيته من ابناء المسلمين ولما ساقوا هؤلاء المساكين امامهم
ليأخذوهم الى القسطنطينية اشتدت انواء الشتاء وسدت المسالك في جبال آمانوس وطوروس
فاضطروا للوقوف بهم في قلعة بغراس . ولما لم تكن الأقوات ووسائل الايواء والتدفئة
كافية حصدهم الجوع والبرد والامراض وصارت سهول العمق مقابر لهم . قلت وبعد
ثلاث سنوات تمكن الروم من فتح انطاكية بخيانة اهل بغراس الذين بعد ان التجؤا الى
انطاكية نقبوا الأسوار ومكنوهم من الدخول . وحينما جاء الصليبيون في الحملة الأولى
اخذوا بغراس فيما اخذوه من بلاد الشام الشمالية وجعلوها مع قلعة دربساك وحارم وارتاح
محقرأ اماميا لانطاكية الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٤ فحاصر
بغراس ودربساك وقتلها بشدة حتى افتتحها بالامان الا انه بعد بضعة اعوام جاءها مقدم
الأرمن ابن لأون فدخلها وظلا يده تارة ويند الصليبيين أخرى الى ان استولى الملك
الظاهر يبرس عليها نهائيا حينما فتح انطاكية عنوة سنة ٦٦٨ . هذا ولم يبق من القرية
في اسفل القلعة من العمران الذي ذكره الجلي سوي ٣٠ — ٤٠ دار منتشرة على طول
الوادي والعيون والبساتين التي ذكرها ابو الفداء يسكنها فلاحون من النصيرية والتركان
ولم أدر اذا كانوا كما قال الجلي يتاجرون حتى الآن ببصل الزهور أم لا .

عبقريّة الجاحظ (١)

—(١)—

تبين لنا في كلامنا على عصر الجاحظ ان الجاحظ متصل بكل أفق من آفاق هذا العصر ،
فلئن استفاضت حرية التفكير في عصره فما غاب عن هذه الحرية فقد كان يرجع الى عقله
في كل مذهب من مذاهبه ، ولئن شاعت الزندقة والخرافات والباطيل في أيامه فما غفل
عن الشديدها والتقذر منها ، بقي أن نعلم مقدار اتصاله بالناحية الثالثة من نواحي عصره ،
وهي جهة الانقلاب الفكري فما هو نصيب الجاحظ من هذا الانقلاب . —

نقلت في أيامه كتب الهند وترجمت بحكم اليونانيين وحوّلت آداب الفرس ، فما هو
حظ الجاحظ من هذا النشاط الفكري . —

قد كنت ذكرت لكم في بعض المواطن ان الجاحظ انما هو كامل من الكلمة وأردت
بكلمة الكامل ما يريدّه الافرنجة بكلمتهم Encyclopédiste فالجاحظ لخص معارف عصره
على نحو ارسطاطاليس في القديم ، وقد أشار بعض الافرنجة الى امتداد هذه العبقريّة
وانبساط مجالها فاستشهد أحدهم وهو البارون «كارادي فو» Baron Carra de Vaux
في كتابه : أصحاب الفكر في الاسلام ، بفصل الجاحظ في تقع الكتاب وهو الفصل
الذي عقده في مقدمة كتاب الحيوان فدلّ على براعته في الانشاء فبعد أن ذكر البارون
طائفة من هذا البحث نال :

« هذا بوجه التقريب نمط من أنماط فصول الجاحظ ، ان في هذا كله مجموعاً قديكون
في بعض الأحيان غير منسجم ولكنه ملآن بالحوادث والأفكار ، اني لا أجسر على أن

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء الجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ هـ .

أو كد أن كل فصوله قد تكون خصيبة مثل هذا الفصل ولكننا قد نلاقي في كلها بعض الشيء ، ولنذكر أيضاً أن في رسائله الصغيرة قطعاً جديدة باستيقاف الباحثين وخليقة بدراسة خاصة ففي رسالة الترييع والتدوير تعرض لنا ولا أدري كيف يكون ذلك سلسلة طويلة فيها مسائل في كل أنواع الموضوعات والعلوم ، في التاريخ والأساطير وطبقات الأرض كأن هذا كله إنما هو برنامج «موسوعة» تدل على روح التطلع في القرن التاسع وفي رسالة الأسود والأبيض كلام موجز على تاريخ الزنج وذكر أبطالهم وفتوحاتهم ، كل هذا مجموع حوادث قلّ من يعرفها وقد تنفع في البحث عن روح الأمم والأجناس . —

ان هذا النوع من علم الروح كثيراً ما يستهوي الجاحظ فهو يرجع اليه من حين إلى آخر فان عقله الغريب الميال إلى النقائض يحمله على النظر في الأمم التي لم يكن لها على أيامه مقام عال ، وعلى هذه الصورة ان لرسالته في مدح الترك فائدة ومن الممكن ان تكون هذه الرسالة اول الكتب التي توسّع أصحابها في الكلام على الترك وجعلوا لهم بعض الشأن فان خصائص الأمم تشغل ذهن الجاحظ فهو يأتي على ذكرها في عدة مواطن . — «

* * *

خاض الجاحظ في كل باب من الأبواب فلم يتعاضمه الكلام على الاجتماع أو على الأخلاق أو على التربية والتعليم أو على الطبيعة أو على التاريخ الطبيعي أو على فلسفة اللغة إلى غير ذلك من المذاهب التي تدلّ على سعة عبقريته غير أن استقصاء هذه الغرائب والعجائب قد يطول أمره ولكننا لامندوحة لنا عن الإلمام ببعضها حتى نعرف شيئاً من امتداد عقل الجاحظ . —

يتنقل الجاحظ على نحو ما تال البارون «كاراديثو» من فكر إلى فكر ولكنه بطل في هذه التقلبات صاحب نكتة ، خفيف الروح ، محبوب النفس ، انه يلعب من دون ان يضجر غيره في هذا اللعب . —

مرةً يخطر بباله باب من أجل أبواب الاجتماع في هذا العصر وهو الكلام على حقوق النساء فينبغي للدفاع عن المرأة والمطالبة بتوفير حقوقها فكأنه نصير النساء في أيامنا

هذه (١) :

«ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر ولكننا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الزرابة ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويخسونهن أكثر حقوقهن وأن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بان ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولو لا أن ناساً يفخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخور لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب —»

وقد قال في مقام آخر (٢) :

«ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات وكذلك الإخوة والأخوات والبنون والبنات وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم —»

ومرة بتغلغل في أعماق الجماعات فينقأ النظر في أخلاقهم فلا يزال يمارس هذه الأخلاق ويدون في ذهنه نتائج مراسمه وتجربته حتى يكشف الغطاء عن أسرارها فيقذف في هذا المعنى بالرأي الخمير الذي لا تزيده الأيام إلا قوة وتمكناً من هذا الباب كلامه على السفلة والوضعاء والمحقرين الذين إذا صار إليهم شيء من الأمر ظلموا وغشموا (٣) :

«والكبر في الأجناس الدليلة من الناس أرسخ وأعم ولكن الذلة والقلّة مانعتان من ظهور كبرهم فصار لا يعرف ذلك إلا أهل المعرفة ، كمبيدنا من السند وذمتنا من اليهود ، والجملة أن من قدر من السفلة والوضعاء والمحقرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته على مراتب القدرة ما لا خفاء به فإن كان ذمياً وأحس بما له في صدور الناس تزايد في ذلك واستظهرت به طبيعته بما بطن ان فيه رقع ذلك الخرق

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد — الجزء الأول ص ١٥٢ .

(٢) = = = = = ص ١٦١ .

(٣) كتاب الحيوان الجزء السادس ص ٢٢ .

وحياض ذلك الفتن^(١) وسد تلك الثمة فتفقد ما أقول لك فانك ستجده فاشياً وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار المملوك أسوأ ملكاً من الحر وشي لا قد قتله علماً وهو اني لم أر ذا كبر قط على من دونه الا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه —»

ونحن اذا تفقدنا ما قاله وجدناه فاشياً كل الفشو حتى نكاد نلص بايدينا هذه الأخلاق في كل جانب من جوانبنا فما أصدق قوله ، وما أبين رأيه ! لقد تعمق في روح الجماعات وأمعن في دراسة هذه الروح فبعد دراسته للحيوان وإظهاره لآخلاقه وطبائعه ومقابلته بين أصناف هذا الحيوان وكلامه على تعادي هذه الأصناف ، بعد هذا كله يرتفع الى أفق أعلى من أفق الحيوان فيصور عداوة الانسان ويوضح أسباب هذه العداوات فيقول^(٢) :

« وأسباب عداوات الناس ضروب منها المشاكسة في الصناعة ، ومنها التقارب في الجوار ، ومنها التقارب في النسب والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة والمساكن عدو للمسكن والفقير عدو للغني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفعل للخصي وبغضاء السوق موصولة بالملوك وكذلك الوصلة بالمال الرغيب وكذلك الوارث والموروث ولجميع هذا تفسير ولكنه بطول —»

فلو أحببنا أن نمحّن قوله في هذه الايام لما وجدنا فيه انحرافاً عن الحق فليس آراءه في الاجتماع الا بنات تجربته وعيانه وكما انه درس أخلاق الجماعات العامة فكذلك درس أخلاقهم الخاصة وأمعن في هذه الدراسة في مثل كلامه على البخل أو على الفسق أو على الحسد فلم يفته لون من ألوانها أو حركة من حرركاتها أو هيئة من هيئاتها ، ومن قرأ كتابه في الحاسد والمحسود تجلّت له قدرته على تصوير الاخلاق الخاصة فيكاد يكون في هذا الباب عالماً من علماء النفس يتصل باجزائها فيقاربها ويخالطها ويعرض لكل ناحية من نواحيها ويصف هذه الناحية أدق وصف وبصورها أتم تصوير حتى اذا فرغ من البواطن اتقل به الكلام الى الظواهر فراقبها وتأمل فيها واستخرج منها صفاتها البارزة وخصائصها الظاهرة ولولا اني اعتقد ان في نقل طائفة من هذا كله تشويهاً لحاسنه لنقلتها لكم —»

ماذا أنقل ، أأقل هذا التعريف الوجيز الذي صور فيه بكلمتين داء الحسد فقال : « والحسد أبقاك الله من داء ينهك الجسد ويفسد الأود ، علاجه عسر ، وصاحبه

(١) كذا في الاصل . (٢) كتاب الحيوان — الجزء السابع ص ٣٠ .

ضجيز وهو باب غامض وامر متعذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فداويه
في عناء ٠ — «

فمن كان له صلة بحاسد من الحساد تجلت له صحة هذا التعريف وشعر بقوته فأبى
حاسده لم ترجسه منهو كآ و صدره ضجراً لا يملكه غمض الليل ولا يذوق لذة البال فلا تقع
عينه على صاحب نعمة الا اضطربت كل أعصابه وكان الطبيعة عادلة فقد جعلت في قلب
الحاسد عقابه وما هذا العقاب الا النار التي تأكله ٠ —

أم أنقل لكم حالة الحاسد الظاهرة :

« وما لقيت حاسداً قط الا تبين مكنونه بتغير لونه وشخص عينه واخفاء سلامه
والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاستئصال لحديثك والخلاف لرأبك ٠ — «
أم حالته الباطنة وهي تنحصر في :

« تراكم الغموم على قلبه واستكبان الحزن في جوفه وكثرة مضغه ووسواس ضميره
وتنقص عمره وكبد نفسة ونكد عيشه ٠ — «
أم تمكن الحسد من صاحبه وسلطانه عليه :

« ما خالط الحسد قلباً الا لم يتمكن ضبطه ولا قدر على تشجينه وكتمانه حتى يتردد عليه
بظهوره واعلانه فيستعبده ويستميله ويستنطقه لظهوره عليه فهو أغلب على صاحبه من السيد
على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الأسير على أسيره ٠ — «
أم وصفه علاج الحسد :

« فاذا أحسست رحمك الله من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت من مخالطته فانه
أعوان الاشياء على مسالته وحصن سرّك منه تسلم من شره وبوائق ضره واياك والرغبة
في مشاورته ولا يفرنك خدع ملقه ويهان زلقه فان ذلك من حبائل ثقافته فان أردت ان
تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يمينك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر من شأنه لك
ما أنت به جاهل ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو الخ في حسده لك من الذباب
وأمرع في تمزيقك من السيل الى الحدور ٠ — «

أم وصفه الحاسد نفسه :

« فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفجل القطم والسيل العرم وان ملك

قتل وسبي وإن لمليك عصي وبني حياتك موته وموتك عرسه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور وبكذب كل عدل مرضي لا يحب من الناس إلا من يبغضك ولا يبغض إلا من يحبك عدوك بطانة وصديقك علانية ٠ — «

فاذا دققنا في هذه الأوصاف كلها تحقق عندنا ماقلته لكم من أن الجاحظ عالم من علماء النفس يبني علمه على تجربته ثم يصف ما توحى إليه هذه التجربة وصف صاحب صنعة وفن ٠ — ولما كانت التربية والتعليم لا تبعد كثيراً عن الأمور الاجتماعية لم يشأ الجاحظ أن يكون غريباً عنها فقد أدلى في هذا الباب بدلوه ، وعلى بعد عهده عنا وعلى تقدم علم التربية والتعليم في عصرنا استطاع الجاحظ أن يأتي فيه بمذاهب تكاد تكون من أحدث المذاهب ، انكم تعالجون التربية والتعليم علماً وعملاً فأظن أن من أحدث قواعده التي تطبقونها في مدارسكم تدريب الطالب على الاستنباط من دون أن يلجأ إلى الحفظ لأن الحفظ يسد عليه سبيل الاستنباط فيجمد عقله ويولد ذهنه فاليكم ما قاله الجاحظ في هذا الباب (١) :

« وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لما كان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا : الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون إلا مقلداً والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه إلى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ ٠ — «

وكتابه في المعلمين قد اشتمل على القواعد المتبعة في التعليم في أيام الجاحظ فهو بصور لنا أساليب التربية والتعليم في العرب ٠

ولم يكن نصيب الجاحظ من علوم الطبيعة بأقل من نصيبه من بعض فصول في الاجتماع والأخلاق والتعليم وما شابه ذلك ، إلا أنه قد يكون في آرائه الاجتماعية أصح فكرياً وأقل خطأً أما في علوم الطبيعة فالجاحظ على جلالة بعض أقواله فيها قد لا يسلم من خطأ فان علوم الطبيعة قد تقدمت في السنين الأخيرة ولكن الأخلاق واحدة في العصور قديمها وحديثها فالحد الذي صور به الجاحظ انما هو شبه الحسد الذي تقاسي شره في أيامنا ٠ —

(١) رسائل الجاحظ علي هامش المبرد للكامل — الجزء الاول ص ١٩ .

خاض الجاحظ في كثير من علوم الطبيعة في الحكمة الطبيعية والكيمياء وتوسّع في التاريخ الطبيعي وخاصة في علم الحيوان . —

فلننظر الى بعض آرائه في هذه العلوم . —

انكم تعلمون انهم كانوا في عصر الجاحظ يمزجون الدين بالعلم . معنى هذا انهم اذا جادلوا في أمر من أمور الدين استعانوا في بعض الأحوال بمذاهب العلم من هذا الشكل بمجادلة الجاحظ لمجوسي عارضه وقد قرأتم هذه المعارضة في كلامنا على عصر الجاحظ في فصل حرية الفكر ، فمن قول الجاحظ :

« والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر حكمنا أن نضيئها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتكون متغيرة فلا يجمد الماء ويجمد فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح على خلاف ما يقدررون ويظنون . وقد خبرني من لا أرتاب بخبره انهم كانوا في موضع من الجبل يستغنون به بلبس المبطنات ومتى صبوا ماء في اناء وزجاج ووضعوه تحت السماء جمد من ساعته فليس جمود الماء بالبرد فقط . . . »

اما اليوم فاننا لا نرضى بهذا الرأي على علته فاننا اذا بحثنا عن جمود الماء قلنا يجمد الماء ويزداد حجمه اذا وصل الى درجة من الحرارة تبلغ الصفر في الميزان المثوري وجموده على صورة قطعة من جليد مركّبة من بلورات سدّسات الشكل كثافتها ٠.٩١٨ . — وكما تعرّض للحكمة الطبيعية فقد تعرّض للتاريخ الطبيعي فهو من أصحاب مذهب « التولد الذاتي » وله في هذا المعنى حكايات كثيرة من جملتها قوله ^(١) :

« والذباب من الخلق الذي يكون مرّة من السفاد والولادة ومرة من تعفن الاجسام والفساد الحادث في الأجرام والبساتلآء اذا عتق شيئاً في الأقباء استحال كله ذباباً وربما أغفلوه في تلك الأقباء فيعودون الى الأقباء وقد تطاير من الكوى والخروق فلا يجدون في الأقباء الاّ القشور والذباب الذي يخلق من الباقلاء يكون دوداً ثم يعود ذباباً وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقباً في داخله شيء كأنه مسحوق اذا كان الله قد خلق فيه الذبان وطيّره منه وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق ولو تم جناحه لقد كان طار . — »

. وله من هذا الشكل آراء كثيرة في كتاب الحيوان فهو يؤمن بحدوث الخلق من غير ذكر ولا أنثى ويخلق الديدان من الجيف^(١) ويخلق القمل من العرق والوسخ اذا علاهما ثوب أو ريش أو شعر^(٢) :

لقد أبطل العلم هذه الآراء بمجامعها فقد دلت تجارب « پاستور » Pasteur على ان «التولد الذاتي» أمر ممتنع فكل حجيرة مصدرها حجيرة مثلها وكل حي لا يلد إلا حي مثله معنى ان الأحياء لا تلدها المواد العضوية أو المواد المعدنية —

وقد كان المتقدمين معتقدات غريبة في هذا الباب فقد زعموا ان القمل يلد لحم الانسان وان الديدان يلدنها اللحم الفاسد وان البق ينشأ عن اختار الروائح وماشابه ذلك — ان هذا كله قد ردّه العلم في أيامنا واذا وجدنا الديدان في اللحوم فمعنى هذا ان الدباب باض في هذه اللحوم فلو منعنا الدباب عن البيض لامتنت الديدان فاذا ظهرت أحياء في مادة عضوية أو في مادة معدنية فهذه الأحياء ناشئة عن أحياء مثلها تغلغلت في هذه المواد وما أكثر تجارب «پاستور» في هذا المعنى —

والى جنب هذه الآراء الباطلة قد تجد للجاحظ آراء جليّة في العلم تكاد تكون من أحدث الآراء فالحيوان في بيئة ما يكون تركيب خلقته مناسباً لهذه البيئة فمن قول الجاحظ في الضب^(٣) :

« قالوا : من كَيْس الضب ان لا يتخذ جحره إلا في كُدَيْة وهو الموضع الصلب أو في الارتفاع عن المسيل والبسيط ولذلك توجد برائنه ناقصة كلية لأنه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر — »

فانظروا كيف علل نقصان برائنه وكلاهما فبرائنه ناقصة كلية لأنه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر وهذا التعليل علمي محض —

والى جنب هذا كله بحثه عن غريزة الحيوان وعن إحساسه وما أحبت ان اهتمقي هذه الآراء فادل على ما بطل منها وعلى ما صح في عصرنا هذا فان هذا العمل انما هو عمل العالم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١١٤

(٢) = = = الخامس ص ١١٢

(٣) = = = السادس ص ١٢

لا الاديب فاذا تفرغ علماؤنا لتدوين أطوار العلم في العرب استطاعوا أن يجدوا للجاحظ مادة واسعة في هذا الباب وأما عملنا فإنا نقتصر فيه على ايجاز في الكلام على الجاحظ من حيث سعة عبقرية —

وبينا نجد به بحث أمثال هذه المباحث اذ يتفرغ لباب من أروع أبواب اللغة وهو باب : حياة الألفاظ ، انكم تعلمون أن التغيير معاني الألفاظ أسباباً منطقية وأسباباً روحية وأسباباً أدبية ، فمن جملة الأسباب المنطقية الاستعارة فالاستعارة تنقل اسم الشيء الى شيء غيره لصفة من الصفات يشترك فيها الشيئان فورقة الشجر تعبر اسمها ورقة الكتابة بسبب الرقة التي تشترك فيها الورقتان فانظر كيف يخوض الجاحظ في مثل هذا الفصل فيقول ^(١) : « ثم سموا الأظام التي كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصي قال الله عز وجل : وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم والعرب تسمي الجارح وذا الجثة صاحب سلاح فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صيصية سموا قرن الثور الذي يجرح صيصية وعلى انه يشبه في صيصية صورته بصيصية الديك وان كان أعظم ثم لما وجدوا تلك الأظام معاقلم وحصونهم وجنتهم وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة اجروهما مجرى السلاح ثم سموها صياصي ثم اسموا شوكة الحائك التي بها تهبأ السداة واللحمة صيصية اذا كانت مشبهة بها في الصورة فان كانت أطول شيئاً ولانها مانعة من فساد الحوك والغزل ولانها في يده كالسلاح متى شاء أن يجأ به انساناً وجاء به وقال دريد بن الصمة :

نظرت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وقد تسمي العرب ابرة العقرب شوكة كما تسمي صيصية الديك شوكة وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك النخل ويقال لمن ضربته الحمة قد ضربته الشوكة لأن الشوكة اذا ضربت انساناً فما أكثر ما تعتربه من ذلك الحمة — »

ثم توسع في هذا الباب على هذا النحو . —

هذا نمط من الأفكار التي عاجلها الجاحظ بذلك على شيء من سعة علمه وامتداد أفياء عبقرية ومن خصائص الذين يخوضون في أبواب كثيرة ويتعرضون لمذاهب شتى قلة التعمق فقد تعرض لهم أفكار كثيرة لانبساط ثقافتهم فيملون بها إلاماً ولا يتعمقون فيها تعمقاً فهم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثاني ص ٨٥

يفهمون كل ما يقع عليه نظرهم ولكنهم قد لا يفهمونا إياها في بعض الاوقات علي نحو
 فهمهم لها فالجاحظ من هذا القبيل في بعض مباحثه فهو يلهو بالمعاني لهواً فيخرج من فكر
 الى فكر ومن معنى الى معنى ولكنه يضرب في آفاق كل المعاني ويحول في ميدان كل
 الأفكار ، اي كتاب من كتبه بل اي سطر من سطورهِ لا يوطي للقاري مجال
 التفكير وسواء اتوسع في أفكاره أم ألم بها إلاماً انه عظيم ولست أدري هل أورتتنا
 عبقرية العرب أعظم منه فهل نعرف حياة أوسع آفاقاً من حياته العقلية وذهناً أخصب تربة
 من ذهنه وفكراً أشد انطلافاً من القيود من فكره ، لقد ذاق لذّة الحياة العقلية وتقلّب
 في أعطافها فخالط عالم الأفكار واستأنس بهذا العالم فلم يستوحش من ناحية من نواحيه ،
 خاطب العقل في قرن متكامل ولكن هل تعلمون أي عقل خاطبه ، لقد خاطب العقل الذي
 يكره كل باطل من الأباطيل وكل قيد من القيود ، فما كان عقله بأنس الأشياء
 الأشياء وما كان هذا العقل ينقبض إلا عن ظلامها ففي كل يوم كان يطلع على العالم
 بأفكار حديثة فما كان غذاؤه إلا الأفكار والمعاني ، لقد نسكر كل حياته بألوان
 الأدب وبرنّات الفاظه وثل كل عمره من لذّة العلم فجعل هذا الأدب وهذا العلم نزهة عقله
 ومشجدة طبعه ويبيع نفسه وعمارة صدره !

دمشق : في ٢ نيسان ١٩٣٢

شفيق جبري



صفى الدين الحلي

—(☆)—

هو الشاعر المطبوع أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الشهير بصفى الدين الحلي .
والحلة المنسوب اليها الشاعر هي حلة بني مزيد ، وتسمى حلة بابل لوقوعها قرب بابل
القديمة الى الجنوب ، الا أن أطلال بابل على شاطئ الفرات الشرقي ، والحلة على شاطئه
الغربي شمالي أطلال الكوفة ولا تزال الحلة عامرة الى عصرنا ، وبني مزيد أصحابها بطن
من بني أسد بناها منهم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس (كزير) ابن علي
ابن مزيد الاسدي سنة ٤٩٥ في مبداء الدولة السلجوقية . وكانت من أرقى مدن العراق غير
أن توارد الأعراب عليها ونزولهم بها يجعلها كثيرة الفتن والحوادث

الحالة السياسية والاجتماعية في عصره

نشأ المترجم في عصر الدول التركية التي كان سلطانها حينئذ يمتد من شواطئ المحيط
الاعظم (الهادي) الى برقة غرباً ، ومن شواطئ المحيط القطبي الشمالي الى خوض الكنج
واليمن ودقلة جنوباً ، ولو كان هذا الملك العظيم مستظلاً براية واحدة ومحكوماً بنظام
واحد لنشأ في أحضانه أسمى حضارة شهدها سكان كوكب الأرض ، ولكن سلطان
هذا الجيل التركي لم يكن متوحداً الا في الجذم الطوراني وأصول اللغة ، وكان متقاطعا
في الدين والمذهب ، متدابراً في أصول الحكم والسياسة متفتناً في اختراع صنوف الظلم
والقسوة ، فلم يجر على العالم الا الفتن المبيرة واختفاء آثار الحضارات السابقة لحكمه ،
فتكونت منه دول لا تحصى من التار في الصين وشمال آسيا وأواسطها وشرقي أوربة ، ومن
بقايا السلجوقيين في الجزيرة وآسيا الصغرى وشمال الشام ، ومن الممالك التركمانية بالشام
ومصر وبرقة والنوبة والحجاز . وكان ملوك كل دولة من هذه الدول الكثيرة يمحكون

البلاد بولاية وعمال من الترك مؤيدين بجيش من جنسهم وكان من الرعايا المقهورين كن رجال القضاء والادارة وجباية الاموال واعمال الري والعمارة . وفي الجملة أكثر أرباب الاقلام والادباء والمدرسين والمؤلفين ، ولذلك كانت تأثير سلطانهم في اللغات الوطنية وآدابها ضعيفاً بالاضافة الى تأثيره في اضطراب الأمن وزعزعة أركان الحضارة القديمة ، ولذلك بقيت اللغة والآداب الصينية غالبية على مغول الصين ، والفارسية غالبية على مغول فارس وأواسط آسيا وعلى بقايا السلجوقيين فيها ، والعربية غالبية على الدويلات المتشعبة من السلجوقية في العراق والجزيرة وعلى دولة المماليك بمصر والشام ، ومن تلك الدويلات دويلة كان ملوكها سلالة مملوك تركي من ممالك (ملك شاه السلجوقي) يدعى (أرتق) .

صرف شاعرنا أكثر عمره في خدمة ملوكها . وكان الشأن في كل أسرة ملكية من الترك في العراق والجزيرة ومصر والشام اذا طال أمد حكمها في بيئة عربية أن يستعربوا أو يلوا بالآداب العربية ، فبروج عندها الادب العربي بعض الرواج ويعجبهم تأليف الكتب بأسمائهم ، وربما اتخذوا من أدباء العرب بطانة لهم وندماناً وسماراً ، بل ربما نظم بعضهم الشعر . لهذا نجد شاعرنا ينتقل أحياناً في العراق والجزيرة والشام ومصر ويعيش بالادب ، ونجده يكثر في شعره من وصف غلمان الاتراك لكثرتهم في زمنه وامتلاء اسواق الرقيق بهم مما يسببه المغول في غاراتهم على شمالي آسيا وشرقي أوربة ، وكثر في شعره الطرديات لولع الترك بالصيد .

نشأته . — ولد المترجم سنة ٦٧٧ هـ بمدينة الحلة من أسرة عربية من قبيلة سنابس إحدى قبائل طيء ، وكانت عشيرته على اشتغال كبرائها بالفقه والادب على حالة بدواة : تحمل السلاح ، وتشترك في الغارات والحروب ، وتطالب بالثأر ، فنشأ المترجم نفسه على هذه السجايا ، فتأدب على أهله وعلماء بلده وعلماء بغداد لقربها منها وشب مطبوعاً على قول الشعر بنظمه تأديباً وتطرباً لا استجداء به وتكسباً كما قال هو عن نفسه .

وحدث في شببته ان شبت فتنة بين أسرته المسماة آل محاسن وبين أسرة أخرى تسمى آل ابي الفضل فاغتال آل ابي الفضل خالاً له يدعى صفي الدين ابن محاسن : قتله في مسجده ، وكانوا أقوى من أسرة المترجم ، فأعمل صفي الدين لسانه وقلمه وقصد أمراء النواحي ورؤساء العشيرة يستنجدونهم على أخذ ثأر خاله من آل ابي الفضل ، وحدثت بين

الفریقین موقعة انجندل فیها آل ابی الفضل فافتخر صفی الدین هو وعشیرته باخذ ثأرهم من عدوهم . فذلک حیث یقول فی مطلع قصیدته الشهيرة :

سلی الرماح العوالی عن معالینا واستشهدی البیض هل خاب الرجا فینا
الا ان هذه الموقعة لم تکن خاتمة الفتن ، بل بقيت العداوة یحتمد أوارها ویشتد
أذى آل ابی الفضل علی المترجم وأسرتة حتی أزعجوه عن المقام فی بلده ، وخشي غائلتهم ؛
فخرج مهاجراً حتی ألقى عصاه فی مدينة ماردين من إقليم دیاربکر بارض الجزيرة الفراتية
مستظلاً بحماية ملوکها من بني أرتق « کفلفل » وهم ملوک دولة من فروع الدولة السلجوقية
دخلوا فی طاعة التتار وحاسنهم فأبقوهم علی حکم ماردين وإقليم دیاربکر . ومؤسس
ملکهم أرتق الکبیر وهو مملوک شجاع من ممالیک آل سلجوق . وعاصر المؤلف منهم الملك
المنصور نجم الدین غازي وولده الملك الصالح ، وعاملاه معاملة کریم مستجیر بهما لا عاملة
شاعر مستجد . وكتب الی أهله بالحلة عند وصوله الی ماردين یقول :

ألا بلغ هدیة سرة قومی بحلة بابل عند الورد
الا لا تشغلوا قلباً بعدي فانی کل يوم فی منید
لانی قد حلت حمی ملوک ربوع عییدهم کهف الطرید
فمن یلک نازلاً بحمی کلیم فانی قد نزلت حمی الاسود

وبقي فی کنف الملك المنصور غازي یمدحه وینادمه حتی مات المنصور سنة ٧١٢ ومدحه
بجملة مدائح منها القصائد المسماة بالأرتقیات ، وهي تسع وعشرون قصيدة کل منها تسعة
وعشرون بیتاً علی حرف من حروف المعجم یبدأ فی کل بیت منها بحرف وبه یمتتم أي یكون
روياً ومبدأ وجعلها دیواناً سماه « دور النخور فی مدائح الملك المنصور » ثم کان فی خدمة
ولده الملك الصالح نخف علی قلبه ومنزجه بنفسه واصطفاه وأسبغ علیه نعمته وجعله فی خاصة
بطانته ینادمه ویؤانسه ، ویخرج معه الی الصید والفنائع ، وطالب له العیش فی ماردين ،
ووفرت نعمته وأقبل علی اللهو والطرب ونظم الشعر فی الغزل والخمریات والدعابة والمجون حتی
إذا ناهزت سنه الخمسین عزم علی المتاب من شرب الخمر وارتکاب الآثام ، وجعل بأکورة
التوبة الرحلة لحج بیت الله الحرام وزیارة قبر النبی علیه الصلاة والسلام سنة ٧٢٤ هـ ودخل
مصر بعد حجه سنة ٧٢٦ وسلطانها یؤمئذ الملك الناصر محمد بن قلاوون ووزیره وکاتب

سره القاصي علاء الدين بن الاثير الجزري الكاتب المؤلف المشهور ، فمدحه ومدح
الناصر بقصيدة طنانة عارض بها قصيدة ابي الطيب « بابي الشمس الجمانحات غواربا » ومطلعها :

اسبلن من فوق النهود ذوائبا قتر كن حبات القلوب ذوائبا

فأعذق عليه نعمه وهداياہ . ثم رحل الى الشام فنزل بدويلة من بقايا آل أيوب مستظلة
بجاية سلاطين مصر من آل قلاوون ، وتحكم مدينتين او ثلاثا من مدن وادي العاصي
وحاضرتها مدينة « حماة » وكان سلطانها في ذاك الوقت الملك المؤيد ابو الفداء عماد الدين
اسماعيل مؤلف كتاب « تقويم البلدان » والتاريخ المسمى « المختصر في أخبار البشر » فنزل
ضيفا عليه فأكرمه ، وبقي أثرا عنده مدة ، ويظهر من مراثيه ومدائحه ومكاتباته انه
أقام بالشام عدة سنين ، ولقي بدمشق الشهاب محمود الحلبي وابن نباتة المصري . وتكسب
فيها بالتجارة . ثم لحق بمخدومه بماردين بعد غيبة طويلة . وصار يختلف الى بلاد الجزيرة
وبغداد والشام ويراسل أدباءها ويمدح ملوكها ويرثيهم . ولم نعلم عن يقين البلد الذي
مات به ونرجح أن تكون وفاته بماردين . ومات سنة ٧٥٠ هـ .

علمه وأدبه . — كان علم صفي الدين لا يعدو اللغة وآدابها وكان يحفظ كثيرا من شعر
المتقدمين المجودين في اللفظ والأسلوب من أمثال ابي نواس والبحتري وابي تمام وابن الرومي
وابن المعتز ، فأثرت فيه خمريات ابي نواس وغلامياته وأثرت فيه أوصاف ابن المعتز
وطردياته ، وكثيرا ما أغار على معاني هؤلاء ، ولم يكن علمه بغريب اللغة ولا تاريخ العرب
في جاهليتهم واسلامهم موازيا لشهرته بالادب ولا بافتخاره بالانتماء الى سبب من طي ،
ومبلغ علمه من الادب واللغة أنه حفظ الكثير من الشعر فأكسبه ملكة قلما تهبأت لاحد
في عصره .

ذكاؤه وتوقد خاطره . — كان صفي الدين علي جانب عظيم من توقد الخاطر وسرعة
البديهة يعرف ذلك من قرأ ديوانه فرأى فيه الكثير من غرائب الصناعة البديعة كالاكثار
من عجيب التصحيف وما لا يستحيل بالانعكاس والاكثار من القصائد المبهمة الحروف
والمجمتها المصفرة الالفاظ وذوات القافيتين وضوابط الشطرنج والعلوم ، ولو انه بذل بعض
هذا الجهد في استخلاص لباب اللغة والغرض على المعاني الرائعة لبذل المتقدمين ، ولكن
هكذا كان ديدن أهل عصره ورغبتهم من الادب .

أخلاقه . — نشأ صفي الدين في الحلة على فطرة عربية من الشتم وإيذاء الضيم ، وجب
الانتقام والاخذ بالثأر ، وشهود المعارك والرغبة عن ذل السؤال ، ونظم الشعر للتطرب
والرياضة لا للاستجداء كما يتحدث بذلك عن نفسه في مقدمة ديوانه وكما يستخلص من قراءة
شعره في شبابه غير انه لما لحق بخدمة متأخري آل أرتق قبيل انتهاء دولتهم ، وكانوا
أهل ترف وانهماك في اللذات ومعاورة للخمر ولهو بالصيد والقنص اعتاد من عاداتهم ،
ونادهم في مجالسهم ، وتغزل في غلمانهم . وأغش وغري . ولما علت سنه عزم على التوبة
والنسك وحلف الا يشرب الخمر ، ولكنه تقص التوبة مراراً فعاد وشربها مرضاة
للأمراء والرؤساء .

ومن الغريب في امره تصريحه في قصيدة خمزية ذكر فيها تنغيص شهر رمضان على
الشاربين لذاتهم بان لا ينسك الا بعد ٦٨ سنة من عمره وذلك حيث يقول منها
فيه هجر اللذات حتم وفيه (غير مستحسن وصال الغواني)
وقيح في التنسك الا . (بعد ستين حجة وثمان)
ولا أدري سبباً لارجاء التوبة النصوح الى هذا السن المضبوطة بالعدد الا تقيمه
شطري مطلع القصيدة التي بعث بها الشريف ابو ابراهيم موسى بن اسحق الى ابي الغلاء
المري وهذا هو المطلع :

غير مستحسن وصال الغواني . بعد ستين حجة وثمان
فأجابه ابو الغلاء بنونته الشهيرة التي مطلعها :

علاني فان يرض الاماني فنيث والزمان ليس بمان .

ولا ندري على اي حال انتهت حياته ، وكان الحلي يتشبع نوع تشيع يترضى
عن الصاحبين ، وينكر على الأمويين والعباسيين جد الانكار ، وتلك نزعة قديمة العهد
في أعصاب الفرات والجزيرة منذ عهد علي ومعاوية وأرسنها فيهم ، جود مشاهد النجف وكر بلاء
بين ظهرانيهم .

شعره . — نشأ في البين في القرن الذين خلفوا قرن القاضي الفاضل واتحلوا طريقته
في التهافت على استعمال المحسنات البديعية والشغف بها شغفاً أخرجهم عن قصد البلاغة
فكان معاصراً لكثير من كبار ادبائهم وشعرائهم ومؤلفيهم من أمثال شهاب الدين محمود

الحلبي وابن فضل الله العمري وابن نباتة المصري وصلاح الدين الصفدي وعلاء الدين بن الاثير والملك العالم المؤرخ الاديب مؤيد الدين صاحب حماة ، فكانت صفي الدين عالماً شاعراً بين هؤلاء الاعلام معترفاً له بالسبق في فنون من الشعر والاجادة في أخرى ، وكلهم كاتبه وراسله وعارضه وعابته فاذا وازناه بهم واحداً واحداً من كل وجه طال بنا المقام ، ولكننا نشير اليك هنا بأن شهاب الدين كاتباً ومؤلفاً أرجح منه شاعراً وأن صناعته في الكتابة أروع من صناعة صاحبنا: فصفي الدين اشعر منه وأكثر طرقاً لفنون الشعر وأبوابه وأن ابن فضل الله العمري امام لايجارى في الادب والتاريخ ووصف الارضين والشعوب والملل والتخل وكتابة الترسيل ، وصفي الدين في غير الادب ليس هناك فهو يفضل ابن فضل الله في الشعر ويفضله في كل ما تقدم ، وأن الصفدي وإن كان ذائع الصيت في الشعر وانتحال البديع إلا أن التأليف غلب عليه ، فزاحمت ملكة التأليف وتقرير الحقائق ملكة الشعر وانتزاع الخيال وبذلك يكون صفي الدين أشعر منه وأطبع في الشعر ، وكذلك شأنه مع ابن الاثير . بقيت الموازنة بينه وبين ابن نباتة وهما متشابهان في كثير من الامور ، فهما شاعران مطبوعان غلبت فيهما ملكة الشعر على كل صناعة ادبية ، بل كانا أشعر شعراء المشاركة في عصرهما ويمتاز ابن نباتة بركة اللفظ ، ومراعاة الذوق الادبي ، ودقة النكتة ، ولطف الكناية والتعريض ، وليس ذلك فيه بعجيب ؛ فهو مصري صميم تخرج بشعر القاضي الفاضل ، وابن مناء الملك ، والبهاء زهير ، وابن مطروح ، وابن قلاقس الاسكندري ، فانطبعت في شعره صورهم وتقمصت به أرواحهم ، ويرع ابن نباتة في التورية جد براعة حتى لم يبق لاديب معه فيها كبير نصيب ، ولم تقل كتابته على الطريقة الفاضلية عن شعره كثيراً ؛ فهو كاتب بديعي بارع متكسب بصناعة الكتابة والترسل في دواوين مصر والشام .

واما صفي الدين فشاعر بديعي صقيل اللفظ رائع الاسلوب متفنن في كل غرض صاحب مقطعات ومطولات ومسمطات وموشحات وينظم من أوزان العرب والمولدين ، ويقول الدوبيت ومجزو الدوبيت . وهو من الغلاة في البديع فيجيد المطولات المؤلفة كلماتها من الحروف المهملة تارة والمججمة أخرى أو التي حرف منها مهمل وحرف معجم أو التي كلمة منها مهملة والاخرى مججمة أو التي كل أسمائها مصغرة ، أو لا تستجيل بالانعكاس ، ثم هو بعد غابة في الجناس ، إلا أنه ليس له في التورية كثير غناء ولكن الاديب الحاذق يري

أن كل ما امتاز به الحلي داخل في باب التكلف والتحذق لافي باب الانطباع والرقعة والرشاقة .
وبذلك يُفضل ابن نباتة في جملة علي الحلي في جملة .

« للبحث صلة » احمد الاسكندري

— ﴿﴾ —

آراء وافكار

— ﴿﴾ —

استفهام

طالعت في الجزء الاخير من مجلة الجمع فصلاً للاستاذ المحقق الشيخ بهجة الأثري فيه لغة وأدب وتشريع وتاريخ وقد وافقت على كل ما جاء فيه تقريباً . وأسر ما سرني منه إنكاره الحيل الشرعية واستهجانه تسمية كتاب الامام محمد بالحيل واستشهاده باقوال ابن قيم الجوزية على إبطال هذه الحيل من أصلها وذلك في كتابه القيم « اعلام الموقعين » .

أما الذي لم أوافق عليه في هذا الفصل الممتع فهو قوله : « ومن مآثور أقوالهم ركب جنح نعامة » لمن جدّ في امر . فإف المثل « ركب جناحي نعامة » أو « جناح نعامة » ولا ينبغي ان الجنح غير الجناح . فالجنح هو الجانب ويقال جنح الليل بضم فسكون أو بكسر فسكون أي جانبه وقيل اوله وقيل قطعة منه نحو النصف . ويقال كأنه جنح ليل يشبه به العسكر الجرار . ويقال جنح الطريق ايضاً أي جانبه . وعلى كل حال لم يرد « جنح نعامة » ولا جنح اي طائر وإنما هو جناح . وأما استشهاد الاستاذ الأثري بقول شاعر الحماسة :
« كأن بصحراء المربط نعامة تبادرها جنح الظلام نعائم »

فهو دليل على قولهم « جنح الليل » و « جنح الظلام » لا على « جنح النعامة » ولا أزال أحفظ ان اليازجي الكبير في مقاماته استعمل « الجنح » بمعنى « الجناح » مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك احمد فارس صاحب الجوائب . فان كان عند الاستاذ الأثري نص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً للطائر فليدل به فانما انا مستفهم .

خفيف : شكيت ارسال

ملاحظات

اطلعتُ في الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي على مقال للاستاذ سليم غنحوري يحتوي على ترجمة الحلاج فرأيت فيه من المآخذ ما يجب التنبيه عليه . ذكر في ص ٧٤٦ و ٧٤٧ ان الذي دعاه الى ترجمة الحلاج كونه أديباً متكلماً ينظم شعراً عربياً خالص العروبة لا مغمز فيه ولا يلحن بذهب فيه مذهباً غريباً - الى ان قال : فالحلاج إذن شاعر له منزلة على غيره هي تفرد به بطريقة اختطها لنفسه .

والحقيقة اننا لم نر أحداً ممن ترجم الحلاج مع كثرة من ترجمه قال عنه إنه أديب أو شاعر لتكون له طريقة خاصة أو شاعرية خاصة . وغاية ما قالوا عنه انه نسبت اليه أبيات كان يتمثل بها . - وجميع ما نسب اليه لا يتجاوز ثلاثين بيتاً من الشعر مع جواز انه لم ينظمها . ومثل هذا العدد الضئيل لا يحشره في جملة الشعراء حتى ولا النظميين . ويشهد لهذا ان صاحب المقال نسب الى الحلاج هذين البيتين (انا من أهوى ومن أهوى انا . الخ) مع ان ابن خلكان في تاريخه ذكرهما في ترجمة الحلاج ولم ينسبهما اليه ، ونسب اليه ايضاً : (أرسلت تسأل عني كيف كنت وما . الخ) ونسب ابن خلكان اليه ايضاً هذين البيتين ثم ذكر ان ممن تمثل بها ايضاً سمنون بن حمزة الزاهد وهو من المعاصرين للحلاج . فهذا يؤيد ان ما نسب اليه لا يخرج عن حد النسبة أو التمثيل وأي رجل عنده أدنى ملكة في العلم لا يتمثل باقوال الشعراء .

وجاء في ص ٧٤٤ ان الحلاج صحب حال حياته القاسم بن الجنيد والثوري والحسن البصري فصحبته للحسن البصري وللثوري لم نر احداً قال به قبله . كيف وبين وفاتيهما وولادته عشرات من السنين فوفاة الثوري سنة ١٦١ هـ ووفاة الحسن البصري سنة ١١٠ هـ فاذا ثبت ان الحلاج تلت سنة ٣٠٩ هـ وبالغنا في عمره وقتلنا سنة يوم قتل ستون سنة فتكون ولادته عام ٢٤٩ وعاشه فتكون وفاة الثوري قبل ولادة الحلاج بـ ٨٨ سنة . ووفاة الحسن البصري قبل ولادته بـ ١٣٩ سنة فكيف تسنى له الاجتماع بها ؟

وقوله : القاسم بن الجنيد خطأ . وانما هو ابو القاسم الجنيد بن محمد .

وجاء في ص ٧٤٩ و ٧٥٠ ان الوزير حامداً أحضر القاضي : ابا عمرو بن العلاء وجمعه

ابن بهلول في محاكمة الحلاج . فزيادة ابن العلاء . وهم ايضاً لان ابا عمرو بن العلاء توفي سنة ١٥٤ في كوت بين وفاته ومحاكمة الحلاج نحو من ١٥٥ سنة والذي في تاريخ ابن خلكان : القاضي ابو عمر بغير واو ولم يذكر اسمه ولا اسم ابيه .
وجاء في ص ٢٤٤ منطرد ١٤ العباس بن سريج وانما هو ابو العباس بن سريج كما في ابن خلكان .

هذا ما رأيت من المآخذ الجديرة بالذكر وهناك أمور أخر أضربنا عنها صفحاً .
دمشق : محمد احمد دهمان

مطبوعات حديثة

—(١)—

آداب المعلمين

« مما دون محمد بن سحنون التتوخي عن أبيه . عني بنشره السيد حسن حسني »
« عبد الوهاب التونسي طبع بمطبعة العرب بتونس سنة ١٩٣١ ص ٧٦ »
هذا الكتاب من مطبوعات اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية نشرها صديقنا العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب الذي اشتهر بتأليفه وتحقيقاته الكثيرة باللغتين العربية والفرنسية قدم له مقدمة مستوفاة للتعريف بالمؤلف وهو من أهل القرن الثالث للهجرة وشفعها بلوحة عن الكتاتيب بأفريقية في زمن المؤلف فقال : « ان الغزاة العرب من الصحابة وتابعيهم لما فتحوا إفريقية في أواسط القرن الاول للهجرة كان الكثير منهم في عيالهم وذرائعهم فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا (قيروانهم) كان أول ما أنشأوا الدور والمساجد ثم التفتوا الى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً — كتاباً — بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز حتى غياث بن ابي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر علينا ونحن غلّة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه . » « ولم يزل شأن الكتاتيب في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة وفي المدائن الإفريقية الكبيرة كتونس وسوسة وصفاقس حتى لم يخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات . ولا يجب ان اعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل انما وجدت ايضاً في دور الأعيان والأغنياء ، وبالأحرى في قصور الوزراء والأمراء . » وقال : ان التعليم الابتدائي ما كان يختص بالبلدان دون البساتين بل

انه كان شاملاً للجنسين لا سيما عند المياسير وذوي الحثيات وأرباب المناصب العالية .
ومما لا ريب فيه ان معلمات من فاضلات النساء كن يهذين ويعلمن الجوارى والبسات
المقصورات في الدور والقصور في كل عصر من العصور . ثم ذكر طريقة التعليم في الكتاب
وما الي ذلك من الفوائد التي حققها من التاريخ فكانت صورة صادقة لعناية المسلمين
بتعليم أبنائهم .

أما متن الكتاب الذي علق عليه وقدم له هذه المقدمة البارعة وقفى عليه بأراء بعض
علماء العرب في التربية كابي بكر بن العربي وابن خلدون الحضرمي — فهو على أسلوب الرواية
عند المحدثين ، ذكر فيه ما جاء في تعليم القرآن وفي العدل بين الصبيان وفيما يجوز من الأدب
وما لا يجوز وفي واجبات العلم واجارته وما يجب له من لزوم الصبيان الى آخره . فجاء الأصل
والتعليق من جميل ما يقتضى ، يستفاد منه على صغر حجمه . م . ك



تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

« الجزء الاول وفيه سيرة السيد جمال الدين الأفغاني تأليف السيد محمد »

« رشيد رضا . الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١ »

« ص ١١٣٤ »

كان قراء العربية أشرق ما يكون لصدور هذا الكتاب بعد ان صدر الثاني والثالث
منه منذ سنين . وهما في منشآت أستاذنا الشيخ محمد عبده وما قيل في تأييده ورثائه . وهذا
الجزء في سيرته توسع فيها بصدقنا الاستاذ توسعاً عظيماً لم يترك معه من سيرة المترجم له
بجالات لقائل وشفعها بوثائق تاريخية أهمها ما كان من قلم المترجم له رحمه الله مثل ترجمته لنفسه
منذ نشأته ومفكراته في الحوادث العراقية ، وقد اتهم بانه مشايخ لرجال الثورة فحبس
أشهرًا ثم نفي الى الشام ثلاث سنين ، وقد توسع المؤلف ايضاً فيما وقع للاستاذ الامام في
السياسة ، وذكر أثره في نهضة مصر العلمية ، وهذا أهم من حياته السياسية . فان في حياته
العلمية عبراً كثيرة ودروساً مفيدة في الاصلاح الاسلامي ، تعلم وتذكر وتنقذ ، ولا يستغني

عن تدارسها من يضرب بأصغر سهم في الحركة العلمية العصرية . وقد لحظنا من مجموع هذا التاريخ ان المترجم له زُجَّ في السياسة زجاً فكان مضطراً الى ركوب مراكبها الخسنة ولذلك رأيناه بعد ان صفا له الزمن وكان مفتي مصر الا كبر يتخلى عن السياسة ولم يرض ان يدخل غمارها بالفعل مع أنه أريد على الدخول فيها قائلاً في الاعتذار أنه مُخلق معلماً ويرجو أن يموت معلماً . وهكذا كان الى ان ناداه ربه الى جواره . لا جرم ان نشر هذه الوثائق المفيدة برمتها قد أوثرت الكتاب تطويلاً ولكنه تطويل محبوب غير مملول ، وقد حفظ المؤلف بهذا المنيع جانباً كبيراً من تاريخ مصر الحديث ومثلاً صادقاً عن وقائع مهم لها أبناء هذا الشرق القريب عامة . وكان المؤلف يستخدم أسلوب المعلمين في التدريس بأسلوبه فيكرر العبارة لترسخ في أذهان الطلبة ويورد عليها الشواهد لبيان مافيها من المقاصد . وقد يرى المطالع انه قد خرج من الموضوع كثيراً بما يقرأ من الاستطراد الذي قد ينفع الاستغناء عنه ثم لا يلبث المؤلف ان يعود بالقاري أدراجه فيذكر انه في صدد قراءة سيرة عظيم من عظماء الاسلام .

وهذا النمط من التأليف بما يحمل في مطاويه من متانة عربية شائقة لا نزاع فيها هو فيما اختص به فيما نرى الكاتب المبدق السيد محمد رشيد رضا وقد يكثر في كتابه من ذكر خصوصيات لاشان لها في العموميات . وكان الموضوع يكتسب روعة وجلالاً أكثر لو سلت منها مکتوباته . وهذه النمشة الطفيفة لا تقدرح في ذاك الوجه الجميل .

ومما يجب ان يستفاد منه ان الرجل الحكيم الشيخ محمد عبده بدأ بتعلم اللغة الفرنسية في الزاوية والاربعين من عمره . وقد كلمناه قبيل وفاته فكان يتكلم بها مع أحد علماء المشرقينات برشاقة لاغبار عليها ولم ينقص عليه مدة ساعة كاملة غلظة أو شبه غلظة . وقد بدأ بتعلمها على أستاذ فكان هو يتلو أمامه قصة لاسكندر دumas وذاك يصلح له النطق ويفسرله الكلام ثم تعلم نحوها بالتدريج وكان يسافر كل سنة الى سويسرا وفرنسا ويحضر في جنيف دروس العيلة في كليتها فتعلم الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغاله بالقضاء وقال عن نفسه في هذا الصدد : « ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لانجد ان يدعي انه على شيء من العلم يتمكن به من خدمة أمته ويقدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي . إلا اذا كان يعرف لغة اوربية . كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين

مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم ان يشتغل للاستفادة من غيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم . «
م . ك

الرسالة النباتية

جردنا هذه الرسالة للاستاذ الامير مصطفى الشهابي من هذه المجلة وهي كما علم القراء في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف وقصدنا بذلك ان يقف عليها من لا يعلمون على أجزاء هذه الصحيفة . وأبحاث الاستاذ المؤلف على ما يوقن العارفون لا تحتاج الى تقريب لانها أتر من آثار البحث والدرس وله الفضل في استخراج مئات من الألفاظ من معاجم اللغة العربية في المعاني الزراعية وإيجاد ما يقابلها من الاسماء اللاتينية هذا الى غير ذلك من أبحاثه التي يعرفها قراء هذه المجلة .
م . ك

طوق الحمامة

« في الألفه والألاف تأليف الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي المتوفى »
« سنة ٤٥٦ هـ عنيت بنشره مكتبة عرفة بدمشق »
تمثلت الحياة لعين السلف بصورتها الحقيقية فخبروها وادر كوا ماهيتها واجادوا وصفها فما تركوا لها ظاهرة الا وقد احصوها ولا خافية الا وقد نفذوا اليها ببصائرهم بفحات مؤلفاتهم في هذا البحث ضافية وافية تنطق بفضل غزير وسعة علم وعلو همة .
وقد اتى عهد طويل على كثير من هذه المؤلفات كانت فيه مهمة لا تعرف قيمتها ولا يقدر نفعها لما غشي بصيرة الخلف من جهل وضلالة حتى انها كادت تندثر لولا ان تداركها الغرب بحكمته فعني بجمعها وحفظها ونشرها . ومن هذه الكتب القيمة التي طويتها العصور الى عهد قريب « طوق الحمامة » في الألفه والألاف للعالم الكبير الامام ابي محمد علي بن

حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فقد اتى فيه المؤلف على صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه وما يقع فيه وله مقتصر في جميع ما اورده على الحقيقة المتساهدة والحوادث الواقعة والخبرة الشخصية فجاءت رسالته هذه صفحة ادبية اجتماعية أخلاقية تنير ناحية مظلمة من نواحي النفس البشرية وتجل عقدة هي اشد عقد الحياة الاجتماعية تعقيداً الا وهي الحب الجنسي منذ النظرة الاولى حتى النفس الاخير علي ما يتخلل هذين الأصلين المتقابلين من علامات وصفات وتعريض وإشارة ومراسلة وسفير وطبي سر وإذاعة وطاعة ومخالفة ومساعد ورقيب وواش ووصل وهجر ووفاء وبين وقتنوع وخنى وسلو وفج معصية وفضل تعفف وذلك بأسلوب لا يختلف عن مناهج العصر الحاضر في التأليف وعبارة سهلة ممتعة يتخللها قطع شعرية من نظم المؤلف مما يجعل لهذا الكتاب شأنًا أدبيًا واجتماعيًا وينم عن فضل مؤلفه وغزارة علمه وسمو خلقه وسعة خبرته وصدق فراسته .

وكنا نود لو اشار الناشر الى الاصل المطبوع في لندن من هذه الرسالة البديعة لثلا يُنمط حق ناشره الاول .

اسعد الحكيم



النشئة سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار - حزيران

١٩٣٢

دمشق :

المجمع العلمي العربي

— (تت) —

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

300 // السادسة الى الحادية عشرة //

في الخارج ٦٠٠ // الاولى الى الخامسة //

350 // السادسة الى الحادية عشرة //

كتب الأدب القديمة والحديثة

- ٢ -

كنا أسلفنا فيما سبق كلمة تحت هذا العنوان يننا فيها حالة كتب الادب وما منيت به في الطبع والشرح ووعدنا بتقديم مثالين على صحة ما قلناه وقد ذكر المثال الأول ونشر في الجزء ١٠٩ و١١ من هذه المجلة ثم حيل بيننا وبين انجاز القول بما لاطاقة لنا برده . والآن تقدم للقراء الكرام كلمة في المثال الثاني وهو زهر الآداب وفاء بما وعدنا . كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري القيرواني بغني اسمه عن التعريف به وشهرته في عالم الادب العربي تكفي مؤنة الاسهاب في مدحه واطرائه وقد طبع غير مرة ولم تسلم طبعة من الزيادة على سابقتها في التحريف والتصحيح حتى اصبح ذلك الزهر والثمر مسيماً بشوك من الأغلاط والتشويه لا يبلغ الا بشق الانفس . ثم قبض الله لاهياء هذا الكتاب الجليل الاستاذ الفاضل الدكتور زكي مبارك فعني بطبعه وشرحه وصدر هذه الطبعة بما يأتي قال في الجزء الأول منه :

وقد ظل بين يدي نحو تسعة اشهر وانا معتقل في سنة ١٩٢٠ فقرأته ثم قرأته وعينت بضبطه وتصحيح ما وقع فيه من الاغلاط ثم رأيت ان افصله . . .

ثم قال : كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح وكانت يكفي ان يطبع الكتاب طبعة ازهرية ليصبح مثلاً في المسخ والتشويه ولتقدي في قراءته العيون وتضل في فهمه العقول فأنفقت من جهدي ومن وقتي في تحقيق ما جناه من السنين وعبث الجاهلين ما لا أمن به على القاري الا وانا آسف محزون .

ثم قال : في الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ولا غرابة في ذلك فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الانصار وقد اعتمدت في ضبط هذه الطبعة على مراجعة الاصول التي أخذ

منها زهر الآداب وعلى ما اثنى به من مختلف المعاجم والقواميس فان استطاع القاري ان يلفتني الى خطأ فاتني اصلاحه فاني بشكره خليق . وقفت على هذه المقدمة فاخذتني نشوة الطرب لما جاء فيها وكدت أطير فرحاً بابرار هذا الكتاب الجليل الى عشاق الادب مصححاً منقحاً مشروحاً وحمدت الله على ان لم يكن طبع طبعة ازهرية ولم يكن مثلاً للمسح والتشويه .

الا ان القدر لم يشأ ان يكون مدى سروري اكثر من لمح البصر . فلقد تصفحت بضع صفحات من كل جزء فسقطت على ما لم اكن اتوقع . واصطدمت بما لم يقع في الحساب . .

ولما كان الاستاذ الفاضل أذن للقاري — ان استطاع — ان يلفتني الى خطأ فانه اصلاحه . رأيت ان الفت نظره الى ما عثرت عليه عند نظري في هذا الكتاب نظرة عجي . نزولا عند رغبته . ورغبة في تلافي ذلك في طبعة أخرى وقد افردت ما جاء في كل جزء على حدة ليكون ذلك اقرب الى الرجوع الى الاصل عند ارادة ذلك . فها جاء في الجزء الأول :

في ذيل الصفحة ٢ . تفسيره النقد بالوزن والتحرير والتقدير بالضبط . وذلك غير سديد . وفيه ايضاً . قال في تفسير مدبرة . ذات سأم ومبال والمدابرة في الاصل الهزيمة . والمذكور في كتب اللغة دابره اذا قاطعه واعرض عنه وعاداه . ولم اجد المدابرة بمعنى السأم والملال وفي ديوان ابي العتاهية . مدبرة وفي نسخة . مصرفة .

. وفي ص ٦ زمن المروءة وفسر الزمن بالبالي والمشهور في هذه القصة زمر المروءة اي قليلاً . ولا يخفى ما في تفسير الزمن بالبالي .

وفيها . وان من الشعر لحكمة ويروى لحكماً . ضبطها بكسر الحاء وفتح الكاف . والصواب لحكماً بضم الحاء وشكون الكاف بمعنى الحكمة .

وفي ص ٧ كان يبرق عمامته اي يصفرها بالعين والصواب يصفرها بالفاء .

وفيها . احدى النفثات في العقد . والصواب النفثات .

وفي ص ٩ وعقلة المستوفز فسر العقلة بالعقال والمستوفز بالمستعجل . وهو القاعد منتصباً غير مطمئن يقال اطمئن فاني اراك مستوفزاً . .

وهذا من كلام ابن الرومي . والذبي في ديوانه وعلقة المستوفز . وفي امالي القالي ونهزة . ما مثلها .

وفي ص ١٣ وعقلة الظبي وحشف الثقل . وهذا من كلام المتنبي . وقد فسر الثقل بالطبعية التي استبان حملها . وهو خطأ والصواب وحشف الثقل كما في ديوان المتنبي . وفيها : وقد رعتها اذ كان شعري رائعا . وطرف مشبي عن عذاري ارمذ ضبط شعري بكسر الشين والصواب الفتح .

وفي ص ١٤ واسمه عمير بن شبيب بالباء الموحدة والصواب بالياء المثناة .

وفيها : ويقال للصقر قطامي وقطاني والصواب قطامي في الموضعين .

وفيها : حياء وتقيا . والصواب وبقيا كما في امالي القالي .

وفيها : ما ظل مسلما . والصواب ما ظل .

وفيها : لغر الثنايا . والصواب كغر الثنايا .

وفي ص ١٥ من كف ناظم . والصواب من سلك .

وفيها : رمين فانفذت القلوب . والصواب فاقنطن .

وفيها : الأجرى . وفي القالي الاجوى . وعليه لا يصح تفسير المعزوم بما اكتشف الخلقوم .

وفيها : الى هذا يتطرق : والظاهر . وهذا ينظر الى .

وفي ص ١٦ لربنا للهجتها . والرواية . لرؤيتها كما في الديوان .

وفيها : نظر السليم . والرواية السقيم كما ذكره في الذيل .

وفيها : سحدي . ضبطت بكسر الدال . وهي بفتحها .

وفي ص ١٧ ووافق فيه قطرا . والرواية ووافق منك فطرا كما في امالي القالي .

وفيها : او عصا زيد : ضبطت بكسر الزاي والصواب الضم .

وفي ص ١٨ فمن لؤلؤ تجنيه : والرواية تجلوه كما في الديوان .

وفيها : فسر الظلم بالثغر . وهو ماء الاسنان ويريقها لا الثغر .

وفي ص ١٩ العناج ضبط بفتح العين والصواب كسرهما .

وفيها القعب ضبط بضم القاف والصواب فتحها .

وفي ص ٢٠ انها لرشحاء . وفسرها في الذيل بانها كثيرة العرق وذلك من عيوب

- النساء . والصواب رسحاء اي قليلة لحم العجز والفخذين .
- وفي ص ٢١ الکتبة بضم الكاف وسكون الباء والصواب سكون التاء وفتح الباء .
- وفي ص ٢٢ بقافية اتقاذا وفي ديوان جرير بقارعة .
- وفيها : فرى هندواني وفسر الفري بالشق والصدع وفي الديوان قري بالقاف وهو الصواب
- وفي ص ٢٣ فسر اللمنة بربط الخيل والابل . ولا يخفى ما فيه .
- وفي ص ٢٤ فسر القوام بكسر القاف . بالتقويم ولم اره لغيره .
- وفي ص ٢٥ قال : يفري الشعر بمجوه ومحو الشعر كناية عن غاية الايذاء . والمعروف فري الشي قطعته وشقه .
- وفيها : ولكن لثيم لا يقوم له زند . والرواية ولكن هجين ليس يورى له زند .
- وفي ص ٣٦ فانك لم يفخر عليك كعاجز وفي ص ٣٧ كفاجر . والمعروف في البيت كفاجر .
- وفي ص ٣٩ فسر الحجة بالحضن . والصواب معقدا لآزار ومن السراويل موضع التكة .
- وفي ص ٤٠ وسيف لا يذبو . قال في تفسيرها والنبوة عدم الاصابة ويقولون لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . والصواب ان يقال نبا السيف عن الضريبة اذا كل وارند عنها ولم يمض .
- وفي ص ٤٢ وكان قد جزع المزاد ذكره في موضعين بالزاي والصواب المذاد بالذال .
- وفي ذيلها . فسر الضراب بالمطاردة . وقال فيه . الد كادك جمع د كباك والظاهر ان الد كادك جمع ذ كدك واما د كدك فجمعه د كاديك .
- وفي ص ٤٥ ونجل فحل لا يقرف . فسر في الذيل بقوله . لا يقرف من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير يريد انه قوي متين لا تقربه الادواء . وما ابعدها التفسير عن قول الاصل . ان العود من لحائه والولد من ابائه والله انه لنبات اصل لا يخلف ونجل فحل لا يقرف وظاهر انه من انقرفة يقال اترف الرجل دنامن الهجنة والاقراف من قبل الفعل والهجنة من قبل الام . والمقرف من الخيل الهجين وهو الذي امه برزونة وابوه عربي وقيل بالعكس والمقرف ايضا النذل قال الشاعر :
- فان يك اقراف فمن قبل الفعل .

- وفي ص ٤٦ ان العباءة لا تمكك وان يكلك من فيها والصواب وانما يكلك .
- وفي ص ٤٧ فصول القول والصواب فضول .
- وفيه : والنقري دعوة الفرد والمعروف دعوة بعض دون بعض .
- وفيه : لا ترى الآدم فينا ينتقر . والصواب الآدب .
- وفيه : قال في تفسير بيت زهير وهل ينبت الخطي الا وشيجه .
- الوشيج عروق القصب . ومن البين ان المراد بالوشيج هنا شجر الرماح .
- وفي ص ٤٨ مقامات حسان وجوها . والرواية وجوههم .
- وفيه : فلم يفعلوا او لم يلوا ولم يألوا والصواب ولم يلهموا .
- وفي ص ٥١ سرك من ذمك . والظاهر . سرك من دمك .
- وفيه : بدن لا يشكي مثل مالا يزكي . والظاهر مثل مال لا يزكي .
- وفيه : هل تعدن سالماً . الي آدم ام هل تعد ابن سالم ضبط تعد بالبناء للمفعول في الموضعين وظاهر انها بالبناء للفاعل .
- وفيه : عن عدو في ثياب صديق بضم القاف والصواب كسرهما .
- وفي ص ٥٢ العرائن الاوائل ، والاولى تفسيرها بالسادة والاشراف .
- وفي ص ٥٣ وكيف ايجازها وتجييرها وفسر التجسير بالايذاء والمناسب للمقام .
- وتجييرها ، من حبر الكلام .
- وفي ص ٥٧ في وصف الدنيا والمنزل تلة والدار قلعة وقدفسر القلعة بالحصن ، والصواب الانقلاع يقال الدنيا دار قلعة بضم فسكون اي انقلاع وتجول وهو المناسب لأول الكلام ، خلق الدنيا للفناء فجيدها بال ونعيمها مضحل .
- وفي ص ٦٢ نظر الفتيق الى الهجان المصعب ، وقال في الذيل والفتيق السمين والهجان البيض ، والصواب الفتيق بالنون وهو الفحل المكرم الذي لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهجان الكرام ، وهو المناسب للبيت وما قبله .
- وفيه : اللعين الشنفرى ، والظاهر المنقري .
- وفي ص ٦٤ وسلت سخيات الضدور فعالك الكريم ، والصواب وسل .
- وفيه ذبول العصب ضبطت بضم العين وهي بالفتح .

- وفي ص ٦٥ تسح ترابه ، والصواب يسج .
- وفي ص ٦٦ في وصف سيف .
- وتراه معتماً اذا جردته بدم الرجال على الاديم الفاقع
- فسر الفاقع بشديد الصفرة وقال معتم جمد الدم عليه ، والصواب ان الفاقع هنا الاحمر
- يخلط حمرة يياض او الخالص الحمرة .
- وفيها : اذا جرده والصواب جردته .
- وفي ص ٦٧ مزبد يجري بالزبد والاولى يقذف بالزبد .
- وفيها : الرود الجميلة الوافرة الحياء والصواب الشابة الحسنة .
- وفيها : الشواجر ، القواطع او الروابط ، والاولى متداخلة يقال رماح شواجر مختلفة متداخلة
- وفي ص ٦٨ مالي رأيت ثراكم ببسالة ، والرواية ببسآ به وهو المناسب .
- وفيها : وابنة الرقم الحية والدؤلول السم ، ولم اجد الدؤلول ، والظاهر انها محرفة عن
- الدؤلول بالدال المهملة يقال وقعوا في دؤلول اي شدة وامر عظيم وبنيت الرقم الداهية ،
- وفي تفسير الكلمات خطأ وفي تفسير المعنى خطأ آخر يظهر للمتأمل .
- وفي ص ٧٢ للمارة والصواب للمارة .
- وفيها : المرو الحجارة السود والصواب البيض .
- وفي ص ٧٤ ان رأبك اذا احتجب اليه ، والصواب احتجت .
- وفي ص ٧٥ ولي نظر لولا التخرج عازم ، وقال في تفسير عازم اي طامع . والرواية
- عازم اي شديد حاد .
- وفيها : فسر المهاة بالظبية ، وهي البقرة الوحشية .
- وفي ص ٧٧ او ينأى عنها رفدك ، وسيق القول يدل على ان الاصل ، ولا ينأى .
- وفي ص ٧٨ فاطمني اولك في أخائك ، والصواب فاطمعي .
- وفي ص ٧٩ واري من وراها ، والصواب من رماها .
- وفي ص ٨٨ جذب بضعبه : نوه به ، والاولى انعشه .
- وفي ص ٩٠ اذا عم بالسرائ عم سرورها ، والصواب اذا مس بدليل الشطر الثاني وان
- مس بالسرائ .

- وفي ص ٩١ ورهن المتكلفين والصواب وهن .
- وفي ص ٩٢ في الف قرن ، والصواب قران .
- وفي ص ٩٣ تريد تخمير اللفظ وقال : المراد من تخمير اللفظ التروي في تخيره كما تخمر الخمر ليجود ، والصواب تخمير اللفظ كما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين فلاحاجة الى هذا التخمير .
- وفي ص ٩٥ ومثله الجؤشوس ، والصواب الجؤشوش .
- وفي ص ٩٦ وقال ابو داود ، وقد اعيد في ص ٩٧ والصواب ابو دواد كما في البيان والتبيين .
- وفي ص ٩٧ بجميع عدة السن الخطباء ضبط بكسر عدة عين والصواب ضمها .
- وفيها : وسعة بكسر السين والصواب ضمها .
- وفي ص ٩٨ تلخص الملبس والصواب تخلص .
- وفي ص ٩٩ مطرطا والصواب مطارحا .
- وفيها : افنته ما قرت حياضك والصواب افناه .
- وفيها : قرت ، اخذت ، والصواب جمعت يقال قرى الماء في الحوض جمعه .
- وفيها : فيض العقول ، والرواية صوب العقول .
- وفي ص ١٠٣ في وصف النسخ ، ثم تستبرأ باعادة النظر فيها قال ، تستبرأ : يتجفف ، والصواب ان يكون من قولهم استبرأ الأمر طلب آخره ليقطع الشبهة عنه ، ولا معنى هنا للتجفف باعادة النظر .
- وفي ص ١٠٤ ووصل جوهر معانيه والصواب وفصل كما في المفتاح وغيره .
- وفيها : الوذم : الدلو ، والصواب ان الوذم جمع وذمة وهي سير بين اذان الدلو واطراف العراقي .
- وفيها : الدخاريص فتمت الازرار ، والصواب ان الدخاريص ما يوصل به البدن ليوسعه وهي البنية ولم ار من ذكر انها فتمت الازرار .
- وفيها : الدروز : الاطراف الرقاق ولم ار من ذكرها كذلك .
- وفي ص ١٠٥ استطلقت طبيعة الغباوة فشفي من سوء التفهم واوېث صحة التوهم ،

وصواب العبارة فاستطلقت طبيعته الغباوة فشفي من سوء التوهم واورث صحة التفهم .
وفيها : انه لعجيب ان يرى السكاكي ان التخت صنعة وانجب منه ان يحكم
الاستاذ المبارك على السكاكي بذلك مع ان هذه الجملة لم ترد في كلام السكاكي كما يظهر
ذلك بادي نظري في كلام السكاكي .

واري ان اجتري بهذا القدر من الجزء الأول حتى لا يمل القاري وانا على ثقة ان
ما لم اذكره اكثر مما ذكرته وعسى ان اعود الى سرد ما فيه خدمة لهذا الكتاب .
« الجزء الثاني »

في اول صفحة منه وهي رقم ٣ الكريم لا يحظر ضبطها بضم الياء وكسر الظاء والصواب
فتح الياء وضم الظاء .

وفيها : الفتيق الفحل الهائج ، وقد اسلفنا انه الفحل المكرم ، ولم نعلم من اين جاء الاستاذ بالهائج
وفي ص ٤ كالعود المطري ، ضبطها بفتح الميم وسكون الطاء وكسر الراء ،
والصواب المَطْرَى .

وفيها : الحزور السريع الى اكرام الضيف وهو خطأ فان المراد بحزور في هذا البيت
رجل بعينه كان وكيل القاسم بن عبد الله على مطبخه وفيه يقول ابن الرومي الايات ، كما
ذكر ذلك صاحب التاج .

وفيها : دمع العيان والصواب العيون .

وفي ص ٥ فاستفزته حمة القرم ، قال في شرحها الحمة ابرة العقرب يلسع بها من يلسه ،
ومن البين ان الحمة هنا بمعنى الشدة ، اذ لا ابرة للقرم ولا لسع .

وفي ص ٦ ويتسائل جودابه مرقاً ، فسرّه فقال الجوداب خبز يوضع في التنور ومعه
طائر او لحم ، وهذا لا مرق فيه ، وفي القاموس الجوداب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم
وقال في التاج في مادة ذبج وقد جاء منها الذوباج مقلوباً عن الجوداب وهو الطعام الذي
يشرح ومنه ما اطيب ذوباج الارز بجآجي الأوز ، يريد ما اطيب جوداب الارز بصدور
البظ ونحو هذا في اللسان ، وليس فيه خبز .

وفي ص ٨ غبا والصواب غيبا .

وفي ص ١٠ وضروب النور والصواب وظروف النور .

- وفيها : في يبادق الذهب والصواب بنادق . .
 وفي ص ١١ على ابي محذر والصواب محرز .
 وفي ص ١٤ النخيرة في موضعين ، والصواب النخيزة .
 وفيها : منشد التقريض والصواب القريض .
 وفي ص ١٧ يندس بكسر الدال والصواب ضمها .
 وفيها : صفن بكسر الفاء والصواب فتحها .
 وفيها : ان استوقف فطن وان رعى ابن ، قال ابن قوى والصواب فطن بالقاف وابن ،
 كلاهما بمعنى اقام . .
 وفي ص ١٨ ام النجوم الشوابك . هي الشمس . وفي التاج واللسان ام النجوم المجرة
 لانها مجتمع النجوم .
 وفي ص ٢٠ وصلت اصلت والصواب وصلب صآب .
 وفيها : متوحش والصواب متوجس .
 وفيها : الدقيقتان . صفة للساقين والصواب للأذنين لان التوجس تسمع الصوت
 الخفي وهذا يكون بالأذنين لا بالساقين .
 وفي ص ٢١ نبات نعش ملبب . ضبط نعش بفتح الشين وملبب بتشديد الباء الاولى ،
 والصواب جر نعش وتنوينها وضبط ملبب بغير تشديد ، يقال الب الدابة فهي ملبب وملبب
 مككرم ومحب .
 وفيها : مداوك الصيقل : ادوات كالمهاون وغيره . وفي كتب اللغة المداوك حجر
 يسحق به الطيب .
 وفي ص ٢٢ وغذاره والصواب وعذاره .
 وفي ص ٢٣ كخوة العسب والصواب كخوة
 وفيها : القارح الفرس القوي ، والقارح المسن
 وفي ص ٢٤ حرة آذانها ، والصواب حشرة اي لطيفة
 وفيها : السج السواد ، والصواب خرز أسود
 وفي ص ٢٥ اللهبوات مجاري الحلق ، واللاهة اللحمية المشرفة علي الحلق

- وفي ص ٢٦ ويوم كلون العاشقين ، والصواب كليل العاشقين
 وفي ص ٢٧ يحضر بضم الياء والصواب فتحها
 وفيها : القلت البقرة في رأس الورك ، والذي في التاج والقلت ما بين الترقوة والعنق ،
 والقلت المظمن من الخاصرة ، وفيه وفي اللسان ، قلت الفرس ما بين لهواته الى مخنكه ،
 ولعلها محرفة عن النقرة
 وفي ص ٢٨ لين المردعين ، ولا معنى لهذا اللفظ والظاهر انه محرف عن المردغتين
 والمردغة ما بين العنق الى الترقوة
 وفيها : لين الفرق ، والظاهر انه العرف
 وفي ص ٢٩ الجحفة من ذوات الاربع هي الشفة من الانسان والصواب كالشفة أو مثل الشفة
 وفيها : والشظا عظم لاحق بالذراع ، والصواب لاصق
 وفيها : وأحوال عاذرة ، والاولى غادرة
 وفي ص ٣٠ تبادره ، بضم الراء والهاء وبه يختل الوزن ، فالصواب إسكان الهاء
 وفي ص ٣١ لم شيئاً ، والصواب لم يكن شيئاً
 وفيها : وري يونس ، والصواب ورؤي
 وفي ص ٣٤ سلسلة النظام ، والصواب سلسلة
 وفيها : يا ابن القريم ضبط بكسر القاف ، والصواب الفتح
 وفي ص ٣٥ قال يزيد حوراء ، والصواب ابن حوراء
 وفي ص ٣٧ قدمت عتبة ببغداد ، والصواب ببغداد
 وفي ص ٣٨ في سماع ، والصواب في سماح
 وفي ص ٤٠ ولا ترد الغربان الا وماؤه ، والصواب ولا ترد الغدران الا وماؤها
 وفيها : ويوماً بالاسنة اكبها ، والرواية بالسنور اكبها
 وفيها : تردي غواربها العدى ، والرواية تردي عواتقها القنا
 وفيها : في يلاميع ، والصواب يلامع جمع يلعب
 وفيها : حمل اللائمة ، والصواب اللائمة
 وفيها : عن الصلة الى القطعة ، والصواب القطيعة

- وفي ص ٤١ من القضية الدالة ، والصواب النصب الدالة
 وفيها : الحاجد ، والصواب الجاحد .
 وفي ص ٤٢ عكف الدهر بهم فثروا . وبه يختل الوزن ، والصواب عليهم
 وفيها : الحر تحل السكر ان اجناه ، والصواب نحل
 وفي ص ٤٣ وهي تلفهم ضبطت بفتح الفاء ، والصواب ضمها
 وفي ص ٤٤ فخرج ، والصواب فخرج
 وفيها : ييض بائه ، والصواب بئائه
 وفي ص ٤٦ وروى حاضرآ ، والصواب وروض حاضر
 وفيها : لقد انت سلوتي ، والصواب انت مساوي
 وفيها : وما اشتبهت سهيل المجد ، والصواب طريق كما في ديوان ابي تمام ، ولعل
 أصلها سبيل
 وفيها : عابر الانباء ، وفي الديوان عائر الانباء
 وفيها : ثنا خير كان القلب منه يجربه ، وهو خطأ وأصل البيت ثنا خير كان القلب
 امسى يجربه
 وفي ص ٤٧ ابن دواد ، والصواب ابن ابي دواد
 وفي ص ٤٨ لم يكن فرضه ، والرواية فرصة
 وفيها : وليس لقولة ، والصواب لرهة
 وفيها : تهايمي ، والصواب تهايمي .
 وفي ص ٤٩ على أبدي ، والصواب يدي
 وفيها : لعنة الله ، والصواب لعنه
 وفي ص ٥١ واما المختار ، والصواب المختار
 وفيها : ابن نهراق ، والاولي مهران
 وفي ص ٥٣ ورجع الى العسرة وابناء المودة ، والصواب وآب الى المودة
 وفيها : ولا يستحسن ، والصواب يستحسن
 وفي ص ٥٤ ومتع من عضل الامات كما متع من وأد البنات ، والصواب منع في الموضعين

- وفيه : تعالى حده ، والصواب جده
وفي ص ٥٥ كمثل هذي ، والصواب كمن فقدنا
وفيه : قال الرومي ، والصواب ابن الرومي
وفيه : فان يجن بعهد ، وفي الديوان فان تبعن
وفي ص ٥٦ وشتهم ، والصواب وشتتهم
وفيه : تضرع ، والصواب ضم الراء
وفي ص ٥٩ يهزئون ، والصواب يهزأون
وفي ص ٥٩ في عيني اليمن ، والصواب اليمنى
وفيه : ان اللائمة ، والصواب الأئمة
وفيه : من وحشيه ، والصواب وحشية
وفي ص ٦١ لا احسبه كما وصف ، والصواب لأحسبه
وفيه : شرح ، والصواب شرح
وفيه : اذا كنت في القوم الطوال فعلمتهم ، والصواب فضلتهم كما في امالي القاضي
وفي ص ٦٢ ونصيف من الرجال . ولا معنى له ، والظاهر انه محرف عن قضيف وهو
الدينق العظم القليل اللحم
وفيه : دعوا التماجو ، والصواب التماجو
وفيه : يحذى نعام السبت ، والصواب نعال
وفيه : وكنا اذا ما الخائن الجد غره . سنى برق غاد ، والصواب الحسائن الجد .
سنا برق غاو . كما في كامل المبرد
وفي ص ٦٤ وبالقوادم والخوافي قوة النجاح . والصواب الجناح
وفيه : والجزع على الاموات غناء . والصواب غناء
وفي ص ٦٥ وعلى الصغور من ذريته ، والادلى . وعلى الصفوة
وفيه : ومنزع الورى وحسنة العالم . والصواب وجنة العالم
وفي ص ٦٦ في نظام من النعى ونضاح . والصواب ونضاح
وفي ص ٦٧ يلثمه بضمه تفضله والصواب بفضله .

- وفيها : يتسم المجد بسميته ، والصواب بسميته
- وفي ص ٦٨ الذي يد في الفضل والصواب في يد الفضل .
- وفيها : قال في شرح الادحي : الادصي يبيض النعام والصواب مبيض النعام .
- وفي ص ٦٩ طبقة المتكلمين . والصواب المتكلمين .
- وفي ص ٧٠ ضبط لحاقه بكسر اللام والصواب فتحها .
- وفي ص ٧١ لا يذهب الخبر ماله . والصواب لا يذهب الخمر .
- وفيها : لا ينفذ فيها ماله . والصواب ينفذ .
- وفي ص ٧٢ ثقابة المعرفة والظاهر اتقانه المعرفة .
- وفيها : في المهمة . والصواب في المهامه
- وفي ص ٧٣ شفاء نفسي منك تخميشة . والصواب تخميشة
- وفي ص ٧٤ تمت بهن شمائل . والصواب تمت
- وفي ص ٧٦ ورجم على السكر خمشته . والصواب جمشته
- وفيها : ونسب لا يحفى . والصواب لا يحفى
- وفي ص ٧٧ لم ينس علم ما . والصواب ما علم
- وفي ص ٧٨ عشر بنين والصواب عشرة
- وفيها : عبيد او موالى . والصواب موال
- وفي ص ٨١ رأى السلطان . والصواب السلطان
- وفي ص ٨٢ وذو عينين بفتح احدهما والصواب احدهما
- وفيها : فلا رأي للمحمول الا ر كوبها والمعروف فلا يسع المضطر
- وفي ص ٨٣ كما تتأبى . والصواب تتأبى
- وفيها : اذا عض متنيه الثقاف تأدوا . والصواب تأودا
- وفيها اذا ازدت والضراب ازددت

مصطلحات علمية

- ٢ -

- ٣٠- [Aberration — الكدورة]
 ٣١- [Stigmatisme — الرشاد]
 ٣٢- [Astigmatisme — الأطوح]

الأشعة الضوئية التي تصدر من نقطة مضيئة واحدة وتنكسر في عدسة بلورية فهي لا تلتقي في نقطة واحدة ولذا لا يكون خيال النقطة نقطة صافية مثلها وإنما يكون بقعة كدرة تزيغ البصر فعبروا عن ذلك بـ (Aberration) بمعنى التيه والضلال لأنه ينشأ من ضلال الأشعة وعدم تلاقيها في نقطة واحدة وحيث أن المراد من التعبير نعت الخيال لا نعت الأشعة فقد ترجمت هذا الحال «بالكدورة» والمراد كدورة الخيال . ثم عبروا عن حالة الآلات التي تستطيع أن تجعل خيال النقطة نقطة مثلها بـ Stigmatisme من Stigmatos اليونانية ومعناها «النقطة» فعبرت عن ذلك «بالرشاد» لرشاد الأشعة إذ ذاك بتلاقيها في نقطة واحدة ، وأما الآلات التي لا تستطيع أن تجعل خيال النقطة نقطة مثلها (ومنها عين الإنسان) فقد عبروا عن حالتها بـ Astigmatisme فالصدر a في هذه الكلمة لفظ يوناني يفيد العدم فترجمتها «بالأطوح» وهو ضد الرشاد .

- ٣٣- [Punctum remotum — نقطة المدى]
 ٣٤- [Punctum proximum — نقطة الكشب]

Punctum كلمة لاتينية معناها النقطة و Remotum معناها البعيد فيراد بـ Punctum remotum أبعد نقطة تستطيع العين أن تراها بلا تعب فترجمتها بـ «نقطة المدى» تقول مدى البصر أي منتهاه وغايته وأما proximum فمعناه «القريب» ويعبرون

بـ Punctum proximum عن أقرب نقطة تستطيع العين رؤيتها فترجمتها بـ «نقطة الكَثَب» .

— ٣٥	[Emmétropie — اعتدال البصر]
— ٣٦	[Myopie — الحُصور]
— ٣٧	[Hypermétropie — الطُمس]
— ٣٨	[Presbytie — الادرهَمَام]
— ٣٩	[Astigmatisme — الطَوَّح]

Emmétropie كلمة مركبة من Emmétros اليونانية ومعناها «المطابق للمقياس» ومن ops اليونانية ايضاً ومعناها النظر فيكون المعنى «النظر المطابق للمقياس» فعبروا بـ Emmétropie عن حالة العين السليمة فترجمتها «باعتدال البصر» و Myopie أصلها Myopia اليونانية وهي مركبة من Myein ومعناها غمّض عينه ومن ops ومعناها النظر فيريدون بـ Myopie حالة العين التي لا ترى الاشياء البعيدة واضحة بل تكل اذا نظرت اليها فترجمتها «بالحُصور» (بالضم) ، يقال حَصَّرت العين (بفتح السين) اذا كلت لبعد الشيء الذي حددت اليه ، والمصدر حُصور لا حَصَّس كما جاء في بعض الكتب لان المصدر مصدر حَصَّس (بالكسر) بمعنى تَلَمَّف .

و Hypermétropie مركبة من المصدر Hyper وهو يفيد شيئاً من الإفراط ومن Métron ومعناه المقياس ومن ops ومعناه النظر كما تقدم فيعبرون بـ Hypermétropie عن حالة العين التي تكل من النظر الى الاشياء القريبة فيضطر صاحبها الى النظر الى تلك الاشياء من بعيد فعبرت عن هذه الحالة بالطُمس ، لانه يقال طَمَسَ بعينه اذا نظر نظراً بعيداً ، والطُمسُ النظر الى الشيء من بعيد (تاج العروس)

و Presbytie مأخوذة من Presbütès اليونانية ومعناها الشيخ الكبير وقد عبروا بهذه الكلمة عن حالة العين التي ترى الاشياء القريبة كدرة والبعدة واضحة ولما كانت هذه الاشياء تحدث في الشيوخ سموها بذلك وقد ترجمتها الى العربية بالادرهَمَام لانه يقال ادهرم فلان اذا كبر سنه ويقال ادهرم بصره اذا أظلم ومن حسن الصدف ان اللفظ العربي يفيد من اللفظ الأعجمي معنييه اللغوي والاصطلاحي .

و Astigmatisme حالة العين التي ترى الخطوط الأفقية مشوشة والقائمة واضحة او بالعكس فعبرت عن هذه الحالة بالطوح (بالفتح) (راجع الكلمة رقم ٣٢) .

٤٠ — [Poêle — المصطلى]

٤١ — [Calorifère — المَحَرَّر]

٤٢ — [Radiateur — المُشِعَّة]

Poêle هو المعروف عند عامتنا (بالصويية) العربية من التركية وقد ترجمته بالمصطلى من اصطلى بالنار اذا استدفاً بها وقد ورد هذا اللفظ في كتب اللغة فاستعماله خير من توليد لفظ جديد .

و Calorifère مركبة من Calor اللاتينية ومعناها الحرارة ومن Ferre اللاتينية ايضاً ومعناها أقلّ ويعبرون بـ Calorifère عما تتولدينه الحرارة في طريقة التدفئة المسماة بالتدفئة المركزية فترجمت الكلمة المذكورة بالمَحَرَّر على صيغة اسم المكان .

ولاجل Radiateur (راجع الكلمة رقم ٢٢) .

٤٣ — [Pendule — النواص]

Pendule عبارة عن ثقل معلق يترجح^(١) فعبرت عنه بالنواص (بصيغة المبالغة) من ناس الشيء اذا تذبذب متديلاً (لسان العرب) .

٤٤ — [Force centripète — القوة الجاذبة]

٤٥ — [Force centrifuge — القوة النابذة]

٤٦ — [Centrifugeur — المخاضة]

اذا ربطت حجراً بطرف خيط واخذت في تدوير الخيط كالقلاع تولد هناك قوتان : قوة تجذب الحجر نحو يدك وقوة تدفعه الى بعد فعبروا عن الاولى بـ Force centripète من Centrum اللاتينية ومعناها المركز و Petere ومعناها الكسب فترجمت Force centripète بالقوة الجاذبة من جاذ الشيء اذا جذبته لان هذه القوة تجذب الحجر نحو المركز وهو طرف الخيط مما يلي يدك وانما اخترت الجذب دون الجذب ليكون خاصاً بهذه القوة فالجذب أعم وعبروا عن القوة الثانية بـ Force Centrifuge من Centrum

(١) اي يتذبذب .

اللاتينية وقد تقدم ذكرها و Fugere بمعنى الفرار فترجمت Force centrifuge بالقوة النابذة من نبذ الشيء من يده اذا طرحه ورمى به .

و Centrifugeur آلة تستخدم فيها القوة النابذة لاجل سرعة ترسيب ما يكون في المائع مما هو أثقل منه فعبرت عنها بالمخاضة (بالتشديد) .

٤٧ — [Mire — المستهدف]

[Voyant — الشاخص]

Mire عند المهندسين مسطرة طويلة ينصبها أحدهم لينظر اليها الآخر من وراء آلة التسوية فعبرت عن تلك المسطرة بالمستهدف من استهدف له الشيء انصب وذلك تخميناً بهذا المعنى لان Mire يطلق على غير ذلك ايضاً و Voyant لوح مربع في ظهره حلقة تدخل في المستهدف فيشد اللوح فيه فترجمت ذلك اللوح بالشاخص .

[Balance — الميزان]

[Balance romaine — القبان]

[Peson — الميزان] — ٤٨

[Bascule — القذائف] — ٤٩

[Dynamomètre — الريعة] — ٥٠

[Barorsope — الرايزة] — ٥١

Balance و Balance romaine معلومان . اما Peson فهو آلة ذات نابض^(١)

يعاقي بها ما يرا دوزنه فيقدر ثقله على حسب امتداد نابضها به فعبرت عنها بالميزان (بالكسر) من رزنه اذا رفعه لينظر ما ثقله واما Bascule وهو ميزان الانتقال فقد ترجمته بالقذائف (بالتشديد) وهو الميزان وذلك تخصيصاً به ، واما Dynamomètre فاصلها من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ومن Métrons ومعناها المقياس والمراد مقياس القوة فعبرت عنها بالريعة لان الريعة في الأصل حجر تتمحن باشالته القوى .

وأما Barorsope فهي مركبة من Baros اليونانية ومعناها الثقل ومن Skopein ومعناها فحص وقد اصطلحوا بـ Baroscope على آلة تكشف القوة الدافعة التي تقع

(١) نريد بالنابض ما تقول له العامة زبرك المعرب من الفارسية .

من الهواء (أو من أي غاز كان) على الأجسام الغائصة فيه ولما كان المعنى اللغوي من كلمة بارميسكوب «فاحص الثقل» ترجمتها «بالرائزة» من رازة روزاً إذا رفعه ليعرف ثقله .

٥٢ — [Dialyse — الميز]

٥٣ — [Dialyseur — المائزة]

٥٤ — [Osmose — التتوح]

Dialyse من Dialysis اليونانية ومعناها الانحلال أو الحل ويريدون بها انفصال المواد الكيميائية بعضها عن بعض وهي منخلة في الماء مثلاً وذلك بان ينفذ بعضها الأغشية ذات المسام والآخر لا ينفذها فترجمت هذه الكلمة بالميز (بالفتح) من مازة ميزاً إذا عزله وفرزه عن غيره وترجمت Dialyseur بالمائزة .

وأما Osmose فهي من Osmos اليونانية ومعناها الدفع ويصطلحون بهذه الكلمة على خاصة يتخالط بها المائتان المنفصلان بعضهما عن بعض بغشاء ذي مسام بان ينفذ أحدهما أو كلاهما الغشاء ليصل إلى الآخر فعبّرت عن هذه الخاصة بالتتوح وهو الرشح تقول نتح الماء من الاناء إذا تحلب وخرج من مسامته وقد عبر بعضهم عنها بالحلول علي أي لم أجد مناسبة بين معنى الحلول والمعنى المقصود .

٥٥ — [Fontaine avec jet d'eau — النضاخة]

يقول بعضهم للعين التي ينبع ماؤها من سفلى إلى علو فوّارة وبعضهم نافورة وغير ذلك مع أنه ليس في هذه الألفاظ ما يفيد نبعا الماء من سفلى إلى علو فأوفق تعبيرها «النضاخة» على ما أرى لأنه جاء في معاجم اللغة نضخ الماء ما كان منه من سفلى إلى علو .

٥٦ — [Casse - noix — البداعة]

Casse - noix آلة لكسر الجوز أو اللوز ترجمها بعضهم بالمرضاح أو بالمرضاخ أو الفهر أو مكسر الجوز أو عدفور الجوز مع أن المرضاح الحجر بكسر به الحصى أو النوى والمرضاخ كالمريض وزناً ومعنى والفهر الحجر قدر ما يدق به الجوز وليس لأحدى هذه الكلمات معنى بلائم المراد فرأيت أن تترجم Casse - noix بالبداعة لأنه يقال بدغ الجوز واللوز كسره .

Diézer — الصدح	٥٧ —
Bémoliser — الترخيم	
Si dièze — مي صاوح	٥٨ —
Si bémole — مي رخيم	٥٩ —
Harmoniques — مدروجة	٦٠ —
Musical — رنيمي	٦١ —

من المعلوم في علم الغناء ان ارتفاع الأصوات الغنائية يزداد في تدريج فيكون بين كل صوت والذي أرفع منه فرق في الارتفاع يقال له مسافة وهي اما كبيرة فيقال لها «بردة» واما صغيرة فيقال لها «عربية» وهي تكاد تكون قدر نصف بردة الا انه يضطر المعني أحيانا الى ان يحدث بين صوتين بينها بردة صوتاً متوسطاً ينفرد عن كل منهما قدر عربية ولاجل الحصول على هذا الصوت اما ان يرفع أغلظ الصوتين قدر عربية واما ان يخفض أرفعهما قدر عربية فيقال للطريقة الاولى Diézer فعبرت عنها بالصدح من صدح صدحا اذا رفع صوته بغناء والصدح حدة الصوت (المخصص) .

ويقال للطريقة الثانية Bémoliser فعبرت عنها بالترخيم من رخيم الصوت لان واهل فعليه يترجم Si dièze مثلاً بـ (مي صاوح) و Si bémole بـ (مي رخيم) .
واما Armoniques فقد اصطلحوا به على الأصوات الغنائية التي يأخذ ارتفاعها في الازدياد بنسبة كنسبة ازدياد الأعداد من الواحد فصاعداً فعبرت عن هذه الأصوات «بالمدروجة» . وترجمت Musical بالرنيمي .

٦٢ — Ampoule — الحَبَابَة

يعبرون بـ Ampoule عن زجاجة صغيرة يحصر فيها الدواء الذي يحقن تحت الجلد فعبرت عنها في العربية بالحَبَابَة (بالفتح) استعارة من حَبَاب الماء وهي نفاخاته التي تملؤه وحبابة تجمع على حَبَاب .

٦٣ — Chlorophille — الخَضْب

٦٤ — Hémoglobine — النعانية

Chlorophille كلمة مركبة من Khloros اليونانية ومعناها «اخضر» ومن

Phullon ومعناها ورق الشجر فيريدون بـ Chlorophille المادة الخضراء التي في الشجر وخموصاً في ورقه فترجمتها بالخضب (بفتح فسكون) اذ جاء في اللغة «الخضب خضرة الشجر» .

Hémoglobine مركبة من Haima اليونانية ومعناها الدم ومن Globus اللاتينية ومعناها الكرة ويقصدون بـ Hémoglobine المادة الملونة لكريات الدم فعبرت عنها «بالنعمانية» لان النعمان من أسماء الدم والمراد «المادة النعمانية» .

٦٥ — [Capsule surrénal — الكُظُر]

اذا أردنا ان نترجم التعبير الافرنجي بالحرف لزم ان نقول «الحقة التي فوق الكلية» على اني كنت عثرت في كتب اللغة على لفظ عربي واحد يفيد مدلول هذه الكلمة وهو «الكُظُر» (بضم فسكون) ومعناه الشحم على الكلية وقد كنت نشرت ذلك في مجلة الصحة العمومية التي كانت تصدر في دمشق منذ ١٢ سنة .

[Volant — الدَّعَالَة]	٦٦ —
[Arbre de couche — البَجُزُع]	٦٧ —
[Tiroir — البَجَرُور]	٦٨ —
[Excentrique — المنحرف]	٦٩ —
[Courroi — المِجَرَّة]	٧٠ —
[Hélice aérienne — المَحَارَة الهوائية]	٧١ —
[Turbine atmosphérique — العنف الهوائية]	٧٢ —

Volant دولاب جسيم يدور على محور المحرك للماكنة فاستعرت له المحالة (بالفتح) وهي في الأصل الدولاب الكبير أو البكرة الكبيرة .

Arbre de couche المحور الذي يدور عليه ذلك الدولاب فترجمته بالبجُزُع (بالضم ويفتح) وهو في اللغة المحور الذي تدور عليه المحالة .

Tiroir شيء في ماكنة البخار كالعربة ينجر ذهاباً وإياباً ليتناوب بذلك ضغط البخار وجهي المكبس فعبرت عن تلك العربة بالجُرُور (بالفتح) وهو فعول من الجر .

و Excentrique لوح صغير في ما كنة البخار مستدير او غير مستدير يدور علي محور غير مار بوسطه بل منحرف عنه ولذا سميته « بالمنحرف » .

و Hélice آلة تدور في مؤخر الباخرة لتدفعها ومعنى Hélice في الأصل نوع من الأصداف فاستعير الى الآلة المذكورة لشبهها به فعبرت عن هذه الآلة بالمحارة (بالفتح) وهي في الأصل الصدفة أو نخوها من العظم ثم استعرتها لما يدور في مقدم الطيارة مع تقيدها بالموائية كما في أصلها الا فرنسي .

و Turbine يراد به دولاب قائم المحور يدور به الماء فترجمته بالعنففة (بفتح العين والنون) فقد جاء في اللغة العنف الذي يضربه الماء فيدير الرحى ^(١) .

و Courroie يطلق في فن الميكانيك على رباط من جلد أو غيره يعقد طرفاه ويطوق به دولابان لينقل به الدوران من أحدهما الى الآخر تقول له العامة كشاط وترجمه بعضهم بالأسار أو السير أو البند مع ان في العربية كلمة يمكن تخصيصها بمدلوله وهي الحجر (بكسر الميم وتشديد الراء) فقد جاء في اللغة الحجر خيط غليظ يطوق به الدولاب ليدور بواسطته .

[Transparent	—	شفاف]
[Translucide	—	شاف]
[Ombre	—	الظل]
[Pénombre	—	الشعاع]

يريدون ب Transparent ما ترى الأشياء من ورائه بأشكالها فهو الشفاف وب Translucide ما ترى الأشياء من ورائه دون ان تدرك أشكالها فترجمه بعضهم بنصف شفاف مع انه لاجاجة الى هذا التكلف فالأرجح ان يترجم بالشاف لانه أقل شفوفاً من الاول فيخص به اسم الفاعل وتخص المبالغة بالأول .

واما Ombre فهو معلوم واما Pénombre فيريدون به الظل اللطيف فترجمه أحدهم بشبه الظل وترجمه غيره بالظليل (بالتصغير) مع ان عربيته الشعاع اذ جاء في اللغة الشعاع الظل غير الكثيف .

(١) تقول له العامة فرائش :

٧٥ — [Pédal — الموطى*]

٧٦ — [Grade — المرقاة]

٧٧ — [Diffusor — الناشر]

٧٨ — [آرما — الرقيم]

Pédal ما يجعل عليه الحائك أو شاحذ السكاكين^(١) قدمه فترجمه بعضهم بالمداس أو الرجلية أو الدواسة إلى غير ذلك مع أن المداس الحذاء والدواسة الأنف فأصح ما يلائم المعنى على ما أرى « الموطأ أو الموطى* » إذ هو في اللغة موضع القدم .

و Grade من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة فعبرت عنه بالمرقاة .

و Diffusor بوق من الورق المقوى يستعمل في الحاكي (الفنغراف) فعبرت عنه

بالناشر .

و « آرما » — وهي تطلق في الشام على اللوح يعلق على الحانوت أو غيره مكتوباً فيه (أي اللوح) اسم صاحب المحل وصنعتة الخ — هي كلمة إيطالية الأصل استعملها الترك ثم انتقلت إلينا . فأرى أن مرادفها العربي « الرقيم » إذ جاء في القرآن الكريم « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » قال المفسرون المراد بالرقيم لوح رصاص نقش فيه أسماؤهم ونسبهم الخ .

٧٩ — [Moment — ناتج]

٨٠ — [Collimateur — موجّه]

يعبرون بـ Moment في علم الميكانيك عما ينتج من فعل القوة وغيرها فترجمته بالناتج ومن مكباته Moment de la force (ناتج القوة) و M. de l'inertie (ناتج العطالة) و M. du couple (ناتج المزدوجة) الخ فعليه ترجمت Résultante بالخاصة .

وأما Collimateur فهو آلة تدير أشعة الضوء إلى جهة من الجهات فعبرت عنها

بالموجّه .

[Propagation de la lumière — انتشار الضوء]

[Reflexion — انعكاس]

(١) المعروف عندنا بالمخاخ .

[Diffusion de la lumière	— انتشار الضوء]
[Réfraction	— انكسار]
[Déviation	— انحراف]
[Dispersion	— تبديد]
[Aberration	— كدورة]
[Diffraction	— انعراج]
[Interfèrance	— تداخل]
[Polarisation	— استقطاب]

— ٨١

— ٨٢

كل ذلك مصطلحات تتعلق بخواص الضوء في علم الطبيعة لا يسع المقام شرحها وفي بعضها شيء من التخصيص وانما سنذكر كلمة عن Polarisation فقد جاء عن هذه الكلمة في لاروس ما مفاده ان مدلول Polarisation الاصطلاحي ليس فيه معنى القطب اصلاً وقد كان المراد ان تشتق الكلمة من Polein اليونانية ومعناها الدوران لان البلور الذي شوهدت فيه خاصية الضوء هذه لأول مرة كان يدار على نفسه لاجل مشاهدتها ، لكنه قد خطئ في الاشتقاق فجاءت الكلمة على هذا اللفظ اه ثم ترجمها بعض المصريين بالاستقطاب وأخذها الترك عنهم فانتقلت اليها وشاعت حتى صار تغييرها متعذراً ولذا اضطررت الى ابقائها .

٨٣ — [Psychromètre — مقياس الآخصر]

هو آلة تستعمل في قياس الرطوبة التي في الجو و Psychro كلمة يونانية أصلها Pusukhros ومعناها البرد فترجمت Psychromètre بمقياس الآخصر (بفتح الخاء والصاد) وهو البرد .

٨٤ — [vaséline — دهن النفط]

٨٥ — [Lanoline — دهن الصوف]

كل من Vaséline و Lanoline مادة دهنية تستعمل في المراهم فالاولى تستخرج من النفط فسميتها بدهن النفط والثانية تستخرج من صوف الغنم فسميتها بدهن الصوف .

٨٦ — [Sillon — النُقبة]

يعبر الافرنسيون عن أول ما يظهر من الجرب بـ Sillon ومعناه التلم لان الجرب ينبعث عن حشرة دقيقة تنقب بشرة الجلد فتدخل فتمشي تحتها فتجفر تلماً يؤدي الى الحلك فترجم بعضهم Sillon بالتلم أو بالأخدود لكن الأصح ان يترجم — بالنظر الى مدلوله هذا — بالنُقبة (بالضم) اذ جاء في اللغة النُقبة أول ما يظهر من الجرب^(١) ومما يستدعي النظر في ذلك ان العرب كانوا يفقهون ان الجرب ينشأ من حشرة تنقب الجلد .

٨٧ — [Tarlatane — السُّحْل]

[Gaze — الشِّفْ]

٨٨ — [Ouate — السَّبِيخ]

٨٩ — [Hydrophile — نَشِيف]

يراد بـ Tarlatane كساء من قطن كثير الخفة والمعاني فأرى ان يترجم بالسحل (بفتح فسكون) جاء في المختص السحل الثوب من القطن وجاء السُّحْل ثياب بيض واحدها سُّحْل . و Gaze كساء رقيق يحكي ما تحته عريته «الشِّفْ» (بالفتح وبكسر^(٢)) فاستعملها خير من التعريب . و Ouate يراد به في الطب قطن مسدوف معرض مطبق بعضه فوق بعض يستعمل في تضييد الجراح فأرى ان يترجم بالسبيخ وهو في اللغة المعرض من القطن ليوضع عليه الدواء ويوضع فوق جرح . و Hydrophile مركبة من Hudôr اليونانية ومعناها الماء ومن Phyllos ومعناها الحب فيكون المعنى محب الماء فيقال Coton hydrophile و Gaze hydrophile فعليه تترجم Hydrophile بالنشيف (بفتح فكسر) وهو ما ينشِفُ الماء اي يشربه .

٩٠ — [Gant de Caoutchouc — الخِتَاع]

٩١ — [Doigtier de » — الختِعة]

Gant de caoutchouc قفاز من المطاط — (كَوشوك) — يلبسه الجراح حين العمليات الجراحية فأرى ان يترجم بالختِاع (بالكسر) وهو في الأصل كف من جلد يلبسه البزار خوفاً على يده من مخالب البازي الواحدة ختاعة . و Doigtier هنة من

(١) فقه اللغة للشعالي . (٢) عاميته شاش .

المطاط كاصبع القفاز يلبسها الطبيب ليسبر بعض أجواف البدن فيمكن ان تستعار لها كلمة «ختيعة» وهي في الأصل قطعة من ادم يلفها الرامي على اصبعه .

٩٢ — [Chape — الخُطَّاف]

من معاني Chape الافرنسية خشبتان أو حديدتان يستند اليهما طرفا محور البكرة أو الميزان أو غيرهما فالكلمة العربية التي تفيد هذا المعنى هي الخُطَّاف (كَرْمَان) اذ جاء في التاج الخطاف حديدة حجناء ^(١) تكون في جانبي البكرة فيها المحور وفي المخصص الخطاف الذي تجري البكرة فيه . « للبحث صلة » الطبيب

محمد جميل الخالائي



الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

— ٢ —

« من المحاضرة الثانية »

طريقة الكتاب وأسلوبه . — كانت طريقة العرب في القصص ان يسردوا الاسمار والاحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة . وترون ذلك وضحاً في أمثال لقمان وكتب النوادر فلما نقلت الأقاويص الهندية الى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية ادخلت في ادبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متماسكة الحلقات متعاقبة الخطوات متتابعة النسق ، وذلك على ضربين : الأول ان تتعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدائتها وسبباً لروايتها ابتغاء التعويق عن فعل ما لا يحل ، وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة وكتاب كليله ودمنة واغلب كتاب الف ليلة وليلة ، وهو في الفارسية مذهب بختيارنامه وقصة جهار درويش وقصة نوروز شاه وكتاب طوطي نامه وانوار شهيلي مثلاً . والضرب الثاني ان تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة ابواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه . ومن هذا الضرب في أدبنا كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر العقلي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ وفي ادب الفرس كتاب مرزبان نامه لمرزبان بن رستم بن شروين ، وقد ترجمه ابن عربشاه واستمد منه ، ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتذيناها في الاقاويص الغرامية المطولة . فالف ليلة وليلة إذن يجري على ثلاث طرق : يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة

حكايات الأصل وحكاية البنات الثلاث والصعاليك الثلاثة وحكاية الخياط والاحدب والطبيب وحكاية جان شاه وحكاية وردخان . . . الخ

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة كحكايات العشاق في بعض اقصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية فانها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب طرفاء الشباب على اثر طيف يزور في الكرى ، او صورة تعرض في الطريق ، او حكاية تلتقى في المجلس . ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الاقصيص الصغيرة المقتبسة من كتب الأدب كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية ابراهيم بن المهدي وحكاية خاله بن عبدالله القسري مثلاً ، اما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فاذا حكنا عليه فانما نحكم على جملة لا تفصيله ، وننوخى الصفات العامة في نقده وتحليله ، فهو في عمومته أسلوب سهل المأخذ مطرد السياق ، سوقي اللفظ مبسوط العبارة كثير الفضول كثير التضمين جري الإشارة لا يعرف الكناية ولا يقنى الحياء ولا يصطنع التحفظ ، لأن سبيله سبيل العامة فهو يسايرهم في ثرتهم وفضولهم وسذاجتهم وصراحتهم وبلادتهم ولا يستطيع ان يكون الا كذلك . يسير سير الأعرج المفلوج وراء المذهبين الكتائب الذين راجا على التعاقب في عهده وهما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر . فهو يسرف في السجع ويكثر من اقتباس الأمثال وتضمين الملح ، ويتظرف أحياناً بذكر مصطلحات النحو على سبيل التشبيه أو التورية كقوله في قصة قمر الزمان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كتنوين الإضافة معزول » وهو يغالي في تضمين الايات في خلال الحكايات ويعن في ذلك غالباً حتى يمل . وترصنع النثر بالشعر اسلوب لا يألفه الأدب العربي ولا الأدب الفارسي . وانما هو ميزة من مزايا الأدب الهندي ايضاً . . . اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم الينا في منتصف العصر العباسي وروجه في عهد بني بويه مؤلفو القصص ومنشئ الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوازمي ومن ترسم خطاهم أو سار على هدايتهم . وموضع هذه الاشعار يكون عادة في مواقف السرور والحزن والوصف وثران العواطف . وليكن القصص يسي في الغالب استعمال التضمين فيخطي مواضع الاشعار ،

او يجهل محل المناسبة ، أو يردد الايات نفسها في كل موقف . وقد تدفعه السهاجة الى الاستطراد الغث فيقول :

وقال الشاعر ايضاً في المعنى ثم يورد ابياتاً لا يصلحها بالموضوع سبب كما فعل في مقدمة علي نوري بن وسميم الزنارية مثلاً فانه حين وصف البستان لم يترك نوعاً من انواع الفاكهة الا ذكره وروى ما قيل فيه من الشعر حتى استغرق في ذلك خمس صفحات من الكتاب ! ان خير ما يمتاز به اسلوب الف ليلة وليلة هو الوضوح والصدق والصراحة والجاذبية ، فالمعاني تسبق الالفاظ الى ذهن ، والصور تسبق الوصف الى الخاطر ، والشوق يبعث اللذة ويشير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع او القارئ بموضوع القصة . على ان القصص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل ما يتصل بأحوال الشعب واخلاق العامة ، فاذا سما الى مقام الملوك والخاصة خاتمة قدرته وغلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصبغة المحلية وهي ان يسند الى الشخص ما يلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل . فالأقاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصص الاسلامية كحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليل ، ثم نراه يجري على لسان الخليفة الرشيد ما يأبى عليه جلاله وكماله ان يقوله ويجعله يفعل ما لا يجوز في العقل ان يفعله ، كأن ينادي وزيره جعفرأ بقوله : يا كلب الوزراء ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالعثور على القاتل في مدى ثلاثة ايام والا شنقه هو واربعين من بني برمك . وكان يخلع في حكاية علي نوري بن وسميم الزنارية مع انيس الجليس حلة الملك ليرتدي مرقعة بالية قدرة لكريم الصياد فيفيض قلبها على اطرافه ، ويسيل قدورها على منكبها وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساعداً من الفن ولكنه جشمه ما جشمه ليتسنى للخليفة ان يسمع غناء انيس الجليس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ! فهو يدخله في هذا الزري الزري على الحبيبين والبستاني ليقدّم اليهم ما معه من السمك فيكلفوه شيه في الطابخ ويشويه !!

وكثيراً ما تدفع القصص شهوة الاغراب الى تجاوز المبالغة المعقولة فتفوت من الفن صفة الامكانية وهي ان يلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب ما بينهما من الظرف ويمهد لها اسباب الوقوع حتى لا تتنافر مع العقل والعلم والعرف والتقاليد . والامثلة

على هذا العيب مستفيضة في كل قصة . وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها كقصة الصياد والجني وقصة مزين بغداد ومقدمة حكايات السندباد وقصة علي بن بكار وشمس النهار .

هذا اذا نظرنا الى الاسلوب في جملة وعمومه ، اما اذا تتبعناه باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه فيما بقي من الاقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات المحدثثة المقلدة بين السذاجة أبله الاشارة لأنها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريزة ، ولا تظفر الا بتصديق العقل البسيط ، فهو جارٍ مع طبيعتها متفق اللون مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة عفيف اللفظ حسن السبك دقيق الوصف كثير السجع تليل الفضول لأنه في الغالب مكتوب يحذى على المثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب ، وتد ينف في بعض الاقاصيص اسفافاً قبيحاً فيثقل بسخفه على الطبع ويعتدي بضعفه على الذوق ، كما نراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلاً ، اما الاسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول وخاصة الاقاصيص المكتوبة منه اشبه شيء بأسلوب الطبقة البغدادية مع اتساع في السجع وجراءة على الحشمة ، والغالب عليه التقليد فتارةً يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية وردخان والملك جالعاد وتارةً ينسج على منوال الطريقة الفارسية كقصة قمر الزمان الثانية وحكاية مسرور وزير المرافف وقد يجري في مجراه الخصاص من التهكم الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما نراه في قصة الأحدث وخاصة في مزين بغداد ، ولكنه في القسم الثاني وفي سائر القصص اللاحقة التي فيها القصص ليلقوها في السوامر مهلهل السجع عابى اللفظ مرزول المبالغة سيء التلخيص شديد الوطأة على الحياء والمروءة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهوات العامة بالانحاش ، ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة ثم يكثرفيه تردد الجمل المحفوظة الملزمة فيقال دائماً في وصف اقمينة المازفة : (فعملت على العود من غرائب الموجود الى ان طرب الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة ياداد) وفي ايثار البعد : « بعدك عن الحبيب اجمل وأحسن . عين لا تنظر وقلب لا يحزن » وفي غرابة الحادثة « لو كتبت بالابر على آفاق البصر لكانت عبرة لمن يعتبر » وفي وصف الشيخ الفاني « قد ابقى ما ابقى وعسره

الدهر فما استبقى ، كأنه مُفْنَى مُفْنَى ، في خِرْقَةٍ زَرْقَاءَ تَدُربُهَا الأرياحُ غرباً وشرقاً ،
كما قال فيه الشاعر :

أرغشني الدهر أي رِعرش والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت أمشي ولست أعيا واليوم أعيا ولست أمشي
وفي وصفه ساحة الحرب ومجالس الأُنس ورياض الأرض وأثاث البيت لا يكاد
يغير شيئاً من الاسجاع والاوزاع ومقطوعات الشعر .

ذلك ياسادتي ما استطعت استشفافه من صور الاساليب الاثرية في الكتاب وسترون
حين تعيدون قراءته أن القصص والمصنفين والمصححين في مصر قد اخضعوه اخضاعاً
شدّيداً للهجاتهم واساليبهم وأمثالهم حتى جعلوا البحث اللغوي الفني من البعد بحيث لا تبلغ
اليه وسيلة .

فلسفته ومراميه . — سيداتي وسادتي إن من يطلب من الف ليلة وليلة فلسفة خاصة
وفكرة عامة ووجهة مشتركة كأن كمن يطلب من كافة الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة
واغراضاً متفقة ، فهو كما قلنا من قبل كتاب شعبي بـصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي
ان تكون ، فاذا رأينا مذاهبه تتناقض ومراميه تتعارض وآراءه تختلف ، فذلك لأن
المجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج قريحة معلومة ولا نتيجة خطة مرسومة حتى نتلمس في جوانبه
الدوافع والنوازع والغاية ان هو الا صدى يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقليته
وعاداته ففي الفلسفة نراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الاسلامية فيدعو الى
القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا والاعتدال في اللذة والمبالغة في الحذر والتفويض
المطلق للقدر ، فروح من هذه الجهة تتنافر مع صورته البراقة ووسائله الطماحة وحوادثه
المغامرة ، ثم نراه في افاصيص اخرى ولا سيما الحديثة يزين الأثانية ، ويرثي القسوة ،
وينشوف الى المكاسب الدنيئة ، ويشهره الى اللذة الخسيسة ولا يكاد يعتقد بالعواطف
الكريمة . . . وقد بصور المتاع الحسي واللهو الجموح بما لا يتمثل في الفهن الاعلى سبيل
إختيال كالذي يحكيه عن فتى من ابناء الملوك رما الى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع
نساء كأنهم اللؤلؤ المكنون فقضى بينهم في هذا النعيم اياماً اقل ما أصاب فيها من اللذة انه

كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو فتخرج اليه من الاصداغ خريدة من بنات الجنان كأنها حورية من حور الجنان الخ . . فاذا اختبرناه في السياسة والاجتماع رأيناه ملكياً يقيم في كل مدينة عرشاً وينصب على كل مجمع من الاحياء ملكاً حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، ديمقراطياً يشرك الملك والصلوك في مُتعة الحياة ومجالي الانس عائلياً يبني نظام البيت وتأثيل المجد على الزوجة والولد . لذلك تجدونه يستهل معظم افاصيحه بحنين الوالدين الى النسل ، وفزعها الى الله أو الى المنجم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه الى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والجمال . فالجمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللافح ، فيلقي حملة على مصطبة امام بيت من بيوت التجار بتردد اليه النسيم الرطيب ، وتنزع منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وغلماه ، ويسمع تغريد البلابل والفورخت في بستانه . ويصفي البرنين أوتاره وغناء قيانة ، وينشق افاويه الطعام الشهي من صحافه والوانه ، فيرفع طرفه الحائر الى السماء ويقول سبحانه يارب لا اعتراض على حكمك ولا معقب لامرك ! أين حالي من حال هذا التاجر ؟؟ انا مثله وهو مثلي ، ولكن حملة غير حملي ! !

صلى أن أسوأ ما سجله الف ليلة ليلة من ظلم الانسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف نتنظر من كتاب بني على خيانة المرأة ان ينصف المرأة ؟ ان شهرزاد المسكينة انما تسهر جفنها وتكد ذهنها لتقص على الملك شريار أعجب القصص ابتغاء الخطوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم ان يسند القصص كل هذه النقائص الى النساء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وان يجري على فمها في حضرة الملك تلك الكلمات الجريئة المخزية في وصف بهيمة الرجل ! !

الف ليلة ليلة يدور لنا المرأة في القسم الهندي الفارسي خطالة خائنة تبيع عرض الملك للعبد في قصة شريار وأخيه ، لجوجة جموحة أنانية في قصة الخمار والثور تصر على ان يروح لها زوجها بسر ، وهي تعلم ان في افشائه ضياع عمره ، حاقدة كائنة منتقمة في قصة الوزراء السبعة ، قاسية عاتية مرهوبة في حكاية قمر الزمان الاولى ، وهي في بغداد سجين في قصرها ، مغلوبة على أمرها قد انتبذها زوجها وألقى زمامه في أيدي الجواري

والقيان ، وعلى كلتا الحالتين من حرية ورق نراها وسيلة لذة وغرض شهوة وأداة خدمة ، أما هي في مصر والشام فوجودها عدم ، لا تسمع لها صوتاً في بيت ولا ترى لها أثراً في سوق ، فاذا خرجت من ظلام الستار الى ضوء النهار كانت طاغية جاهلة كزوجة معروف الاسكاف ، أولصة حيالة كدليلة وبنتهاز بنت ، أوقوادة مرتادة كأولئك العجائز اللاتي ينقلن الفتنة من مكان الى مكان ويصلن المنكر بين فلانة وفلان .

اما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسيطة من العادات والاخلاق والمراسم في السوامر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والمحاكم فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، الا ان الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمع لان القصص وهم مصريون تكلموا عن علم ووصفوا عن رؤية ونقلوا عن سماع ، فاذا قرأتم مثلاً حكاية نور الدين وشمس الدين وجدتم المصريين كانوا في حفلة العقد يطلقون النجور ويتبربون السكر وينضحون الوجوه بماء الورد ، وفي زفاف العروس ينقطون المواشط والقيان بالقاء النقود في الدف أو الأطار كما يسميه الفليلة أو الطار كما يسمى الآن في مصر ، وفي جلوسها على المنصة يجلسونها بين صفين من كرائم السيدات في يد كل منهن شمعة موقدة ، ثم يلبسونها حلة بعد حلة في فترة بعد فترة حتى يجمع عليها سبع حلل ، ومع كل سيدة من المدعوات الى الحفل صرة من الثياب المعدة لذلك الزفاف يحملها خادم ، فكما خلعت العروس حلة خلع المدعوات كذلك حلة الى تمام السبع ، ولا تزال هذه العادات باقية في بعض البلاد وبعض الأمر في مصر .

واذا قرأتم حكاية علاء الدين ابي الشامات وجدتمهم كانوا يستعملون الحشيش قوة للزوج ويتخذون الحلل خلاصاً من الطلقة الثالثة وهما خلتان شائعتان اليوم في الطبقة الدنيا اقرأوا حكاية معروف الاسكاف تجدوه مثلاً صادقاً لبعض الناس هناك في ضعف الارادة وسلامة الصدر وحب الأبهة وتبذير مافي الجيب اتكالاً على الغيب واهتضاماً للحق وتجبدوا زوجه فاطمة العرة التي فرّ من جبروتها وجفوتها وقسوتها وعنادها الى أقصى مجاهل الارض فتبعته لا يزال لها شبه في الباقيات الطالحات بمضر من عهد الجهالة .

اما الطبقة البغدادية فقد عبث بها القصص وشالوها بلهجاتهم وعاداتهم ولكنها مع ذلك حرية بثقة الباحث اذا استطاع تنقيتها من شوائب البهرج والدخيل :

بقي علينا ان نعرف وجهة كتابنا في الدين ، وليس من العسير على القاري العادي ان يتبين تلك الوجهة فان في كل صفحة من صفحاته دليلاً على انه مسلم صادق الايمان قوي العقيدة يأخذ تقاليد الدين صحيحة أو مشوبة مأخذ العاصي الواثق المطمئن فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق حتى في مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية وإنما يستند في ذلك الى ما ثور الشعر ومشور الحكم ، فسيبلة في الدين إذن أن يدعو اليه ويهتف به ويتعصب له ، لذلك نراه لا يتحدث الا عن المسلمين ، ولا يتخذ أشخاصاً لقصصه حتى الاجنبية منها الا من المسلمين ، فاذا كان احد الجنة أو اناس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به الى الاسلام أو دبر له عقبى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواسف وزوجها اليهوديين ، فالحيب والحيبة أسما فورفت عليهما ظلال النعيم والحب وظل الزوج يهودياً فدقنته امرأته حياً ، والف ليلة وليلة بعد ذلك سني لا يكاد يعرف فرقة أخرى من فرق الاسلام حتى الشيعة وكان لهم على عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البويهيين لم يذكرهم الا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك ، ولقد دلّ حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة قبيحة أردعاية سيئة فقد أشار في موضع منها الى ان الروافض كانوا يكتبون اسمي الشيخين على بواطن الأعقاب ، وقال في موضع ثانٍ ان اهل بغداد كانوا يغلقون الأبواب خوفاً من الروافض ان يلقوا الكتب في دجلة ، وقال في موضع ثالث : ان الرشيد سأل الرجل الذي همّ باغتياله وهو يلعب الكرة والصولجان فنجاه أصلان بن علاء الدين : أما أنت مسلم ؟ فقال كلا وإنما انا رافضي .

مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته . — صنف المنقبون ما عثروا عليه من مخطوطات الف ليلة وليلة فكان ثلاث مجموعات مختلفة : مجموعة أسيوية ومجموعتين مصريتين ، فأما المجموعة الأسيوية وهي أقدمهن فلا تشمل الا على القسم الاول من الكتاب واحدى نسخها مبتورة ، وأشهرها نسخة كلكتا وهي تحتوي على مائتي ليلة وقد شرع بطبعها الشيخ اليمني في جزءين بمدينة كلكتا سنة ١٨١٤ م وأتمها سنة ١٨١٨ م فكانت أول مخطوطة طبعت من هذا الكتاب في الشرق والغرب ثم نسخة (برنلو) وهي التي طبعها الاستاذ (هيكس) في اثني عشر جزءاً ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٨٢٥ والأخير سنة ١٨٤٣ ، وأما المجموعتان المصريتان فهما أحدث من الاولى وبين نسخها اختلاف شديد في الأسلوب والترتيب والعدد والقصص

ومن هاتين المجموعتين نسخة كلكتوتا الثانية التي جمعها وطبعها الاستاذ (ماك نو كتن) في أربعة مجلدات من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٢ ، ثم نسخة بولاق التي طبعتها الحكومة المصرية في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٨٣٥ في مجلدين وهي أكل النسخ جميعاً وأصحها وعنها صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي ، وتقلت جميع الترجمات الى جميع اللغات ماعدا ترجمة (جلان) : فأما الطبعات فكلهن سواسية في قيم الشكل وسوء النقل وقلة العناية لاعدورهن عن أرباب المكاتب وأصحاب المطابع وهؤلاء يبتغون أوفر ربح في أيسر كلفة . على ان أديباً من الآباء اليسوعيين قد طبعه ببيروت طبعاً جميلاً في أربعة مجلدات بعد ان قص من قصصه واتمضت من جملة وهذب من عبارته ، ثم جاء منشي الهلال فأراني عليه في الحذف والبتر والاختصار وطبعه بمصر في خمسة أجزاء صغار ، وهاتان الطبعتان ولا سيما الاولى أليق الطبعات باخلاق الفتى وحناء الفتاة ولكنهما لا تنفعان غلة الأديب الباحث .

واما الترجمات فأولها في الوجود ترجمة الاستاذ جلان وهي أنيقة الأسلوب رائعة السبك الا انها غير دقيقة ولا آمنة ولا وافية ، على ان لها اليد الطولي على الكتاب في التعريف به والتثويه باسمه والدلالة على فضله ، طبعت هذه الترجمة بباريس في اثني عشر مجلداً ابتداءً من سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧١٧ وتقلت عنها سنة ١٧٠٧ ترجمة انكليزية مختصرة في ستة مجلدات بعنوان الليالي العربية ، وأشهر الترجمات بعد ذلك في السعة والدقة والصدق ترجمة بورتين بالانجليزية وترجمة ماردرروس بالفرنسية وترجمة هبكت بالالمانية .

ذلكم ياسادتي ما يتحمله المقام والوقت من تاريخ الف ليلة وليلة ، وانكم لترون من هذا الإجمال فعل القريحة العربية فيه ، ومظهر العقيدة الاسلامية في جميع نواحيه ، وظابع العقاية السامية في أخيلته ومراميه ، حتى أصبح الكتاب عنواناً عربياً من عناوين آدابنا ، وشاهداً جديداً على الحيوية القاهرة والشخصية الآمرة في آبائنا ، والآ فبا ذا نقسر هذا ؟

لقد خافوا اليهود على الدين فظهر عرياً رائعاً في رسالة محمد ، وخلفوا اليونان على

العلم فعاد عربياً ساطعاً في فلسفة ابن رشد ، وخلفوا الرومان علي الحضارة فبهرت العالم
بالعمران والعدل في عصر الرشيد ، وخلفوا الفرس على الأدب فأخضعوا السنتهم وأثنتهم
لأدب القرآن ، وخلفوا الهنود على القصص فأروهم روعة الخيال وقوة الإلهام في ألف ليلة
وليلة ، وخلفوا الأمم العظمى على أكثر الأرض فأوشكوا أن يعرفوا العالم ! فليت
شعري أتغيرت الصحراء ، أم فسدت الدماء ، أم ضويت الأنبياء ، أم هي ربضة الأسد
واستجمامة المتعب واستجماعة الواثب ، ثم استئناف الهجمة الأولى على الموقع الأول
في الحياة .

لقد أعفتكم طويلاً وأنعبتكم كثيراً وكدت أخرج من المحاضرة إلى الخطابة
فعدراً بإساذتي وشكراً .

أحمد حسن الزيات

عضو المجمع العلمي

صفي الدين الحلبي

- ٢ -

صفة شعره ٠ - ونوضح ما أجمناه من وصف شعره بما نقول :
أغراض شعره ٠ - نظم الحلبي الشعر في أكثر أغراضه فأجاد في بعضها وقصر في بعض :
(١) فاما رب الفخر والحماسة الذي صدر به ديوانه فأكثر ما قاله منه في صباه وجرى
في أكثره على طبيعة شعر المتقدمين ؛ فقلل من البديع ، وأكثر الجزالة وظهرت فيه صورة
البداعة التي شب عليها في بلدته الحلة ، وهي من مدن الاعراب . فمن ذلك قوله من قصيدة
يفتخر فيها بانتصاره في الموقعة التي أخذ فيها بثأر خاله :

لمن الشواذب كذلنعام الجفّل	كسيت جلالاً من غبار القسطل
برزن في حلل العجاج عوابساً	يحملن كل مدرع ومسرّبل
شبه العرائس تيمّلي فكأنهنّ	في الخدر من ذيل العجاج المسبل
فعلت قوائمهنّ عند طرادها	فعل الصواج في كرات الجنّدل
فتظل ترقم في الصخور أهلة	بشا حوافرها وان لم تنعل
يحملن من آل العريض فوارساً	كالاسد في أجمل الرماح الذبّل
تنثال حول مدرع بجنانه	فكأنه من بأسه في معقل
مازال صدراك مست صدر الرتبة الـ	علياء صدر الجيش صدر الخفل

وهي طويلة ومثلها قصيدته التي أسلفنا أولها ، ونختار منها الايات الآتية :

سلي الرماح العوالي عن معالينا	واستشهدى البيض هل خاب الرجافينا
وسائلي العرب والأتراك ما فعلت	في أرض قبر عبيد الله أيدينا
يايوم وقعة زوراء العراق وقد	دنا الاعادى كما كانوا يديشونا

بضمّر ما ربطناها مسومة
وفتية أن تقل أصفوا مسامعهم
قوم اذا استخلصوا كانوا فراعنة
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة
أن الزراير لما قام قائمها
انا لقوم أبت اخلاقنا شرفا
بيض صائغنا سود وناثنا
لا يظهر العجز منا دون نيل مني
الا لنغزو بها من بات يغزونا
لقولنا أو دعوناهم أجابونا
يوما وان حكموا كانوا موازينا
وان دعوا قالت الايام آمينا
توهمت انها صارت شواهينا
أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
خضر مرابنا حمر مواضينا
ولو رأينا المنايا في أمانينا

(٢) وأما المدح فهو جل صناعته وزعم في مقدمة ديوانه انه كان لا يتكسب به في نشأته . ثم أعوزته ضرورة الفرار من وطنه الى اتّجاع الملوك والتكسب به . وله مدائح جيدة في الملوك ومدائح نبوية منها بديعيته التي فتحت للشعراء بعده باب نظم البديعيات ؛ فهو أول من نظمها . وبديعيته التي تعتبر الاولى من هذا النوع واستعمل فيها كل أنواع البديع المعروفة في زمنه عارض بها بردة البوصيري في الوزن والقافية والموضوع ، اذ كانت الغاية في عصره بين المدائح النبوية ، ولانها حوت من أنواع البديع الكثير مع انسجام لفظ وبراعة معنى ، فلم يبلغ شأو البوصيري فيها ، ولكنها أصبحت في الغرض الصناعي الذي وضعت من أجله فاتحة البديعيات ، فعارضه بادي بدء عن الدين الموصلي ، وزاد عليه تسمية النوع ، ولكنه تكلف لذلك تكلفاً غير يسير ، ثم جاء ابن جابر الهوارى الضرير الاندلسي مهاجراً الى الشرق ، ودخل الجزيرة ، ومدح ابن الصالح ملك ماردین بعد وفاة الحلي ، فعارضه بقصيدة بديعية جارى الحلي في عدم التصريح باسم النوع فجاءت بليغة في جملتها ، ثم جاء تقي الدين بن حجة الحموي ونظم بديعيته المشهورة مصرخاً فيها باسم النوع ، ولم تخل من تكلف ، ثم عارضها آخرون لا يحصون الى وقتنا هذا . ومطلع بديعية الضفي المسماة الكافية البديعية في المدائح النبوية هو :

ان جئت سلماً فسل عن جيرة العلم وافر السلام على عرب بندي سلم
(٣) وأما المراثي فهو من يمجدها ، وكانت يعارض في كثير منها مشهورات مراثي المتقدمين ومن ذلك قصيدة يرثي بها أخاه عارض بها نونية المعري التي يرثي بها أباه والتي أولها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني الابعوس من الدجن
 فيقول صفي الدين في أول مرثيته وأغار على كثير من معانيها وضمن بعض شطورها :
 بكيت دماً لو كان سكب الدما يغني وضاعفت حزني لو شفى كمداً حزني
 وأعرضت عن طيب الهناء لاني (نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن)
 ومن أغرب مرثيه تخميسه لقصيدة ابن زيدون النونية وصرف غزلها إلى رثاء .
 وباب المراثي في ديوانه حافل بالشعر الجيد فراجعه .

(٤) الطرديات — وقد كاد يلحق في هذا الباب أبا نواس وابن المعتز وشعره فيها
 جزل بليغ خال من سفاف البديع ، لأن المقام مقام فروسية وتبدية وإصحار . وقد اقتبس
 هذه الخلة من بيئته البدوية الأولى ومن خدمته ملوك من الترك والكرد كملوك ماردين
 وحماة وكان يشهد معهم المصايد ويصف لهم آلات الصيد من أقواس السهام وأقواس
 البندق وكلاب الصيد وفهوده وشواهينه وبواشقه وصقورته كما يصف المصيد من الكراكي
 والتم الخ .

وله في الطرد مسمطة خماسية من الرجز لا أدري ان كان عارض بها ابن نباتة في
 طرديته أو هذا الذي عارضه ، غير أن طردية ابن نباتة ، من نوع الرجز المزدوج بمشطورين
 فقط ومطلع طردية صفي الدين هو :

أما ترى الانواء والسحابا قد أصبحت دموعها سوا كبا
 فاكنست الارض بها جلاليها فظهرت أزهارها عجائبها
 غرائباً أخضت لنا رغائبها

ومطلع ابن نباتة هو :

أئننى شذا الروض على فضل السحب واشتملت بالوشى أرداف الكُثب
 ما بين نور مسفر اللثام وزهر يضحك في الأكمام
 ان كانت الارض لها ذخائر فهي لعمري هذه الأزهار
 قد بسطتها راحة الغمام بسط الدنانير على الدرام
 أحسن بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نصرة النعيم
 وكأنك مبي تشع بان طردية ابن نباتة المصري أرق وأرشي .

(٥) الخمریات — وهو في وصفها خليع مستهتر يعترض على تحريمها ، ويؤنب اللائمين في معافرتها وطالما تاب عنها ثم عاد اليها ، وكثيراً ما جعلها محل النسيب من مدائح السلطانية كقوله في مطلع مدحه للملك المنصور :

دق شوال في قفار رمضان وأنى الفطر مؤذناً بالتهاني
فجعلنا داعي الصبح لدينا بدلاً من سحوره والأذان
الى أن قال :

شملتنا من ناصر الدين نعمى نصرتنا على صروف الزمان
(٦) الفزل — وهو فيه رقيق القول جيد المعنى يتدي به المدائح المطولات وينظم فيه المقطعات ، وأكثر ما يكون غزله بالمذكر ، وبخاصة غلمان الاتراك . وقد يبلغ به الاستهتار أن يعقد موازنة بين الغلمان والجواري ، ولم يكن هذا ديدنه وحده بل كان دأب أدباء زمانه ، ولولم يقارفوا منكره . وكأن ذلك كان يعجب ملوك الترك والكرد فيستلحونه ، ويستمعون اليه لمصادفته أهواء من أفئدتهم . ومن أرق قوله فيه :

يا ضعيف الجنون أضعفت قلباً كان قبل الهوى قوياً ملياً
لا تحارب بناظريك فؤادي فضعيفات يغباب ويا
وقوله :

قيل إن العقيق قد يبطل السحر بتخيمه بسر حقيقي
فأرى مقلتيك تنفث سحراً وعلى فيك خاتم من عقيق
وقوله :

ما زال كحل النوم في ناظري من قبل اعراضك والبين
حتى سرقت النمض من مقلتي ياسارق الكحل من العين
(٧) الوصف — وهو فيه حسن التحيل بديع التصوير ، فاذا وصف الازهار وبجالس الانس سهل شعره ورقته ديباجته واذا وصف الوحش والفرس وسرى الليل ونحوه اتى بالمتين والجزل ، فمن ذلك قوله في فرس آدم مجمل :

ولقد أروح الي القنيص وأغندي في متن آدم كالظلام محجل
رام الصباح من الدجى استنقاده جسداً فلم يظفر بغير الأرجل

فكأنه صبغ الشبيبة شبابه وخط المشيب فجاءه من أسفل
وقوله في وصف عود الطرب :

وعود به عاد السرور لأنه حوى اللهو قدماً وهوربان ناعم
بغرب في تغريده فكأنه يعيد لنا ما لقتته الحمام

راجع ديوانه في الطرديات والزهریات . ولقد خاض صفي الدين في أغراض أخرى
من الشكوى والالغاز والمعاينة فراجعها في ديوانه .

اسلوب شعره . — يغلب على شعر الحلبي الاوصاف الآتية :

(١) سهولة اللفظ والنسج الاسلوب في جملة . وقد قصد الى ذلك واعتد به في أكثر
شعره حتى انه ربما أسف الى استعمال الاساليب العامية الصورة . « وتقل عن نفسه في
ديوانه أن بعض الادباء سمع شعره فاستحسنه ، وقال لا عيب فيه سوى قلة استعماله للغريب
فكتب اليه ابياتاً اخ » ثم اتى بقصيدة ذكر فيها جملة ألفاظ من غريب اللغة من الخماسية
الاصول الصعبة الخارج كأن الغرابة عنده بطول الكلمات وصعوبتها ، وكأنه غفل عن أن
العرب انما تطيل اللفظ لزيادة المعنى إما في الحسن والقبول ، وإما في القبح والاستفطاع .
على أن ما ورد في اللغة من الخماسي لا يعدو خمسين كلمة . وكذلك تضع العرب الكلمة ذات
الحروف الصعبة الخارج للمعنى الفظيع كالعجوز والحجارة والدامية الخ وهالك ابياتاً منها :

انما الحيزبون والدرديس والطخا والنقاخ والعلطيس

والخرافج والشحطب والصة مب والعنفير^(١) والعنتريس

والعطاريس والعنقس والفر نق والخربصيص والعيطموس

لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئذ النفوس

وهو احتجاج بارد لا يقصد اليه منتقده ؛ فهل كان غريب مسلم بن الوليد وأبي تمام
والمتنبي بل المعري من هذا النوع على أنه — كما قدمنا — اذا قال الشعر في الطرديات أو
الفخر والحماسة اتى بالغريب المراد ونسي البديع وتكلفه .

(٢) الاستكثار من استعمال البديع اذ كان من المبتدعين لبعض انواعه وأول من
نظم البديعيات وله كتاب في الجناس ومن انواع البديع التي يستعملها في شعره الجناس

(١) ذكر اللفظين المزهر في الاسماء التي جاءت على فتعليل .

والتضمين ويكثر منه ويبيده وقد ضمن كثيراً من شطور قصائد المتقدمين المشهورة كعلقة امرئ القيس ومقصورة ابن دريد ولا مية العرب والاقباس من القرآن — والمراجعة . وما لا يستحيل بالانعكاس والتوجيه باصطلاحات العلوم واهمال الحروف واعجامها على أنواع شتى والتصنيف والسجع في الشعر وهو ممن لا يخفل بالتورية كما قال ابن حجة وصدق في قوله على انه قد وقع له منها بعض المقبول .

معاني شعره . — ليس الحلي من أولي الابتداع في المعاني والقوص على نفائسها وأكثر معانيه مسبوقة أو فطرية ، ولكن الذي جعل له هذه الشهرة الذائقة سترها في أغلب الشعر برقيق اللفظ ومائة الاسلوب ويقل اختراعه وربما كان منه قوله من قصيدة يمدح بها الصالح :

لولا كم لم يكن في الشعر لي ارب ولا برزت به من خزن تامور
فضيلة نقصت قدري زيادتها كالاسم زادت به ياء لتصغير

وقوله منها يصف صب الخمر :

وللاباريق عند المزج للجلجة كنطق مرتبك الالفاظ مذعور
كأنها وهي في الاكواب ساكبة طير تزق فراخاً بالمناقير

وقوله في تأخر منزلته :

كأنني من رقوم الهند أو جبلي علو مرتبتي افراط تاخيريه
(باعتبار أن كتابة الارقام ككتابة الحروف العربية من اليمين الى الشمال كالنطق بها)

عيوب شعره . —

(١) منها تكلفه لدرجة المقت والبرد إيثاراً لصناعة البديع من امثال التينيس والقلب والاهمال والاعجام ونحو ذلك .

(٢) كقوله في ممدوح :

مذهب محب محرب للمجتني والمجتلي والمجتدي
فقوله وطوله وطوله للمغتني والمغتني والمعتدي
وقوله في قصيدة كل اسمائها مصفرة :
وذباك الأويمع في الضحيا ووجهك أم قُمير في سُميد

(٣) وتوقع كثير من اللحن لغة ونحواً في شعره مثل قوله من قصيدة منصوبة الروي
بصف الدروع :

مروا بها خزر العيون فأوجست جزعاً وكادت بالكماة تميدا
وقوله وقد استعمل همزة القطع موصولة ولا يجوز ذلك حتى في الضرورة :
إِبلُغ الرملة الأنيقة (وابلِغ) معشراً لي بربها وأهילה
- كنت جلداً فلم يدع بينكم لا جسم حولاً ولا لقلي حيلة
(٤) فساد معانيه واستعاراته وتشبيهاته في كثير من المواضع كقوله في تشبيه خمسة
بخمسة فجمع البدر والهلل في آن واحد في وصف فارس يلعب بالصولجان :
ملك بروض فوق طرف قارع كرة بجوكان حكاها ضرابا
فكان بدرأ في سماء راكباً برقاً يزحزح بالهلل شهابا
القاهرة : احمد الاسكندري

فن الجاحظ (١)

— (١) —

قد تعتق طائفة من مذاهب الجاحظ في العلم أو قد تبلى جملة من آرائه في الفلسفة فالعلم لم يثبت على حالٍ من الأحوال والفلسفة لم تجهد على شكل من الأشكال فهما عرضة للتغيير في كل عصرٍ من العصور فلكل زمنٍ معتقداته وآراؤه ولكن الجاحظ إن لم يخلده علمه أو فلسفته خالده فنه ولغته —

لقد قضيت أياماً وأنا أفكر - في فن الجاحظ كيف أشرع في الكلام على هذا الفن وكيف أفرغ من هذا الكلام واشتدت حيرتي لما طالعت طائفةً من كتب الألف ليلة وليلة ورأيت كيف يبحثون عن فن شعرائهم أو كتّابهم أو خطبائهم وأظن أنه سيمضي على أدبنا حين من الدهر قبل أن نصل إلى ما وصلوا إليه في هذا الباب —

إن لم أسلوباً في البحث عن الفن لم يعده أدبنا بعد فلا يكتبون بالإشارة إلى جزالة الكلام أو إلى رفته أو إلى محاسن التشبيهات والكنايات وغير هذا من الصور ولكنهم يعرضون لألفاظ الكاتب فيبحثون عن هذه الألفاظ بحثاً مستفيضاً من حيث دلالتها على المعنى من طريق الحقيقة أو من طريق المجاز أو من حيث رنات هذه الألفاظ أو من حيث دلالتها على لونٍ من الألوان أو على صوتٍ من الأصوات أو من حيث أنها مجردة أو محسوسة إلى غير هذا من دقائق البحث ثم يبحثون عن النعت والمنعوت ثم يبحثون عن الفعل إلى أشباه هذه المباحث التي لا أجد لها في أدبنا نظيراً —

قضيت أياماً وأنا أفكر كيف أشرع في الكلام على فن الجاحظ وخاصة بعد أن

(١) سلسلة محاضرات الأستاذ السيد شفيق جبري أحد أعضاء الجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ :

تراءى لي تقصيرنا في هذا المجال وقلت في نفسي : وما أنت قائل في هذا المعنى وكيف أنت داخل هذا الباب أم كيف أنت خارج منه وخاصة فانه أجل أبواب الجاحظ التي تدل على حلوده في الأدب . —

أخبر الجاحظ الحياة حباً جمّاً فصور كل معرض من معارضها ولوّّن كل صورة من هذه الصور بحقائق ألوانها فكان إفصاحه عن شعوره بالحياة خالصاً من كل تصنع فألبس كل معرض من المعارض ضرباً من اللباس وجعل لكل صورة من الصور نوعاً من الخطوط والألوان جرياً على قاعدته الغالبة : لكل مقام مقال . —

ومن ولعه بهذه القاعدة وحرصه على أصولها تعلّق الجاحظ بحرية الصيغ وبمرونتها فهو يتوخى الأساليب التي يخاطب بها الناس على مقادير عقولهم فمرة يخاطب بلغة العقل ومرة بلغة الحواس وهذا كله دليل على حرية عبقريته وحرية فنه . —

لقد عرفت كيف كانت حياة الجاحظ العقلية ووقفتم على نشاط فكره وعلى رغبته في التطلع ورأبتم كيف يميل الى ذوق الأفكار والى توجيهها وكيف يسلك الى التمهيد مسالك شتى ، مرة يستظهر بعقله ومرة بالتجربة والعيان ، فكل همه مصروف الى معرفة الحق وقد دفعه شغفه بهذه المعرفة الى اجتناب كل كلفة وكل صيغة شعرية في علمه مما يبعد الاشياء عن حقائقها . —

فلذلك كان فنه في أبواب العلم والفلسفة مبنياً على العقل وحده فهو في هذه الأبواب قليل الاستعارات قريب العبارات منقاد لريان الكلام يستعمله نفور من معنائه يهمله على نحو ما قاله فيه البديع في مقامه الجاحظية لانه في العلم والفلسفة يخاطب العقل وحده ولغة العقل مجردة والتجريد من خصائصها فالجاحظ قليل الصور في علمه وفلسفته حتى اذا اضطر الى تشبيه في أثناء كلام له على بعض الحيوان قرّب تشبيهاته ولم يغل فيها بحيث تكون على مقربة من حواسنا تدرّكها هذه الحواس دون شيء من النصب والكلفة . من هذا الشكل تشبيهه الذر بالخييط الأسود الممدد ، قال (١) :

« فلا يلبث ذلك الانسان أن يراها قد أقبلت وخلفها كالخييط الأسود الممدود . — »
فانظروا الى هذه الصورة المحسوسة فانه لم يغل في المشبه به ولا في لونه ولا في هيئته

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٣ .

فالخيط والسواد والمدُّ كل هذا من الصور التي تراها العين لأول وهلة —
 - ولو عرضنا طائفة من تشبيهاته لوجدناها بمجامعها على هذا النمط واليكم بعض
 الامثال :

البعوضة مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الإشارة باليد — والحية
 تسقط أسرع من الملح — والشعر الذي يكون تحت حنك الكلب كأنه طاقة —
 وساقا الكلب كأنهما خشبة من صلابتهما — والحية انتصبت كأنها رمح مر كوز أو عود
 ثابت — والخصي كأن السيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة
 وكأنه حجارة رطبة وكأنه قضيب فضة قد مسه ذهب وكأن في وجناته الورد —
 وإذا أحب في غير أبواب العلم أن يبرز بعض صفات في معارض مدوِّرة لجأ الى تشبيه
 الموصوف بأشخاص معروفين مشهورين حتى يكون المشبه به على مقربة منا كوصفه أحد
 البخلاء (١) :

« وكان يستعمل على خُوانه من الخدع والمكائد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن
 زهير والمهَّاب بن ابي صُفْرة وخازم بن ابي خزيمة وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من
 الاحتيال ما لا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبه — »

انه لا ينزع في تشبيهاته الا الى ما يقرب من طريقته التي لجأ اليها كز حياته في كل
 مذهب من مذاهبه وما هذه الطريقة الا الطريقة الحسية حتى انه كثيراً ما يشبه بجاسة من
 الحواس كاليد أو كالمح فكل صورته محسوسة —

لم يكن فنه في العلم والفلسفة الا فن الفلاسفة والعلماء الذين ينصرفون الى حل
 الأفكار والتنقيب عن صيغ العالم فهم لا يلتصقون من الألفاظ الا دلالتها على الأفكار
 دلالةً وجيزة فالجاحظ يجرّد كلامه من العناصر التي تجعل للكلام خمائص فنية فهو
 لا يجعل لاصور مقاماً في كلامه وانما انقام للعقل وللتمييز فكل تنميته صحة البيان —

ان فن الجاحظ العلمي انما هو فن الرجل الذي يخاطب العقل وأسلوبه فيّاض بالمعنى
 وبالمادة فهو يقذف بأفكاره كما هبطت عليه فكأن كتاب الحيوان ضرب من احاديث في
 العلم والفلسفة ولكنها احاديث يفيؤها عقل رجل فتان ، خفيف الروح فكأن الجاحظ

في هذا الكتاب رجل مكسال فهو يخاف روح الترتيب فلا يريد إلا الحديث من دون أن يستفرغ جهده في الترتيب حتى يكاد القارئ يضيع في كثرة الاستطرادات وتعاضل الموضوعات وكما أنه لم يتعب في قذف أفكاره فكذلك لم يتعب في قذف ألفاظه فالتنفر من ينبوع لغته التي لا تنضب كما تنفجر أفكاره من ينبوع عقله الذي لا ينشف . ولهذا الميل المستحكم فيه وأعني به الميل إلى الصيغ العقلية كان شعر الجاحظ بعيداً عن أن يكون ضرباً من الشعر فالجاحظ على نحو ما قاله فيه البديع في أحد شتي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، فمن شعره قوله :

يطيب العيش أن تلقى حلماً غذاه العلم والرأي المصيب
لينكشف عنك حيرة كل ريب وفضل العلم يعرفه الأريب

فاذا دققتم في الفاظ هذين البيتين كالعالم والرأي والحيرة والريب تبين لكم أنها أفاضل مجردة والشعر لا يعرض علينا الأفكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الأفكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الأفكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فالشعر غرضه أن يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتعمى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة^(١) وفن الجاحظ ممزوج بهذا الاصطلاح العلمي والاستدلال الفلسفي فما أبعدته عن أفق الشعر وإذا مال في شعره إلى شيء من التصوير كالتشبيه بوشي البرود وما شاكلة فلانجد في تصاويره نوعاً من الإبداع وإنما يصب فيها على قوالب محفوظة ويذهب فيها مذاهب مألوفة . —

غير أن الجاحظ لم ينجس نفسه على مذاهب العلم والفلسفة فقد أحب الحياة كما قلت لكم وصوّر كل مشهد من مشاهدنا وإنما جعل لكل صورة خصائصها فإذا أعطى الفلسفة والعلم مقاديرهما من الفن فهل قهر عن إعطاء غيرهما من معارض الحياة ما يستحقه من لوازم الفن . —

إذا جاوزنا أفق العلم والفلسفة الذي جال فيه الجاحظ كل مجال وبني فنه فيه على أصول العقل وجدنا أن فن الجاحظ قد دخل في طور آخر . —

(١) راجع كتابي : المتنبي — سحر العبقرية . —

هل كان الجاحظ مصوراً . —

يقولون : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة دون المجاز المصور يبحث عن الألفاظ المحلية والألفاظ الفنية وعن صحة النعت . —
فلنعمد الى صورة من صور الجاحظ ، كصورة قاضي البصرة عبد الله بن سوار ،
قال الجاحظ (١) :

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركبناً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتجي ولا يتكى فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يولي العشاء وينصرف ، فالحق يقال لم يبق في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يده ولا يشير برأسه وليس الا ان يتكلم فيينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حوالبه وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الى مؤق عينيه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضه ونفاذ خرطوميه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب باصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى أن يوالي بين الأطباق والفتح فتحنى ريثما سكن جفنه ثم عاد الى مؤقه بأشد من مرته الاولى فغمس خرطوميه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك فكان احتمالاً وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وألح في فتح العين. وفي تتابع الفتح والإطباق فتحنى عنه بقدر ما سبكت

حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجسد بدأ من أن يذب عن عينيه يده ففعل وعيون القوم اليه ترمقه وكأ أنهم لا يريدونه فتحنى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه ثم ألجأ الى أن يذب عن وجهه بطرف كفه ثم ألجأ الى أن تابع بين ذلك وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبه نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني عند نفسي من أضعف الناس فقد غلبني وفضحني أضعف حلقه ، ثم تلا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمثالة . — «

فلترجع بعد ان قرأنا هذا الوصف الى كل دقيقة من دقائقه . —

للصورة في عصرنا هذا شروط خاصة فمن خصائص الصورة أن يفصل المصور على وجه عام هيئة الموصوف كالكلام على قامته وعلى لونه وعلى عينيه وعلى شعره وعلى أسنانه وما شابه ذلك فيتكلم على محاسن هذه الهيئة أو على مساوئها فاذا فرغ من هذا كله تكلم على خصائص عقله فوصف محامد هذا العقل أو مقابجه ما بطن منها وما ظهر فاذا فرغ من هذا تكلم على قلبه فوصف مختلف عواطفه وأهوائه . —

ليس في هذا الرسم شيء من المصاعب وإنما المصاعب ان يفصح الواصف عن كل شكل من الأشكال بليغة من الكلام خاصة تباغت القاري قسليه وتسره . —

أهم الجاحظ الكلام على هيئة القاضي فلم يصف لنا شيئاً من قامته أو لونه أو عينيه أو شعره أو غير ذلك من ظواهره ولكنه لم يهمل الكلام على جلسته ، كيف يجلس هذا القاضي :

« يأتي مجلسه فيمتني ولا يتكى فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه الخ . . . »

قلت لكم : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة لا من طريق المجاز فاذا دققتم في هذه الألفاظ التي لجأ اليها الجاحظ وجدتم انها بعيدة عن المجاز

ولما اضطر الى تشبيه هذا القاضي في وقار جلسته رجع الى عادته في التشبيهات المحسوسة فشبهه ببناء مبني وبصخرة منصوبة فلم يغفل في هذا التشبيه وانما كانت الصورة على مقربة من حواسنا فهي مثل قوله : كالخيط الأسود الممدود . —

فالجاحظ في تصويره يعتمد الى الألفاظ التي تفصح عن المعاني من طريق الحقيقة وإذا لجأ الى المجاز وقليلاً ما يلجأ فانه يقرب ولا يبعد . —

وكما يبحث المصور عن هذا الضرب من الألفاظ فكذلك يبحث عن الألفاظ الفنية فلما قال الجاحظ : ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة اليهود والشروط والوثائق ، لما قال الجاحظ هذا القول استعان بالألفاظ الفنية ، ما هي هذه الألفاظ : اليهود والشروط والوثائق ، هذه هي مصطلحات القضاة . —

وكما لم يهمل الجاحظ الكلام على جلسة القاضي فكذلك لم يهمل الكلام على محاسن صفاته ، ففي ثلاث كلمات وصف هذه المحاسن فقال : لم ير الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركيناً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حر كته مثل الذي ضبط وملك . —

وبعد أن فرغ من الكلام على صفات عقله تكلم على بعض صفات قلبه : ما هي هذه الصفات : الشعور الديني البارز في صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء في أوقاتها . —

لا شك في ان الجاحظ لم يطل الكلام على هذه الصفات كلها وانما وصف منها ما له متعلق برجل قاضٍ ، قد لا يكون للصورة في عصر الجاحظ القواعد التي لها في عصرنا ولكن الجاحظ لم يغفل عن الكلام على الأشكال بلهجة تباغت فتسلي وتسرُّ ، فمن هذه التسلية ومن هذه المسرة : سقوط الذهب على أنف القاضي وإطالته المكث وتحوله الى موقف عينيهِ والمباغنة فيهما صبر القاضي على عضه وعلى نفاذ خرطومهِ من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب بأصبعه ،

ومن هذه التسلية ومن هذه المسرة إطباق القاضي جفنه الأعلى على جفنه الأسفل وموالاته بين الإطباق والفتح وتحريكه أجفانه وزيادته في شدة الحركة والمباغنة فيها ذب القاضي عن عينيهِ بيده وبطرف كفه . —

فالجاحظ مصور من أكبر المصورين وتكاد تكون قصة القاضي عبد الله بن سواد

مثال التصوير في أدبنا فقد جرى الجاحظ الى هذا القاضي انتباه القاري فثبت انتباهه هذا في مختلف أوضاعه وولد عن هذه الأوضاع أفكاراً وآلف بين هذه الأفكار فالصورة لم تكن حلاً مجرداً وإنما هي رسم حقيقي ، وإنما هي معرض من معارض الحياة ليس فيها شيء من اوصاف العقل أو العاطفة مما لا تقع عليه عين وإنما فيها وصف شيء تراه العين فهي صورة واضحة قوية صور فيها وضع من الأوضاع في مختلف حالاته . —

لا شك في انكم قد لاحظتم أن من أساليب الجاحظ في هذه القطعة التريديد فمن ترديده قوله : فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر . . . فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر . . . فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب . . .

والتريديد وسيلة من وسائل الفن فإن الكلمة المرددة توضح الفكر أحسن توضيح فتوحي المعنى الى الذهن وتستثير هذا الذهن فان اللفظة اذا رددت كان لتريديد جرسها تأثير في تثبيت العناصر في الذهن . —

وكثيراً ما يلجأ الى هذا الباب مرة يردد التعت ذاته كقوله في قصة محمد بن أبي المؤمل في البغلاء :

« ولم يكن أكله الا على قدر أكله اذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه منديل نظيف . »

ومرة يردد الفعل كقوله في وصف سمابة^(١) :

« فاذا سمابة ضحيت تكاد تمس الأرض وتكاد تمس قم رؤوسهم . . . ثم قوله : ثم انها دفعت باشد مطر . . . ثم اندفعت بالضفادع العظام . . . ثم اندفعت بالشبايط . » أو قوله^(٢) :

« ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويربغ القنفذ الأفعى فيأكلها . . . »

فكرر كلمة : تأكله ثماني مرات في خمسة سطور وما يقال في التريديد يقال في لجوء الجاحظ الى استعمال اللفظ وضده إظهاراً للمعنى فالغاية التي يؤدي اليها ترديد التعت أو

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول ص ٦٨

(٢) = = = السادس ص ١٠٢

الفعل أو الاسم إنما هي شبه الغاية التي يؤدي إليها استعمال اللفظ وضده فكل هذه الوسائل إنما المقصد منها تثبيت الفكر في الذهن —

هذه عناصر يسيرة يتركب منها بناء الجاحظ ، أما جملة البناء فإن لها أشكالاً شتى .

مرةً يتموج عبارته فتنبسط ثم تمتد حتى تغيب عن النظر فلا يقف بك كلامه إلا بعد شيء من التعب ونماذج هذه العبارة كثيرة منها قوله في وصف الكتاب ^(١) :

وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى أثره ولولا ما أودعت لنا
الاولئل في كتبها وخطأت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها
ما غاب وفتحنا بها كل مستغلق كآن علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدر كئنا مالم نكن ندركه
الآن بهم لما حسن حفظنا من الحكمة وانضعف هيبنا الى المعرفة — «

ومرةً يقطعها تقطيعاً كأنها ألحان موسيقى كل لحن له رننه ^(٢) :

« اللهم انا نعوذ من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف
لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والمذر كما نعوذ بك
من اليمى والحصار — «

فيأخذ كلامه في مثل هذا التقطيع نصيبه من الراحة ويمتد للقاري مثل هذا النصيب :
ومرةً يرسل الكلام إرسالاً لا يبالي بتموجه وتقطعه ، من هذا القليل كلامه في
البغلاء وفي كثير من كتاب الحيوان —

من كل ما تقدم يتبين لكم أن الصور التي يعرضها علينا الجاحظ قليلة وهي صور قريبة
لا تتعب الحواس في إدراكها وإنما الجاحظ اذا أراد أن يصبغ فنه عمد الى صباغ من غير
الجنس الذي نعهده فهو يحبي فنه وينفخ فيه روحاً بلجؤه الى توضيح حقائق التفاصيل انه
بصور الأفكار بريشة الحوادث نفسها فيختار لها أحوالاً وخصائص تربينا هذه الأفكار
هاذا أردتم أن تعرفوا نموذجاً من هذا الفن فارجموا الى كلامه على ذرء الحمام وطلبه الولد ^(٣) .

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٤٢ .

(٢) مقدمة البيان والتبيين .

(٣) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٦ .

ليس في هذا الكلام شيء من الصور وإنما فنُّ الجاحظ فيه تصوير الأفكار ذاتها
بتفصيل دقائقها وأكثر كلام الجاحظ على هذا النمط . —
وإذا شاء الباحث أن يستوفي خصائص فنِّ الجاحظ أوشك أن ينقطع به الكلام
وأظن أن في هذا القدر إشارة إلى فنه بقي علينا أن نعرف كيف عالج الجاحظ لغة هذا
الفن وكيف زاوَلها . —

دمشق : في ١٤ أيار سنة ١٩٣٢ شفيق جبوري

آراء وافكار

—(١)—

اصل بناء حلب الشهباء

لقد اضطرب قول المؤرخين في أصل بناء مدينة حلب الشهباء ، وقد خبطوا في الامر . خبط عشواء ، فمنهم من جعلها من بناء ابراهيم الخليل ، ومنهم من جعلها من بناء العمالقيين وآخرون جعلوها من بناء الحثيين أو الروطانوس ، الذين تشهد الكتابات الهيروغليفية بانهم كانوا يسكنون سورية الشمالية ، وهم من ذرية (لود) وقد ملكوا سورية قروناً طوالاً ، ولم يقوض مرادق ملكهم الا الحثيون الذين دفعوا لهم الجزية ، وهناك قوم غزوا بناءها الى بلكورس أو بلوكورس ملك الموصل ، الذي ملك في القرن الخامس عشر قبل المسيح فبناها ودعاها بهذا الاسم ، على شرف حلب بن مهر بن خاب الذي كان متسلطاً على قنسرين .

على ان علائق الشهباء مع الحثيين هي بيئة فان أقدم عصر ذُكرت فيه هو القرن العشرون قبل المسيح ، أما تاريخ تأسيسها واسم بانيتها ، فهذا ما استسرّ علمه على المؤرخين ، ولكن الاب (دورم) البجانة الاثري الشهير نشر في مجلة سورية العلمية سنة ١٩٢٥ خلاصة ما بلغ اليه في هذا الشأن فقال : لم يعلم الباحثون شيئاً يذكر من تاريخ حلب القديم ، حتى هذه الأعوام الاخيرة . ولكن الكتابات الهيروغليفية تذكر حيناً بعد آخر مدينة حلب في النصوص المتعلقة بامينوفيس الثاني أورعمسيس الثاني في عهد الدولة السابعة عشرة أو التاسعة عشرة ، فالوثائق التاريخية المصرية لا تدل على وجود مدينة حلب قبل القرن الخامس عشر قبل المسيح . اما الكتابات المسمارية فانها لا تبدأ بذكر اسمها الا في عهد (سلما ناضر) الثاني الذي ملك من سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ وهي تدعوها (Halman)

أوحلوان — كذلك الكتاب المقدس فان مدينة «حلبون» المذكورة فيه ليست سوى قصبة «حلبون» التي تقع على ثلاث ساعات من دمشق ، وهي عاصمة بلاد الحلبونيين التي اشتهرت بخمرها الجيد . أما المؤرخون اليونانيون والرومان فانهم كانوا يدعونها «بيروه» وكذلك الملك سلوقوس نيكاتور كان يسميها بهذا الاسم ، وقد تلا تلوهم المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» .

فلاربب إذن في وجود مدينة حلب منذ القرون الاولى لتاريخ بلاد سورية ، وكانت تعقد المعاهدات التاريخية مع ملك الحثيين وكان الشعبان كفرسي رهان ، وان سجلات «حاتوزا» الملكية تتضمن ماجل ودق من تاريخ مملكة حلب وماطراً عليها من الكوارث والتقلبات منذ عهد حاتوزيليس الاول الذي حكم في القرن العشرين قبل المسيح فلم تبقى شبهة في ان مدينة حلب قد ذكرت لأول مرة في التاريخ في القرن العشرين قبل الميلاد . ولكن ماهي ياترى تلك الكوارث والتقلبات التي تسردها سجلات حاتوزا الملكية ، وكيف يتندي تاريخ مدينة حلب ؟ تمكن معرفة هذا من الكتابة المذكورة التي صورت بالحرف بابلية .

وكان ملك حلب في ذلك العهد (٣٣٦ قبل المسيح) «ريمشرهاما» وملك الحثيين «مورشيليشو» الثاني عم ريمشرهاما . اما الكتابة فليست سوى نص معاهدة وقعت بين الملكين المتحاربين ، وليس لدينا سوى نسخة منها نقلت بامر «موفاتاليش» بن «مورشيليش» وقد فقدت النسخة الاصلية . وقد جاء في تلك المعاهدة ما نصه :

«كان ملوك بلاد مدينة حلب (Halaap) قديماً السلطان على مملكة عظيمة وكان حاتوزيليس الملك الكبير ، ملك بلاد مدينة حاطي قد جعل تلك المملكة تزعم منكب الجوزاء وتعلو جناح النسر » وفيها ايضاً بعد بضع عبارات : «بعد حاتوزيليس ملك بلاد مدينة حاطي هدم مورشيليش الملك الكبير حفيد حاتوزيليس الملك الكبير مملكة بلاد مدينة حلب (Halaap) وبلاد مدينة حلب» .

ونقرأ في وصية تليبينوش السياسية (قرب سنة ١٢٧٥ قبل المسيح) ، ان مورشيليش قد أتى الى مدينة الحاتوزيين بمسجوني «حالايا» وبخيراتهما .

وعليه فلا إشكال في حدوث حرب في تلك الأعصر بين الحثيين وبين الحلبين

الأولين . وكانت الوقائع التي سردناها نتيجة تلك الحرب . لا بل ان دخول مورشيليش الاول مدينة حلب واستيلاءه عليها لم يكن سوى مرحلة من مراحل التوسع الحثي . فان التاريخ والوصية المشار اليهما يقولان ايضاً « ان مورشيليش الاول قام من حلب على بابل وأوقع في بابل البوار والدمار » .

مع ان كبار الباحثين جعلوا هذا الهجوم على مدينة بابل نحو عام ١٨٧٠ قبل الميلاد ، فكان الشاهد الصادق على ان الحرب بين الحثيين والحليين قد نشبت في أواخر القرن العشرين قبل المسيح .

فقد ظهر ان مدينة حلب في ذاك العهد كانت قطب مملكة زاهرة تسمى (بلاد مدينة حلياس) ومنها جاء اسم حلب ، فيكون اسمها لم يزل ثابتاً منذ تأسيسها حتى عهد العرب الذين سموها هم ايضاً به .

ولكن مملكة حلب ومدينة حلب ، بعد ان دمرهما «مورشيليش» الاول ، عادتا الى الوجود اذ رجع احد الملوك فبنى المدينة من جديد . ولا يدخل في علم التاريخ شيء من أطوارهما مدة اربعمائة سنة أو أكثر حتى أواخر القرن السادس قبل المسيح ، اذ نشاهد الحليين في عهد «توداليش» الاول ملك الحثيين ، قد لف شملهم بسكان «هانيكالباد» في جنوبي شرقي نهر الفرات واتحدت وجهتهم في مقاومة الحثيين ، فأصبحوا لهم حرباً وعليهم إلباً . وكان من وراء ذلك العصيان تقويض مدينة حلب بامر «توداليش» الاول . وقد بنيت مرة ثانية ولكنها ماقتئت على خلاف مع الحثيين ، بل كانت تثور عليهم أحياناً . فمن تصفح نص المعاهدة التي عقدت بين مورشيليش الثاني ورعينشرها ، ثبت له ما سبق وعرف تاريخ حلب حتى الى ما بعد الحرب التي نشبت في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

اما المصريون فانهم حكموا حلب في عهد توطمس الثالث ، الذي ملك من سنة ١٥٠١ قبل المسيح حتى عام ١٤٤٧ . ومنذ ذلك الحين انجلت عن تاريخ حلب الشكوك والأوهام .

حلب : الخوري جبرائيل رباط



مطبوعات حديثة

كتاب الجزائر

« تأليف السيد احمد توفيق المدني طبع في المطبعة العربية في الجزائر »

« سنة ١٣٥٠ هـ ص ٤٠٨ »

من أمتع الكتب التي نشرت في الجزائر على عيها الاخير على أسلوب عصري بديع
تام بتأليفه ووضع وطبعه ، هذا السفر النفيس كتبه مؤلفه بأسلوب رشيق وعبارة منسجمة
فرسم لنا صورة الجزائر طبق الأصل بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذلك القطر وتقويم
أرضه وعادات أهله وأخلاقهم وأصول إدارته وقبائله ومراكزهم وعناصره وشكائه . قال
ان العربية العامة فيه هي أفصح اللهجات العربية وان من يتكلم بها العامة ومن دخلوا في
الجيش فيمزجون العربية بالفرنسية بالبربرية بالاطالية الخ ، وأفاض في المعاهد الاسلامية
وغيرها وجميع ماله علاقة بدارتها وصنائعها واقتصادياتها وحضارتها الحديثة والقديمة .
وكان المؤلف على تحمسه الظاهر في بعض صفحات كتابه صادقاً في آرائه لم يسعه الا ان
يقول قول المؤرخ الاجتماعي الصادق للجزائر بين ومما قال : « وبعد فالجزائر اليوم تسير
خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية وانها بعلمائها وكتابها وشعرائها
ومدرسيها ورجال العمل فيها تعي نفسها مركزاً متيناً في عالم النهضة العربية ، انما الخطوة
التي بقي عليها ان تخطوها هي ان يشارك الشبان المتعلمون تعليماً فرنسياً عصرياً في الآداب
والعلوم العربية ، وان يشارك علماء العربية وكتابها وشعراؤها في العلوم العصرية الحديثة
حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان بدأ في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شأن
الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى أسمي مقام » (ص ١٠١) وقال (ص ١٤٤) اننا نري

طغيان اللغة العربية العامية على كل البلاد العربية والبربرية من جهة ونرى ان هذه اللغة قد أخذت تترقى وتتهذب وتزداد كل يوم اقتراباً من اللغة الفصحى والفضل في ذلك راجع للمدارس والدروس والصحافة والمحاضرات . « والمؤسف ان خمسة في المئة من المسلمين هناك يعرفون القراءة والكتابة وينقسم التعليم فيها (ص ٢٩٣) الى قسمين تعليم الفرنسيين والاوربيين وهو إجباري فليست تجد قرية أو دشرة أو مركزاً صغيراً الا ورأيت فيه بنابة المدرسة الجميلة وأطفال القرية او المركز يجبرون على التعليم ، والقسم الثاني تعليم المسلمين وهو يسير الهويئنا . والتعليم في الجزائر يتبع مبدئياً نظام التعليم في فرنسا وفي أمهات المدن مدارس لتخريج المدرسين والمدرسات ، وجملة الاوربيين الذين يتلقون علومهم في هذه المدارس يبلغون زهاء ١٣٦ ألفاً من البنين والبنات (وجملة الاوربيين ٩١٣ ألفاً) ويتعلم في مدارس الحكومة من المسلمين ٦٠ ألفاً (وجملة المسلمين نحو ٦ ملايين) فيبقى ٧٨٠ ألفاً من المسلمين لا يدخلون المدارس ، ومنهم من يتلقى علومه في نفس المدارس الفرنسية وعددهم ٩ آلاف و٤٨ ألفاً يتلقون العلوم بالفرنسية في مدارس خاصة وعددها في القطر الجزائري ٥٤١ مدرسة منها ٥١٩ مدرسة للذكور وتلاميذها ٤٥ ألفاً و٢٢ مدرسة للبنات تلميذاتها ٣٠٠٠ ، وفي الجزائر ثلاث مدارس للتعليم الثانوي في مدينة الجزائر وقسنطينة ووهران وثمانى مدارس عليا (كوليج) وعشر مدارس حرة اوربية وثلاث مدارس تجهيزية للبنات ويزيد إقبال المسلمين على التعليم الثانوي . وللتعليم العالي في الجزائر (الجامعة) وفيها كلية الحقوق وكلية الطب والصيدلة وكلية الآداب وفيها ثلاثى دروس اللغة العربية الفصحى والمدنية الحديثة والفلسفة الاسلامية ويستفيد في العلوم الاسلامية الاوربيون وقليل من المسلمين ومن أبناء المسلمين نحو ٧٥ طالباً يتلقون التعليم في مختلف الكليات . والتعليم الابتدائي العربي مهمل ويعنى بعض العناية بتعليم العربية في الثانوي والعالي ، وفي الجوامع مدرسون يدرسون الفقه والتوحيد والنحو وهم منبثون في ٣٣ بلدة من بلاد الجزائر ، ويعلم علماء الدين في ثلاث مدارس اسلامية وهي المدية وتلمسان وقسنطينة ومن هذه المدارس يؤخذ القضاة والمفتون وغيرهم ، وهناك مدارس قرآنية حرة لتعليم العربية وهي ثلاثون مدرسة في القطر الجزائري تعلم ثلاثة آلاف من أولادها والاقبال عليها كثير وهي تقوم بمال المسلمين وفي استطاعة اهل كل قرية اودشرة اومدينة

أن تؤسس مدارس قرآنية والحكومة تشترط لهذه المدارس ان تكون أما كنها صحيحة وان يكون الشيخ او المؤدب محرراً شهادة تثبت انه اهل للتدريس ولكن الجزائر بين يهملون التوسع في هذه المدارس للبنين كما أهملوا البنات ، وهناك بعض المدارس الاسلامية التي يتخرج فيها الطلبة على الاصول القديمة لكنها غير منتظمة وذلك لتهاون الجزائريين بها مع ان الحرية مطلقة لهم في ذلك . الى غير ذلك من المدارس الزراعية والصناعية والتجارية وكلها مفتحة الابواب لا تطلب غير الاقبال عليها من المسلمين كما أقبل عليها غيرهم من نزلاء الجزائر والغرباء عنها من القاصية فاستفادوا وأفادوا . وقصارى القول أن كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة فيه روح الشباب والتجدد ولا تصح ان تخلو منه خزانة كتب شرقية فلو لفته الشكر على هذه التحفة البديعة التي أتحف بها المكتبة العربية .

م . ك

الصبح المنبي

— عن —

«حيثية المتنبى»

أعاد طبعه الشيخ ياسين عرفة بدمشق — مطبعة الاعتدال — ٢٩٢ صفحة من القطع الوسط . —

يتضمن هذا الكتاب جملة صالحة من أخبار المتنبى على ما هو متعارف ، غير أن عيبه انما هو عيب بعض كتبنا في القديم فلم يروى صاحبه الأخبار من مبادئها الى خواتمها على صورة مرتبة فقد روادا على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا أخبار المتنبى عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى أخباره عند ابن العميد على غير مناسبة فلو ذكر صاحب الصبح المتنبى أنباء المتنبى دفعة واحدة من دون أن يتخللها شيء من نقد الشعر أو غيره مما لا محل له في فصل الأنباء لكنى القاري كثير من العناء فأدبنا في القديم لا يزال فوضى ينقصه كثير من الترتيب . —

وقد تولى إصلاح خطأ المطبعة الأستاذ عبد الدين علم الدين عضو مجمعنا العلمي وقدم

الكتاب بمقدمة أشار فيها الى فريق من الذين شرحوا ديوان المتنبي ولمح الى إسهاب صاحب كتاب الصبح المنبي في استطراداته وذكر بعض حسنات هذا الكتاب من جملة ما صدق كثير من احكامه على المتنبي وإلمامه بكثير من حوادث بعض الايات التي يستعين بها الدارس على فهمها ومفاضلته بين كثير من القصائد . —

وأشار الى زيادات هذه الطبعة أي طبعة الشيخ ياسين عرفة . —
والكتاب مطبوع طبعاً جيداً على ورق جيد وفيه بعض خطأ من هذا الخطأ اسم وزير كافور فقد سماه صاحب كتاب الصبح المنبي : ابن حرايه وبقي اسمه هكذا في الطبعة التي نتكلم عليها والصحيح ان اسمه : ابن حنزابه . —

شفيق جبري

أحاديث الزواج في مصر

كتاب جيد الورق متقن الطبع طبعته مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر القاهرة وضعه مؤلف عالم ضليع من فلسفة الاجتماع لم يشأ — تواضعاً او لغرض من الاغراض — ان يذكر اسمه في فاتحته بل جعله 'غفلاً' واستعار له اسم « رسول الزواج » واكرم به من رسول فصيح اللسان جلي البيان ، وجه رسالته بنوع اخص الى الفتى الناهض والفتاة المعصرية يسأيهما بما فيه من فلسفة وادب صحيحين ويضيء عقليهما بنور وحي الحكمة التي فيه حتى اذا اقبل على الزواج توهم رسم خطواته .

قسم المؤلف احاديثه الى ابواب عاج فيها فلسفة الزواج ومنافعها ومتساكها وكل ما يتعلق به من اوليات وشروط ونتائج ومحتص الاسباب في كل ذلك وردّها الى عللها ومناباتها ووصف دواء ادوائها . وقد حلاه برسوم منتقاة كل واحد منها يوافق الفصل الموضوع فيه ويزيده بياناً فوق بيان الادبي واللغوي . حري بهذا الكتاب ان يقرأه الكبير والصغير وان تكون له مكانته على مناضد العائلات الكريمة .

عبد الله رعد

منابت الصهيونية

كُتِبَ مطبوع في مدينة سان باولو إحدى امهات مدن البرازيل وضعه السيد توفيق قربان . وهو يحتوي على قصة ملفقة القصد منها تكريه الناس من اليهود الصهيونيين المستعمرين لفلسطين ولكنه بهذا التلفيق لم يصب الهدف بل حطّ فيه من كرامة المسيحيين واليهود عامة . لانه اول في هذه القصة آيات التوراة على غير تأويلها والتوراة كتاب منزل في اعتقاد المسيحيين واليهود وله فوق ذلك اعتبار كبير عند سوام من الشعوب ومكانة عظيمة في التاريخ . وليته طرق غير هذا الباب فيما رماه اذا لما طاش سهمه .

وتلي قصة منابت الصهيونية في هذا الكتيب قصص اخرى من تعريب السيد قربان الا ان تسميته لها « اجتماعية » في غير موضعها لان ما في كل منها من المغزى لا ينطبق على مبادئ الشرف والاستقامة ، وخصوصاً مغزى القصة التي اسماها بعنوان « رجل مستقيم » فلسفة الدين والاجتماع كثيرة التشعب والفروع عند الامم والشعوب ولكل شعبة منها انصار . الا ان السيد قربان كتب ونقل باللغة العربية ، اذا فكتابته موجهة الى قراء العرب ، ولا اظن ان الكثيرين بين هؤلاء يقولون قوله او يرون رأيه . . —
اما من جهة اللغة المكتوبة بها هذه القصص في هذا الكتيب فلا بأس بها .
عبد الله رعد

الاسلام

« للسيد هنري ماسي — طبع باريز سنة ١٩٣٠ عدد صفحاته ٢٢١ بقطع صغير »

Henri Masset - L' Islam , 221 pages . Paris 1930

يحتوي هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه على موجز تاريخ النهضة الاسلامية وقد افتتح كتابه بمقدمة عن العرب قبل الاسلام ثم بحث عن الاسلام وتطوره الديني والمدني منذ نشأته حتى تاريخنا هذا كما أنه بحث في اصول الادارة الاسلامية وتقدمها في القرن الاول .
ومما لا نقر المؤلف عليه قوله بأن محمداً (ص) حط من شأن المرأة وسلبها الحرية التي

كانت تتمتع بها في زمن الجاهلية والحقيقة ان الاسلام هو الذي صان حقوق المرأة كما صان حياتها . ونرجو ان لا يكون المؤلف قد تأثر ببعض المصادر المتحاملة على الاسلام وتاريخه
جعفر الحسني



احصاء الابنية الاثرية

« في مدينة حلب »

للسيد ج سوفاجه — طبع باريز سنة ١٩٣١ عدد صفحاته ٥٦

Inventaire des Monuments Musulmans de la ville d'Alep .

56 pages . Paris 1931

يحتوي هذا الكتاب على وصف لأشهر ابنية حلب الاسلامية الاثرية وعاديتها وقد بين مؤلفه في مقدمته خطورة حلب الاثرية وما تمتاز به عن بقية المدن الاسلامية الشرقية من وفرة آثارها وتنوعها ويمتاز هذا الكتاب عن غيره بإشارته الى مواضع الخلل في كل بناء وما يحتاج اليه من الترميم والاصلاح وقد زينه برسوم ومخططات بعض هذه الابنية ويصح ان يتخذ هذا الكتاب دليلاً لكل من يزور مدينة حلب فيستشير به وينتفع بفوائده وذلك لخبرة مؤلفه الواسعة في آثار سورية الاسلامية .

جعفر الحسني



أخبار دمشق عن الصليبيين

The Damascus chronicle of the Crusades H. R. A. Gibb

كتاب نقله الى الانكليزية المستر (هـ . أ . ر . جب) أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن عن كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وهو ذلك الكتاب العربي الذي طبعه الاستاذ امدرود في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٨ . وأضاف اليه مقدمة وجيزة مشفوعاً بفهرس الأسماء الواردة في تلك الرسالة مرتبة بحسب حروف الهجاء والأسماء اللاتينية القديمة وما يقابلها باللغة الانكليزية . عدد صفحاته ٣٦٨ وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل .

أشار الاستاذ في المقدمة الى قلة الكتب العربية القديمة الباحثة في حروب الصليبيين الاولى وأثرها في الشرق الأدنى وبحث عن الرسالة المخطوطة التي عثر عليها منذ بضع سنوات في مكتبة البولديانا وقد تناولت قسماً عظيماً من تلك الحوادث بقلم ابن القلانسي فأحب نقلها الى اللغة الانكليزية ليسهل درسها على المؤرخين .

وقد جاء في مقدمته على ذكر حياة ذلك المؤلف العربي كما اقتبسها عن كتاب تراجم أعظم الرجال الدمشقيين وأسفار التاريخ الكثيرة مما نوجزه فيما يلي لتتجلى منها قيمة هذا الكتاب الثمين الذي أخذت معظم أخباره عن مصادر رسمية بالنظر لشدة ارتباط المؤلف العربي بدواوين الدولة ولتأييده الاخبار التي كان يسمعها من المحاربين بالوثائق .

وابن القلانسي هو حمزة بن اسد المعروف بابي يعلى يمت بنسبه الى أسرة دمشقية معروفة تنتمي الى قبيلة تميم ، وقد درس الأدب والدين والشريعة واستخدم في المصالح العامة امين سر ديوان الرسائل ثم انتهت اليه رئاسته . ووسدت اليه رئاسة المدينة وتوفي في ٧ ربيع الاول سنة ٥٥٥ هجرية الموافق لـ ١٨ آذار سنة ١١٦٠ ميلادية عن عمر بلغ التسعين سنة . والكتاب المذكور هو الأثر الوحيد الذي قام بتأليفه وسماه « ذيل تاريخ دمشق » مما يدل على انه وضعه كتتمة لكتاب المؤرخ هلال الصابي وبدأ في نقل الحوادث منذ وفاة المؤرخ المذكور سنة ٤٤٨ هجرية وأورد في كتابه فقرات منه حتى تاريخ وفاته سنة ٥٥٥ هجرية . ويقسم الكتاب الى أقسام عديدة يبحث كل منها في مدة معينة ابتداء من اول الحروب الصليبية حتى سنة ١١٦٠ ميلادية مع بيان الحوادث المهمة وما طرأ على دمشق اثناء ذلك من الامور وما تقلب عليها من ملوك وأمراء .

عبد الرحمن الجوخدار

المخطوطات

« التي اقتناها المجمع العلمي حديثاً »

(تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة) مخطوط في مجلد لطيف الحجم يبلغ ٧٣ صفحة مؤلفه ابو بكر بن الحسين المراغي العثماني نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ٨١٦ هـ اوله (الحمد لله الذي جعل المدينة الشريفة دار هجرة رسوله الخ) ويفهم من مقدمة المؤلف انه في تأليفه انما هو يلخص تاريخ الحافظ محب الدين النجار الموسوم (بالدرة البتيمة في اخبار المدينة) وقد ضم اليه بعد التلخيص (سوانح الشوارد وفرائد الفوائد) الى آخر ما نال والنسخة غير حسنة الخط ولا متقنة الضبط وقد كتبت عن نسخة المؤلف التي ييضا في ١٢ رجب سنة ١٢٦٦ هـ وهي من (كتب سلمان بن محمد الشامي) وقد وقفها علي طلبة العلم في المدينة المنورة سنة ١١٩٤ هـ .

كتاب الفنطير (كذا) كامل الصناعتين (كذا) المعروف بالناصرى سمي به لان مؤلفه ابا بكر ابن البدر البيطار صنفه يرسم خزانة الملك الناصر بن قلاوون وهو مجلد كبير تبلغ صفحاته ٤٥٠ صفحة حسنة الخط ومتينة الورق . ولا يفهم موضوع الكتاب من اسمه وانما يعرف من فهرسته المسهب المفصل وهو في الخيل واصافها وامراضها ومحاسنها ومساوئها وجميع ما يتعلق بها رارله (وما من دابة الاية الحمد لله الواسع العطا الذي اسبل الغطا) وقد قال في المقدمة انه لم يترك شيئاً مما يتعلق بالخيل حتى ذكره (ولا سراً للزراطة والبيطرة والنحاسين) (كذا) والركبين الاواقفته علي حده الخ) والكتاب مراكب من عشر مقولات وكل مقولة من عدة ابواب وليس في النسخة ما يدل على زمن كتابتها وانما شكل الخط يدل على انها كتبت من عهد قريب . ويظهر ان مؤلفه يطار قدبر وله اب حاذق في صنعة البيطرة فهو ينقل عنه اشياء كثيرة في هذه الصناعة وحبذا لو طالعه احد علماء البيطرة في دمشق ولخص عنه مقالاً فان فيه فوائد لغوية واصطلاحية تتعلق بزمن الملوك الشراكسة .

(بستان الفقراء ونزهة الامراء) كتاب في الوعظ صنفه الشيخ علي الكتامي الشافعي اوله الحمد لله الذي احكم الامور وقدرها وقد قال المؤلف انه جمعه من كتب عديدة

ورتبته على مئة وخمسة ابواب فجاء في نحو ٨٠٠ صفحة وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٩١ هـ وقد كتبت المخطوطة سنة ١١٤٨ هـ وهي جيدة الخط مقروءة تهـ .
(نتيجة العقاد في معرفة الأوقات) هو مخطوط كل صفحاته جداول ودوائر مرقومة بالخير الاسود والاحمر والاخضر احياناً وقد افتحه مؤلفه بأرجوزة أبان فيها الغرض من تأليف تليجته قال في اولها :

(يقول يوسف الحقير المتجبي لحرم الله وعوداً يرتجي)

ومنها : (أرختها رزنامة هدية لها على امثالها مزينة)

وقوله (رزنامة هدية) تبلغ أبعديته سنة (١١٢٧ هـ) وكتب هذه المخطوطة مراد ابن الشيخ علي نور الدين القباني نقيب طائفة القبانية بمصر تليذ الشيخ مصطفى ابي الاتقان الوفاي الخياط صناعةً كتبها في رجب سنة ١١٩٥ هـ وقوله (الخياط صناعة) راجع الى كاتب النسخة (مراد) لا الى الشيخ ابي الاتقان الوفاي . والكتاب نفيس مفيد ولا سيما فيما يتعلق بالمليقات المصري واعياد المصريين ومواسمهم المختلفة فهو لم يدع من الاعياد الاقباط شيئاً حتى ولا عيد (ابو شنودة) و (وابوبقطر) و (قاتل الحية) و (عيد مهرايا) و (عيد فلوطس) الخ الخ اما المآكل وما ينتار منها في الفصول فهو ايضاً فصل فيه القول تفصيلاً وكذا الاستجمام والطعوم والشروب ومهاب الرياح واوقات الزرع والحصد والقطف الخ الخ .
(شرح مقدمة قانون ابن سينا) مجلد ضخم حسن الخط مقروء ملزوز الاسطر والكلمات لكنه كثير الغلط وعدد صفحاته (٦٧٠) واوله (الحمد لله الذي دقت حكته في خلقه الانسان) ومؤلفه هو (محمد بن محمود الآملي) ذكر في مقدمته انه قدمه الى سلطان زمانه ولم يسمه وقد انتهى الكتاب بالفصل الحادي والثلاثين في الوصية بان الطيب اذا تعددت الامراض في شخص فبأي مرض يتدي ؟ وبعدها وفي هذا قال مانصه (وليكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الاصول الكلية لصناعة الطب كافياً ولناخذ في تصنيف كتابنا في الادوية المفردة) .

وفي عبارة الكتاب اخطاء كثيرة فإما ان تكون من الناسخ او تكون من المؤلف نفسه لأنه يظهر من اسمه وأسلوب تقديمه الكتاب لسلطان عصره انه تركي عثماني .

« المغربي »

كتاب التبصر بالتجارة

« للجاحظ »

توطئة للناس

—(١)—

الجاحظ بصري المولد والوفاء ، بالبصرة . وُلدَ وبها شبَّ ودرج ، وفيها دوَّنَ غالب تأليفه .

ما بين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق »^(١) ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة إلى فرنسا أو جنوة لإيطاليا وليشربون لبلاد الانكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المرامي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رجال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين إلى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استنحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم ومحق لها أن تتلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .
ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أصداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب .

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص ١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ : ٤٠

فاخر خالد بن صفوان البصري يبليه لدي عبد الملك بن مروان فقال :
« يندو ساكنها قانصاً فيجي هذا بالشبوط والشم ، ويجي هذا بالظبي والظليم ،
ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً »^(١) .

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :
« ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى ارضاً كالكاפור ، ورأى ضباباً تحترش ،
وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في سفينته ، وحدا جمال خلف بعيره »^(٢) .
وقد قال الخليل بن احمد البصري قبله ^(٣) :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت او بادي
تر به السفن والظلمات حاضرة والضب والنون والملاح والحادي
اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والتراخي على الأسفار البعيدة والضرب
في مناكب الارض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بانه ليس في
الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الا وانت واجد به
البصري والمدني »^(٤) وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على إهدمة البصريين
في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال ابو بكر الهمداني — وناهيك به من خبير :
« وأبعد الناس نجمة في الكسب بعري وحميري » ومن دخل فرغانة القصوى والسوس
الأقصى فلا بد ان يرى فيهما بصرياً أو حميرياً ^(٥) .

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وجبه استطلاع الأشياء
والبحث عن الجليل منها والمقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد
وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الاحجار الكريمة
والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ . (٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للهمداني (طبعة لندن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المحمول من الجواهر واليوافيت والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرّق بين العالي منها والمتوسط والردس فأضاف إلى الخبرة التفنن وإلى المعرفة التبصر ، وهوعين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي نشره اليوم .

فلا عجب حينئذ ان اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمّة تهتم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنقوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري افادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام الكبرى — لاسيما بغداد — من التبحر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترّف . ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وان بعمدت وركوب الاخطار والمشاقي في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفس في اقتنائها إجابة لرغبة الاغنياء وتسديداً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربّات الخدور !

نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تأليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وماختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمداني ، وابن رسته الاصبهاني ، وابوزيد البلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ، غير أنا لا ننس ان الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وان توسعوا بعد — ومقتفوا أثره ومقلدوه ، الامر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « واذا نظرت في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ ^(١) »

وهي لعمري شهادة اعترافٍ بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس هو باول موضوع بطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي يرسم احد كبار أحبابه ممن سبقته عنايته

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم » في معرفة الاقاليم « للتقدمي — طبعة ليدن

سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ .

بالتأليف والأهداء إليهم ، فهو — وان لم يسمه — احد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد ، والوزير الفتح بن خاقان ، وابراهيم ابن العباس الصولي ؛ وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة الى الجاحظ ، وان لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم ومعجم الادباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبي^(١) والعلامة النويري^(٢) تكفلا بتعريفنا بها ونقلها جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها الى مؤلفنا الكبير حسبما نشير اليه في محله .

على ان « التبصر بالتجارة » ليس باول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعد في قائمة مانسب اليه ياقوت في محله وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً^(٣) .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ الفاظاً دخيلة في غرضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة احمد تيمور باشا أثر بعض المعربات الواردة في كتاب « نشوار المحاضرة » للتتوخي ففقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية^(٤) .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، ويحبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل الى فهم الفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلاً فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبدناها كل من يعاني استقراء تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية

(١) « ثمار القلوب » . (٢) « نهاية الارب » .

(٣) ثمار القلوب ص ٤٣٨ وص ٤١١ . (٤) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع

العلمي العربي ، جزء تشرين اول سنة ١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده .

(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتصريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبد الله علي بن مقلة ، ثم كتاب «التبصر» هذا ، ثم شرح قصيدة أبي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٥٨٢٣ هـ ، وفيما يظهر ان كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامي معتاد تغلب عليه الصحة الا في الاعلام والخييل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفربها فاقصرت على ايراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الاثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياء ذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق .

المهدبة الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يرى القارئ ذلك الاثر الجليل :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :

سألت أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليسكون ذلك مادة لمن حذكته التجارب ، وعوناً لمن مارسه وجوه المكاسب والمطالب ؛ وسميته بكتاب « التبصر » والله ولي التوفيق .
زعم بعض المحصلين من الاوائل ان الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ، غالى بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في ارض فليتحول الى غيرها .
وقالت الهند : ما من شيء أكثر الا رخص ما خلا العقل فانه كلما أكثر غلا ، (١) :
وقالت العجم : اذا لم تربحوا في تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بارض فليستبدل بها (٢) :

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة الى نصر بن سيار والي خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز — طبعة مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي اوردها الجاحظ هنا ولم يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار والسوقة » من كتابه (التمثيل والمحاضرة) : اذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها ، واذا لم ترزق بارض فاستبدل بها — وقال : الراجح في كل سوق ، البائع لما ينفق فيها — وقال : شاركوا الذي اقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق — وقال : من اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه ، ومن هنا يظهر ان ما نقله الثعالبي هو عين ما اورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ

وقالت الفرس : الراجح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .
وقالت العرب : اذا رأيت الرجل قد اقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .
وقيل لبعض الميساسير : ربح كم مالك ؟ قال : ما بعث بنسيئة قط ، ولا رددت ربحاً وان قل ، وما وصل اليّ درهم الا صرفته في غيرها ^(١) :
وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .
وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك ^(٢) . وخير الدهر ما أصحك ، وخير الناس من تفعل ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما أربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ، وكان يقال :
خير الصناعة الخرز ^(٣) وخير التجارة البز .

« باب معرفة الذهب والفضة واختانها »

قال الحكميم ^(٤) : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون كنار خادة وشعاع مراكوم وكبريت قاني ^(٥) وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكبير ولا

- (١) كذا بالاصل وكان المؤلف أعاد الضمير الى التجارة ولذا جعله مؤثراً .
(٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الفيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرها قائلها ، وكان الجاحظ يشير الى كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢) .
(٣) بالاصل : الخرز — واظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخز — لتحصل القافية والمعنى .
(٤) كثيراً ما يبتدي الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكميم — أو : قال — وفي ظني انه لا يقصد بذلك الا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تأليفه لا سيما كتاب الحيوان .
(٥) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو الا نار . . . وشعاع مراكوم . . .

يفسده مرة الدهور ؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق
ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة .
وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يمتحن الدينار بلصوقه
الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنهرج^(١) من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .
وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ،
ومذاق الزيوف مرة صدي ، والنهرج من الدراهم مالح جرسى الطنين ، والفضة صافية
الطنين لا يشوبها صمم وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

« باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها »

زعموا ان معرفة جواهر اللؤلؤ انك تجد مذاقه على ضربين : عذب المذاقة عُماني ،
وملح المذاقة فلزبي كلاهما يرصب في الماء ، والمعمول منه تجده مرة المذاق مع دسومة فيه
وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤ اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارة المص والمس فان ذلك
للعلّة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص والمس وامتنانها بذلك .
وزعم البحرىون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الآلية الطرية المشرحة وتؤخذ
في جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ في إحماؤه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا
بخر بكافور كان ذلك ، واذا عوج لم يخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحي الجوهري من الصدي العظمي هو ان الجوهري يكون مستوي
الصورة ليناً أملس ، والعظمي يكون خشناً غير مستوي الهيكل .

وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التحرج والاستواء ، واذا كانت

وهو الكبريت الاحمر — ومن هنا يستدل على ان الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه
في تضاعيف تصانيفه من غير ان يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب .

(١) النهرج — معرب نهره الفارسية — هو الدينار أو الدرهم المموت الزيف الردي
(راجع كتاب شفاء الغليل للنجاشي وغيره) — وفي كتاب الجلاء للجاحظ (ص ٦٩) :
دينار بهرج — وهو صحيح ايضاً .

حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان ارفع لثمنهما ؛ والعُماني أنفس وأرفع من القلزمي لأن العُماني عذب نقي صافي ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير ^(١) :
واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدحرجة المعتدلة في التدور اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، وإثباتها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، وإذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصفى وأتقى كان أرفع لثمنها وأنفس ، والدرّة اليتيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه ^(٢) :

وخبر الياقوت البهرماني ^(٣) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني ^(٤) وأدونه الالبيض ؛ والياقوت من جبل مرنديب بالهند ، وتعرف الياقوت من المعمولات بخصال

(١) على ذكر اللؤلؤ القلزمي قال ابو العباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١ في كتابه « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » (خط بمكتبتي) : ٠٠٠ وكذلك ما يوجد من الجواهر ببحر القلزم وسائر بجمار الحجاز فردي ولو كانت الدرّة منه في نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل في الثمن اذ ليس فيها شيء من أوصاف الدر النفيس .

(٢) قال التيفاشي في كتابه المذكور : والمرجان في لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بآيات لامرئ القيس — وقيل انه اول شعر قاله — منها :

فاعزّل مرجانها جانباً وأخذ من درتها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفي اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التي تطلع من البحر ويتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح .

(٣) البهرمان : فارسي معرب معناه : أحمر اللون ؛ قال التيفاشي : والياقوت البهرماني هو أحمر نقي الحمر لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفور وبه سمي هذا الصنف من الياقوت .

(٤) الاسمانجوني : فارسي معرب مركب من كلمتين (آسمان) اي السماء و (گون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء .

ثلاث : برزانتها في الوزن ، وبرودتها في الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد في الفم بطيء عمل المبرد فيه ، والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافي النقي المضي من أي لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها ^(١) والياقوت الأحمر البهرماني الصافي اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار ؟

وكان وزن فص اخاتم الذي يسمى « الجبل » مثقالين قوّم بمائة الف دينار واشتراه ابو جعفر المنصور بأربعين الف دينار ^(٢) . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهري ، ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ معرفة الياقوت : برزاته وبرودة مذاقه وعمل المبرد فيه على مهل ، والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع المبرد فيه ؟

- (١) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث في قوله : كبرها وصغرها — عائد على ياقوتة .
- (٢) نقل ابو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها الى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون الا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الاحمر البهرماني ، ثم الوردي ، ثم الرماني ، واذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوّم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور بأربعين الفاً . « (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدي من تأليف الشيخ شمس الدين ابن ساعد الانصاري وسماه « بخت الخاثر في أحوال الجواهر » جملة مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قوّم بعشرين الف دينار ، وكان للمعتصم العباسي فص يسمى « ورقة الآس » لانه كان على شكلها وزنها مثقالان الاشعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الفيت المنسجم ١ : ٨٣) .

وزعموا ان خير الزبرجد الناصر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن النقي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؛ وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه ابو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام^(١) الاخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصنى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجادي^(٢) الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنقى وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من ردائه انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجادي فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون ديناراً . والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

(١) شير بام : فارسي معرب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

(٢) البيجادي : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن ، واصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرّب قديماً وورد في اشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أعرك منها لوثة عربية علت لونها إن البيجادي أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دي خوي طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمي الدمشقي ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩) وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البيجادي العتيق ، وهو جنس من البصوم تسميه العامة البزادي (العقد الفرید ٣ : ٢٥٧) .

والبلور يُختار له صفاته وعظمه ، وخير الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي ،
والفرعوني الفائق^(١) . وخير الماس^(٢) البلوري الصافي الأبيض النقي ، ثم الأحمر ، وإذا
بلغ وزنه نصف مثقال بلغ في الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في
الثمن وأرفع .

« باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة »

زعموا ان خير العود الهندي المندي^(٣) الذي لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود
وامتحان جودته بمحده أرجه وسدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندي الثقيل الوزن
الذي يرسب في الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن
عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج
ورائحة .

وخير المسك التُّبَّتِي^(٤) اليابس الفائح وأرداه البُدِّي ، وغش المسك من

- (١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب (الحيوان) للمجاهد ج ٣ ص ١١٦
- (٢) الماس : يوناني معرب وهو الديمانت وقد ورد ذكره في الحديث الشريف
(النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشي : الماس نوعان : الزيتي والبلوري ،
والزيتي أجودهما ، والبلوري أبيض شديد كلون البلور ، والزيتي محالط ببياضه صفرة
كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب ازهار الافكار — خط) .
- (٣) المندي : منسوب الى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذي الشذا
(راجع معجم البلدان لياقوت — لفظ مندل — وشفاء الغليل) — وقال أبو منصور الثعالبي
وفي كتاب « العطر » [للمجاهد] : وخير العود الهندي المندي ، وكلما كان أصلب فهو
أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه تبات رائحته في الثوب اسبوعاً
واكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

- (٤) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبت نسبة الى بلاد التبت ، وفي كتاب
« الحيوان » للمجاهد (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت — وفي « المحاسن
والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان ممتهديه ملوك الام الى ملوك فارس

الآنك^(١) وجندبادستر^(٢) ودم الاخوين^(٣) وسياه دارو^(٤) وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود .

وزعموا ان خير العنبر الاشهب الزاجي^(٥) ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه طرائف ما في بلدهم « فمن المند الفيلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحرير والاواني ، ومن السند الطواويس واليبفاء ، ومن الروم الديساج والبسط . » — ويؤيده ما نقل الاصطخري وابن حوقل حيث قالوا : ولهم [أي أهل ماوراء النهر] من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ما ينقل الى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك للاصطخري طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ — والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٧) .

(١) آنك : فارسي معرب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص خربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو انقصدير (جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٢) جندبادستر : فارسي معرب وهو مثانة حيوان بري بحري يكون في الانهار العظام يسمى القندر (وعند الافرنج Castor) وخصاه هي الجندبادستر (الدميري ٢ : ٢١٧٠ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٣) دم الاخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن ابي حنيفة الدينوري : هو صمغ أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الاطباء ، ويقال له الشيان ايضاً (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) — قلت : والمعروف ان دم الاخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٤) سياه دارو : ويكتب ايضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفي القانون لابن سينا سيادوان . فارسي معرب ، وهو صمغ الجوز التسامي (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

(٥) الزاجي : سمي القلقشندي من انواع العنبر ستة أضرب اولها الشجري ثم الزنجبي [قلت : وهو لا محالة تحريف الزاجي أو الزاجي] وهو أجود العنبر وافضل له . . (صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨) — ونجاء في تاج العروس : (والرباحي جنس من الكافور) منسوب الى

الا [هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يقيسر نقلها باي وجه ولم يبق ظاهراً منها سوى ماهو مرسوم بالحمرة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجد منها]

..... وخير الوشي [في الثوب] السابري ^(١) والكوفي ، والابريسي ، والمذهب

بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو الى ملك اسمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه : ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري إذ نسب تارةً الرابحي الى بلد بالهند وتارةً الى دويبة يجلب منها الزبد — وذكر ابن البيطار — في مادة كافور وعنبر — ان الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) — وقال داود الانطاكي ويسمى الرياحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحي — بالموحدة — نسبةً الى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزي في مستدركه على المعجم العربية : ان بعض المصنفين يسميه ايضاً الزياحي Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. Ip. 499 — ومما تقدم يتضح ان الاختلاف في اسم الزابحي أو الرابحي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبته ، ولذا احترمانا هنا الصيغة الواردة بالاصل مع التنبيه عليه — ووقفنا اخيراً على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الاب انتاس مارسي الكرملي كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه واثبت ان اصل اللفظ — الزابح — وهو اسم جزائر ماليسية (جازة وسومطرة وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة اليه زابحي ، فحرفه النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابحي والرابحي وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمي الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

(١) السابري : نسبة الى سابور ، وفي حديث حبيب بن ابي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ماوراءه ، وكل رقيق عندهم سابري والاصل فيه الدروع السابرية منسوبة الى سابور [النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢] — وفي التاج : والسابري ثوب رقيق جداً ، قال ذوالرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشرق

المنسوج ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت^(١) ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشي الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو الياني لانه يرتفع علي هذه السبيل من الغزلي ، والابريسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه الياني لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار . وخير السنجاب^(٢) القائم^(٣) ثم الظهور منه ، ثم الخزري^(٤) ثم الخوارزمي ، ثم الذي لاغش فيه من زغب الارانب .

ومنه المثل : عرض سايري ، اي رقيق جداً [تاج ٣ : ٢٥٢] — وقال ابو منصور الثعالبي : والسايري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة الى نيسابور وعرب فقيل سايري [ثمار القلوب ص ٤٢٩] .

(١) نقل ابو منصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن اي تأليف للمحافظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس ان القطن لخراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الكتان لا غير مائة الف درهم [ثمار القلوب ص ٤٢٠] — وراجع ايضاً كتاب : « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » للحمي — خط بمكتبتي .

(٢) السنجاب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ، فيها بأوي ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره في غاية النعومة وحلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الازرق [صبح الاعشى ٢ : ٥٠] أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil .

(٣) القائم [بقاين الثانية منهما مضمومة] — هو دويبة في قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أغز قيمة من السنجاب [صبح ٢ : ٤٩] .

(٤) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

وخير الثعالب الاسود^(١) الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُعَشُّ بصبغ ، ثم الايض ،
ثم الاحمر المحصري^(٢) ثم الاحمر الخزري ، ثم الخلنجي^(٣) .
وخير القاقم اكثرها أذناً : وخير السمور الصيني ، ثم الخزري الشديد الياض مع
شدة السواد الطويل الشعر .

وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزي^(٤) القرمزي الأرمي المنير ، ثم الخز
الرق ، ثم الخز القُطوع^(٥) ثم الديساج على عمل الخسرواني^(٦) الرومي ، ثم الخز المدبج على

(١) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء في كتاب الحيوان للمجاط [ج ٦ ص ١٠٠]
وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب منه
الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفلك ، ومنه الخلنجي وهو الاعم » .

(٢) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه «المهتري» أي المصبوغ بالمصرة
وهي العصفرة ، وقال ابن سيده : والثوب المصمر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بحمرة طيفة
[المخصص ٤ : ٩٤] .

(٣) الخلنجي : المقصود به الذي يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف [ابن
البيطار ٢ : ٦٨] وقد عرف أبو الوليد المراكشي اللون الخلنجي بقوله : مخطط بسواد
ودُخْنَة [راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠] .

(٤) المرعزي والمرعزياء — بكسر الميم — اذا خففت مددت واذا شددت
قصرت ، وأصله بالنبطية (مرعزياء) وقد سكنت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة
يهجو بها التيم :
كسائك الخنظلي كساء صوفٍ ومرعزي فانت به تفسد

أي تبتخر عجباً [راجع المعرب للجواليقي ص ١٣٧] .

(٥) القُطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشي في الثياب [المخصص لابن سيده] .

(٦) الخسرواني ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب الى عظماء
الأكامرة ، وهو فارسي معرب [المعرب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي] .

الميساني ، ثم البزبون^(١) ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجة بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب الآ الأرميني والميساني والبزبون .

وخير البزبون المسكي الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفأس^(٢) ثم الساذج ، ثم المعين^(٣) ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية اذا كانت رقيقة العمل تقيية ربما بلغت في الثمن خمسين ديناراً .

وابوقلامون^(٤) من الزلالي^(٥) الخسرواني الرومي القرمزي على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا انه يتلون ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من العوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزي في المرعزي الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية ، والمرعزي في الابريسم الفسوية ، ثم

(١) البزبون كمصفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩] .

(٢) وبالأصل ، المقاس ، وهو تحريف يتن ، والمفأس بمعنى الختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدآر ومدرم أي موشى على صورة الدنانير والدرهم .

(٣) المعين ، ثوب في وشبه ترايع صغار شبة باعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧] .

(٤) ابوقلامون ، عرفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون

نقله الجوهري ، وقال الازهرى : يتراءى اذا أشرقت عليه الشمس بالوان شتى ، قال :

ولا أدري لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس

٩ : ٣١] — أقول : لفظ أبوقلمون يوناني معرب وهو في الأصل Abokalamon —

والنسيج المسمى ابوقلمون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٥) الزلاية — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ، وفي

مستدرك التاج [مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩] والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة :

كأن جلودهن ممهات على أبقارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

الطبرية^١ ، ثم الصوف في الصوف .

وخير الطيالة الرويانية الطبرية ، ثم الآلمية^٢ ، ثم المصرية ، ثم القومسية^٣ . وخير اللبود الصينية ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض^٤ ، ثم الارمنية ، ثم الخراسانية . وخير النمر البربري الموشح الشديد يياضه المشبع سواده الطويل الوشي الساباني^٥ . وأظرف النمر الذي يكون في وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيضاء ؛ وان كان سواده

(١) على ذكر الاكسية الطبرية نقل الجاحظ : ان قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسي منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨] .
(٢) قوله : الطيالة الرويانية نسبة الى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوین [الاصطخري ص ٢٠٦ — وابن حوقل ٢٦٩] — وكذا الآلمية نسبة الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان — وهي المقصودة هنا — مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها [المقدسي ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

(٣) القومسية ، نسبة الى قومس من اكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس اكسية معروفة تحمل الى الامصار وهي فاشية في جميع الارض [المسالك والممالك ص ٢٧١] — وقال المقدسي : اما قومس فلم المناديل البيض من القطن المعلة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها النقي درهم ، ولم ايضا اكسية وطيالة وثياب رقاق من الصوف [كتاب احسن التقاسيم ص ٣٦٢] .

(٤) نقل ابو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها الى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ في كتاب «التبصر بالتجارة» ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض [ثمار القلوب ص ٤٣٣] . وتبعه النويري فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب «النظر في التجارة» [نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٢] وهو تحريف واضح لتشابه ما بين لفظ «التبصر» و«النظر» — فلينتبه .

(٥) الساباني ، نسبة الى السابان ، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذي ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبه الجاحظ هنا المختار من بجلد النمر البربرية ، كان أقرب اليه أن يقول في نعته زرزوري اي في لون الزرزور ، وهو عربي صريح .

متصلاً بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أطرف له ، وإذا كانت فيه حمرة مع بياض يَتَقَّ وسواد حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن ؛ ونمور البربر صغار ومقدار الجلد منها ما يغشي سرجاً مفرداً ، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان ، وخير النعمور الوشي ، وخير القطن الأبيض اللين الصُّعَار الحبوب اللطيف البياض الصافي .

وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع من الأرض^(١) : في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم^(٢) وفي أرض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها إلا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ^(٣) فتبيس تلك الدودة ويصبغ بها الابرسم والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصبغ في الأماكن بارض واسط .

(١) عرّف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمني بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزي والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت على نفسها القز [المسالك والممالك ص ٢٤٤] .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً [الاصطخري ص ١٣١ وما بعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ — والمقدسي ٤٢٣ و ٤٢٦] .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذ روز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعتاب من الجبال والادوية ويتخذون الادهان ويهيشون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من ظهور الفجر الى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [راجع كتاب الآثار الباقية عن القرويت الخالية للبيروني طبعة ليبسج سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها] —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب رقاع صفار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الاول من شهر مايو الأعجمي ثم يلقونها بمدخل البيوت دفماً للمقارب والحشرات السامة .

وزعموا ان البلسان شجر بارض مصر يُشرطُ في ايام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ٤ وهو مققود في الارض كلها ما خلا مصر^(١) .

وحب الزلم^(٢) ينبت بارض شهرزور ٤ وزعموا انه جيد للجماع ٤ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (?) قلما يوجد الا ومعه الدفلى ٤ وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له قازمه^(٣) فلذلك غرس معه في موضع يكون به ٤ وقيل حُمِلا جميعا من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

« باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة والجواري »
« والاحجار وغير ذلك »

يُجلب من الهند : البور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند^(٤) .

(١) البلسان المصري ٤ قال الاصطخري : وحوالي الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان في الدنيا الا هناك [الاصطخري ٥٤] وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة [المسالك والممالك ص ١٠٦] .

(٢) حب الزلم ٤ عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دم مفرطح اكبر من الحمص قليلا أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ٤ وينبت في ناحية شهرزور ٤ وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط [جامع مفردات الادوية ٣ : ٤ و ١٦٦] — قلت وهو المعروف عندنا في تونس يجب عزيز .

(٣) المشهور ان الفاخر حجر كرم لانبات كما ورد هنا ٤ وانه صنفان حيواني ومعدني وهو عند الانرج (Bézoar) واسمه فارسي معرب وأصله بازهر ومعناه «منفي السم» — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الاحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشي في كتاب أزهار الافكار والقزويني في عجائبه وسواهم كثير ٤ فليراجع هنالك .

(٤) قال ابو منصور الثعالبي : وبلاد الهند من اختصاص ما لم يكن لغيرها فمنها الفيل والسكر كدن والبر والبيضاء والطاؤوس والنجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبيل والفلفل وغيرها من العقاقير [ثمار القلوب ٤٢٣] .

ويجلب من الصين : الفرند والحريز والفضائر^(١) والكاغد والمِداد والطواويس والبراذين الفُرَّةُ والسروج والأبود والدارصيني وادارند^(٢) . الروم الخالص ، ويجلب من أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والايرون والديباج والبراذين الفره والجواري وطرائف الشَّبَّه والأقفال المحكَّمة واللورا^(٣) ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والاكاراة وبناء الرخام والخصيان .

ومن ارض العرب : الخليل العراب والنعام والتجائب والقانة^(٤) والأدَم^(٥) .

ومن البربر ونواحي المغرب : النمرور والقرظ^(٦) واللبود والبزاة السود .

(١) الفضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذوساق يتخذ من خزف ، وارتفاع الفضائر ما يؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعيتها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمر : الغضار الطين الاحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار . وقال ابن دريد فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسنها عريضة محضة [تاج العروس وغيره] .

(٢) لفظ « ادارند » هنا لا معنى له ، وأظنه تحريقاً من الناسخ ، ويظهر انه قصد الراوند . قال مرتضى الروند الصيني وهو أنواع اربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله اليناطرة وهو خشب أسود ، والاطباء يزيّدونها الفاً فيقولون « راوند » ولغظه ليس بعربي محض [تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد] .

(٣) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولا شك ان الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [المخصص ٤ : ٦٨] وفي القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

(٤) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الازهرى ينبت في جبال يتهامة ويتخذ منه القسي [لسان العرب] .

(٥) الأدَم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٦) بالأصل القرظ ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السلم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتمر منه الاقافيا وهو مما يتداوى به [المعاجم اللغوية] .

ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس (١) والعقيق والكندر (٢) والخطر (٣) والورس (٤) .

ومن مصر : الحجر الهاليج^(٥) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق .

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .
ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب .
ومن سمرقند : الكاغد^(٦) .

(١) كذا بالأصل ولا أخالها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد . وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم [المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس] .
(٢) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو الأبان عند الأطباء وغيرهم [تاج ٥٢٩ : ٣] .

(٣) الخطر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ، وقال ابو حنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ما يثبت معه واحده خبطة [تاج ١٨٣ : ٣] .
(٤) قال الثعالي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول اربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون الا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق [كتاب تمار القلوب ٤٢٥] وقد جعل الناس هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ، فلينبه .

(٥) علي ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلاد الاسلام أحسن ولا أثن منها ، ولهم من وراء اسوان حمير صفار في مقدار الكباش معلقة تشبه البغال المعلة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير يقال لها [السملاقية] بارض الصعيد زعموا ان احد أبويها من الوحشي والآخر من الاهلي فهي أسير تلك الحمير [راجع مسالك المالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧] .

(٦) كاغد وكاغد وكاغد ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفاً بالشرق في اول عهد الاسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردي المصري أو على الرقوق ، واول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند .
صنعه هنالك أسارى من الصين أمرهم الأمير زياد بن صالح في وقعة اطلح سنة ١٣٤ للهجرة .

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة^(١) .

ومن بوشنج : الكبر المربي .

ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية^(٢) .

فانخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين . وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى اوروبا واشتهر — قال ابو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرق ، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان في الآفاق [ثمار القلوب ص ٤٣١] — وذكر المقرئ في خطه ان جعفر البرمكي هو اول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد في الدواوين [النوري ١ : ٣٦٧] .

أقول : ومن أشهر الاصناف التي كانت تصنع قديماً في العالم الاسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السلجاني نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والعلجي منسوب الى طلحة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بني ناسان ، وسوى ذلك كثير ، وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية وخصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها [انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢١ وصح الاعشي ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦] .

(١) الفوشنة ، ويسمونها أبو بكر بن الفقيه المهداني [الفوشنة] [كتاب البلدان ص ٢٥٥] ولم نهند الى معرفة ماهيتها .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروية وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقي الى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ومما تختص

ومن جرجان : للعناب والتدرج وحب الرمان الجيد والبرمق^(١) اللين والابريسم الجيد^(٢)
ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم^(٣) الرقاق والطبالسة من الصوف .
ومن دباوند^(٤) : نصول السهام .

به مرو الثياب [اللحم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] — ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال
له مروزي ومن الثياب مروزي [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧] . أقول : والمتعارف هو ان
النسبة الى مرو الروز : مروزي ، والى مرو الشاهجان : مروزي ، للتفريق بين المدينتين .
(١) لم تقف على معنى للفظ [البرمق] وكأنه تحريف [النرمق] بالفتح ، فارسي معرب
[نرمه] وهو اللين الناعم من كل شيء ، وانشد الليث لرؤبة يصف شبابه .
أجر خزا خطلاً و نرمقا ان لربعان الشباب عتقا

[تاج ٧ : ٧٥] — ويمكن ان يكون ايضاً [يلقى] ج بلامق وهو ضرب من الفراء المبطن .
(٢) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شيء كثير ، وابريسم
طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج
والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه [الاصطخري ص
٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣] — وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القزيات تحمل الى
البن والعناب ، ولم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٣) المقارم ج مقرمة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي المحبس نفسه يقرم به الفراش
قال . وهو ثوب من صوف فيه الوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كآلة ، وقد
تزين المقارم في اطرافها بالزجاج وهي نسجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع [المخصص
٧٥ : ٤] أقول . وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من
الطرز يسمونه Macramé .

(٤) دباوند — كذا بالاصل وهو عندي تحريف من الناسخ وصوابه [دُباوند] وهو
جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه . وبكرمان مدينة يقال لها [دمندان] وهي
مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشادر والصفير
ومعدنه يجبل يقال له [دُباوند] جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ
[كتاب البلدان ٢٠٦] .

ومن الري : الخوخ والزئبق والبرمق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط والقلانس الملكية والقسيات^(١) الكتان والرمان^(٢) .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكثيرى الصبني والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيداج^(٣) والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد والشراب من الفواكه^(٤) ومن قومس الفتوس والامساح والجتر (٥) والطبالسة من الصوف .
ومن كرمان النيلج والكون .
ومن الجور الجوارشن (٦) .

(١) بالاصل : العسيات ، وعندى انها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب اولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير) وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب الى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهي عن لبسها [المخصص ٤ : ٧٢] .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل الى السلطان مع خراج الري — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل [ثمار القلوب ٤٢٨] .
(٣) الاسفيداج ، فارسي معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطل ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [جامع المفردات ١ : ٣١] .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من اصفهان الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العمل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ثمار القلوب ٤٢٧] .

(٥) الجتر ، فارسي معرب وهي المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .
(٦) كذا بالاصل والاقرب ان تكون الجواشن ج جوشن وهي الدروع وقد ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » [فصل محاسن الهدايا] .

- وبزر قطونا (١) .
- ومن برذعة البغال الفرّ (٢) .
- ومن نصيبين الرصاص .
- ومن فارس الثياب الكتان التوتزي والسابري وماء الورد (٣) ودهن النيلموف
- ودهن الياسمين والأشربة .
- ومن فسّا الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .
- ومن عثمان وبسواحل البحر اللؤلؤ .
- ومن ميسان الأنماط والوسائد .
- ومن الأهواز ونواحيها السكر والدياج الخز (٤) .

(١) بزر قطونا ، ثبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium [راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الادوية لابن رسولاً طبع مصر ص ١٦ ، وكشف الرموز للجزائري وغير ذلك] .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب الى الآفاق [المسالك ١٩٠] وقال ابن حوقل ويحلب منها من البغال الجباد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر الى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره [حوقل ٢٤٨] .

(٣) قال الثعالي جود من كور فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب . . . وكان يحمل من فارس الى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون ألف قارورة [ثمار القلوب ٤٢٧ — وراجع ايضاً الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣] .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا باعلى كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال ابو الطيب المتيني

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل الى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز — وهو خمسة وعشرون ألف درهم — ثلاثون ألف رطل من السكر ، ومما ينسب الى الأهواز من النفائس ديباج تسري وبخر السوس ، قال كشاجم يصف الروض

- ... والصناعات والرقاصات (١) ... وأنواع التمر والدبس والقند (٢) .
ومن السوس ، الأترج ودهن البنفسج والشاه سبزم (٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل ، الستور والمسوح (٤) والدراج والسماني .
ومن حلوان ، الرمان والتين والكمانخ (٥) .

كان الذي ديجت تسر وطرزت السوس فيه تسر

[ثمار القلوب ٤٢٦] .

(١) حصل هنا ترهل عطّل قراءة بعض الكلمات . اما لفظ « الصناعات » الواردة بالاصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها الا « الانصاحات » وهي الجلود واحدها نصاحه [راجع المخصص ٤ : ١٠١] — وكذا قوله « الرقاصات » فهي عندي « الطرّاحات » ج طرّاحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت .

(٢) القند والقندة ، معرّب « كند » وهو عصارة أو عسل قصب السكر اذا جمد وهو المعروف عند الأطباء بكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi اي سكر مرابّي (٣) شاه سبزم ، ويقال ايضاً شاهسفرم وشاهسفرم ، نوع من الریحان كان يسمى الریحان السلطاني والحق الكرماني ، واللفظ فارسي معرّب « شاه سيرغم » وهو مما عربت قديماً لوقوعه في شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١] — وكتاب المعتمد لابن رسولاً ص ١٢٨ وغير ذلك .

(٤) المسوح ج مسح ، عن ابن سنده كساء مخطط يكون في البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولا يخفى ان منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى ان الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لاصل موردها .

(٥) الكمانخ ، فارسي معرّب وأصله « كامه » ويجمع علي كوامنخ ، قال الجواليقي الكمانخ الذي يؤتدم به [كتاب المعرّب] وقال مرتضي وغيره في شرح الكمانخ ومنهم من خصه بالخالات Hors d'œuvres التي تستعمل لتشهي الطعام [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفاء الغليل — أقول والمعنى الاخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين [ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢] .

ومن أرمينية واذربيجان ، الآبود ٠٠٠٠ والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف (١) .

« باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك »
« من جوارح الطير »

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغراية التي بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الديزج (٢) .
وخير الشواهين السود الغراية البحرية ، والبيض الجرجانية .
وكذلك البواشق يستحب منها السود الغراية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الحمر البطن والصدر يكانات (٣) يبيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ،

(١) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة الى النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الارمنية التي تعمل بسلام ، تباع التكة من دينار الى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الارض . ثم قال وأكثر ما يخرج الى بلاد الاسلام من الديباج والبزبون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية فمن اطرايزنده [المسالك والممالك ص ٢٤٦] — وقال الثعالبي وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام — وهو ثلاثة عشر الف الف درهم — من البسط المحفورة (?) ثلاثون بساطاً ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازيماً [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٢) الديزج ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذولونين أو هو بين لونين غير خالص [تاج ٤٢: ٢] ويروى ايضاً ديزج بالراء المهملة [النهاية لابن الاثير ٢: ٢٢] .
(٣) يكانات ، فارسي معرب وأصله « يكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلّم بنقط يفضي .

الغائر العينين من غير هنال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستان (١) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٢) فذلك غاية (٣) .

وزعموا ان اليؤيو (٤) ذكورة الصقور ، والعفصي (٥) ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيو الصغير .

(١) الدستان ، فارسي معرب وهو القفاز من جلد يتخذة اليعاز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٢) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحواربمائة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .
(٣) قال القلقشندي المختار من صفات الشواهد فيها ذكره صاحب «المصايد المطارد» الأحمر اللون اذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادها ، سائل السفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلي الزور عريض الوسط جليل النخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينه ، تام الحوافي ، ممتلي العكوة [صبح الاعشى ٢ : ٥٨] — وقال ايضاً في صفة البزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم . المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر والأشهب الشديد الشبهة الشبيه بالابيض ، الأصفر المدبج الظهور — ثم قال ان ذكر البازي يسمى الزرقي [صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧] .

(٤) «اليؤيو» قال القلقشندي وتسميه اهل مصر والشام الجلم وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لان له مرة كسرة المقص في قطعه [صبح ٢ : ٦١] .

(٥) «العفصي» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص — وورد في صبح الاعشى اسم العفصي «بالفقي» . في التعليق عليه قال مصححه «العفصي» (?) وكلاهما تحريف ، الصواب العفصي كما هنا للسبب الذي ينسب — قال القلقشندي «هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧] .

وقالت الفرّس لا يكاد الفرّس والبازي يكونان حسني المنظر لا مخبر لهما ، ولا حسني المخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقا .

« باب آخر »

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق من الجواهر والأحجار اذا كان أصنى وأضوأ فهو أنقى ، وكل حيوان من الوحشية والاهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو أثر وأغفر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكونا وأجمل حالا وأنزر طعاماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان ألف كان أثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهنأ ، وكل عدو صغير أو كبير اذا كان حميماً فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فمحذور قربه ؛

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجاوزوا به وتشابوا ، والقضاء جالب يجلب الامور ، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الاشياء بالحواس الخمس بجودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالحيشوم اذا كان طيباً أرجأ ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع ان يكون صافي الوقع والصوت ، وبالمس ان يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت العجم تقول القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراصة الرجل السوء ان يكون منقبضاً

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مر في غضون تأليفه المطبوعة ، قال هي السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة — ولم يقل المس [كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩] .

غير منشرح ، وان يرى لونه الى العفرة والكود من غير مرض ، وان يكون طائش القلب ، وان يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وان تراه غايظ اللفظ عند المحاورة .
ومن فراسة الرجل الصالح ان تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهوي ، مبسط الجبين غير منقبض ولا تزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك انه ليس ينبغي للعاقل ان يعتمد بقول سبعة من الناس بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو اهله
وصلى الله على محمد وآله . سلم

تتمة للناشئ

—(١)—

رأينا من المناسب ان نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمداني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في «ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دين غيرها» — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب «ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة وغير ذلك» وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه^(١) :

ولولا ان الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء منه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والاخذ والاعطاء ، الا ان الله عز وجل أعطي كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قوم بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» وقال الله عز وجل «وقدرَ فيها أقواتها» .

نخص الله — جلّ وعزّ — بلاد «السند» «والهند» بأنواع الطيب والجواهر كاللواقيت والاماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكر كدث والفيل والطاووس والاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخلونجان والدارصيني والتارجيل والهلليج والتوتياء والقنا والخبزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة ؛ وخص اهل «الصين»

(١) [كتاب البلدان] طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ .

بالصناعات واعطاهم ما لم يعط احداً فلهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم ايضاً مسك الا انه ليس بجيد ، وقالوا انما يتغير في البحر لطول المسافة ؛ ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحدق بالابنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومي والبزبون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكي ، ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والافراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزهرهم شبيه نزي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن ؛ ولاهل « المغرب » البغال البربرية والجواري الاندلسية والتمور الزنجية ؛ ثم ما قد خص به اهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخليل والتماثيل ولهم السمك الرعاد والاستنقور ، ولهم الثياب الدقيقة والشطوبية والقصب الموزن . المسير وغير ذلك من انواع ثياب الكتان والصوف من الالكسية ، ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية ؛ ولاهل (اليمن) الحلل الياينية والثياب السعيدية والعدينية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف الياينية ، وفي بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من انواع العجائب ؛ ثم (العراق) قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خص الله جلّ وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والنجاز مثل الهيررون والمُشاش وقصب العنبر والبربريان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ؛ ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئت التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لا يشركهم فيه احد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والاقنواف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولهم الدارش واللكاء خاصة وفيها أعجوبة ؛ وذلك ان الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش ان يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء ان يتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، علي انهم قد امتحنوا ذلك وجربوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صنائع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم باتخاذها هناك فلم يخرج منه

الأخشن الذي يتكسر ؛ ولاهل كورة دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل الستور والبسط وعمل الميساني والحرير والدرايك والدورنك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد ؛ ولاهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كور النخيل ؛ وذكر « الجاحظ » انهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخبر وذراتها والأهواز وما بها أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من نخل معروف وخارجي موصوف وبديم غريب مع طيب عجيب ؛ ولاهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور ؛ ولاهل (السوس) خاصة (وجنديسابور) حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (نستر) ؛ ثم (الجبل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجن واللوز ؛ ولاهل (همدان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والحجاص والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها واتخاذها جميع اهل الارض ؛ ولاهل (الري) الاطباق المذهبة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الامشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ؛ ولهم الاكسية البيض الطرازية والطياشة البيض السرية والثياب المنيرة ؛ ثم بغداد الثانية اعني (اصبهان) وما أعطي اهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بانواع الصناعات ؛ فلهم الثياب المروية والعنانية والملاحم العجيبة والحلل الابريسية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية ؛ (ولفارس) فضل في اتخاذ الآلات الظرفية المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على اشياء ظرفية عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل هؤلاء القوم الحديد وسحره لهم حتى عملوا منه ما ارادوا ؛ فهم احذق الامة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ؛ ولهم الثياب الجبائية والسينيزية ؛ ولهم الماورد الجوري والطين السيرافي والاكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية ؛ ولاهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشبه والصفر ؛ ولاهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوین) حظ من عمل الاكسية الرويانية والآملية واتخاذ الشستانك والمناديل واشياء كثيرة من انواع ثياب القطن والصوف والابرسم والكتان ؛ ولاهل (جرجان) من الابرسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل الى جميع البلدان

ولهم حندق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك ؛ ولاهل (نيسابور) الثياب
 المحممة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج وليس هذا الا لهم ؛ ولاهل (مرزو) الثياب
 المروزية والملاحم الفائقة التي هي اعلى الملاحم ؛ (وبجراسان) فواكه كثيرة سرية واعناب
 طيبة ، ولهم الزبيب الكشمةاني والكشعرش وبطنج يقدد ، وقد كان فيما مضى يحمل
 بطنجها الى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالاصل) ، ولهم
 الاشترغاز والاشترجذان والغوشنة والكيلكان والرخمين والملمين ، وبها مقعدت
 الفيروزج واللازورد والركب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الاشكن والخلنج
 وبها الخشوة ؛ (وبالترك) السمر والفذلك ؛ (وبالتبت) المسك التبتني والدرق التبتية ؛
 فسبحان من اعطى كل بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ، وتبارك الله
 احسن الخالقين .

توهم الميت حيا

« من كلمات اللغة »

—*—

كنت وانا أتتبع كلمات اللغة التي توهم أهل اللسان الحرف الزائد فيها أصلياً والتي بنيت عليها ثلاث مقالات^(١) — كنت أجد أحياناً كلمات فيها شذوذ في صيغتها . وقد بنوا شذوذها على التوهم ايضاً . لكنه توهم عجيب الشكل . غريب الأمر :

توهمهم في الكلمات التي سردها في المقالات الثلاث كان توهماً مبنياً على مستند . وله أساس . أما هذه الكلمات (المكتشفة) فان توهمهم فيها لا مستند يستند اليه . ولا سبب معقول يمكن الاعتماد عليه .

فاذا قلنا لم : لماذا نلتم (تمنطق) بالميم ولم تقولوا (تنطق) أجابوا باننا توهمنا أن ميم (منطقة) أصلية فاشتققنا منها (تمنطق) .

فهذا توهم له مستند وله أساس . ولما جبه بعض المذري في مخالفة القياس . وأما الكلمات الجديدة فانهم خالفوا فيها القياس . وادعوا ان مخالفتهم مبنية على التوهم . لكنه (توهم مجرد) عن العلة والسبب بينما التوهم في كلمات النوع الأول (توهم معاًل) له علة وسببه .

ومحصل القول ان في اللغة كلمات شاذة في صيغتها جعلوها من باب (توهم الحرف الزائد أصلياً) لكنني لم أر لهذا الجعل حظاً من النظر . وانما هم اعتبروا التوهم فيه بمقياس أوسع مما مر في تخريج كلمات المقالات الثلاث .

(١) راجعها في (م ٥ ص ٢٠٥) و (م ١٠ ص ١٢٩) و (م ١١ ص ٥٣٩) من مجلة

مجمعنا العلمي .

ومن تأمل حق التأمل في هذه الكلمات الآتية وجدتم اعتمدوا في اشتقاقها على أصول ميتة اعتبروها حية : ثم اشتقوا منها . فيصح لنا ان نقول انه اشتقاق مبني على (توهم الميت حياً) .

رقم (٥١) — (كَنَنة — كَنائن) (الكَنَنة) زوجة الابن قالوا في جمعها (كَنائن) مع ان القياس أن تجمع على (كَنان) كما جمعوا (جنة) على (جنان) و (خلة) على (خلال) و (بغلة) على (بغال) و (قصعة) على (قصاع) وكما نجمع اليوم (لجنة) على (لجان) . هذا اذا لوحظ في لفظ (كَنَنة) أنه اسم غلب عليه الجمود لاصفة . وكذلك اذا لوحظ فيه أنه صفة من (الكن) بمعنى الستركأن القياس ايضاً ان يجمع على (فعال) كما جمعوا (صعبة) على (صعاب) و (سمحة) على (سماح) لكنهم لم يجمعوا (كَنَنة) الا على (فعائل) فقالوا (كَنائن) ولما ذا ؟

قال (التاج) « كأنهم توهموا فيه كَنينية ونحوها مما يكسّر على فعائل » اهـ . وقد حاول الأزهري صاحب التهذيب أن يجعل جمع (كَنَنة) على (كَنائن) مقيساً في كل ما كان على وزن (فعلة) مضاعفاً . فكان في محاولته هذه متكلفاً متعسفاً . وبقي القول للجمهور الذين يمثلهم صاحب التاج في ان السبب في جمعهم (كَنَنة) على (كَنائن) هو توهمهم ورود (كَنينية) على وزن (فعيلة) .

وبيان ذلك انهم لاحظوا في (كَنَنة) معنى الصفة (كَسَمحة) و (جأدة) اللتين يقال فيهما ايضاً (سميحة) و (جليدة) ومثلها كثير في صفات الاناث التي على وزن (فعلة) . أما (كَنَنة) فانها — وان كانت على وزن (فعلة) — لم يقولوا بها كَنينية على وزن (فعيلة) : نعم لم يقولوا ذلك قولاً واقعاً في الخارج لكنهم قالوه قولاً متوهماً في النفس . وقد ظهر أثر هذا التوهم منذ جمعوا (كنة) على (كَنائن) لأن (كَنائن) على وزن (فعائل) هو الجمع القياسي لما كان على وزن (فعيلة) .

ومحصل القول ان العرب توهموا لفظ (كَنينية) الميت حياً فجمعوه على (كَنائن) واستغنوا به عن (كَنان) القياسي .

(٥٢) — (حَرّة — أَحَرّتين) (الْحَرّة) هي الارض ذات الحجارة السود كأنها أحترقت بالنار وتجمع على (حرار) و (حرّات) جمعاً قياسياً كما يجمع على (حرّين)

و (حرثون) اي بالياء والنون والواو والنون جمعاً غير قياسي وانما هو معدود في شواذ جمع المذكر السالم نظير سنين ومئين وأرضين .

فالجموع الثلاثة (حرار . حررات . حرثون) إما مقيسة وإما غير مقيسة ولكن لها نظائر وهناك جمع رابع غريب الأطوار : لا قياس يعتمد عليه . ولا نظير يستند اليه . هو (أحرثون) و (أحرين) يعني بالواو والنون أو الياء والنون على نمط جمع المذكر السالم . وليس في هذا غرابة وانما الغرابة في وجود همزة في أوله فمن أين جاءت هذه الهمزة ؟ ؟ ؟

جاءت من قاعدة (التوهم المجرد) وهي التي سميناها قاعدة (توهم الميت حياً) قال صاحب التاج : «من جموع (الحرّة) (أحرين)» وهو على توهم أن له مفرداً على (أحرّة) اه .

يعني انهم توهموا وجود كلمة في اللغة تدل على معنى (الحرّة) وتلك الكلمة هي (أحرّة) بالهمزة في أولها . وبعد ان توهموها توهموا أو يقال بعد ان توهموها حية وهي ميتة — عادوا فجمعوها على (أحرين) . وزاد التاج عبارته السابقة قوة وتأينداً فقال : «قال سيويه وزعم يونس انهم يقولون حرة وأحرثون كأنه جمع (أحرّة) ولكن لا يتكلم بها اه» أي ان العرب لم ينطقوا بكلمة أحرّة إذ هي ميتة كما قلنا .

أما الشاهد على محي . (أحرين) في اللغة فهو رجز قاله (زيد بن عتاهية) وهو من أصحاب علي رضي الله عنه : فان علياً أعطى أصحابه يوم الجمل خمسمائة درهم وخمسمائة درهم ولما نهزم زيد المذكور يوم صفين ورجع الى الكوفة ابتدرته ابنته فائلة (ابن الخمسمائة ؟) فأشدد :

(إب أبالك فرّ يوم صفين لما رأى عكراً والاشعريين)

(وذا الكلاع سيد اليمانيين قال لنفس السوء هل تقرّين)

(لا خمس الا جندل الاحريين والخمس قد بجشمنك الأمرين)

(جزاً الى الكوفة من قنسرين)

فقوله (لا خمس الا جندل الأحرّين) معناه ليس لك خمسمائة درهم وانما لك حجار الحرّات . وقد كنى بذلك عن الخيبة .

هذا ما قاله (يونس) ورد عليه (ثعلب) بان (الأحرّين) ليست جمعاً لحرّة (يعني على توهم أحرّة) بل هو جمع لكلمة (أحرّ) أفعل تفضيل من (العُرّ) وهو الكريم . فالأحرّون هي المواضع التي تكون أحرّ وأكرم من غيرها واب جمع (الأحرّ) على (الأحرّين) .

كجمع (الأكرم) على (الأكرمين) و (الأطيب) على (الأطيبين) . لكن (السخاوي) في (سفر السعادة) أبد (يونس) في ان (الأحرّين) بالهمزة جمع (حرّة) من دون همزة ثم علل ورود هذا الجمع بما لا يسعنا ذكره هنا . فانت ترى ان جمع (حرّة) على (أحرّين) مبني على توهمهم وجود كلمة (أحرّة) في اللغة العربية وهذا التوهم مجرد تحكّم أو هو من قبيل توهم المبت حياً .

(٥٣) — (مُسرّ — فهو مسرور ومُسرّ) جاء في أمثال العرب (كل مُجُورٍ في الخلاء مُسرّ) أصل هذا المثل أن رجلاً كان له فرس سماه (الأيلق) وكان اذا خلا به في الفلاة سابق عليه الطير والرياح وكان يُسرّ بشدة عدوه وسبقه في الخلاء حتى يُخدع بذلك وأدخل أيلقه في سباق الخيل بل لم يدخله الا برهن من أول الأمر . وتوقفاً بسبقه في الميدان كما سبق في الخلاء . لكن (الأيلق) المسكين سبق وخسر صاحبه الرهن فضربوا به المثل وقالوا : (كل مُجُورٍ في الخلاء مُسرّ) اي مسرور يضربونه لمن يحمده ما في نفسه ولا يدري ما عند غيره من الفضائل . والشاهد في هذا المثل كلمة (مُسرّ) بصيغة اسم المفعول من (أسره) لكن لم يرد في اللغة (أسره) وإنما ورد (سرّه) ثلاثياً فهو مسرور :

إذن كيف قالوا في هذا المثل (مُسرّ) ؟

أجاب صاحب اللسان والتاج بما نصه : (قال ابن سيده : هكذا حكى هذا المثل أوفار ابن لقيط : إنما جاء على توهم أسراًه) .

يعني انهم قالوا (مسر) لا مسرور بناء على توهمهم وجود فعل (أسر) في لغتهم . ولم يبين لنا ارباب المعاجم سبب هذا التوهم ومعمده : توهموا الياء في (ميثاق) أصلية فجمعوها على (ميثاق) والياء حية في (ميثاق) ليست ميتة وموجودة غير معدومة اما قولهم في المثل المذكور (مسر) لا (مسرور) فإن (أسر) ميت غير موجود لكنهم توهموه حياً فاشتقوا منه (مسر) .

(٥٤) — (أنبتة — فهو منبوت) : كما توهموا وجود (أسره) الرباعي فاشتقوا منه (مسر) — توهموا وجود (نبتة) الثلاثي فاشتقوا منه (منبوت) مع أن (نبتة) ميتة غير موجودة وإنما الموجود (أنبتة) (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) فاسم المفعول منه (منبت) لا منبوت . ومن أين جاء منبوت إذن ؟

اجاب صاحب اللسان في مادة (سر) وهو يشرح كلمة (سر) الواردة في المثل السابق بقوله : ومثله منبوت في قول الشاعر .

(وبلد يغضي على النعوت يغضي كإغضاء الروي المنبوت)

(اراد الميت فتوهم نبتة كما اراد الآخر المسرور فتوهم أسره) اهـ

واعلم ان الحكمتين وردتا في (لسان العرب) مصحفتين هكذا (مثبت وثبتة) بالثاء المثلثة وهو خطأ وصوابه كما قلنا (منبت ونبتة) بالتون كما في التاج والصحاح . ولم يفسر لنا صاحب اللسان معنى قول الشاعر (وبلد يغضي الخ) حتى إن مصححه تبرأ من صحة معناه وقال : (هكذا هو في الأصل) .

هذه كلمات اربع (كنائن) (أحرؤوت) (مسر) (منبوت) وردت في فصيح كلام العرب ودونت في معاجم اللغة وقد بنوا صحتها على قاعدة التوهم : اي توهم وجود (كبننة) (أحرة) (أسرة) (نبتة) مع انها ميتة غير موجودة . وهذا مما يجعل (قاعدة التوهم) واسعة مطردة اكثر مما كنا نظن ويفسخ لنا المجال فنحشر أغلاطاً كثيرة للعرب والمستعربين من الفصحاء الاسلاميين — في هذه القاعدة ونعتبرها صحيحة مقبولة في الاستعمال . على أن نزاع علماء اللغة حول هذه الكلمات الأربع ونظائرها — لا ينتهي عند حد ما قلته وتقلته في تخريجها وتوجيهها فان هناك دنادن حول امثال هذه الكلمات يمكن ترتيبها — على هذه الصورة :

(١) — قولم (أحرون) (سر) (منبوت) واشباهها — مما ورد على لسان رجل واحد من عرب الجاهلية — خطأ ولا عبرة به ولا ينبغي أن يتخذ أصلاً يقاس عليه . وهذا هو مذهب البصريين الذين هم عمدتنا في اللغة وتقرير قواعدها اما الكوفيون جزاهم الله خيراً فيعتبرون هذا المثال الواحد المخالف للقياس — كافياً في صحته وصحة مآثله وضرب على غماره .

(٢) — ان قولم (أحرون) (سر) (منبوت) ونظائرها ليست خطأ بل هي واردة على القياس :

فأحرون إنما هي جمع (أحرة) (ومسر) اسم مفعول من (أسره) ومنبوت من (نبتة) . (وأحرة) و (أسره) و (نبتة) — مما نطق به العرب حقبة من الزمن اشتقوا في خلالها

كلمات (أحرون ومسر ومنبوت) ثم انهم اخيراً أمانوا الاصول وهي (أحرة) (أسره) (نبتة) فلم يستعملوها وأبقوا على سلاتها — الجمع واسمي المفعول — فاستعملوها في اشعارهم وامثالهم وجاء علماء اللغة فدوّنوا المشتقات والسلالات وأهمّلوا الأصول والامهات. ونظير ذلك ما فعلوا في فعلي (حب) و (أحب) مثلاً فان اهل اللسان أحيوا (محبوب) وأمانوا (حبه) الا قليلاً وأحيوا (محب) وأمانوا (حاب) ولهذا الإيمانة والإحياء نظائر يعرفها اللغوي :

(٣) — إن كلمة (أحرة) وفي (أسره) (ونبتة) مما نطق به العرب واستعملوه ولم يمتدوا لكن أرباب المعاجم أهملوه أو اغفلوه لسبب من الاسباب فلم يدوّنوه في المعاجم كما أغفلوا الكثير الطائل من فصيح كلام العرب حتى ذهب بعضهم الى ان أرباب المعاجم لم يدوّنوا الا النصف من كلمات اللغة وان ما فاتهم أو سُرفوا عنه أكثر مما ظفروا به أو هُذوا اليه . وذكر ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن علماءنا أو أكثرهم ذهبوا الى ان الذي انتهى اليه من كلام العرب هو الاقل قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير انتهى . وهذا نحو (تبدى) بمعنى ظهر و (معمد) بمعنى عمده الوجع و (يسوف) بمعنى يشم الخ وهكذا يقال في كلمات (كنينة) بمعنى (كنة) و (أحرة) المفرد بمعنى (حرّة) وفعل (أسره) وفعل (نبتة) بمعنى (سره) و (أنبتة) فان العرب نطقوا بها ولم يمتدوها كما تُروم . وانما أمانتها أرباب المعاجم أنفسهم . على ان أرباب المعاجم — وان أمانوها — رأينا من جهة ثانية قد أشاروا اليها ودلوا عليها : فلم يبق علينا الا البحث والتنقيب في كتب اللغة التي لم تنتشر ولم تطبع . بل إن هناك مصنفات في غريب اللغة خاصة لم تصل اليها ولم ندر أين مكانها . فلعلنا اذا ظفرنا بها وجدنا كلمات : (كنينة) و (أحرة) و (أسره) و (نبتة) . ويكون شأننا مع هذه الكلمات التي لم تدوّن ونسب في التنقيب عنها شأن علماء الفلك مع نجمات تدلم الأرصاء . والمواقع والأبعاد . ونواميس الجاذبية العامة على وجودها في رفعة أو منطقة من السماء معينة وان لم تكن ظاهرة للعيان الآن . ثم لا يلبث ان يصدق ظنهم ويتحقق حدسهم فيعثروا هم أو غيرهم على النجيمة أو الكوكب في الحيز الذي عينوه ورسموه . وهكذا علماء اللغة قالوا لنا : إن هناك كلمات نطقي بها العرب ولم نظفر بها نحن . لكننا وجدنا ما يثبتها ويدل على وجودها فابحثوا عنها أنتم وتقبوا . فلعلكم في العثور عليها موفّقون .

«المغربي»

فن الجاحظ

— ٢ —

« لفته (١) »

أحاط الجاحظ بخصائص اللغة ووقف على مجاريها ومصارفها وتبحّر في جلائلها ودقائقها فقد ذكرت لكم أنه صوّّر كل معرض من معارض الحياة ولكن الكاتب إذا شاء أن يصوّر الحياة على هذا الشكل لزمه أن يحب الكلمة وأن يشعر بها كما يشعر بكل جزء من أجزاء الحياة وهذا ما انصرف إليه الجاحظ فكل ما يمكنه الكاتب أن يصنعه بالألفاظ صنعة الجاحظ فقد عرض على ذهنه مفردات اللغة بمخازنها ثم ألف بينها تأليفاً محكماً ، عرض مفردات العلوم والصناعات ومفردات الحركات والأفكار ومفردات الجد والحزل والخلصة عرض مفردات العالم بمجموعها . —

أعظم خصائص الجاحظ في هذا المعنى تفقهه في اللغة فهو ينزل اللفظ في منازله ويصنعه في قوالبه بحيث لو فتشنا عن لفظ آخر للمعنى الذي يمثله لنا لما وجدنا لفظاً غيره يقوم مقامه أو يسدّ مسدّه ، ولم يقتصر في هذا التفقه على باب من أبواب المعاني أو على نوع من أنواع الأفكار وإنما أعطى المعاني حقوقها من الألفاظ في كل فن من الفنون في الطب والفلسفة والصناعة والعلم وفي غير هذا كله من مذاهب الفكر فلا تجدون في فلسفته إلا ألفاظ الكم والكيف وما يماثلهما من مصطلحات الفلاسفة وكذلك شأنه في كل باب من الأبواب فهو يستعمل لكل معنى من المعاني اللفظ الذي منطلق لهذا المعنى فإذا أحبّ مثلاً أن يصوّر لنا كسر الأعضاء قال : فقا العين وهشم الأنف وهشم السن ودق العظم وإذا

(١) هذه آخر محاضرات الاستاذ شفيق جبري وقد شرع في طبعتها في كتاب

يخاص : سباه : الجاحظ بعلم العقلي والأدب : —

احب ان يمثّل تجريد الاجسام من اغطيبتها قال : سلخ الجلد ونغض الورق و كشطت الشمس جلودهم وكذلك لغته في تصوير فساد الاجسام كقوله : نغلت الجبنة او في تصوير اصوات الحيوان كقوله : شجيج البغل ونهيق الحمار او في تصوير الشرب كقوله : يلفح في الدم او كقوله : الحسو والعبه والنغبة او في تصوير بيوت الحيوان كقوله : الأفاحيص والتاريد الى غير ذلك من خصائص تفقهه فهو آخذ بمخنتق اللغة لا يفوته لفظ من الفاظها ولا يغفل عن سر من اسرارها . —

وإذا عمدتم الى آثار الحياة الخاصة وجدتم ان الجاحظ قد اتقن لغة كل اثر من هذه الآثار مهما كان حقيراً فقد اتقن لغة البخيل مثلاً فيستعمل في تصوير البخل الفاظ البخلاء كالحبات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف واشباهاها واتقن لغة الطبخ كالشواء والانضاج واستحلاب الدسم وتعرق العظم والقفار والمسمون واتقن لغة الطعام بمخادفها كالشبارقات والأخبصة والفالوذجات وما يقاربها واتقن لغة الماعون كالجفنة الأعشار او القصعة المشعبة او الجرة المكسورة العروة او الحب المقطوع الرأس . —

انكم لتذكرون ان الجاحظ يميل في فنه الى الصور المحسوسة القريبة من كل حاسة من حواسنا وكما اولع بالصيغة المحسوسة فقد اولع باللفظة المحسوسة التي تؤثر في حواسنا فكأنما صاغ لغته ليعرض على انظارنا اشكال هذا العالم الظاهر : عالم الحركات والحيات والطعام واللباس واضراب ذلك فلستم تجدون في لغته الا امثال قوله : تغمس خراطيمها — يتطوس لها — يتموج في اهابه — يتخلج — تعاريج ريشه — تهاويل الوانه — التوير الى اشباه هذه اللغة المحسوسة . —

ومن وآمه بهذه الطبقة من الالفاظ كان الجاحظ لا يتحامى في بعض الأوقات الفاظاً نجدها في عصرنا هذا بارزة عن ظل الطهارة كألفاظ المناكح وما ضارعها ولا عجب في ذلك فان الجاحظ من اصحاب الأدب الواقع . —

وعلى الرغم من تبحر الجاحظ في اللغة وتفقهه فيها لم يجمد في هذه اللغة فقد تتبع مذاهب الفكر واعطى كل طور من اطوار هذا الفكر حقه من الكلمات فاذا عرضت له طائفة من خصائص بعض الحيوان كالجاموس وكالخنزير او من خصائص بعض الأجسام كالنار ايتي هذه الخصائص من الاسماء نفسها فقال : الجاموسية والخنزيرية والنارية والحيوانية

والجوهريّة وعلى هذه الصورة اثبت ان لغة العرب مستعدة للحياة متأهبة لمجاعة اوضاع هذه الحياة ومذاهبها . —

وقد ذهب في هذا كله مذهباً أبعد فلم يتجنب في بعض الأوقات الألفاظ الأعجمية كلفظة : سوارست وامثالها . —

واذا وجدنا في بعض لغته شيئاً من الغموض فقد تكون هذه الألفاظ الغامضة انما هي الفاظ تاريخية وأريد بها الألفاظ التي كانت تدل في عصر الجاحظ او في العصور التي تقدمته على معنى من المعاني كالطعام واللباس والسلاح وما مائل ذلك. ثم ذهب هذا المعنى بذهاب الذين كانوا يستعملونه فبقي الاسم وانطوى المسمى فلا نستطيع ان نتصور الاسم لاننا لا نرى المسمى ولا نعرفه ، من هذا الشكل أسماء بعض الطعام كالغيب النيروزي والغيب الرازي أو أسماء بعض اللباس كالقلنسوة الخدرية أو أسماء بعض السفن كالجعفريّة مثلاً . —

هذا آخر ما خطر بالبال من الكلام على لغة الجاحظ فقد ادركتم ان اللغة التقت الى الجاحظ طاعتها فصرفت في كل شيء وما أريد ان افرغ من هذا الموضوع قبل ان ايتن لكم على سبيل الاستشهاد مقدار اهتمام الافرنجة باللغة وبانتخاب الألفاظ . —

قال أناتول فرانس Anatole France في مقال له بحث فيه عن اسلوب لافونتين : La Fontaine

« كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا احسن اختياره للألفاظ ، فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الاصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة ، واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ ، قد يقع في اغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا ، ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يضيء ذلّة كل شيء . »

يجب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة ، جزالة المعنى استخرجها من موضعها وضمنها شعره في المقام المناسب . .

كان كثيراً ما يقرأ الروايات ، وقد قرأ منها قديماً وحديثاً « اه . . »

وقال رودس Roudés في كتابه الخطيب العصري :

« اما وقد عرفتم كيف السبيل الي استخراج المعاني من مكانها ، والمعاني هي مادة الخطاب والركن الذي يبنى عليه ، ولولاها لما تمهدت لكم المداخل على الكلام اما وقد عرفتم ذلك كله فقد لزمكم ان تبسطوا في استظهار المفردات حتى تتمكنوا من الافصاح عما يزدحم في صدوركم من متباين المعاني علي اشكال تستعطفون بها القلوب وتجعلون للمعاني رونقا وحياة :-

اجل فقد لزمكم ان تحفظوا من الألفاظ ما اعان عليه الامكان حتى لا ترتبكوا في الكلام فاذا فائتم لفظه من الألفاظ لجأتم الي غيرها واذا وردتم معنى من المعاني يسر لكم الصدور عنه فبدلتم وعدلتم من غير ان يساوركم شيء من العجز عن ذلك . -

ومن قل حفظه للألفاظ صعبت عليه مذاهب البيان فلا يجد الى الافصاح سبيلا ، فاذا لم يجتمع في الذهن طائفة كبيرة من الألفاظ التي تضافر على توضيح معنى من المعاني ذهب هذا المعنى من الصدور ، واذا لم تأخذوا انفسكم باستظهار الألفاظ والتعدي في الالمام بمعناها الحقيقي والمجازي ، والوقوف على ما يشاكلها ويجانسها ، وعلى ما يخالفها وينافرها ، اخفتم ولم نظفروا بجوجائكم من البيان . -

كان الشاعر تيوفيل غوتيه يقرأ على ما يظهر صفحة من معجم لغوي في كل يوم ومن المحتمل ان بلذاك ، وبودلير ، وفلوبير ، وكلهم كتاب واقفون على اسرار اللغة بمجامعها كانوا يمعنون في هذه الكتب الضخمة (المعجمات اللغوية) التي تشمل على عبقرية الامة وتنعكس فيها مظاهر حضارتها ، على تباينها في متعاقب الاحقاب . -

فمن الصواب على ما اعتقد ان نقبل طرائق هؤلاء الكتاب فنقرأ في كل يوم صفحة من صفحات المعاجم اللغوية ، فان كنا منا يثابرون على تلاوة روايات الجرائد فلم لا نجد من يطالع صفحة من صفحات لاروس Larousse ؟

رب كلمة تمر بذهن رجل ذي تخيلة فتدثل له سيفذهنه عالما بجمليته ، او حكاية او نادرة من نوادر التاريخ ، او منحنى من مناحي الطبيعة ، او مدينة من المدن ، او غصراً من العصور ، وليس من السأمة في شيء ان ينتقل الفكر من مبتدأ الازمان الى منتهاهما ، ومن

العلل والمقدمات الى النتائج ، ومن هوميروس ، الى هوغو ، وان يجمع المرء من الألفاظ ما ينفعه في غد . —

بيد ان معرفة الألفاظ وحدها لا تكفي المرء مؤنة الابانة عن هواجس فكره على صورة تلائم ، واسلوب يناسب ، فان من الضروري ان يعرف المرء كيف يصل هذه الألفاظ بعضها ببعض وان يزكّب منها جملاً صحيحة ، واضحة المرمى ، يسهل على الذين يسمعونها ادراكها وفهم معانيها والسبيل الى ذلك ان يستخرج المرء من الكتب والخطب العبارات الجميلة بانسجامها وتناسقها . —

وعلى هذه الصورة يجمعون لانفسكم مجموعة تضمون اليها في كل يوم طرائف حديثة ترجعون اليها ، فيتدرب ذهنكم على أصاليب البيان ، وتقفون على اتصال الألفاظ بعضها ببعض فيكون لكلامكم رقة وطلاوة . —

شفيق جبزي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وبه نستعين (١)»

قد قدمت فيما قبل هذا الجزء من هذه الأخبار عن سبب جمعي لها .
وأفمحت عن معنى (٢) فيها وكررت ذلك في رسالة كل جزء وان تغيرت
العبارة إما تصريحاً أو إشارة وأعلمت قارئها ومكرر النظر فيها انها نوع لم

(١) «المجمع» أرسل إلينا العلامة مرجليوث عضو مجمعنا العلمي في انكلترا هذا الجزء
من النشوار لنشره تبعاً في مجلتنا كما نشرنا أخاه الجزء الثامن في مجلد للسنة العاشرة ثم مجرد
كتاباً مستقلاً . وقد رأينا ان نبتي بعض أخطاء هذه النسخة على حاله لأن في تصحيحه
وتأويله تشكيكاً وترديداً يزيدان القاري حيرة وبلبلة ، على ان في ترك بعض الأخطاء
تمثيلاً للنسخة الأصلية ، وتصويراً لها في ذهن القاري ، ودلالة على ما كانت عليه لغة التخاطب
في العهد العباسي لأن كثيراً من تلك الكلمات أو الاستعمالات ليس عربيّاً محضاً وإنما هو
محدث مولد ، وفي ذلك فائدة يقدرها علماء اللغة والتاريخ قدرها ، وقد يرد في هذه النسخة
كلمات فيها سخر وبذاء فضلنا ان نخلي مكانها ، وان نستبدل بياضاً بسوادها ، هذا وقد بقي
من أجزاء «كتاب النشوار» نحو ثمانية أجزاء لم يعثر عليها بعد ، فترجو ممن عثر على شيء
منها ان يهدينا اليه فيستحق شكرنا وشكر عشاق الأخبار ، والمنقبين عن الآثار .

وقد وجد في طرة هذا الجزء قبل البسملة مانصه :

«الجزء الثاني من اختيار المذاكرة ، ونشوار المطالعة ، وابتكار المحاضرة ، للتوخي»

(٢) لعله : معنای او مغزای .

أسبق الى كتبه لانها مقصورة في الأكثر على ان نتذاكر بها لاحتوائها على
 ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي تُظلم عندي بأن
 لا تكتب وتضمنتُ خلطها بفنون من طريف السير والحكايات وحديث
 الاتفاقات والمنامات وغريب الرقا والامتحانات وأخبار ضروب الناس من اهل
 (١) والمهن والصناعات والملوك والرؤساء واهل
 ات وغيرهم من الاخلاط والأوساط وعجيب
 عاملات وتليعها بطريفي الشعر وجديد
 ضمني وإياه دهرٌ دون ان يقارب زماني
 زمانه واشتهر حذقه واحسانه . وشرحت العلة في ترك تبويبها واستفادة
 خلطها دون ترتيبها . ونهيت على الفوائد التي تتضمن وتجمع واعتذرت مع
 ذلك الى من لعلها لا تنفق عليه . اوتكسد وتبور لديه : بأن قلت انها على كل
 حال خير من مواضعها بياضاً وذكرت انها تصلح لمن قد فرغ من اكثر العلوم
 واشتغى قراءة ما بدله على أخلاق اهل الأزمنة وسننهم وطرأتهم وعاداتهم
 وان يقايس بين مانحن فيه وما مضى ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الالهواء
 وانعكست الآراء . وفُقدت المكارم . وكثرت المحن والمغارم . وهلك
 أهل الفضل والفضل . وتلف أهل السر والتجمل . وصغرت الهمم . وتلاشت
 النعم . وققد الجمال . وعدم النبل والجلال . في اكثر الخصال . وجهوز الرجال .
 وحققاً أقول لو عاش حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه

(١) . هذا البياض موضع تمزيق مبادي السطور في النسخة الاصلية . .

ودفعنا إليه ما شك في قيام الساعة . أو أن الناس يُدِّلُّوا بها ثم همة . أو جعلوا آلات غير مستعملة . لفقد الأحرار وشدة الأعسار . وبطول المكاسب وتواتر النوائب . وحدث السنن القبيحة والعيوائد السيئة الفضيحة . ونسأل الله العظيم فرجاً عاجلاً وصلاًحاً للعالم شاملاً . إنه سميع مجيب رحيم ودود ذو العرش المجيد . فعّال لما يريد . وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل والمعين .

حدثني أبو العباس محمد بن نصر الشاهد قال كان أبو عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي كُتِبَ إلى أبي جعفر بن معدان أن يختار له وكيلاً ينظر له في ضيعته بالأهواز فاختار له عمرو بن محمد الأشجعي صاحبه فنظر في الضيعة سنة ثم ولي الكرخي الأهواز ووردها فطالب الأشجعي بالحساب فرفعه . وتبعه كاتبه . فخرجوا عليه فيه ستة آلاف دينار . فأمر الكرخي فلوزم الأشجعي في دهليزه وطولب بالمال . فكتب إلى ابن معدان بخبره . قال فكان رسم الكرخي أن يستدعي أبا جعفر بن معدان في كل يوم إلى طعامه ، فيأتيه في ذلك اليوم متأخراً وراسله بأنه من كان صاحبه وثيقه واختياره متيناً مسلطاً عليه محاللات الكتاب معتقلاً — لا يستدعي الموائكة ، يقال فامتنع الكرخي من الأكل وأنفذ إليه الأشجعي مع كاتب له والحساب وقال والله ما كنت بالذي ادَّعى محالاً يستمر على صاحبك وما أخرج عليه الأشياء صحيحاً وقد يجوز أن يكون ضيع ذلك ولم يتناول له ولعمري أن من يكون اختياره وثقتك لا يخون ولم يك ملازماً ، وإنما أجليته انتظارك لك لتجي فتدبر أمره .

واذا كان ذلك قد شقَّ عليك فمالي لك . وهذا الرجل والحساب إن شئت ان تستوفي لي ذلك او بعضه او تدعه جميعه فافعل ولا تتأخر عني فلست آكل او تجي . قال فاطلق الاشجعي الى منزله وركب هو الى الكرخي ثم لم يعاود احدهما صاحبه في معنى الاشجعي بكلمة وفاز بالدنانير ومضت القصة على ذلك .

حدثني القاضي ابوبكر محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن مروان قال حدثني خالي محمد بن هارون قال قال لي بعض أصحابنا قال كنت في بعض الليالي أنظر في كتاب التشریح لجالينوس قال فغلبتني عيني فرأيت هاتفاً يهتف بي ويقول « ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضامين عضداً » فاستيقظت ومزقت الكتاب .

وحدثني القاضي ابو بكر قال حدثني مكرم بن بكر قال كنت في مجلس ابي حازم القاضي فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث فاستدعى الشيخ عليه الف دينار عيناً ديناً فقال له ماتقول فأقر . قال فقال للشيخ ماتشاء ؟ قال حبسه ، فقال للغلام قد سمعت فهل لك في ان تنقده البعض وتسأله الا ينظار ؟ فقال لا ، فقال الشيخ إن رأى القاضي ان يحبسه قال فتفرس ابو حازم فيها ساعة ثم قال : تلازما إلى ان أنظر بينكما في مجلس آخر ، قال فقلت لابي حازم وكانت بيننا مودة وأنسة — لم أأخر القاضي حبسه ؟ فقال ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه المحق من المبطل وقد

صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخفي ، وقد وقع لي ان سماحة هذا الغلام
بالإقرار هي عن بلية وامر يبعد عن الحق وليس في ملازمتها بطلان حق ،
ولعله ان ينكشف لي من أمرهما شيء اكون في الحكم على ثقة ، اما رأيت
قلة تغاضبهما في المناظرة وقلة اختلافهما وسكون جأشهما مع عظم المال ،
وما جرت عادة الاحداث بفرط التورع حتى يقرّ مثل هذا طوعاً عجباً بمثل
هذا المال قال فيينا نحن كذلك نتحدث إذ استوذن علي ابي حازم لبعض وجوه
تجار الكرخ ومياسيرهم فأذن له فدخل وسلم عليه وسبّب لكلامه فأحسن ثم
قال : قد بليت بآبن لي حدث يُتلف مالي في القيات والبلاء عند مُتَيِّنٍ
يعرف بفلان ، وأسماء ، فاذا منعتة مالي احتال بحيل تضطري الى غرم له ،
وإن عدلته عن ذلك وعدت حالي معه طال (١) ، وأقرّبهُ اليوم انه قد نصب
المقين ليطالبه بالف دينار عيناً ويجعل ذلك ديناً حالاً وبلغني انه قد تقدم الى
القاضي فيطالبه فيحبس وأقعُ مع أُمّه في بلية وتنغيص عيش الى ان أوّدي
ذلك عنه الى المقين ، فاذا قبضه المقين حاسبه به من الجذور (٢) ، ولما سمعت ذلك
بادرت الى القاضي لأُشرح له الامر فيداويه بما يشكره الله تعالى عليه ،
فجئت فوجدتها على الباب . فحين سمع ابو حازم ذلك تبسم وقال لي كيف
رأيت قال فقلت هذا ومثله من فضل الله عزّ وجل على مولانا القاضي وجعلت
أدعو له . فقال عليّ بالغلام والشيخ فدخل فأرهب ابو حازم الشيخ ووعظ

(١) يعني طال تعدادي من دون فائدة .

(٢) الجذور اجور القيان جمع جذر .

الغلام فأقرَّ الشيخ ان الصورة كما بلغت القاضي وانه لاشي له عليه ، واخذ
الرجل بيد ابنه وانصرفا .

قال لي القاضي كان مكرم هذا من فضلاء الرجال وعلمائهم وكنت
أرى رجلاً يدعو ابا جدي فقلت له ما غرضك فقال ألت تعلم ان ابا الجدي
هو التيس .

أنشدني ابو علي محمد بن الحسن بن المطهر الحاشي قصيدة له في سيف
الدولة وهي :

ووجد محباً غادر الدمع جارياً	دنو فراق خلف الصبر نائياً
فحاكى بلى جسي هناك المغايا	وقفت بمغني الشوق أنشد أهله
حياها واعضاي الطلول البواليا	حكى نَفَسِي فيها صباها وأدمعي
	يذكر فيها :

حساماً ملياً بالذبي رام وافيا	وكفل أرواح العداة الى الوعى
يبسد أعاديه ويغني المواليا	ساصفحه ينبو على ابن حده
وتحرق من عادت وتنفع صاليا .	كذ النار تهدي في الضلالة سارياً
ووقع الظبي الالخان والحرب ساقيا	بجعلت الظبي كأستاذ يردم العدى
لديك فقد أضحي بك المجد حاليا	فان كان بيت المال أصبح داطلاً

أنشدني احمد بن عبدالله المعروف بالمختري القاضي البخداي لابي العلاء
صاعد بن ثابت قال أنشدني لنفسه :

ثنتان من همتي ما ينقضي اسفي عليهما ابداً من خيفة القوت
 لم احب متجع الدنيا بجملة ولا حميت الوري من صولة الموت
 فاجتمعت مع ابي العلاء صاعد بعد ذلك بواسط في جمادى الاولى سنة
 ٣٦٥ فسألته عن البيتين فقال غلط عليّ وما اخبرته انهما لي فقلت فلن هما
 فقال كان ابو الحسن بن ابي داود كاتب الوقف بالبصرة حدثني باسناد ذهب
 عني ان ملكاً من ملوك الهند حارب ملكاً قُتل في المعركة فألقاه بعض
 أصحابه طريقاً بين القتل وفيه بقية من الروح فنزل اليه فقال هل لك من حاجة
 فأنشده لنفسه شعراً فُسِّرَ ونقل فكان هذان البيتان في جملة الشعر .

أخبرنا ابو القاسم حسين بن محمد بن نبيل : كهل كان من بولاد الجند
 ببغداد فخرج الى الأهواز وأقام بها يكتب لعل بن احمد الخراساني حاجب
 معز الدولة وكان اديباً سماعاً يكتب اهل الأدب وكان إمامي المذهب قال
 رأيت في بیمارستان البصرة رجلاً من الكتاب محبوباً يقول الشعر فأنشدني
 لنفسه :

أدفع همي بالتعلل والصبر وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر
 وارجو غداً حتى اذا جاني قد تزايد بي همي فبذل سلمي صبري
 فلا الهم يسليني ولا الغم ينقضي ولا فرح يأتي سوى أدمع تجري
 الى الله أشكرو ما ألاقى فانه ظلم باني قد تحيرت في أمري
 قال وأنشدني ايضاً لنفسه :

أي شيء يكون اقبح منا ان نقضنا عهد الاخاء وخذنا
 ان في حرمة المودة ان نغـ نضي جميعاً عن الخيانة منا
 واذا ما أصابنا الدهر بالعيـ ن رددناه بالتغافل عنا
 قال وأنشدني لنفسه :

ما بال دمعك اين الدمع ياعيني عسى اصابتك عين الدهر بالعين
 اني لأجزع من فقد البكاء كما قد كنت اجزع قبل البين للبين

كان يلزم ابي بالأهواز شاعر يعرف بابي الخير صالح بن ليب فدخل
 اليه يوماً وانا حاضر فأعطاه رقعة صغيرة فقرأها ابي وتبسم وامر له في الحال
 بدراهم وانصرف فأخذت الرقعة فاذا هي تحية وفيها :

يا من أرق له السماح ندى أضحى به الأحرار في رق
 فضلاً سبقت العالمين به والفضل مقصور على سبق
 ألزمت نفسك غير لازمها وعرفت لي حقين لا حقي
 ودخل اليه يوماً شاعر يعرف بالهمداني لا أعرف اسمه ولا نسبه فدفع
 اليه رقعة فيها :

كني القاضي رضي بما ارتضاه ولم أذم رضي ولا رضاه
 فأمر له في الحال بجائزة سنـة .

أنشدني غير واحد من الشيرازيين للامير عضد الدولة ابي شجاع بن
 بكن الدولة أبي علي :

- بهطة قصر عن وصفها بابدع الاوصاف بالزور (١)
 كأنها في الجام مجلوة لآتي في ماء كافور
 وله ايضاً :

رأيت بساطاً للزبرجد ناضراً قد ابرز أطرافاً تعد قحافا
 قحافاً من البلور ملأى وفرغاً ومجروحة منه رفعت سجافا
 تحت كوئوساً للندامى كوئوسها (٢) وتترك احلام الحليم سخافا
 وقال ايضاً :

نحرننا ينشأ دنا فعاد الليل اصباحا
 ودأجا (٣) نحره مثل الـ غرايين اذا صاحا

...

حدثني ابو العلاء صاعد بن ثابت قال كتب اليّ القاضي ابو القاسم علي
 ابن محمد الشنوشي جواب كتاب كتبه اليه :
 « وصل كتابك :

فما شككت وقد جاء الرسول به أن الشباب أتاني بعد ما ذهبوا
 « البقية تأتي »

(١) الصواب في يتيمة الدهر (٢ : ٣)

بهطة تعجز عن وصفها يامدعي الاوصاف بالزور

والبهطة الأرض يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء وهي كلمة سنديّة كما في اللسان .

(٢) لعله سقاتها . . (٣) تثنية وداج بمعنى الودج وهما عربان في العنق ينتفخان

عند الغضب . .

مطبوعات محدثة

—*—

أهراء الشعر العربي

— في —

«العصر العباسي»

[للاستاذ أنيس المقدسي]

٤٣٦ صفحة — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٩٣٢

اعتادت طائفة من الباحثين في أيامنا هذه أن يصدروا كلامهم على شاعر من الشعراء أو على كاتب من الكتاب بتصوير العصر الذي ظهر فيه هذا الشاعر أو هذا الكاتب وعلى هذه الآثار مشى الاستاذ أنيس المقدسي في كتابه المشتغل على دراسة سبعة شعراء وهم: أبو نواس وأبو العتاهية وأبو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والمعري . —
بحث الكاتب في فاتحة كتابه عن العوامل السياسية في خلافة بني العباس وعن أطوار الحياة الاجتماعية وعن مجاري الحركة الفكرية . —

ولكن هل استطاع أن يبين مقدار اتصال الشعراء الذين يتكلم عليهم بالعصر الذي صورته فقد بحث مثلاً عن تميز دول المسلمين ثم تعرض لبيان تأثير هذا التميز في الأدب ، فما هو هذا التأثير الذي ذكره ، ان هو إلا مزاجية حواشتر الانسلاام لبغداد في الأدب والعلم ، ولكن هل يتكفي مجرد ذكر هذا التأثير أنما كان من الواجب على الباحث أن يشير إلى «تطور» الأدب في انحداره من بغداد إلى معواصر الانسلاام وأن يوضح تفتائلص الأدب في «توحد» المسلمين وتخصائصه في «تجزؤ» دولهم . —

وكأنه أراد أن يتم هذا النقص فلما بحث عن غارات الروم على أطراف الممالك

الاسلامية أشار إلى أن لحروب الروم أثراً في الأدب ظهر على شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ولكنه لما تكلم على هذا الأثر في شعر المتنبي اقتصر على أن يذكر أن روح الجهاد مستفيضة في كثير من مدائمه في سيف الدولة أو أنه رأى الجيوش في ساحة الحرب أو أنه شاهد الأبطال ولم يكشف الغطاء عن خصائص هذه الروح فلسنا نعرف شيئاً في كتابه عن مبلغ فن المتنبي في وصف المعارك وعن لغة هذا الفن .—

وكذلك شأنه في كلامه على الحالة الاجتماعية في عصر بني العباس فقد وصف ترفهم أحسن وصف وضوّر بذخهم أتم تصوير ولكنه لما وصل إلى الكلام على البحتري نعرّض لمنزلة البحتري في وصف القصر المعروف بالكامل فلم يقل كلمة واحدة في طبيعة هذا الوصف وخصائصه على أن كتابه أدبي ولم يكن تاريخاً من التواريخ فكان من الواجب عليه أن يفيض في الكلام على فن الشعراء مقدار افاضته في الكلام على العوامل السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية .—

فقد اجاد في هذا الكلام وخاصة في كلامه على تطور الحياة الاجتماعية أو على الجباية والمصادرة وظهرت على هذا الكلام آثار التبع والاستقصاء . . .
ولكن مباحثة الأدبية قد انحطت عن منزلة مباحثه التاريخية .—

إننا لا نزال في مباحثنا الأدبية بعيدين عن سواء السبيل فلا نعرف كيف نصوّر فنّ الشاعر وخصائص هذا الفن ولغته وطبائع هذه اللغة وهذه هي الدراسة المتكاملة .—
أما لغة الكاتب في كتابه فقد كانت سهلة في أكثر مواطنها لكن هذه السهولة قد انحدرت به في بعض المقامات إلى درجة العجاجة كقوله مثلاً :

الشرقي الأثوني كان « تحت تأثير » الروح اليونانية
اللواتي « لعبن دوراً »

يصصبون « ضد » أبناء الاماء

« شكّل » من فتیان الاثراك جنداً

قامت بها « هيآت » منظّحة

(شفيق جبري)



(١) كتاب النكاح والطلاق

(٢) كتاب الهبات وأحكام الوصايا والفرائض والأقضية

« ترجمة »

أحمد لايمش ، أستاذ مجلة الأحكام الشرعية في مدرسة تلمسان والمحامي في وهران . —
الكتابان طبعوا في الجزائر — الأول (٣١١ صفحة) سنة ١٩٢٦ والثاني (١٢٤ صفحة)
سنة ١٩٢٨ . —

للامام ابن رشد كتاب : بداية المجتهد ونهاية المقتصد وهو يشتمل على مسائل الأحكام
المتفق عليها والمختلف فيها بادلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها .
وقد نقل الى اللغة الفرنسية الأستاذ أحمد لايمش بعض كتب من هذا الكتاب
منها : كتاب النكاح وكتاب الطلاق ، ومنها : كتاب الهبات وكتاب أحكام الوصايا
وكتاب الفرائض وكتاب الأقضية . —

والترجمة تدل على تمكن صاحبها من خصائص المصطلحات . —

شفيق جبري

رباعيات الخيام

— تعريب ودبع البستاني —

« مطبعة المعارف مصر »

لا تحتاج رباعيات الخيام الى شيء من التعريف وقد كثر الذين تولوا تعريبها شعراً
او نثراً وخلاصة فلسفتها ان صاحبها جاء الى هذه الدنيا اضطراراً ورحل عنها اضطراراً
فلم يجد شيئاً يلهو به في هذه الحياة الا الخمر والمرأة فالدنيا عدم والآخرة عدم ، لكن
هذه الفلسفة لا تخلو من هناء بعز السلطان ومن تقلب في يقين وارتباب .

اما التعريب نفسه فأحسن صفاته أنه مفهوم والكتاب قد طبع طبعاً غاية في الاتقان . —

شفيق جبري

(١) العبرات الملتبهة

(٢) على مذبج الوطنية

— بقلم —

« الياس قنصل — يونس آيرس — ١٩٣١ »

« ديوان شعر — جزآن صغيران »

صاحب هذه النفثات شاب في مقتبل العمر خرج من وطنه سورية فاستقرت به النوى في اميركة فاضطرب قلبه فالتمس له متنفساً بتنفس منه فلم يجد غير مناجاة الطبيعة ، فتارةً كان يشكو اليها حبه فتفيض هذه المناجاة بعاطفة قلقة وشعور عاصٍ ، وتارةً كان يحن الى وطنه فينقم على الطبيعة نقمة فيها جزع الشباب .

وقصائده : على مذبج الوطنية ، تشتعل على عواطف وطنية تفصح عن رغبة صاحبها في نهضة بلاده . —

شفيق جبري



المحفوظات المختارة — والموجز في علم المنطق

من اشرف من كتب على سبيل اللغة العربية في هذه الآونة يقتبط حين يرى هذه اللغة المحبوبة نفقت عنها غبار الخمول ومزقت نسج العناكب المخيم فوق غارها الذي آوت اليه بعد ان استخذي سلطانها .

لقد قنض الله لها طائفة من ابنائها المخلصين فتمروا عن ساق الجد ومهدوا لها السبيل فنشطت من عقلها واخذت تحتذي على مثال اللغات الحية وترسم خطواتهن في التقدم والتوسع . ولا يكاد يمر حين من الدهر الا نرى فيه أسلوباً جديداً وطريقاً طريفاً وكتاباً حديثاً يسد فراغاً في خزانة اللغة الشريفة ولئن ظلت رديحاً من الزمن على مثل هذه الحالة فلا تلبث بعد قليل ان تعود الى سيرتها الاولى وتبلغ مستوى اللغات الحية .

وأخر ما انتهى الي من الكتب المتخيرة للمدارس . كتب المحفوظات . وكتاب الموجز في علم المنطقي .

«المحفوظات المختارة»

اربعة اجزاء الفها لطلبة المدارس الابتدائية الاستاذان الفاضلان السيد احمد علي عباس المفتش بوزارة المعارف المصرية والسيد عباس حسن المدرس بالمدارس الاميرية وقد اشتملت هذه الأجزاء على قطع مختيرة من نظم ونثر من كلام البلغاء في هذا العصر وغيره في اغراض مختلفة بأسلوب يستهوي ائمة الطلاب ويوائم مداركهم وهي مطبوعة طبعا متقنا بحرف واضح مشتملة على صور تصبي نفوس الأحداث وتقع الجزء الأول منها في نحو ٤٩ صفحة والثاني في ٤٠ والثالث في ٦١ والرابع في ١٠١ ولا تكاد تجد فيها ممزعا الا امرين :

١ - قصر ما فيها من النشيد والتغني والترنم والوصف والحنين و على مصر دون غيرها . ومن حق العربي ان يكون له وطن عام وهو جميع البلاد التي يقطتها ابناء جلدته وان يحن اليها كما يحن الى وطنه الخاص ويتغنى بذكرها وماضيها وانجاديها واجاديها كما يتغنى بمن في وطنه الخاص . حتى لا تنفصم الأواصر التي تربطه بقومه ولا ينشأ على الجهالة بها .

٢ - لم يكن للأمثال نصيب في هذه الكتب ولا شيء من الشعر الموثوق بعربيته على كثرة ما فيه من السهل . مع ان ذلك يكون ذخيرة للطلاب يستطيع ان يطبع على غمراه عند الحاجة الى ذلك .

«الموجز»

اما كتاب الموجز في علم المنطق فقد وضعه الاستاذان الفاضلان السيد محمد حسين عبد الرزاق المدرس بمدرسة المعلمين العليا في مصر والسيد عباس حسن المدرس بمدرسة الناصرية .

واني لا ازال على ذكر من العهد النبي تعلمت فيه المنطق ولا ازال اذكر ما كنت أكابده من الصعوبة واستقرغته من الجهد في تعلمه وتفهمه . لصعوبة المنهج النبي كان المتقدمون ينهجونه .

ولقد رأيت كتاب الموجز : مهد للطلاب مسلكا جديداً جعل منه هذا المعلم على

طرف الثام كما جعل مباحثه متسقة متناسقة آخذاً بعضها بحجز بعض كل ذلك بأسلوب رشيق وترتيب انيق . ومن المفيد جداً ان يضاف الى ما فيه من المباحث مباحث أخرى لا يستغني الطالب عن الايتمام بها ولو قليلاً .

منها : بحث لزوم . لشدة الحاجة اليه ولذكركه كثيراً عند الكلام على لزوم النتيجة للمقدمتين الصغرى والكبرى .

ومنها : التعريف بالعرض العام مع اخصا . او مع الفصل . وبالفصل والخاصة فان الأول اقوى من التعريف بالخاصة وحدها . والثاني اقوى من التعريف بالفصل وحده . والثالث اقوى من هذا الثاني على ما حققه السيد الشريف .

ومنها : ذكر المشترك وما يقابله . فقد ذكر في ص ١٠١ عند الكلام على استعمال اللفظ الواحد في معان مختلفة . ولم يعرف تعريفاً وافياً .

ومنها : ذكر التناقض ولو بصورة مجملة . وذكر العكس اكثر مما ذكر وقد سلك المؤلفان سبيلاً محموداً مفيداً في ذكر الاسماء والاشارة الى ما يقابلها في اصطلاح المتقدمين ، وذلك يسهل على الطالب فهم كسب المتقدمين عند الرجوع اليها .

ولو ذكر في مباحث (التفسير) ما يوافق او يرادف الوارد فيه . مما ذكره الاصوليون في مباحث العلل . من السبب والتقسيم وتحقيق المناط وتنقيحه . او اشير الى ذلك لكات الفائدة أجل وأجزل لأن الطالب يبقى على صلة مع المصطلحات القديمة وفهمها . وكما أحكمت الصلات بين القديم والحديث كثرت فائدة الطالب من الكتب القديمة . وقلت المترادفات التي يشكونها أكثر العلماء والأدباء في العصر الحاضر .

وبعد هذا فإن للموجز أفضل كتاب أخرجه هذا العصر في هذا العلم . ولعل وزارة المعارف الجليلة في الدولة السورية تقرر هذا الكتاب لمثل الصف الذي قرر له في مصر ، فتحسن إلى العلم والأمة عامة وإلى طلاب الفلسفة خاصة .

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً مصحح منقح لا يكاد الواقف عليه يجد فيه شيئاً من الخطأ إلا قليلاً مثل قوله :

في ص ٢٠ ب المصادقات . والمصواب المصادقات .

- وفي ص ٤١ — حكنا على عمر بالشجاعة . . . وسياق القول يقتضي أن يكون .
حكنا على عمر بالعدل وعلى علي بالشجاعة .
- وفي ص ٦٢ — نظروا في كل ما حاطها كأشبابها . والأولى ما احاط بها .
- وفي ص ٧٢ — (كلمة طبيعية) عربية فصيحة . والمشهور في باب النسب ان ما كان
على فعيلة يقال فيه فعلي أما ما جاء بآباء كلسلي في النسبة الى سليقة فهو شاذ
لا يقاس عليه كما ذكر ذلك في شرح المفصل وغيره وفي ألفية ابن مالك وفعلي في فعيلة
الترم .
- ومنها قوله في ص ٧٤ — من اعرف الارقام . . . وقوله بعده . ان يدعي لمعرفة .
والظاهر أن الألف سقطت من المعرفة الى قوله اعرف .
- ومنها في ص ٧٨ — بعد نضوج . . . والظاهر أن الواو زائدة لان مصدر هذا
الحرف لم ينجي على فعول .
- ومنها في ص ١٠٣ — مع بقاء السبب . والصواب السلب . ونحو هذا مما لا يس
قدر هذا الكتاب الجليل ولا يشوه نصرته وروثه .
- واننا لنسدي الشكر الجزيل لهؤلاء الأفاضل لخدمة هذه اللغة خدمة صادقة قائمة
على حكمة صحيحة وعلم جم وذوق سليم .

سليم الجندي

« الخطرات »

- « كتاب ادب واخلاق واجتماع بقلم وداد شكاكيني وهو يقع في ١٨٠ صفحة »
« من القطع المتوسط والحروف الكبيرة »
- جمعت المؤلفات الفاضلة في هذا الكتاب مقالات ديجتها يراعتها في موضوعات مختلفة
وهاك عناوين بعضها :
- « الشاعر ، الأدب العربي ، تطور المرأة ، الفجر ، الأمل والموت ، ذكرى النبي ،
الاخلاق والمدنية الحديثة ، الأطفال والأمرة ، الخنساء ، الثروة والعمل الخ » .

وقد نظرت الى الكتاب نظرة من يستقضي المادة في مقالاته ويتعرف الى مراصف اقلام المؤلفه ومقاطرها ويستجلي الروح التي اوحى اليها بتلك المقالات .

فاما مادة الكتاب فضيفة وجدير بمن يكتب في الأخلاق والاجتماع ان يدرس بامعان كتب فلسفة الأخلاق وفلسفة علم النفس والاجتماع وان يقتبس منها في مقالاته حتى يتميز عن غيره بفزارة المادة . ولم اجد من حيث الأدب تلك الصور الدقيقة والافكار العميقة التي يتفاضل بها الكتاب . ويبدو ضعف المادة جلياً في المقالة التي عنوانها « الثروة والعمل » فإن هذا الموضوع المادي لا يعالج بالأخيلة الشعرية .

واما لغة الكتاب فجيده اجمالاً . ولا شك ان انشاء المؤلفه الفاضلة يفوق انشاء عدد كبير ممن يسمونهم ادياء وكتاباً . ومع هذا وجدت في ثنايا الكتاب عناء تفيد الاشارة الى بعضها كقولها في ص ٤١ « يأخذ بناصية اعجابنا ؟ » وفي ص ٥٩ « جمال الطبيعة البري » افلها جمال مجرم ام لا بد من ترجمة Innocent التي يستعملها الفرنسيون في هذا الصدد . وفي ص ٦٥ « اقبل على تلك المظاهر الجديدة كرهاً عنه » والصحيح كَرِهَها او كَارِهَها او مَكْرَهَها او على تكرُّه الخ . وعدت فعل أثر بعلى في عدة مواضع (ص ٨٨ و ١٠٦ و ١٠٧) . وهو يتعدى بقي . وفي ص ١٢٩ « كان لنبيهة نخبة راقية من الصديقات والمصراحيب ثواح لحديثها وتستزيدها منه » ولعلها تزيد ان تقول يرتحن لحديثها ويستزدينها منه . وفي ص ١٧٢ « فخرج رفضها هذا ابناء الأمبراطور » قلت لقد ذكرتني هذه الجملة بقولهم « جرح ثواضعه » ترجمة للجملة الفرنسية Blesser sa modestie وهي كلها تجرح فؤاد المطلع على بيان هذه اللغة . . .

والروح التي اوحى الى المؤلفه بتلك المقالات هي روح عالية لأن صادق الوطنية وحُب اللغة العربية والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة كلها تتجلى في تضاعيف الكتاب .

مصطفى الشهابي

كتاب الجيش العرمم

طبع سنة (١٣٣٦ هـ) بالحرف المغربي ، مؤلفه الشيخ الوزير الكاتب ابو عبدالله محمد ابن احمد كونسوس القرشي السوسي المراكشي^(١) المتوفى بمراكش سنة (١٢٩٤ هـ) .
موضوعه : تاريخ دولة الاشراف العلويين الذين اعترف لهم اهل إفريقيا بشرف النسب العلوي منذ عهد جدهم الشريف علي بن الحسن بن محمد بن الحسن العلوي الداخل الى المغرب في القرن السابع للهجرة وقد امتص يسان تاريخهم لا سيما السيامي الي سنة (١٢٨٢ هـ) .

وقلما يغني عنه كتاب في ذلك لأن المؤلف واسع العلم كثير الاطلاع تقلد الكتابة والوزارة مراراً فتسنى له أن يقف على كثير من الشؤون التي تشتد حاجة التاريخ اليها .
وفي كتابه شعر كثير وترسل جميل يليق بموضوعه لو لم يتخلله شيء من السجع فيه ما فيه .

وقد ألم استطراداً بتاريخ أشهر دول الاسلام في الشرق والغرب واستهل كتابه ببحث رائق في بيان فضل التاريخ وحقيقة الإمامة والفرق بينها وبين الخلافة والملك ، واختتمه بأسباب في صفات الملك العادل منها ما كتبه الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز . وله مصطلحات خاصة تعين علي الاختصار في تعريف الاحوال التاريخية العامة كقوله في عنوان تاريخ صدر الاسلام : اللواء الاول الابيض الاكبر ، راية يزيد بن معاوية زرقاء ، راية عبد الملك بن مروان حمراء شديدة الحمرة .

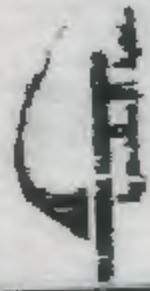
والكتاب على كثرة محاسنه لم يخل مما يوجب نقده — والعصمة لله وحده — فهاجت بمؤلفه ثورة عاطفة شديدة جعلته يحمل علي الامير عبد القادر الجزائري الكبير هجلاً منكراً بعيدة عن الحق جداً ولعل عذره في ذلك ان المغامرة حرمان والعين لا ترى نفسها .

عبد القادر المبارك

عضو المجمع العلمي العربي

(١) ترجمته في كتاب فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان . المطبوع

سنة (١٣٤٦ هـ) للكاتب الأديب محمد غريبط .



Bibliotheca Alexandrina



0652776